

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فروع العقيدة

الشيخ محمد عبد وآرؤه

في العقيدة الإسلامية - عرض ونقد

رسالة مقدمة

لتحليل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إعداد

حافظ محمد عبد الجبوري

إشراف

الدكتور سليمان دينا



١٥

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

٢٤٣٢

١٥

شكر وتقدير

=====

رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي ، فقد وفقني في
اتمام هذا البحث ، واعتني عليه . فالحمد لك اللهم والشكر فقد وفق
واعنت .

ومعد :

فعملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس
لا يشكر الله " ١ .

وقوله عليه الصلاة والسلام : " ان اشكر الناس لله عز وجل اشكرهم
للناس " ٢ .

فاني ازجي خالص شكري وتقديري لاساتذتي الكبير الدكتور سليمان
دنيا الذي منحني من وقته وتفكيره ونصحه الشيء الكثير ، فله مني كل
محبة وتقدير ، وادعو الله ان يسبح عليه مزيداً من الصحة وطول العمر ،
كما واتقدم بالشكر الجزيل لجميع العاملين في كلية الشريعة والدراسات
الاسلامية بجامعة " ام القرى " .

واشكر كل من كانت له يد من نصح او توجيه او ارشاد لي اثناء اعداده
هذا البحث .

والله اسأل ان يوفقني ويوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

١ - رواه احمد في المسند (٢ : ٢٩٥) ، وابوداود (٤ : ٣٥٣) ،
والترمذي وقال حديث صحيح . انظر تحفة الاحوذى (٦ : ٨٧) .
جميعهم عن ابي هريرة .
٢ - رواه احمد في المسند (٥ : ٢١٢) عن الاشعث بن قيس .

المقدمة

=====

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
انفسنا وسيئات اعمالنا . من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له
وليا مرشدا .

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده
ورسوله .

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
اماناتكم وانتم تعلمون) . " ١ "

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو
اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) . " ٢ "

وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام من الليل يصلي ، يقول : " اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل ، فاطر السموات والارض انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم " . " ٣ "

ومعد :

فقد اختلف الناس في الشيخ " محمد عبده " اختلافا شديدا ، بين
قادح مبالغ في القدح ، ومادح مسرف في المدح .

١ - سورة الانفال ، اية (٢٧) .

٢ - سورة المائدة ، اية (٨) .

٣ - صحيح ، رواه الامام مسلم .

وقد دعاني ذلك الى ان اعرف حقيقة حال الرجل ، وما هو عليه في الواقع
ونفس الامر . فهل هو من النحوض بحيث ضل الناس السبيل الى معرفته ؟ او هو
معدد الجوانب فشغل كل فريق بجانب وغفل عما عداه ؟

وان الرجال يعرفون من سلوكهم وسيرتهم ، ومن افكارهم واراتهم ، وان
السلوك والسيرة تاريخ ، والتاريخ نقل ورواية ، وكلما يصل الامر فيه الى ابعد
من ظنون ، على ان للمؤرخ اسلوبه في البحث ، ومنهجه في التمحيص ، وهما
غيرما للباحث في العقيدة من اسلوب ومنهج .

وقد اخذت من التاريخ ما وسعني الاخذ ، ولم احاول - وانا باحث في
العقيدة - ان اجاوز ما احسن الى ما لا احسن ، فعولت في الجانب التاريخي على
المؤرخين ، واذا كانوا قد اختلفوا فقد صورت اختلافهم ، ووقفت منهم موقفا محايدا .
اذ قد بدا لي ان ذلك اقرب الى الانصاف .

فمثلا لما قال التاريخ (ان الشيخ محمد عبده دخل جمعية الماسونيين) .
قال المهضون انه اذا ماسوني ، وان الماسونية حرب على الاديان بعامة
وعلى الاسلام بخاصة .

وقال المحبون انه دخلها دخول مستطليح ليعرف من امرها ما لا يعرفه

البعيدون عنها .

فوقفت انظر الى هؤلاء مرة لا مكان صدق ما يقولون ، والى هؤلاء مرة لا مكان
صدق ما يقولون ايضا ، وليس لي الى مجاوزة الامكان سبيل ، خصوصا وانه لم يؤثر
عنه - فيما اعلم - الكتابة عنها او الحديث بشأنها ، لا تأييدا ولا ردا .

وانا مع ذلك لا انفي ان يكون في قلبه لبعض مبادئها ميل ، ولكن من اين

لي معرفة ذلك ؟

لهذا آثرت ان اتخطى عن هذا الجانب من المعركة لغيري ، مؤثرا الاكتفاء

بتصوير ما دار فيها . والعلماء المهتمون في طعن بعضهم على بعض ، وفي شهادة
بعضهم على بعض ، (والامر كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : العلماء
اشد تغاييرا من التيموس في زروعها وقول المتنافسين لا يقبل في بعضهم كما قرره

العلماء ، وجرى عليه علماء الجرح والتعديل من المحدثين) * ١ *

اما جانب الافكار والاراء فهو النافذة التي تطل على ما استقر في النفس

واخذ اليه القلب واقتنع به العقل * وقد اوليت هذا الجانب جل اهتمامي ان لم يكن كله ، وهذه هي الناحية التي افردت فيها وسعي ، لانها الهدف المقصود في بحثي .

واذا كان الجانب التاريخي للشيخ محمد عبده تعرض للاخذ والرد ، فان جانبه الفكري والعقائدي تعرض للاخذ والرد كذلك ، الا ان الاخذ والرد في الجانب الفكري والعقائدي يمكن التحكم فيه ، والوصول الى راي يقبله المنصف ويرضاه العدل ، اذا سار البحث على اساس علي سليم ، وتنزه عن الغرض وقصد به وجه الله تعالى .

وفي هذه الخطة سرت ، وعلى حول الله وقوته اعتمدت ، وجعلت الحق هدفي ، فاذا تأدى بي البحث اليه قبلته ، لا يهمني بعد ذلك ان يكون هذا الحق الذي ظهر لي هو في جانب من احب او في جانب من ابغض . بل لا اعتبر نفسي مع الفريق الذي ظهر الحق معه ، لاني لم اقصد الى متابعتة او الاخذ بوجهة نظره ان كان الاتفاق بيننا في النهاية لا في البداية .

وقد اخذت المسائل على هذا النحو مسألة مسألة حتى انتهيت منها جميعا على هذا النسق .

وقد وجدتني في النهاية مع فريق في بعض المسائل ، ومع فريق اخر في بعضها الاخر . ولا ادعي ان الصواب حالفني في كل خطوة خطوتها ، وفي كل مسألة بحثتها ، ولكنني الى هذا قصدت ، وانما الاعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ، والمعصوم من عصم الله .

وقد كان حديثي عن الشيخ محمد عبده ، وضرورة مقارنة ما ورد عنه بما قاله السلف — رضي الله عنهم — فرصة لان اعرض وجهة نظر السلف فيما تعرض له الشيخ محمد عبده بالموافقة او بالمخالفة ، بل وان اتعرض لما لم يتكلم فيه الشيخ محمد عبده

١ — تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية
١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ، ص ١٧ .

من وجهة نظر السلف ، استكمالا للبحث من حيث عرض صورة واضحة كاملة عن
العقيدة الاسلامية الصحيحة .

ولقد رتبنا الرسالة على اربعة ابواب وخاتمة .

اما الباب الاول :

=====
فقد تكلمت فيه عن حياة الشيخ محمد عبده ، وجملته في

ستة فصول :

تحدثت في الفصل الاول عن عمره واهم مظاهر الحياة فيه : السياسة
واهم احداثها ، والاقتصاد واهم مظاهره ، والثقافة وابرز ملامحها ، والادب
واشهر رجاله ، والدين وواضح مفاهيمه ، والاجتماع واطهر صورته .
وتحدثت في الفصل الثاني عن اطوار حياة الشيخ محمد عبده وقسمتها الى
طورين :

الطور الاول : ذكرت فيه مولده ، ونشأته ، وتعلمه .

والطور الثاني : ابرزت فيه بعضا من حياته العملية قبل النفي ، وفي المنفى ،
وبعد عودته من منفاه الى وطنه .

وتحدثت في الفصل الثالث عن شخصيته واخلاقه .

وفي الفصل الرابع ترجمت لاشهر شيوخه ، وابرز تلاميذه ، فتحدثت عن

الشيخ " درويش بن خضر " ، والشيخ " محمد عيش " ، والسيد " جمال

الدين الافغاني " ، وبينت اثرهم على تكوين شخصيته ، وذكرت ابرز تلاميذه في

ميدان الحياة العلمية والعملية ، فتحدثت عن السيد " رشيد رضا " ، والشيخ

" محمد مصطفى المراغي " ، والشيخ " مصطفى عبد الرازق " ، واحمد لطفي

السيد ، وقاسم امين ، وسعد زقلول .

وفي الفصل الخامس تحدثت عن ثقافته ومواهبه واثاره . فقد بينت مصادر

ثقافته العربية والغربية ، وابرزت بعض مواهبه واهمها الشعر والنقالة ، وذكرت

ما تركه الشيخ محمد عبده من التراث الفكري الكبير المتمثل في دراساته وبحوثه

الدينية والادبية والنفسية والاجتماعية .

وفي الفصل السادس وضحت مذهب الشيخ محمد عبده في الاصلاح ،
ومنهجه في الدعوة والبحث ، وبرز ما ظهر في هذا الفصل اهداف تفكيره ،
وجوانبه : الوطني والقومي ، والاجتماعي ، والتربوي ، والمقدى الذى هو
موضوع هذه الرسالة .

واما الباب الثاني : فموضوعه الالهيات في فكر الشيخ محمد عبده ، وقد
اشتمل هذا الباب بعد تعريف مجمل للالهيات على اربعة فصول :
بينت في الفصل الاول راي الشيخ محمد عبده في معرفة الله ، والطريق
الموصل اليه ، واهم الطرق التي سلكها في اثبات وجوده ووضحت راي
السلف في ذلك .

وفي الفصل الثاني ذكرت راي الشيخ محمد عبده في الوجدانية ، وسقت
الادلة التي ذكرها في اثبات انه تعالى واحد لا شريك له ، ووضحت راي السلف
في ذلك ، واهتدت الى الجهات التي وافق فيها الشيخ محمد عبده السلف في هذا
الموضوع .

وفي الفصل الثالث بينت راي الشيخ محمد عبده في صفات البارى عز وجل ،
وكلماته ، فوضحت رايه في الصفات الثبوتية ، خاصة صفات المعاني السبع :
الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والكلام ، والسمع ، والبصر .
اما الصفات الخبرية فبينت انه مع اهل التأويل فيها ، ثم وضحت راي السلف في الصفات ،
خاصة الصفات الخبرية ، وموقفهم من التأويل

وفي الفصل الرابع تحدثت عن راي الشيخ محمد عبده في افعال الله تعالى ،
فبينت رايه في تحليل افعال الله ، ورايه في خلق افعال العباد ، ورايه في
حسن الافعال وقبحها ، وفي القضاء والقدر ، وفي جواز رؤيته تعالى في الآخرة .
وذكرت ان رايه في ذلك يوافق مذهب السلف في معظم الاحيان .

اما الباب الثالث :

فموضوعه النبوات . وقد اشتمل هذا الباب بعد تمهيد
يبين مجمل الامور التي يدور بحث النبوات حولها وموقعها في علم العقائد على خمسة

فصول :

ذكرت في الفصل الاول تعريف الشيخ محمد عبده " للنبي " و " الرسول " ،
والفرق بينهما .

وذكرت في الفصل الثاني المسالك التي رسمها الشيخ محمد عبده في بيان وجه
الحاجة الى الرسالة .

وفي الفصل الثالث بينت رأى الشيخ محمد عبده في الوحي ، وامكانه ،
ووقوعه .

وفي الفصل الرابع سقت كلامه في وظيفة الرسل عليهم السلام .
وفي الفصل الخامس وضحت اعتقاده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورأيه في
القران ، والمعجزات .

وفي هذا الباب وضحت رأى السلف في النبوات ، والقران والمعجزات
وبينت ما وافق الشيخ محمد عبده فيه السلف فابرزته ، وما خالف فيه السلف
فبينته وحددته .

اما الباب الرابع :

=====
فموضوعه السمعيات . وقد اشتمل هذا الباب بعد التعريف

بالسمعيات على ما يلي :

اولا : رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن .

ثانيا : رأى الشيخ محمد عبده في الحقائق النفسية التي اخبر الوحي بها ،

مما يكون بعد الموت .

وقد حصرت هذه الحقائق في ثلاثة امور ، بينت رأى الشيخ محمد عبده فيها ،

وهي :

أ : رأى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بالموت . وهذا يشمل رأيه في فتنة القبر

وسؤال الملكين ، ورأيه في عذاب القبر ونعيمه .

ب :- رأى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بالساعة واشراطها • وهذا يشمل رايه
في اهم واشهر ايات الساعة وهي كما وردت في الحديث : الدخان ،
الدجال ، الدابة ، طلوع الشمس من مغربها ، نزول عيسى بن مريم ،
ياجوج وماجوج ، ثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب
وخسف في جزيرة العرب ، واخر ذلك نارتخرج من اليمن تطرد الناس
الى محشرهم •

ج :- رأى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بيوم القيامة واحداثه • وهذا يشمل :-

١ - راية في بداية يوم القيامة •

٢ - راية في البعث والحشر •

٣ - رايه في العرض والحساب والجزاء •

٤ - رايه في الميزان والوزن •

٥ - رايه في الصراط والممرور عليه •

٦ - رايه في الجنة والنار والخلود في كل منهما •

ووضحت في هذا الباب رأى السلف فيما تعرض له الشيخ محمد عبده
بالموافقة او بالمخالفة ، وعرضت صورة واضحة عن السمعيات من وجهة نظر السلف ،
استكمالا للبحث ، لان الشيخ محمد عبده لم يتكلم في هذا الباب كثيرا •

بخلاف الباب الثاني والثالث •

اما خاتمة هذه الرسالة ، فقد رايت ان اوضح فيها موقف الشيخ محمد عبده

من القضيتين التاليتين :
=====

القضية الاولى هي :

رأى الشيخ محمد عبده في حجية خبر الواحد في الامور والمسائل

الاعتقادية •

القضية الثانية هي :

رأى الشيخ محمد عبده في الامور بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يتبع

ذلك من ذم البدع والخرافات . . .

وهذا اكون قد انهيت موضوع الرسالة التي اتقدم بها الى كلية الشريعة
والدراسات الاسلامية ، بمكة المكرمة في جامعة " ام القرى " ، لنيل درجة
الدكتوراه في الشريعة الاسلامية = فرع العقيدة =

واملي بالله كبير ان اكون قد احسنت اختيار هذا الموضوع ، واحسنت
الكتابة فيه ، ووقت فيه ، ووفيته ما هو جدير به من عناية واهتمام ، راجيا
من الله تعالى ان يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وان ينفع
به ابناء المسلمين . . . فانه تعالى نعم المولى ونعم النصير . . . والحمد لله
رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

الباب الأول

=====

" الشيخ محمد عبده ، عصره وحياته ومصادر ثقافته "

وفيه ستة فصول :

- الفصل الاول : عصره
- الفصل الثاني : اطوار حياته
- الفصل الثالث : شخصيته واخلاقه
- الفصل الرابع : شيوخه وتلاميذه
- الفصل الخامس : ثقافته ومواهبه ومؤلفاته
- الفصل السادس : مذهبه في الاصلاح ومنهجه في الدعوة
- والبحث

الفصل الاول

=====

عصره واهم مظاهر الحياة فيه :

=====

تمهيد :

=====

من المعروف الثابت ان الظروف التي تحيط بشخص ما ، والبيئة التي يحيا فيها ، لهما دخل كبير في تكييف حياته ، وطبعها بطابع خاص ...
فالشخصية انما تتكون وتبرز من خلال تلك البيئة التي تنشأ في ظلها ، وما القراءة ، والمطالعة ، والمدرسة ، والبيت ، والمجتمع ... وما يكون فيه من احوال سياسية واقتصادية واجتماعية ... ما كل اولئك الا عناصر هامة في تكوين الشخصية ، وابرازها ، وتحديد اتجاهها ... فيقال : هذه شخصية اسلامية ، وهذه شخصية غير اسلامية ... وهكذا " ١ "

فمن الضروري اذا للباحث ، الدارس لشخصية من الشخصيات ان يدرس الظروف والبيئة المحيطة بتلك الشخصية حتى يقف منها على العوامل التي ادت الى ظهورها ، وكان لها اثر في تكييف حياتها وتحديد سلوكها واتجاهها ...
والشيخ " محمد عبده " واحد من الشخصيات التي برزت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، وكان له اثر في الحياة المعاصرة ، وشأن بين الناس على اختلاف مللهم وطبقاتهم ...

١ - انظر كتاب : الشخصية الاسلامية ، للشيخ تقي الدين النهباني ، مطبعة دار السياسة ، بيروت (١ : ٥) وما بعدها .

فهو من مشاهير العلماء ، ورجال السياسة ، ودعاة الاصلاح
شارك في الثورة " ١ " ، ونفي من وطنه ، واشتغل بالتدريس ، والقضاء
والفتيا ، وكلها مناصب عالية في الدولة .

ولما كان لروح العصر الذي عاشه اثر واضح في سلوكه وفي تحديد
هويته وشخصيته كان من الضروري ان يسبق دراسة شخصه وموقفه من
العقيدة الاسلامية دراسة عموره الذي عاش فيه ، ورسم ملامح بارزة لمختلف
مظاهر الحياة في ذلك العصر السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ،
والادبية ، والدينية ، والاجتماعية — من بداية القرن التاسع عشر الى نهايته
لان ما حصل خلال هذه الفترة من تلك الاحوال كان له انعكاس على حياته ،
وتأثير على خط سيره ، وتحديد لاتجاهه
ولد محمد عبده في فترة عصيبة تعد بحق من اعظم فترات التاريخ
اثرا في الامة الاسلامية عامة ، وفي مصر بلدا الازهر خاصة . " ٢ "

١ — في سنة ١٨٨١ م قام احمد عرابي — ضابط في الجيش المصري —
بثورة على الخديوى توفيق ، عرفت فيما بعد بالثورة العرابية .
انظر : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ، لعبد الرحمن الرافعي ،
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩ م .
وانظر : تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بوكلمان ، نقله السي
المصرية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي . ط ٦ ، دارالعلم
للملايين ، بيروت ص ٥٩١ .

٢ — اقول هذا لان ما ينطبق على مصر ينطبق على غيرها من دول العالم
الاسلامي .

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ٥ وخمس سنوات من

القرن العشرين •

وسأرسم في هذا الفصل صورة واضحة لاهم مظاهر الحياة في هذه الفترة لانها هي

التي كان لها اثر مباشر على الشيخ محمد عبده ٥ وكان له فيها دور بارز

لموس ٥ كما سنرى •

١ - الحياة السياسية واهم احداثها ٥ والاقتصادية واهم مظاهرها •

٢ - الحياة الثقافية وابرز ملامحها ٥ والادبية واشهر رجالها •

٣ - الحياة الدينية ووضح مظاهرها ٥ والاجتماعية واطهر صورها •

ونشرع في الكلام على هذه العناصر على هذا الترتيب في البلاد

الاسلامية عامة وفي مصر بلد الشيخ محمد عبده على وجه الخصوص •

اولا : الحياة السياسية والاقتصادية

=====

كان عصر النهضة في اوروبا قد اثمر في معظم قطاعات الحياة العلمية ،
والتطبيقية ، والاقتصادية . . . وكان من آثار ذلك تماظم نفوذ كثير من الدول
الغربية واشتغالها في العالم ، وتطلعها الى بسط نفوذها على اكبر بقعة من
الارض عن طريق الغزو المسلح والتوسع الاستعماري ، بحجة انتشار الامم
والشعوب مما هي فيه من الجهل والتخلف . . .
ومقدار ما كانت الدول الغربية آخذة في التقدم والازدهار كانت الدول
الاسلامية ، وفي مقدمتها الدولة العثمانية آخذة في التدهور والانحلال . " ١ "
يقول صاحب كتاب حاضر العالم الاسلامي " لوثروب ستوادارد "
الامريكي : (ان سيطرة الغرب الحديثة على الشرق لا مثيل لها في التاريخ من
حيث العظمة والخطورة ، والمدى والجمال ، فما كان لليونان ورومية من قبل من
السيطرة المحدودة النطاق على بعض من العالم ، لا يعد بالاضافة الى سيطرة
الغرب اليوم شيئا مذكورا ، والغريب في حديث هذه السيطرة الغربية انها
بنت خمسة عقود من السنين لا اكثر ، بدأ سيلها يتدفق على الشرق منذ نحو
منتصف القرن التاسع عشر ، ومنذ ذلك الحين ، لم تنزل وسائلها واسبابها تنتشر
وتعم ، ذلك كالطرق ، والمسالك الحديدية ، والبرق ، والبرق ، والكتب ،

١ - انظر كتاب اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، الكتاب الاول للدكتور

عبد المجيد عبد السلام المحتسب ، دار الفكر ، الطبعة الاولى ،

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ص ٦ ، ٧ ، ٥ .

والصحف ، والمجلات ، وكشيع جديد الآراء والأفكار المتوالية الأزد ياد في كل

مصر شرقي (١٠ هـ ٠ " ١ ")

وفي هذا العصر وصلت " المسألة الشرقية " قممها ، تلك التي كانت

عنوانا بارزا لخطط الغرب للسيطرة على العالم الاسلامي ، ونهب ثروته ،

وكسر شوكته والعمل على اضعاف القوة السياسية للإسلام .

يقول الاستاذ العقاد مبينا ذلك وموضحا له : (وكانت

المسألة الشرقية قد تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبية ، وهو

دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركه الرجل المريض ، فبعد ان كان الغرض

من المسألة الشرقية انتزاع الاقطار المسيحية من املاك الدولة العثمانية اصبح هذا

الغرض هو تقسيم اقطارها جميعا من مسيحية واسلامية ، وتبادل الاضياء عن كل

نصيب متفق عليه يقع في قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة ، وصاحبها

على قيد الحياة) (١٠ هـ ٠ " ٢ ")

وظل النفوذ الغربي على العالم الاسلامي يزداد حتى وصل الى

منتهى ما يصل اليه نفوذ قوي على ضعيف ، من الناحيتين السياسية والاقتصادية ،

فلم يقف استخدام هذا النفوذ عند حد الاستغلال الاقتصادي في كشف او

استغلال موارد الثروة لاجل ، رفع مستوى الغرب وتقدم صناعته من جانب

واضعاف مستوى المسلمين والحرص على تخلفهم من جانب اخر ، بل تعداه الى

استخدام النفوذ العسكري للتفيس عن الحقد الصليبي ضد المسلمين . " ٣ ")

١ - حاضر العالم الاسلامي ، تأليف لو ثروب ستوادارد الامريكي ، نقله

الى العربية الاستاذ عجاج نويهض ، دار الفكر للطباعة والنشر المجلد

الثاني الجزء الرابع ص ٢ .

٢ - عمقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ، لعباس محمود العقاد ،

دار الكتاب العربي بيروت - لبنان - ١٩٧١م ص ٨ .

٣ - انظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين ،

بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٩م ص ٧ وما بعدها .

يقول لوشوب ستودارد الامريكي : - (وفي الواقع فان ذلك الفتح الاقتصادي قد كان العامل الاكبر في سرعة تقدم اوربا وبلوغها اوج الكمال وقمة العظمة اما امر اخضاع البلدان الشرقية فقد كان بعضه يتم على ايدي القوى العسكرية كحملة فرنسا على الجزائر ، وفتح روسيا لاسيا ، وغزو ايطاليا لطرابلس الغرب ، وبعضه الاخر على يد الوسائل الاقتصادية الصرفة وذلك ما هو معروف بـ " الفتح السلمي " اعني به : القبض على خناق بلاد شرقية مستقلة استقلالاً مخترق السياج برووس الاموال الغربية تمتد بها الدولة الفاتحة تلك البلاد على شكل القروض والامتيازات ، ومتى ما تم ذلك اخذت السيطرة السياسية تبدو شيئاً فشيئاً حتى تنتشر انتشاراً يطبق على البلاد وعلى هذه الطريقة تم فتح مصر ، ومراكش ، وبلاد المعجم ، بينما كانت الهند من قبل ذلك تستعمرها " شركة الهند الشرقية " بوسائل تجارية بحته (٠٠٠) " ١ "

ويحد ان تحقق للمستعمر ما يريد ، وسط سلطته في رقعة الشرق الاسلامي ، بدأ يفكر في الطريقة التي توجهه للبقاء في المنطقة ، وتمكنه من العيش فيها بسلام ، وتضمن له تحقيق اهدافه وغاياته ، ٠٠٠

وليس له هنا طريق لتحقيق ما يريد سوى الدخول الى معتقدات المسلمين وتغيير مفاهيمهم ، وتصوراتهم ، وتشويه التراث الاسلامي ، والتشكيك في الاسلام حتى يهدد المسلم عن دينه وعقيدته ٠٠٠

وامام هذا الواقع المؤلم ظهر من الناس فريقان :

فريق نسب نفسه الى الاسلام زوراً وبهتاناً فنادى باتباع الغرب فيما وصل اليه ، والاخذ عنه ، غشه وسمينه . كما نادى بتقريب الاسلام ، وتأويل ما فيه مما يخالف الغرب ، فلاقى هؤلاء كل عون من المستعمر الغربي .

وكان من نتيجة ذلك ظهور صحف تنادي بالوطنية ، وحب الوطن
بالمعنى القومي الحديث في أوروبا ، الذي يقوم على التعصب لمساحة محدودة
من الأرض ، وتنادي بحرية خارجة عن حدود الدين باعتبارها حجر الزاوية في نهضة
اية امة ، وفي مقدمها ، وتنادي بتحرير المرأة من قيود الدين ، وبالثورة على
القديم ، واتباع النظم الاقتصادية الغربية واحلالها محل التشريع الاسلامي ،
وايهام المسلمين انها تتفق مع احكام الاسلام ونظمه . " ١ "

اما الفريق الثاني فقد اخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن الاسلام والوقوف
في وجه الافكار ، والبهادى الهدامة ، وتفهم المسلمين حقيقة الاسلام والدعوة
الى التمسك به ، على اكمل وجه ، ونهذ حضارة الغرب وثقافته ، ودفع حملات
التشويه والتفليل ، ومواجهة المستعمر وتحديه ، وقد مثل هذا الفريق علماء
وشيوخ الازهر الشريف المخلصين ومن هؤلاء الشيخ محمد عبده . " ٢ "

-
- ١ - ومن هؤلاء حركة السيد احمد خان في الهند التي سماها تجديدا ، وحركة
ميرزا غلام احمد / انظر كتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار
الغربي تأليف الدكتور محمد الهبي ص ٢٠ ، ٢١ ، الطبعة الخامسة
دار الفكر بيروت ١٩٧٠م .
ومنهم رفاة رافع الطهطاوى في مصر ، وخير الدين التونسي في تونس ،
انظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية ص ١٨ وما بعدها / واتجاهات
التفسير في مصر الحديث للدكتور عبد المجيد المحتسب ص ١٠ /
واصول الفكر الغربي الحديث عند الطهطاوى للدكتور محمود فهمي حجازى
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .
- ٢ - انظر كتاب : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٢٠
وما بعدها بتصرف .
ويرى البعض ان الشيخ محمد عبده وتلاميذه في مصر قاموا بدور
التوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية . / انظر اتجاهات التفسير
في مصر الحديث ص ١٧ .

ثانيا : الحياة الثقافية والأدبية

=====

كانت الحياة الثقافية والأدبية في عصر الشيخ محمد عبده ضعيفة المستوى وذلك بسبب اتصال الغرب المسيحي بالشرق الاسلامي ، اتصال اعتداء مسلح موجه ضد المسلمين من ناحية واتصال مسخ وتزييف للشخصية الاسلامية والتطورات الاسلامية والفاهيم الاسلامية والسلوك الاسلامي من ناحية اخرى ، بقصد اضعاف المسلمين وتأويل وتحريف ما في الاسلام من مبادئ ونظم . . . بما يوافق مدنيهم الحديثة .

وكان من نتيجة هذا الهجوم على الدين والمثدين انعدام المدارس والمعاهد والجامعات ، وقلة المعلمين والمتعلمين ، ولم يبق لطلاب العلوم مجال يملكون فيه سوى ما يسمى " بالكتائب " التي كانت تعنى بطالب العلم منذ طفولته ، وتحفظه القران ومبادئ العلوم ثم ينتقل بعد ذلك الى حلقات الجوامع ، او ملاحقة العلماء والتلمذ عليهم ، او الدروس الخاصة في البيوت الموسرة ، القادرة على تحمل نفقات التعليم . . . " ١ " .

يقول الاستاذ الندوي في وصف هذه الحالة : (ويبدو ان التخلف كان عاما في المجتمعات الاسلامية ، وان العالم الاسلامي كان مصابا بالجذب العلمي والشلل الفكري ، لاننا نجد ان كتب المتقدمين رحلت عن حلقات العلم وخطت معها كتب المتأخرين التي غصت بالمتون والشروح والحواشي والتقارير ولم يكن تخلف المسلمين في العلوم النظرية والحكمة " ٢ " والمدنية فحسب بل تخلفوا

١ - انظر كتاب : سيد قطب ، الشهيد الحبي ، بقلم صلاح عبد الفتاح الخالدي
مكتبة الاقصى - عمان - الاردن - الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ،

في صناعة الحرب ايضا فسبقتهم اوربا باختراعاتها وقوة ابداعها وحسن تنظيمها " ١ " الى جانب هذا وفي الجانب الاخر كانت هناك المدارس التبشيرية التابعة الى الغرب الصليبي ، وكان التعليم فيها بغير اللغة العربية ، غير ان بعض هذه المدارس كانت تعنى باللغة العربية لتخدع الناس وتوهمهم بأنها غير على العرب والعروبة بينما كان هذا خلافا في المدارس التبشيرية كانت المدارس التركية تقلل من اهمية اللغة العربية ، وذلك تمهيدا وتشجيمًا من المستعمر لكي يثور العرب على الدولة العثمانية ، واستدراجا ومطية لفتح الافكار الغربية الخبيثة في صفحات الكتب ، وحجر التدريس لتسميم العقول العربية ، وتشويه المعتقدات الاسلامية ، والسير بالطلاب في خط الانحراف المطلوب " ٢ "

ففي مصر مثلا اظهر سعيد باشا " ٣ " اهتماما بالغًا بالمدارس الاجنبية ، المؤسسة بحضر بمعرفة الرسائل التبشيرية ، ومنح المساعدات السخية للراهبات في اميرة القاهرة والاسماعيلية ، ووهب الابنية الفخمة للرساليات

-
- ١ - ماذا خسرت العالم بانحطاط المسلمين ، لابي الحسن الندوي ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، الطبعة العاشرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ١١ ، ١٢٠ .
 - ٢ - انظر كتاب : رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته ، تأليف الدكتور احمد الشرباصي ص ٥٣ - ٧٩ .
 - ٣ - الخديوي سعيد ، خليفة الخديوي عباس ، والخديوي لقب اطلق على طسوك مصر من ورثة محمد علي باشا ، وكان عصره بلاه على الشعب المصري ، في جميع المجالات وخاصة في المجال الاقتصادي والقيم والاخلاق .
- انظر كتاب : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر لعبد المحسن طه بدر ص ٢٣ ، ط ٢ / وكتاب : المسرحية في الادب العربي الحديث لمحمد يوسف نجم ص ٢٤ ، ٢٥ ، دار الثقافة بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٦٧ م .

الامريكية ، وتبرع بسخاء للمدارس الايطالية . " ١ "

وازدادت حالة التعليم سوءا في عصره ، ويبدو ان وراء ذلك رغبة في نفسه وهي ان يحكم مصر حكما صارما ما دام الشعب سادرا في ظلمات الجهل ، فقد قال لسكرتيره مرة : (ولم نعلم الشعب ؟ لكي يصبح الحكم عليه والتصرف فيه اعسر ما هو عليه ، ؟ دعهم في جهلهم فالامة الجاهلة اسلس قيادا في ايدي حاكميها) . " ٢ "

هذا نموذج لحال هذا العصر من الزمان ، ولقد كانت مصر اذا ما قيست الى الدول الاسلامية الاخرى الاسيوية منها والافريقية احسن حالا ، واغنى مقاما من الناحية التعليمية ، لان فيها الازهر الشريف ، الشجرة الطيبة يتفوق ظلالها طلاب العلم ، ويقطف من ثمارها العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه .

وفي مواجهة ذلك كله كان الازهر بثقافته الاسلامية وجهوده في نشرها هنا وهناك يقاوم الثقافة الاجنبية ، والمبادئ والنظم الهدامة والشعارات البراقة المزيفة والمفاهيم الخاطئة التي سرت في جسم الامة الاسلامية سريان النار في الهشيم ، ويقف حاجزا منيعا دون انتشارها ، وسدا حصينا يصدها ويجعل مهمتها صعبة جدا وغير مأمنة

ومهمة الغرب المستعمر هي العمل على اضعاف وتوهين النشاط العلمي عند المسلمين في جميع المجالات ، وفي اسلامهم اولا وبالذات . والوصول به الى ادنى درجات التفكير .

-
- ١ - انظر كتاب : تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، لالياس الايوبي ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٣ م ص ٨٤ .
 - ٢ - كتاب : حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، لجاك تاجر ، دار المعارف بمصر ١٩٤٥ م ، ص ٧٥ و ٧٦ .

لذلك فقد استخدم كافة الوسائل في تحريف الفكر الاسلامي ، تحريفا يهدم السلم عن التمايم ، الاسلامية الصحيحة ويقربه من الافكار الغربية ، وهذه الوسائل يمكن ردها الى ما يلي :-

١ - تنشئة جيل جديد من ابناء المسلمين ، يربى تربية خاصة على اسس اوربية ليقرب من الاوربيين في طريقة التفكير ، والسلوك ، من امثال " رفاة الطهطاوى " في مصر " و " خير الدين التونسي " في تونس اللذين كان لهما اثر كبير في نقل الافكار الاوربية الى المجتمع الاسلامي في مصر وتونس والترويج لها بشكل يدعو الى العجب ... " ١ "

يقول الدكتور محمد حسين : (ولكن اهمية الطهطاوى وخير الدين ترجع الى انهما قفا جلبا هذه البذور الغربية والقيام بها في التربة الاسلامية) " ٢ "

٢ - في تشويه الاسلام واعادة عرضه بحيث يبدو متفقا مع الفكر الغربي ، او قريبا منه ، وفي هذا خطر على الاسلام واهله ، لان فيسره تأويلا للنصوص ، وتحريفا لها ، مما يؤدي بالمسلمين الى الفرقة والاختلاف ،

١ - انظر الاسلام والحضارة الغربية ص ١٧ الطبعة الاولى بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

وانظر الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى دراسة وتحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ م .
وانظر : رفاة رافع الطهطاوى تأليف الدكتور جمال الدين الشيال ، دار المعارف بمصر ، سلسلة نوابع الفكر العربي ١٩٧٠ م .

٢ - الاسلام والحضارة الغربية ص ١٧ .

وهو ما يريدُه اعداء الاسلام ، وقد حصل لولا ان الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ

هذا الدين من ايدي العابثين ، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه . " ١ "

٣ - الدور الذي لعبه النصارى المقيمون في ظل الدولة

المثمانية ، الذين كانت تتملق امالهم بالعيش في جو غير اسلامي ، لان الدين الاسلامي يفرض عليهم امورا يصعب عليهم الانفلات منها ، والعمل بحرية لاستكمال

صالحهم .

فانشروا الصحف والمجلات ، والكتب التي كان معظمها يروج للمذاهب

الاجتماعية والتربوية المنقولة من كتب الغرب وثقافته .

وقد برز هذا الدور في صورتين :-

الاولى :

===== قيام بعض العملاء بحركة سموها تقدمية - هدفها تقرير سلطة

المستعمر ، وموافقته في كل جديد يدخله على الاسلام .

ويمثل هذه الصورة " السيد احمد خان " في الهند ، " وميرزا غلام

احمد " زعيم لحركة القاديانية " ٢ " ، " ومولاي محمد علي " ، " وخواجه

١ - انظر : اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص ١٠ ، ١١ ، نقلًا

عن الاسلام والحضارة الغربية ص ١٩ وما بعدها .

٢ - ولد ميرزا غلام احمد سنة ١٨٤٠م ، من اصل سلالة مغولية ، تلقى تعليمه

في بيته على معلمين : فضل الهي ، وفضل احمد ، ادعى النبوة وقال

ان عيسى حل فيه ، وكذلك محمد ، توفي سنة ١٩٠٨م /

انظر : كتاب القادياني والقاديانية ، دراسة وتحليل ابو الحسن الندوي

ص ٢٢ - ٢٩ ، الدار السعودية للنشر الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ /

١٩٦٧م / وانظر كتاب : المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ،

للدكتور عبد الرحمن عميرة الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ص

٢٧٥ وما بعدها .

كمال الدين " زعيما الحركة الاحمدية " ١

الثانية :

=====
قيام بعض المستشرقين بابراز الخلافات المذهبية ، وتعميق
الفجوات والثغرات بين طوائف المسلمين وشعبهم ، بقصد تشكيك المسلمين في
دينهم ، وتمكين المستعمر في الديار الاسلامية من ضمان استمرار بث الروح
الصليبية ، والافكار الكهنوتية في الكتب والمؤلفات التي تقدم بالمجان للمسلمين . ٢
وفي مقابل هاتين الصورتين برز اتجاه فكري اسلامي معاكس ، تمثل
في حركة اسلامية هدفها مقاومة الاستعمار الغربي ، وتحطيم وسائله ، ورد كل
دخيل على الاسلام ، وبيان وضوح المنهج الاسلامي والفكر الاسلامي وشموله .
هذا الاتجاه كان يمثله الازهر الشريف الذي دعا الى تمسك المسلمين
باسلامهم كما ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والتثقف بثقافة الاسلام ،
وعدم انصار ابناء المسلمين في بوتقة الفكر الغربي ، والتحذير من الوقوع في شركه
واحليله .

يقول لوثروب : (ان الامم الاسلامية في الشرق لم تقبل على انتحال

الافكار والاراء الغربية انتحالا شديدا ماخوذا به الى حد امتزاجه بطبائعها
واخلاقها . . .) ٣ كان ذلك بفضل الله اولا ثم بقوة الازهر وحموه .

١ - حركة منشقة عن الحركة القاديانية ، حاولت التوفيق بين الاسلام والمسيحية ،
اظهرت نشاطا كبيرا في مجال التبشير في العالم العربي والاسلامي كفلسطين
وباكستان / انظر الموسوعة العربية الميسرة البرت ريحاني ، وآخرون
من الاساتذة ، دار الشعب بالقاهرة ، ومؤسسة فرنكلين ، الطبعة
الثانية ١٩٧٢ م ص ٢٣ .

٢ - انظر الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي الطبعة الخامسة

١٩٧٠ م ، دار الفكر بيروت ص ٢٩ وما بعدها .

٣ - حاضر العالم الاسلامي المجلد ٢ الجزء ٤ ص ٣ .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام تلك المحاولة الفكرية لتوضيح المفاهيم الاسلامية بنحية الملائمة بينها وبين روح العصر ، واحداثه المتلاحقة المتجددة ، دونما خروج عن دائرة الاسلام ، كتلك المحاولة التي قام بها " محمد اقبال " " ١ " في الهند ، والشيخ محمد عبده في مصر .

-
- ١ — الشاعر الاسلامي محمد اقبال (١٨٧٣ — ١٩٣٨) باكستاني ولد في مدينة سيالكوت درس الفلسفة والادب ، واشتغل بالمحاماة دعا الى نهضة التصوف الذي يؤدي الى ائامة الامة . وله عدة مؤلفات باللغة الاردية .
/ انظر : الموسوعة العربية الميسرة باشراف محمد شفيق غريال ، دار الشعب مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

ثالثا : الحياة الدينية والاجتماعية

=====

ما ان استقرت اقدام المستعمر الغربي فوق الارض الاسلامية ، حتى اخذ يفكر بكل حيلة ووسيلة لتوهين عقيدة المسلم ، وتفكيك الروابط الاسلامية وتجزئ المجتمع الاسلامي ، وطمس الشعائر ، واظهار البدع ، والتشجيع على تعاطي المحرمات والكبائر ...

فكتبوا الكتب ، ونشروا الرسائل ، ووزعوا المنشورات ، والقوا المحاضرات للطمس في الاسلام ، والتشكيك فيه وفي صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، عدا عن السباب ، والصاق التهم به والكذب عليه ، ...
والحقيقة ان المستعمر نجح في اسلومه هذا ، وحقق كثيرا مما اراد ، فانسلخ كثير من الناس عن دينهم ، وشوهت صورة الاسلام ، وصورة المجتمع الاسلامي ، وصارت المبادئ ضررها من الاوهام والعادات في غالبية البلاد ، وعند كثير من الناس .

والكاتب الامريكي لوثروب استطاع ان يشخص الحالة الدينية عند كثير من المسلمين في هذه الفترة فقال :-

(واما الدين فقد غشيت غاشية سوداء ، فالهست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخطت المساجد من ارباب الصلوات ، وكثر عدد الادعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين

يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمام والتعاويد والسبحات ،
ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويغيبونهم في الحج الى قبور الاولياء ، ويزينون
للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القران ، فصار
يشرب الخمر والافيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل ، وهتكت ستر الحرمات على
غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ما نال غيرها من
سائر مدن الاسلام ، فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي " ا " على من استطاع
ضربا من المستهزآت ، وعلى الجدة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا
مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة الى الارض في ذلك العصر ورأى ما
كان يدهي الاسلام لغضب واطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما
يلعن المرتدون وعبدة الاوثان (١٠١ هـ)

هذا من الناحية الدينية ، اما الناحية الاجتماعية فقد ضيق المستعمر

الغربي سبل المعيشة على المسلمين ، وشد وطأته عليهم ، واضر بهم من كل
جهة ، فكان من نتيجة ذلك ، انتشار البطالة ، وقلة الانتاج ، وتضييق السبيل
على من يطلب الرزق ، ورافق ذلك انتشار السرقة ، ونفي وسجن كل من تسول
له نفسه من علماء المسلمين وروء سائهم ، العمل على مقاومة الاستعمار وكبح جماحه ،

١ - لم يفرضه النبي عليه السلام ، بل فرضه الله سبحانه ، والنبي مبلغ . وقد
قال : " يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا " رواه احمد ومسلم
والنسائي .

انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الفقهية المقرونة بالادلة الشرعية تأليف
عبد العزيز المحمد السلطان . من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث العلمية
والافتاء والدعوة والارشاد - السعودية - الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
الجزء الثاني ص ٢٠٠ .

وهذه شهادة من لا يدين بالاسلام ، ودينه النصرانية .

يقول لوثروب : " ١ "

(ما اشبه غالب الدول النصرانية في سلوكها هذا الذي ما برحت

سالكته منذ عدة سنوات ازاء الامم الشرقية ، بمصائبهم من اللصوص يهبطون على الخلل " ٢ "

الآمنة ، اهلها ضعفاء ، عزل ، فيثخنون فيهم ثم ينقلبون بالفخائم والاسلاب ،

ما بال هذه الدول لا تنفك تدوس حقوق الامم المجاهدة في سبيل النهضة ٢٠٠٠ ؟

وعلام هذا المسف الذي تضرب به الشعوب المستضعفة ؟ وهذا الجشع الكلي .

لا تتياش ما بين ايديها وما خلفها ؟ ان هذه الدول الغربية النصرانية هي بعملها

هذا مؤيدة للدعوى الباطلة ان القوى الشاكي السلاح يحق له الانقراض على الضعيف

الاعزل ، وآتية بالبرهان القاطع على ان مكالم الاخلاق والاداب الاجتماعية لا شأن

لها البتة حيال القوة المسلحة . اجل ، ان هذه الدول قد تجردت عن كل حسنة

في معاملة الشعوب الشرقية تجردا لم يسبق له مثيل حتى بين اشد الجيوش الشرقية

هجمية في الزمن القديم) . " ٣ "

ومن ناحية اخرى ، فقد نجح المستعمر الغربي ايضا في اختيار فريق من

الناس ، لبسوا لباس الاسلام ، ونطقوا باسمه ، وفي نفوسهم نحل وحقه على اهل

وفي قلوبهم زيغ وزندقة ، سخرهم لمصلحته في افساد دين المسلمين ، وتقيدهم ،

١ - حاضر العالم الاسلامي المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص ١٢ .

٢ - يقصد المحطة ، اي المكان او المنطقة .

٣ - لم يبين مقصده بجيوش الزمن القديم ، فان كان المقول فصحيح ،

اما الفتوحات الاسلامية فسيرتها هطرة من حيث المعدل والامانة

والرحمة ، ٠٠٠٠ الخ .

وفي توهين الرابطة الاسلامية بينهم ، وتبديد جمعهم ، وتشتيت شملهم ، من هؤلاء كما ذكرنا سابقا " احمد خان " و " ميرزا غلام احمد " . . .
أما الأول فقد تنصرا لاضاء لاسياده الانجليز ، ثم ظهر بمظهر الطبيعيين ، ولقب نفسه بالطبيعي ، واستمال بعض الشبان الطائشين ، فرأى فيه الانجليز خيرا وسيلة لتحقيق غرضهم ، فمزروه وكرموه .
وكان من اعماله : تفسير القران الكريم حرف فيه الكلم عن مواضعه ، واشترى بايات الله ثمنا قليلا ، فأنكر المعجزات والخوارق ، الحاصلة على يد مدعي النبوة صلى الله عليه وسلم ولكنه مع ذلك ظل يقرب ختم النبوة والرسالة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما الثاني : فقد ادعى انه المهدي ، وقال ان عيسى ومحمد عليهما السلام خلا فيه فهو نبي " ١ " والذى فرضته الجهاد ، وواجب طاعة الانجليز باختيارهم اولي الامر الحاكمين .
وهو اول مؤسس للمذهب القادياني ، الذى نشأ منه فيما بعد ما يسمى بالحركة " الاحمدية " وهي تختلف عن القاديانية في انها تنظر الى " ميرزا " على انه صلح ديني لا نبي " ٢ " .

ومساعدة المستعمر لهذه الحركات وغيرها ، شهد العالم الاسلامي كله فرقة في العقيدة والدين ، وفي القيادة والولاء ، وتفجير اتجاه كثير من الناس ، وفسدت فطرهم ، وانحرفت تصوراتهم ، اضافة الى هذا ، الجهد ، المتواصل

١ - انظر كتاب : كهرو اليقينيات الكونية تأليف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٠ هـ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

٢ - انظر كتاب : الفكر الاسلامي الحديث واصلت بالاستعمار الغربي ص ٣٧ وما بعدها .

الذى يذله المستشرقون في ابراز الخلافات المذهبية وتمحيق الفجوات بين طوائف المسلمين ، من الوجهة الشعبية ، او الجغرافية ، او من ناحية نظام الحكم . . . مع شرح كثير من الافكار والمبادئ الاسلامية شرحا مشوها ، بالإضافة الى تهيسة جيل جديد يمجّد القيم المسيحية ، والاخلاق المسيحية ، والمعاداة المسيحية ، والحضارة المسيحية ، والانظمة المسيحية ، وكل ما هو مسيحي ، ويدعو الى تقليدها بحجة انها لا تتعارض مع الاسلام . " ١ "

حصل هذا في معظم البلاد الاسلامية ولا زالت آثاره شاخصة في . . .

العالم الاسلامي حتى وقتنا اليوم . " ٢ "

ولكن المستعمر الغربي واعوانه واجهوا موجة عنيفة من قبل

المسلمين ، في جميع الاقطار المستعمرة ، ففضلاى فريق من العلماء لهذه الجبهة

المعادية ، بكل ما يملكون فابهرت فرقة تلقّد نظرياتهم وافكارهم وتنقضها .

واخرى وضعت منهاجاً فكرياً اسلامياً لتقوية عقيدة المسلمين ، وثالثة هبت للدفاع عن

الشعب وحقوقه ، واسترجاع ما سلب منه .

وكان الشيخ محمد عبده في مصر من الذين دانعوا وتحدوا

وخططوا ، وله في ذلك مواقف وآراء ، وسأبين هذا في الفصول القادمة

بإذن الله تعالى .

١ - انظر : الاسلام والتجديد ، تأليف تشارلز آدمز ، ترجمة عباس محمود ،

مطبعة الاعتماد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م ص ١٠ وما بعدها .

وانظر : الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني . جمع وتحقيق محمد

عمارة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ص ٢٥٠ وما بعدها .

٢ - انظر كتاب : مذكرات قليني فهبى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ص ٧

وما بعدها .

وانظر : تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ،

"عصر الضعف الاسلامي العام"

=====

واقصر الكلام على عصر الشيخ محمد عبده فأقول :-

انه عصر الضعف الاسلامي العام : السياسي ، والاقتصادي

والثقافي ، والادبي ، والاجتماعي . . . الخ .

وفي هذا العصر دخلت الدول الغربية مرحلة طابعها الاستعمار

والسياسة ، وقوامها العلوم والفنون والصناعات ، والثروة والنظام . . . واما اخرى

غيرها بما يمكن لفئة قليلة ان تغلب فئة كبيرة في وقت قصير .

فباتت الامة الاسلامية بفعل هذا الاستعمار مغلوبة على امرها ،

تتقاذفها التيارات من كل جانب ، وتتقاسم الدول ديارها وهي غارقة في بحار

من الجدليات والاهام والخيالات . . .

يتكلم الشيخ رشيد رضا عن حال الناس في هذا العصر وما يقتضيه

من التجديد ، يقول :-

(اتسعت مسافة الخلف بين الشعوب في العلم والعمل ووسائلهما ،

واشدت الحاجة الى تجديد الحياة في المتخلفة منها عن المتقدمة ، لا ينهض

بمثله امثال اولئك الجدد بين القدماء بالوسائل القديمة وحدها ، ولا يطمح اليه

صوفي يستمد قوته من الاموات ، ويتكل على الكرامات ، وينترب بالمنامات ، ولا يطمح

في تدليل صحابه واقتحام عقابه غريق في بحار النظريات العقلية ، ومشتق الافكار

بنظريات الفلسفة ، ولا يطلع ثنياه ، ويجتلي خفاياه منقطع الى كتب الشرائع ،

واستنباط احكام الوقائع ، يتساقى اليه من تعلم العلوم والفنون المصرية تعليما

= الطبعة الثانية ١٩٧١م ص ١٠ وما بعدها .

وانظر : حديث عيسى بن هشام ، لمحمد ابراهيم المويدي ، مطبعة مصر ،

الطبعة الرابعة ص ٤٠ وما بعدها .

ألمّا ليكون احد العمال في دائرة من دوائر الحضارة او ديوان من دواوين حكومتها)

وليس يبلغ واصف لحال هذا العصر ما بلغه النبي صلى الله عليه وسلم

حين مثل حال المسلمين وقد تألّبت عليهم ام اقوية بالعلم والنظام والفن والعمل
والسلاح والتعاون تسلب ملكهم فقال :

" يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها " فقال

قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل انتم يومئذ كثير ولكن غطاء كفضاء

السيول " وسينزل من الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن "

قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال " حب الدنيا وكراهية الموت "

صدقت يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم

فهذه الدول تتداعى علينا بجيوشها ، ومذاهبها وثقافتها وآدابها ،

فتستولي على افكارنا وعلى بلادنا وعلى ثرواتنا وتتكلم وحدتنا وتجهنمنا وتصرف في العمل

على الحلال اخلاقنا وقيمنا ، فانصرفنا عن الحق الى الباطل حتى صارت الدنيا

اكبر هبطا والموت من اشد اعدائنا لولا بركة من ايمان احتفظت بها ارض الجزيرة

العربية بجوار البهت الحرام ، والازهر الشريف في مصر ، وفي بعض المدن

الاسلامية ، ليتم الله نوره ولو كره الكافرون .

١ - تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، تأليف محمد رشيد رضا ، الطبعة

الاولى ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م . الجزء الاول صفحة " هـ " .

٢ - الحديث صحيح ، رواه ابو داود في السنن والبيهقي في دلائل النبوة من

حديث ثوبان رضي الله عنه .

الفصل الثاني : أطوار حياته

=====

يمكن تقسيم حياة الشيخ محمد عبده الى طورين :-

الطور الاول :

===== ومدته عشرون عاماً .

مولده ، ونشأته ، وتعليمه ، ويمتدأ بمولده سنة ١٨٤٩م /

١٢٦٦ هـ حتى اول لقاء له مع السيد جمال الدين الافغاني سنة ١٨٦٩م .

الطور الثاني :

===== طور حياته العملية ، ومدته ستة وثلاثون عاماً ، من سنة

١٨٦٩م حتى وفاته سنة ١٩٠٥م .

ويقسم هذا الطور الى ثلاث مراحل على النحو التالي :-

١ - مرحلة ما قبل النفي ، وتمتد من سنة ١٨٦٩م - ١٨٨٢م .

٢ - مرحلة النفي ، وتمتد من سنة ١٨٨٢م - ١٨٨٩م .

٣ - مرحلة ما بعد عودته من منفاه الى وطنه وتمتد من سنة ١٨٨٩م الى وفاته

سنة ١٩٠٥م . رحمه الله .

ولنبتدىء بالكلام على " الطور الاول " من سنة ١٨٤٩م حتى سنة

١٨٦٩م .

١ - قريته :-

===== ولد الشيخ محمد عبده ب " حصة شبشير " من قسرى

اقليم الغربية ، ولكنه شب وترعرع في قرية اخرى تسمى " محطة نصر " من قسرى

مركز " شبراخيت " باقليم " البحيرة " حيث عاش والده ، وطاشت اسرته " ١ " .

١ - انظر كتاب : عمقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده تأليف الاستاذ :

عباس محمود العقاد ص ٦٥ .

وإذا كانت دراسة حياة أي إنسان لا بد أن تستوعب كل مراحل حياته ،
وتبين المؤثرات في كل مرحلة فمن الضروري معرفة مؤثرات قرية الشيخ محمد عبده على
الطور الأول من حياته وعلى بقية مراحل حياته

أقول : أن قرية الشيخ محمد عبده كغيرها من قرى القطر المصري ،
تتأثر بخصب أرضها ، وطيب أهلها ، وجمال منظرها ، مما يكون له أثر كبير
في تكوين شخصية الطفل ، ونفسيته ، وهذا هو السبب المباشر في أن غالبية
الزعماء والقادة والمفكرين هم من الأرياف ، لصفاء الحياة هناك وساطقتها والبعد
عما في المدينة من تعقيدات تمكر الحياة

وهكذا كان لقرية الشيخ محمد عبده الأثر الكبير في تكوين شخصيته ونفسيته ،
وسلوكة ، فكان خصب الفكر ، دسم الانتاج ، كبير العقل ، جرى القلب ،
قوى الشخصية ، شديدا الاعتداد بنفسه ، إلا أنه كان حاد الطبع حسبي
المزاج ، بخلاف أبناء الأرياف الذين يكتسبون من بيئتهم الهدوء والسكينة
٢ - أصله :-

=====

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله التركماني ، من أسرة تنتمي
إلى بيت " التركمان " .

فهو إذا تركماني الأصل بلا خلاف . جاء جده إلى مصر وسكن
فيها ، ولا نعرف سبب مجيء جده إليها

يقول الشيخ محمد عبده : (كنت أسمع المداحين من أهل بلدتنا
يلقبون بيتنا ببيت التركمان فسألت والدي عن ذلك فأخبرني أن نسبنا ينتمي إلى جسد
تركماني ، جاء من بلاد التركمان في جماعة من أهلنا ، وسكنوا في الخيام بمدينة
" البحيرة " مدة من الزمن ، ثم اتفق أن اتصل بهم شيخ يسمى " عبد الملك " لا

يصرف نسبه ، ولكنه كان معتقدا ان له كرامات تنسب اليه ، واتخذ له خلوة في
المحل الذي اسست فيه قرية " محطة نصر " فلما توفي واى جدنا ومن كان من اهل
بيت الشيخ وبيت اخريسى بيت " الفرنواني " ان يمشوا له قبة ثم يقيموا لهم بيوتا
من البناء حول تلك القبة ويسكنوها) . " ١ "

٣ - أسرته :-

=====

تحدث الشيخ محمدا عبده عن أسرته ، ومكانتها في القرية ،
ومركز والده فقال : " ٢ "

(اول ما عقلت من انا ، ومن والدى ، ومن والدتي ، ومن هم
اقاربي ، وجيران بيتي ، عرفت اني ابن " عبده خير الله ") .
ومعد ان يبين مدى احترامه لاهله وجهه له يقول :
(وجهت والدى يقرى الضيف ، ويؤوب الضريب ، ويفتخسر
باكرام النزيل ، وذلك كان يزيد منزلته من نفسي علوا ، وانا لا افهم من هذا الا
انه هنيء يفثخر به بدون ان اقل له طعة . . .) .

-
- = وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق وتقديم الدكتور
سليمان دنيا القسم الاول ، ص ٥٤٦ ، دار احياء الكتب العربية ،
عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الاولى ١٩٥٨م - ١٣٧٧ هـ .
١- انظر : الاعمال الكاملة للإمام (٢ : ٣٢٤) .
٢- كتب الشيخ محمد عبده سيرته هذه في اخريات ايامه ، في شكل ترجمة
موجزة لحياته ، طلبها منه الكاتب الانجليزي " بلنت " .
/ انظر الاعمال الكاملة للإمام (٢ / ٢٣٧) .

والشيخ محمد عبده يعتقد ان والده لهذا العمل كان اعظم رجل في
القرية (وكان يمدني في اعتقادي هذا رأيي لبعض الحكام كناظر القسم
" مأمور المركز " وحاكم الخط " معاون المركز " ينزلون عندنا ، ولا ينزلون في
بيت العمدة مع انه كان اوسع رزقا من والدي ، واكثر دورا وارضين) .
ومع هذا فقد كان والده حاد الطبع عصبي المزاج قاسيا في معاملة
اعدائه (وكنت اغفل من صغري ما كان عليه والدي من ثباته في عزمته ،
وشدته في المعاملة ، وقسوته على من يماديه) .

كما حدثنا عن اسرة والدته قائلا :

(وهو بيت كبير في بلدة تسمى " حصة شبشير " في الخريبة ،
يعرف ببيت عثمان ، وكان كبيره ان ذاك جدي " ابراهيم عثمان " الكبير)
وعن والدته قال : (اما والدتي فكانت منزلتها بين نساء القرية لا
تنزل عن مكانة والدي ، وكانت ترحم المساكين ، وتمطف على الضعفاء ، وتمعد
ذلك جدا وطاعة لله وحمدا) .
وعن اخوته واخواته قال : (ولم يولد له منها - يعني والديه -
غيري الا بنتان احدهما تسمى " زهيم " وهي بكره ، وتوفيت قبل ولادتي ،
والاخرى تسمى " مريم " وهي لم تمت حتى تزوجت وانما في اخر سني طلب
العلم) .

وحدثنا عن اعمامه فقال :

(عرفت لي عم يسمى " بهنسي " ، ولا اعرف من احواله شيئا
لانه مات قبل ان احفظ عنه ، وكان لوالدي ابن عم يسمى " ابراهيم " ولم يكن
له بين الناس ما يذكر به) .

وعن جده لابيائه قال :

(جدي لابي كان يسمى " حسن خير الله " ، توفي عن ابي

وهي " بالهواء الاصفر " الذي فتك بسكان القطر المصري في اواسط القرن الماضي .
ويقال انه كان له قبل موته من بني عمه وذوي عصبته نحو اثني عشر رجلا ،
وشي بهم واش من بيت اخر جاء البلدة وسكن فيها ، وحسد اهل الحسب من
سكانها ، فسقى بأهل هذا البيت - بيت خير الله - عند الحكام ، بحجة
انهم ممن يحمل السلاح ، ويقف في وجه الحكام واعوانهم عند تنفيذ المظالم ،
فأخذوا جميعا ، وزجوا في السجون واحدا بحد واحد ، ومن دخل منهم السجن
لا يخرج الا ميتا ، وكان جدي " حسن " شيخا بالبلدة وهو الذي بقي من
البيت مع ابن اخيه ابراهيم (الذي سبق ذكره) .
هذه هي اسرة الشيخ محمد عبده ، التي رأى النور في جوها ،
والحنان في احضانها ، والقوة بين اذرعها
اسرته جمعت بين الوجاهة الريفية ، والمدالة الاجتماعية ،
والتحدى المستمر للظالم ، وكان كل من في القرية ينظرون لوالده بعين
الاكبار والاحلال ، حيث ثبوا مركز الصدارة في القرية ، لدرجة ان كان هو الممثلة
القملي للبلد وان لم يكن الممثلة الرسمي لان جميع موظفي الدولة الذين يعملون في
القرية كانوا يترددون عليه باستمرار .
فلا غرابة ان في ان يشعر الشيخ محمد عبده ان والده يمتاز عن غيره
بذلك المركز المرموق (ووقرني نفسي احترام والدي ، ونظرت اليه اجل الناس
في عيني . . .)

ويقول : (وقد اخذت عنه ما عدا القسوة) .

ولقد غرست هذه المشاعر في نفسه معاني المزة والكرامة ، وهي المعاني

١ - اى اواسط القرن التاسع عشر ، واذا كان يعني بالقرن الهجري وهو الاربع
فانه منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

التي صاحبته طيلة حياته رحمه الله . " ١ "

٤ - نشأته وتربيته ومشاهد من حياته :-

=====

في هذا المصر الذي وصفنا فيه حالة الامة الاسلامية ، عاش الشيخ محمد عبده ، وفي هذه القرية الجميلة الهادئة - الا من بعض الاحداث - نشأ وترعرع ، وفي ساحات وملاعب حاراتها درج ، وفي احضان تلك الاسرة الكريمة تربي ، وبين اعمامه واخوته " ٢ " قضى احدى ايام حياته ، ايام الطفولة التي لا تنسى . . .

لقد رسم الشيخ محمد عبده صورة حية ، تنطق بجميع مراحل نشأته وتربيته وطلبه للعلم ، منذ تعلمه القراءة ، والكتابة حتى انهى العقد الثاني من عمره .

لذلك احببت ان اقل كل ما كتبه هر عن نفسه وكفاني ان اضح بعض

العناوين المناسبة لبعض الفقرات الواردة ، واشرح ما غرض منها . . .

١ - تربية قوية ونشأة سالحة :-

=====

حرص والدا الشيخ محمد عبده على ان يربياه التربية القوية ، وينشأه النشأة السالحة ، ليكون انسانا سالحا ، مستقيما ، وليحقق الآمال التي يرجوانها منه ، يقول :-

١ - انظر : كتاب الاعمال الكاملة للامام (٢ / ٣٢١ - ٣٣٤) .

وانظر : تاريخ الاستاذ الامام (١ / ٩٥٢) .

٢ - كان للشيخ محمد عبده اخ من امه " الشيخ مجاهد " ، واخوان من ابيين " علي " و " محروس " .

انظر : الاعمال الكاملة (٢ / ٣٢٨) .

وعبقرى الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ص ٦٥ .

(تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ للقران ،
قرأت عليه وحدي جميع القران اول مرة ، ثم اعدت القراءة حتى اتمت حفظه
جميعه في مدة سنتين ، ادركني في ثانيتهما صبيان من اهل القرية جاؤا من مكتب
اخر ليقرأوا القران عند هذا الحافظ ، بعد ذلك حملني والدي الى طنطا ،
حيث كان اخي لامي الشيخ " مجاهد " لاجود القران في المسجد الاحمدى ،
لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية) * ١ *

ب- في دروس المعلم :-

=====

(ثم في سنة احدى وثمانين " ٢ " ، جلست في دروس المعلم ،
وبدأت بتلقي " شرح الكفراوى على الاجرومية " في المسجد الاحمدى بطنطا ،
وقضيت سنة ونصفا لا افهم شيئا لرداءة طريقة التعليم ، فان المدرسين كانوا
يفاجؤونا باصطلاحات نحوية او فقهية لا نفهمها ، ولا عناية لهم بتفهم معانيها
لمن لا يعرفها فادركني اليأس من النجاح ، وهربت من الدرس ، واختفيت عند
اخوالي مدة ثلاثة اشهر ، ثم عسر علي اخي ، فأخذني الى المسجد الاحمدى ،
واراد اكرهني على طلب العلم فأبيت ، وقلت له : قد ايقنت ان لا نجاح لي في
طلب العلم ، ولم يبق علي الا ان اعود الى بلدي ، واشتغل بملاحة الزراعة
كما يشتغل اقاربي ، وانتهى الجدال بتفليطي عليه ، فأخذت ما كان لي من
ثياب ومقاع ورجعت الى " محلة نصر " على نية ان لا اعود الى طلب العلم ،

١ - توافق سنة ١٨٦٢ ميلادية .

٢ - والف ومائتين ، ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م .

وتزوجت في سنة ١٢٨٢هـ^١ على هذه النية .

(فهذا اول اثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا ، وهي بعينها طريقته في الازهر ، وهو الاثر الذي يجده خمسة وتسعون في المائة ممن لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السهيل في التعليم " ٢ " ، غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تفشهم انفسهم ، فيظنون انهم فهموا شيئا ، فيستمررون على الطلب الى ان يبلغوا سن الرجال ، وهم في احكام الاطفال ، ثم يتلى بهم الناس ، وتصاب بهم العامة ، فتعظم بهم الرزية ، لانهم يزيدون الجاهل جهالة ، ويضلون من توجد عنده داعية الاسترشاد ، ويؤذون بدعوتهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه) . " ٣ "

ج - عودة الى طلب المعلم :

=====

يقول الشيخ محمد عبده عن نفسه (بعد ان تزوجت بأرمين يوما جاءني والدي ضحوة نهار ، والزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم ، وبعد احتجاج وتمنح واباء لم اجد مندوحة عن اطاعة الامر ، ووجدت فرسا اخضر لي فركبته .

١ - توافق ١٨٦٥ م .

٢ - يقصد سبيل القاء المعلم على الطلاب ما يعرفونه ولا يعرفونه دون ان يراعي

درجتهم واستعدادهم للفهم .

٣ - ان الشيخ محمد عبده يتخذ من حاله مقياسا يقيس به حال غيره ، ويصمم حكمه بناء على ذلك ، وما سوء الهلوة وعظم الرزية الا بمخالفة منهج الازهر القديم وطريقة حفظ المتون . ومحض علماء الازهر القرييين من عصر الشيخ محمد عبده ممن لا يزالون على قيد الحياة يؤكدون هذا ، ومنهم الاستاذ المشرف .

واصحبني والدي بأحد اقاربي - وكان قوى البنية شديد البأس - ليشيمني الى محطة " ايتاي البارود " التي اركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا .
كان اليوم شديد الحر ، والريح عاصفة ملتهمبة سافيا " ١ " تحجب الوجه بشبه الرضاء " ٢ " لم استطع الاستمرار في السير ، فقلت لصاحبي :
اما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ، ولا بد من التمرح على قرية انتظر فيها ان يخف الحر . فأبى علي ذلك فتركته ، واجريت الفرس هاربا من مشادته " ٣ " ، وقلت : اني ذاهب الى " كنيسة اورين " " ٤ " ، وقد فرج بي شبان القرية لانني كنت معروفا بالفروسية واللعب بالسلاح ، واملوا ان اقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه .

أدركني صاحبي ، وقي معي الى العصر ، وارادني على السفر ، فقلت له : خذ الفرس وارجع ، وسأذهب صباح الغد ، وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا ، فانصرف واخبر بما اخبر ، وقيت في هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتي ومدلت فيها رغبة غير رغبتي (

د - مع الشيخ درويش : " ٥ "

=====

(ذلك ان أحد أخوال أبي وأسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء " ليبيا " ، ووصل في أسفاره الى " طرابلس الغرب " وجلس الى

-
- ١ - السافيا : الفجار المتطاير وقت شدة الحريفعل الرياح .
 - ٢ - الرضاء : لهب يلفح الوجه من شدة الحر .
 - ٣ - مشادته : مخاصمته ومجادلته مما قد يؤدي الى ان يشد الواحد الاخر .
 - ٤ - بلدة في مصر غالب سكانها من خولة أبيه .
 - ٥ - سنترجم له فيما بعد .

السيد محمد المدني " ١ " والد الشيخ " ظافر " المشهور ، الذي كان قد سكن
" الآستانة " وتوفي بها ، وتعلم عنده شيئا من العلم ، واخذ عنه الطريقة
" الشاذلية " " ٢ " ، وكان يحفظ " الموطأ " ومض كتب الحديث ، ويجيد
حفظ القرآن وفهمه ، ثم رجع من اسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل
به الناس من فلاح الارض وكسب الرزق بالزراعة .

وان هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي كتبها ، في " الكنيسة " " ٣ "

ويده كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد " محمد المدني " الى بعض
مريديه بالاطراف " ٤ " بخط مغربي دقيق ، وسألني ان اقرأ له فيها شيئا
لضعف بصره فدفعته طلبه بشدة ، ولحنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت
منه اشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدي رميته الى بعيد ، ولكن الشيخ
تبسم وتجلى في الطف مظاهر الحلم ولم يزل يني حتى اخذت الكتاب وقرأت منه
بضعة اسطر ، فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت بعباراة واضحة تغالب اعراضني
فتغلبه وتسبق الى نفسي ، وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل
واللعب بالسلاح والسياحة في نهر قريب من القرية ، فرميت الكتاب وانصرفت
اليهم .

١ - من مشايخ الدقاوية ، وهي طريقة صوفية ، وهو من نسل الامام الحسن ،
قيقه مالكي . / انظر كتاب : الامام محمد عبده ، لعبد الحلیم
الجندي ص ٩ .

٢ - اتباع ابي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المتوفي سنة
٦٥٦ هـ وهو من نسل الامامين الحسن والحسين رضي الله عنهما ، نشأ
في بلاد المغرب ، وساح في البلاد الاسلامية ، واستقر بمصر ، حيث مات
ودفن على شاطئ البحر الاحمر ، وكان ققيا مالكي . / انظر الامام
محمد عبده لعبد الطيم الجندي ص ٩ .

٣ - القرية المسماة " بكنيسة اورين " .

٤ - في الجهات المتباعدة .

بعد العصر جاءني الشيخ بكتاب ، وألح علي في قراءة شيء منه ،
فقرأت وفسرت ، ثم تركته الى اللعب ، وفعلت في اليوم الثاني كما فعلت في اليوم
الاول .

اما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ له فيه وهو يشجع لي معاني ما اقرأ نحو
ثلاث ساعات لم امل فيها ، فقال لي : انه في حاجة الى الذهاب الى المزرعة
ليعمل بعض العمل فيها ، فطلبت منه ابقاء الكتاب معي ، فتركه ومضيت
اقرؤه ، وكلما مررت بعبارة لم افهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها ، الى
ان جاء وقت الظهر ، وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب ، وهوى بقلبي
ينازعني الى البطالة . وفي عصر ذلك اليوم سألته عما لم افهمه ، فأبان معناه
على عادته ، وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة في المطالعة والميل
الى الفهم .

هـ - مفتاح سعادتني :

=====

(وكانت هذه الرسائل تحتوى على شيء من معارف الصوفية ، وكثير
من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الاخلاق ، وتطهيرها من دنس
الرزائل وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحيلة الدنيا .
لم يأت علي اليوم الخامس الا وقد صار ابغض شيء الي ما كنت احبه
من لعب ، ولهو ، وفخفة ، وزهو ، وطداد احب شيء الي ما كنت ابغضه
من مطالعة وفهم ، وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الي ما كنت احب
وزهدونني في عشرة الشيخ رحمه الله ، فكنت لا احتمل ان ارى واحدا منهم ،
بل افر من لقاءهم جميعا كما يفر السليم من الاجرب .

وفي اليوم السابع سألت الشيخ : ما هي طريقكم ؟ فقال : طريقتنا
الاسلام . فقلت : اوليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ قال : لو كانوا مسلمين

لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الامر ، ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب
وخير سبب .

هذه الكلمات كانت كأنها نار احرقت جميع ما كان عندي من المتاع القديم
- متاع تلك الدلاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة ، متاع الخوور بأنا مسلمون ناجون ،
وان كنا في غمرة ساهين - سألته : ما وردكم الذي يتلى في الصلوات او عقب
الصلوات ؟ فقال : لا ورد لنا سوى القران ، نقرأ بعد كل صلاة أربعة أرباع
مع الفهم والتدبر . قلت : اني لي ان افهم القران ولم اتعلم شيئا ؟ قال : اقرأ
معك ويحك ان تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك بالتفصيل ، واذ اخلوت
فاذكر الله - على طريقة بينها - واخذت اعلم على ما قال من اليوم الثامن ،
فلم تمض علي بضعة ايام الا وقد رأيته اطيبر بنفسي في ظلم اخر غير الذي كنت
اعهد ، واتسع لي ما كان ضيقا ، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيرا ، وعظم
عندي من امر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا وتفرقت عني
جميع الهموم ولم يبق لي الا هم واحد وهو ان اكون كامل المعرفة ، كامل
ادب النفس ، ولم اجد اما ما يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ
الذي اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ، ومن قيود
التقليد الى اطلاق التوحيد ، هذا هو الاثر الذي وجدته في نفسي من صحبتة احد
اقاربي وهو الشيخ " درويش بن خضر " من اهل " كنيسة اورين " من مديرية
" البحيرة " . وهو مفتاح سعادتي ، ان كانت لي سعادة في هذه الحياة
الدنيا ، وهو الذي رد لي ما كان غاب من غريزتي ، وكشف لي ما كان خفي عني
مما اودع في فطرتي () .

١ - الجزء الواحد = ٨ أرباع ، و = ٢ حزب ، وكل حزب = ٤ أرباع
والربيع = يعني ربع الحزب ويساوي ثمن الجزء . فالاربعة أرباع =
حزب أو نصف جزء .

وفي اليوم الخامس عشر من بي احد سكان بلدتنا " محطة نصر " فأخبرني ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني ، فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في " الكنيسة " فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم ، لانني لو كنت اقمته الف دليل على انني وجدت في مهربي مطالبه ومطلبي لما اقتنع .)

و - من جدّ وجد :

===== (ذهبت الى طنطا ، وكان ذلك قرب اخر السنة الدراسية ، في شهر جمادى الاخرة من سنة ١٢٨٢ هـ " ١ " ، لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنته فعاقه الحزن عليها عن اتمام (شرح الزرقاني على العزية) ، و آخر عرض له طارض منعه عن اتمام (شرح الشيخ خاله على الاجرومية) فأدركت كلا منهما في اوائل الكتاب الذي كان يدرس ، وجلست في الدرسين ، فوجدت نفسي افهم ما اقرأ وما اسمع والحمد لله . " ٢ ")
وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لا طالع معهم قبل الدروس ما سنتلقاه .

وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت اطالع بين الطلبة واقدر لهم معاني (شرح الزرقاني) ، فرأيت اما مي شخصا يشبه ان يكون من اولئك الذين يسمونهم " بالمجانيب " فلما رفعت راسي اليه قال ما معناه : ما احلى حلوى مصر البيضاء فقلت له : واين الحلوى معك ؟ فقال : سبحان الله من جدّ وجد ، ثم انصرف فعدهت ذلك القول منه الهاما ساقه الله الي ليحيطني على طلب العلم في مصره وون طنطا .

-
- ١ - توافق سنة ١٨٧٥ م .
 - ٢ - هو الان يفهم ما يقرأ وما يسمع من المشايخ بعد ما لم يكن يفهم ، فما تغير المشايخ ، ولا تغير العلم ، ولكن تغير هو بزوال الحجب التي كانت تحول بينه وبين المشايخ وعلومهم .

وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر ، وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة .

وفي أواخر كل سنة دراسية كنت اذهب الى " محلة نصر " لاقيم بها شهرين — من منتصف شعبان الى منتصف شوال — وكنت عند وصولي الى البلد أجد خال والدي الشيخ " درويشا " قد سبقني اليه ، فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفرى ، وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له ما درست فيقول : ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست شيئا من مبادئ الهندسة ؟ وهكذا . وكنت اقول له : بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر ، فيقول : — طالب العلم لا يعجزه عن تحصيله في اى مكان ، فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها ، فتارة كنت " اخطى " في الطلب واخرى اصيب الى ان جاء المرحوم السيد " جمال الدين الافغانى " الى مصر اوأخر سنة ١٢٨٦ هـ " ٢ " .

ز — حسن الصبغة :

=====

(وقد صاحته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ ، واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمة والكلامية ، وادعو الناس الى التلقي عنه كذلك واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يقولون عليه وعلينا الاقاويل ، ويزعمون ان تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة ، وقد يهوى بالنفس في ضلالات تحرمها خيرى الدنيا والاخرة ، فكنت اذا رجعت الى بلدى عرضت ذلك على الشيخ

-
- ١ — سترجم له فيما بعد .
 - ٢ — توافق ١٨٦٩ ميلادية ، وهي الزيارة القصيرة الاولى لمصر ، وكان في طريقه الى الحجاز ، ثم عاد بعد ذلك ليقيم بمصر من سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٨٧٩ م .

" درويش " فكان يقول لي : ان الله هو المعلم الحكيم ، ولا علم يفوق علمه
وحكمته ، وان اعدى اعداء المعلم هو الجاهل ، واعدى اعداء الحكيم هو
السفيه ، وما تقرب احد الى الله بأفضل من العلم والحكمة " ١ " ، فلا شيء
من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه ، الا ما يسميه
بعض الناس علماً وليس في الحقيقة بعلم كالسحر ، والشعوذة ونحوهما اذا
قصد من تحصيلهما الاضرار بالناس) . " ٢ "

" تعليق " :

===== الى هنا وينتهي الحديث عن الطور الأول من حياة

الشيخ محمد عبده ، واذا كان لي من كلمة اقولها فهي :
كان لوالد الشيخ محمد عبده فضل كبير عليه ، اذ انه استفاد منه
حسن التربية والتعليم ، ولولم يكن له من عمل سوى تحفيظه القرآن الكريم ،
ودفعه لطلب العلم لكفى ذلك فضلا من والد على ولده .
كما كان للشيخ " درويش " فضل على الشيخ محمد عبده ، اذ انه فتح
له الطريق الى تحصيل العلم ، واعاده اليه ، اذ ان ذلك بعض العلوم التي
حفظها عنه . ولكنني ارى انه كان له اثر سلبي عليه وهو انه تسبب في
احداث وتكوين فجوة بينه وبين علماء الازهر الشريف ، لان الشيخ محمد عبده
الذي نشأ نشأته الدينية في بيت ابيه ، وامه ، وفي قريته ، كان من المتوقع
له ان يسير في طريق الازهر وعلى نهج شيخ وعلماء الازهر ، ولكن اتصاله بالشيخ
" درويش " اوجد عنده الرغبة في دراسة الفلسفة والمنطق ، والاهتمام بمثل هذه
العلوم ، فأخذ الشيخ محمد عبده منها بما اثار سخط الساخطين عليه .

١ - الانسان يتقرب الى الله بالطاعات ويعتمد عنه بالمعاصي ، بعد العلم
بهما ، قال الشاعر : وعالم بعلمه لم يعمان : معذب قبل عباد الوثن .
وقال آخر :

لو كان للمعلم من دون التقى شرف - لكان افضل خلق الله ابليس .
٢ - انظر كتاب : تاريخ الاستاذ الامام الجزء الاول ، وقد نقله عنه الكاتب
محمد عمارة في كتاب الاعمال الكاملة للامام ، الجزء الثاني ص ٣٢٨ - ٣٣٣ .

الطور الثاني :

===== " وهو طور حياته العملية من سنة ١٨٦٩م - ١٩٠٥م " =====

=====

١ - مرحلة ما قبل النفي ١٨٦٩ - ١٨٨٢ م *

=====

أهم أحداث هذه المرحلة هي :-

=====

١ :- في قاعة الامتحان :-

===== (عرضت نفسي على مجلس الامتحان في ١٣ جمادى

سنة ١٢٩٤ هـ وابتليت في الامتحان اشد الابتلاء ، وتمصب الاكثرون اغنيائه

مع المرحوم " عيش " " ١ " وكان يعاديني على الخيب ، اتباع آراء من لا رشد

عندهم من بلداء الطلبة ، وكانوا قد اجتمعوا امرهم على ان لا يمنحوني درجة ما

في العلم ، وجرت امور قبل الامتحان يطول شرحها ، ولكن كان امر الله اغلب ،

فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية ، وصرت مدرسا من مدرسي الجامع

الازهر ، واخذت اقرا العلوم الكلامية والمنطقية (٠٠٠) " ٢ " .

ولعل السبب الغالب في هذا الابتلاء ، هو ان علماء الازهر الشريف

كانوا يرونه : فوجا يصيح بين الديكة ، حيث انه ابتداء التدريس في

حلقات الازهر قبل ان يدخل الامتحان وينال الشهادة العلمية المطلوبة ، مما أوفر

صدور بعض زملائه ممن هم دونه ، فوشوا به .

١ - سترجم له فيما بعد .

٢ - انظر : الاعمال الكاملة للامام (٢ : ٣٣٤) .

أما قصة عدائه مع أساتذته فلأنه لم يكن يصبر على طريقة الأزهريين في
التدريس ، ولا على العلوم التي يدرسونها ، وكان يطالبهم بتدريس كتب المنطق
مثل " ايساغوجي " ، وكتب الفلسفة ، بل انه كان يتحداهم فيدوسها لبعض
الطلبة امام اساتذته .
وسبب آخر هو علاقته مع جمال الدين الافغاني ، وتبنيه لآرائه ، وافكاره .

ب : — في مدارس الحكومة :

=====

وفي سنة ١٨٧٨م " ١ " ، عين مدرسا للتاريخ بمدرسة دارالعلوم ،
وكان فيها عاملا نشيطا ، فقرأ على طلابها مقدمة الفيلسوف الاسلامي " ابن
خلدون " رحمه الله . " ٢ "
وألف لهم كتابا في علم الاجتماع سماه : " علم الاجتماع والعمران " ،
ضاعت أصوله ولم يبر النور بعد .
وعين الشيخ محمد عبده بعدها مدرسا في مدرستي اللسن والادارة ،
كان يدرس فيهما العلوم العربية على طريقته التجديدية ، بالاضافة الى ما كان يقوم
به من التدريس في الجامع الأزهر .

١ — سنة ١٢٩٥ هجرية .

٢ — العلامة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الاشبيلي
الاصل ثم التونسي ثم القاهري المالكي (ولي الدين ابوزيد) عالم ،
اديب ، مؤرخ ، اجتماعي ، حكيم ، ولي كتابة السرب مدينة فاس ،
وولي قضاء المالكية بالقاهرة . رحل الى عدة بلاد منها غرناطة ، واعتقل
فيها ، من مؤلفاته : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ولباب المحصل في
اصول الدين . مات في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ ودفن فيها .
انظر : معجم المؤلفين (٥ : ١٨٨) .

ج : في التنظيمات السياسية :-

=====

اشترك مع استاذہ السيد جمال الدين في التنظيمات السياسية السرية التي
انشأها الافغاني بمصر ، فدخل في عدة جمعيات " ١ " ، ومع بعض الاحزاب " ٢ " ،
وكان له فيها دور كبير ، وأثر بارز ملموس ، وكان لها فيه أثر أيضا ، لانه لا
يمقل ان ينتمي الانسان الى جهة ما ، دون ان يكون لهذه الجهة سلطة - ولو
بسيطة - على طريقة تفكيره ، وسلوكه ، او قل على شخصيته ودعوته الاسلامية .

١ - أشهرها : الجمعية الماسونية ، التي كانت تخفي حقيقتها الصهيونية ،
ونواياها الخبيثة ، وكانت تهدف الى اقامة حكومة عالمية ، برئاسة ايجار
هيكل سليمان ، وعندما تحقق الشيخ محمد عبده من مهادنتها للاستعمار
وصلاتها بالنفوذ الاجنبي ، خاب امه فيها ، فخرج منها ، ودعا الى
مقاطعتها وبين اهدافها ونواياها ، وكشف بعض اسرارها .
انظر كتاب : تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٣) .

وكتاب : اسرار الماسونية ، او السرا المصون في شيعة الفرمايون ، للاب
لويس شيخو ، دار منشورات البصرى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ص ١٩٥ .
وكتاب : جذور البلاء ، تأليف الاستاذ عبد الله التل ، دار الارشاد
بيروت . ط ١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م ص ١٣٧ .
وكتاب : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، محمد محمد حسين ،
القاهرة ، المطبعة النموذجية ، ط ٢ ، ١٣٨٢ هـ / ص (١ : ٣٠٨) .
٢ - منها : " الحزب الوطني الحر " الذي كان يدعو الى القومية الفرعونية تحت
شعار " مصر للمصريين " .
انظر كتاب : الاعمال الكاملة (١ : ٣٦٧ - ٣٧٠) .
وكتاب : جمال الدين الافغاني ، لمحمود ابورية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ /
١٩٦٦ م ص ١٢٣ .

ى - : في ادارة المطبوعات والجريدة الرسمية :-

=====

في سنة ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩ م ، عزى الشيخ محمد عبده من مدرسة
اللسن الخديوية ، كما عزى من منصب التدريس في مدرسة دارالعلوم بالقاهرة ،
ويبدو ان السبب في هذا هو صلته بالسيد جمال الدين الافغاني الذى نفي من
مصر في نفس الفترة ، والذى لم يكن الخديوى توفيق راضيا عنه ، بعد ان كان
في يوم من الايام موضع امله في مصر (انك انت موضع امل في مصر ايها السيد) " ١ "
ثم طرده فيما بعد منها . " ٢ "

وبعد عام تقريبا صدر العفو عن الشيخ محمد عبده واستدعي من قريته
" مطبة نصر " بعد ان فرضت عليه الإقامة الجبرية فيها ، ومنع من الخروج منها . " ٣ "
وعين الشيخ محررا في صحيفة " الوقائع المصرية " ، ثم عين في نفس
السنة رئيسا لتحريرها ، وتولى مسؤولية الرقابة على المطبوعات فيها . " ٤ "

ه : - في المجلس الاعلى للمعارف العمومية :-

=====

في سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م انشئ المجلس الاعلى للمعارف العمومية ،
ومهمته الحكم الفصل في ادارة المعارف ، وعين الشيخ محمد عبده عضوا فيه .

-
- ١ - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، لجرجي زيدان ، منشورات دار
مكتبة الحياة ببيروت (٢ / ٧٧) .
 - ٢ - انظر : قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر من ١٧٩٨ -
١٩٤٥ م ، رسالة دكتوراه اعدتها عادل محمد محمود ابو عيطة ، اشرف
الاستاذ : السعيد السيد عبادة ، مطبوعة على الالة الكاتبة ١٤٠١ /
١٩٨١ م ص ٧٦ .
 - ٣ - انظر مقالة بعنوان (موقفي من الثورة) للشيخ محمد عبده ضمن الاعمال
الكاملة للامام (١ : ٥٦٣) .
 - ٤ - نفس المصدر ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

وفي هذه الفترة ، انقطع عن العمل في التدريس ، وابتعد عن الازهر ،
وعمل بالصحافة وكان له نشاط سياسي ، وميل الى الثورة فيما بعد ، وذلك بحكم
عمله الصحفي ، وانخراطه في السلك السياسي .

و : - مع الثوار :

=====
كلنا يعرف الثورة المرابية ، وما كان لها من اثر على

الحياة المصرية ، . فما هو موقف الشيخ محمد عبده منها ؟

لم تكن الثورة في بادئ الامر من رأيه ، بل كان من المعارضين

البارزين لها ، وكان يرى في قيام الثورة ، نكسة تحل بالبلاد ، وبلاد اجنبية

ستحتل بلاد .

(لم تكن الثورة من رأيه ، وكنت طالما بالحصول على الدستور في ظرف

بعض سنوات ، فلم وافق على عزل " رياض باشا " ، وقبل مظاهرة عابدين

بمشرة ايام التقيت " بعرايبي " في " دار " عصمت " . . . فنصحت عرايبي بالاعتدال

وقلت له : اني ارى ان بلاد اجنبية ستحتل بلادنا ، وان لعنة الله ستقع على

رأس من يكون السبب في ذلك . . .) " ١ "

ثم انضم وبقية اعضاء " الحزب الوطني الحر " الى الثورة ، وذلك بعد

مظاهرة " عابدين " المشهورة سنة ١٨٨١م ، والقي بكل قواه فيها ، ويذكر رشيد :

انه كان حلقة الوصل بين الثورة والانجليز . وانه كثيرا ما كان ينصح عرايبي بالترث ،

وقد قال لعرايبي مرارا : طيبك بالهدوء والسكينة ، وانا اضمن لك اكثر مما تطلب

في بضع سنين ونهاه عن محاربة الانجليز . " ٢ "

١ - المصدر السابق ص ٥٦٤ .

٢ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٤٩) .

ولكن بدء مرحلة انحياز الشيخ محمد عبده للثورة ، الفعلي كان سنة ١٨٨٢م ، بعد ان رأى التهديد الفعلي ، الانجليزي الفرنسي ، ضد الحركة الوطنية في مصر .

يقول : (ولكن لما منح الدستور انضمامنا جميعا الى الثورة لكي نحسي الدستور ، ولكن عرابي لم يتمكن من ضبط الجيش ، وكانت عند الضباط مظالم عديدة) . " ١ "

و شاء الله ان تفشل الثورة ، وسجن الشيخ ثلاثة اشهر ، ثم حكم عليه بالنفي خارج البلاد ثلاث سنوات بدأت في ٢٤ / ١٢ / ١٨٨٢م ، وامتدت الى ما يقرب من ست سنوات . " ٢ "

وبهذا المشهد من حياته يكون قد دخل مرحلة اخرى جديدة من مراحل حياته ، هي مرحلة البعد عن الاهل والوطن . " النفي " .

-
- ١ - انظر الاعمال الكاملة (١ : ٥٦٤) .
 - ٢ - الامام محمد عبده ، تأليف عبد الحلیم الجندی ، سلسلة اعلام الاسلام ، دار المعارف بمصر ص ٢٣ - ٢٥ .

٢ - مرحلة النفي : (١٨٨٢ - ١٨٨٩ م) .

=====

كان نصيب الشيخ محمد عبده ، بعد هزيمة الثورة العربية النفي خارج البلاد ، وما جزاء الداعية المخلص الا القتل أو النفي أو السجن .
وانذا كان قتل الداعية شهادة ، وسجنه خلوة ، فان نفيه يكون سياحة ،
والله سبحانه وتعالى يقول : " قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبل كان اكثرهم مشركين " . " ١ "

سار الشيخ محمد عبده الى بيروت في ١٣ صفر سنة ١٣٠٠ للهجرة ،
الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢ م . وقد بلغ من العمر اربعة وثلاثين سنة .

أ : - في بيروت :

===== في بيروت احدى مدن بلاد الشام المشهورة حلّ

الشيخ محمد عبده ضيفا على خاصة اهلها ، فلاقي من الاجلال والاكرام ما
يلاقيه القادة ، والزعماء ، المنتصرون ، او كما قال رشيد : " ابناء الوطن
العائدون الى بلادهم بعد طول غريبتهم " . " ٢ "

كانت المدة التي اقامها هناك نحو عام ، عمل خلالها على اخراج الانجليز
من مصر ، وكان له نشاط بارز في محافل سوريا ، ولبنان ، وعلاقة وطيدة مع
رجال القطر السوري آنذاك . الى ان دعاه استاذاه الافغاني الى اللحاق به
في باريس العاصمة الفرنسية سنة ١٨٨٣ م .

١ - سورة الروم اية (٤٢) .

٢ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٢٧٥) .

ب : - في باريس :

===== من حجرة صغيرة متواضعة فوق سطح احد المنازل
في العاصمة الفرنسية ، اصدر الشيخان جريدة (الصروة الوثقى) ، وقد سميت
بهذا الاسم ، لتكون لسان حال جمعية " الصروة الوثقى " الناطقة باسم
المسلمين . " ١ "

اظهر الشيخ محمد عبده نشاطا بارزا خلال هذه الفترة فشغل منصب
رئيس تحرير الجريدة او المحرر الاول لها ، كما شغل منصب نائب رئيس الجمعية ،
ومارس العمل التنظيمي السرى فيها ، وقد سمحت له هذه الصفة ان يتنقل
كثيرا بين البلدان الاوروبية والشرقية ، فزار لندن بغية الالتقاء بكبار القادة
والمفكرين ، ووجوه البرلمان ، والصحافة ، داعيا الى وجوب جلاء الانكليز عن
مصر .

وذكر رشيد رضا في كتابه تاريخ الاستاذ الامام ، ان الشيخ محمد عبده دخل
مصر مختفيا سنة ١٨٨٤م ، اثناء اشتداد ثورة المهدي في السودان ، " ٢ "
كما باشر في هذه الفترة قيادة عمل الجمعية السرية ، وكتب عددا من
الرسائل الى بعض فروع التنظيم ، ثم عاد الى باريس ثانية الى ان توقف اصدار
الجريدة ففكر في العودة الى بيروت .

-
- ١ - جمعية الصروة الوثقى ، جمعية سرية قامت في بلاد الشرق ، خاصة مصر
والهند ، الغرض منها اطاعة الحكم الاسلامي على قاعدة الخلافة الراشدة ،
ولها نظام خاص وقانون خاص لا يطلع على اسرارها الا خواص رجالها .
/ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٣٠٠ - ٣٠٦) .
 - ٢ - يقال لها الثورة المهدية ، قام بها محمد المهدي ، من ليلب جزيرة في دنقلا
لقاومة وطرد المستعمر ، قضى الانكليز عليها سنة ١٨٩٦م . انظر كتاب :
مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط ، للدكتور مكي شبكة طبعة ١٩٧٢
ص ٥ وما بعدها . / وانظر : المهدوية في السودان . ب . م . هولست
ترجمة الدكتور جميل عبيد ، دار الفكر العربي ص ٢٥٠ وما بعدها .

ج : - عودة الى بيروت :

=====

بعد توقف " العروة الوثقى " عن الصدور ، يئس الشيخ محمد عبده من العمل السياسي كوسيلة ، ولنهضة الامة الاسلامية ، ولعن السياسة الا ما كان منها بشأن جمعية " العروة الوثقى " وذلك بحكم الصلات التي لا زالت قائمة بينه وبين السيد جمال الدين الافغاني .

فغادر باريس الى بيروت سنة ١٨٨٥م على امل العودة الى مصر ثانية . وفي بيروت مارس العمل الثقافي والتربوي والفكري الى جانب قليل ممن العمل السياسي وكان له نشاط بارز في تقريب وجهات النظر بين الاديان . " ١ "

د : - مفتاح الفرج :

=====

" صالون الاميرة نازلي فاضل " " ٢ " يعرفه كثير من رجال السياسة ، والوزراء وعلية القوم في مصر ، في القرن الماضي .

١ - يقال انه اسس جمعية سرية للتقريب بين الاديان ، شارك فيها رجال الدين ممن ينتمون الى الاديان السماوية في حدود ما ورد في القران بشأن اهل الكتاب .

انظر : الاعمال الكاملة للامام (١ : ٢٦) .

٢ - بنت مصطفى فاضل اخي اسماعيل وولي عهده ، اهتم والدها بتربيتها فدرست على ايدي جماعة من الاساتذة الاوربيين ، تزوجت من خليل باشا وزير خارجية السلطان ، كانت تتقن الانجليزية والفرنسية والالمانية والتركية الى جانب العربية . (-)

عرفت الصالونات الاوربية ، والتقت من خلالها بكبار رجال السياسة (-) ، ولما عادت الى مصر نقلت معها فكرة الصالونات المختلطة ، حيث فتحت صالونها لرجال السياسة وكبار الدولة ، في مصر ، وافسحت المجال للافغاني =

واللورد " كرومر " : من رواد هذا الصالون ، يقضي فيه معظم

وقته . " ١ "

أما " سعد زغلول " فوكيلها الشرعي . " ٢ "

ظلي " سعد زغلول " تلميذ الشيخ محمد عبده على اتصال

مستمر بالشيخ محمد عبده اثناء نفيه ، فذكر استاذة في مجلس " نازلي فاضل "

= وتلاميذه امثال الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول (-) ، وكان الافغاني
يسمى لدى السلطان كي يمنحها وساما ، لمنزلتها في قلبه لدرجة ان
الافغاني رد على الشيخ محمد عبده حين سألها عما اذا كانت موجودة
في الاستانة ام لا ، بقوله :

() وأما تمثال الكمال والجمال حضرة " البرنسي " التي لها من قلبي المنزل
الاسني والمقام الابهي ، فلا اعلم من امرها شيئا) . (-)

ويبدو انها كانت مولعة بالسياسة لدرجة ان قال عنها الشيخ محمد عبده
(فاشتغال هذه المرأة بالسياسة كاشتغال السيد جمال الدين بها) . (-)

(-) مجلة " فتاة الشرق " ، لبيبة هاشم ، القاهرة ، ١٩٠٦ م ،

السنة الثامنة (٤ : ١٥١) .

(-) مجلة " المقتطف " ، يعقوب معروف ، وفارس نمر ، القاهرة ١٨٧٦ م

حزيران ١٩٣٧ م ص ٢٩

(-) المجلة " المصرية " ، السنة الاولى العدد الرابع نيسان ١٩٣٧ م ،

ص ٧ .

(-) تاريخ الاستاذ الامام ط ١ (١ : ٨٩٧) .

(-) نفس المرجع (١ : ٨٩٥) .

١ - انظر كتاب : سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، تأليف عبد الخالق

لاشين دار المعارف بمصر (١٩٧١ م) ص ٣٥ .

٢ - انظر مذكرات محمد فريد ، حققه دكتور روف عباس حامد ، مطبعة الجبالوى ،

الناشر عالم الكتب القاهرة ١٩٧٥ ، القسم الاول ص ١٢٨ .

التي كانت مقبولة الرجاء عند كرومر ، فضغط على الخديوي توفيق وارغمه ان يصدر
عفو عن الشيخ محمد عبده ، على الرغم من اتهمه للخديوي بالخيانة اثناء
نفية . " ١ "

واشترط الانجليز على الشيخ محمد عبده شرطا ان هو طرد الى مصر ،
وهو الا يشتغل بالسياسة ، فقبل ، ولما عاد من المنفى اصدر تصريحاً لمن فيه
السياسة " ٢ " .

ثم عمل على تقريب وجهات النظر بين الشعب والحكومة ، وبين الشريعة
الاسلامية والحضارة الغربية . مما سببه في المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة
ما بعد عودته من منفاه الى وطنه .

-
- ١ - انظر كتاب : زعماء الاصلاح في مصر الحديث ، لاحمد امين ، مكتبة
النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٢٩م ص ٣٣٦ .
 - ٢ - انظر كتاب : المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام .
لانور الجندي ، مطبعة الرسالة ١٣٨١ هـ ١٩٦١م ص ٤٦ .
وانظر : تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٨٩٥) .

٣ - مرحلة ما بعد عودته من منفاه الى وطنه : (١٨٨٩ م - ١٩٠٥ م) :

انتهت رحلة العذاب التي وصفناها ، والتي من أبرز سماتها القلق والياس والحزن ، والشكوى والالم . . . عند بوابة صالون " نازلى فاضل " ومفضل من التلميذ " سعد " .

ووجد الشيخ محمد عبده نفسه في طريق جديد ، يحتاج منه الى مزيد من الفكر والرؤية ، فسار في هذا الطريق بخطى ثابتة ، وازا به يتحول كمية من حال الى حال ، وازا بأحاسيسه ومشاعره ، وافكاره ، تولد ولادة جديدة وتتكيف مع الوضع الجديد وازا بيه انسان اخر واضح الملامح والسمات ، مقطوع الصلة بالماضي الذي وصفنا ، ولا يكاد المرء يصدق ان الشيخ محمد عبده الذي عرفه بالامس هو نفسه الشيخ الذي يحرفه اليوم ، بل يكاد يجزم انهما شخصان مختلفان .

هذا في مجال السياسة ، اما في بقية المجالات التربوية والثقافية

والاجتماعية وغيرها ، فقد بقي الشيخ على ما كان عليه .

ويؤول الاستغراب وتنقبي الحيرة اذا علمنا ان السياسة في هذه الايام

تحتاج الى المراوغة والمرونة والذكاء اكثر من حاجتها الى القوة والاعتماد على الجيوش . وهذه هي سبيل الشيخ اليوم ، ولعل الشرط الذي بينه وبين " اللورد كرومر " سبب اخر في بعده عن السياسة ، وممارسته اعمالا غيرها .

ويمكن سرد اهم مشاهد حياته في هذه المرحلة على النحو التالي :-

١ - لما عاد الشيخ محمد عبده الى مصر عمل على عقد صلوات مباشرة

مع اللورد كرومر لسوء العلاقات مع الخديوى ، وانعدام الود بينهما .

واهم حدث في هذه الصلوات : وضع لائحة لاصلاح التربية والتعليم بمصر .

٢ - اراد الشيخ محمد عبده ان يعود الى عمله في " دارالعلوم " مدرسا ، فرفض الخديوى خوفا على الاجيال من آرائه وافكاره ، وعينه قاضيا بعيدا عن القاهرة وعن التدريس .

٣ - ظل الشيخ ينتقل من محكمة الى اخرى ، ثم ارتقى الى منصب مستشار في محكمة الاستئناف سنة ١٨٩١م .

٤ - ساءت علاقته بالسيد جمال الدين الافغاني ، ويبدو ان السبب في ذلك هو موقف الشيخ من السياسة ، والانجليز ، الى حد ان غضب عليه الافغاني ، واتهمه بالخوف والجبن ، وكان يبعث اليه برسائل يعنفه فيها على سوء ما فعل .

ولما مات الافغاني امتنع الشيخ عن رثائه في الصحف ، واكفي بالحزن عليه وقال كلمته المشهورة :

(والدى اعطاني حياة يشاركني فيها " علي ، ومحروس " . والسيد جمال الدين اعطاني حياة اشارك بها محمدا وابراهيم وموسى وعيسى ، والاولياء والقديسين .

ما رثيته بالشعر لاني لست بشاعر ، ما رثيته بالنثر لاني لست

بناثر ، رثيته بالوجدان والشعور لاني انسان اشعر وافكر) . ؟

ومن قال ان الشيخ محمد عبده لا يحسن صنعة الشعر والنثر ؟ فانه لا يعرف الشيخ محمد عبده ، لذلك فاني ارجح ان يكون سبب امتناعه عن رثائه ، هو : فساد الصحة وانقطاع العلاقة ، واختلاف السبل .

٥ - وبعد موت الخديوى توفيق وتولي الخديوى عباس حلمي الثاني

السلطة قامت حالة من الوفاق بين الشيخ وبين القصر . عمل الشيخ خلالها في مجال الاصلاح التربوي والتعليمي

ودخل ممثلا للحكومة في مجلس ادارة الازهر برئاسة الشيخ " حسونة النواوى " .

٦ - اصطدمت سياسة الوفاق هذه بعاملين اساسيين :

اولهما : مهادنة الشيخ للانجليز ، ومواجهته الاكيدة " لكرور " .

ثانيهما : مقاومة الشيخ اطماع الخديوى في استبدال بعض اراضيه بأخرى من

ارض الاوقاف .

وانتهت حالة الوفاق الى حالة الحذر ، ووصلت في نهايتها الى حد المهادنة

بسبب اجتماع الشيخ " بمرابي " بعد عودته من المنفى على مائدة الغذاء في

منزل صديقيهما " بلنت " " ١ " .

٧ - اشترك الشيخ في تأسيس " الجمعية الخيرية الاسلامية " ،

وتولى رئاستها بعد انشائها بثماني سنوات .

٨ - وقبل ان يصير رئيسا للجمعية بسنة ، عين في منصب " مفتي

الديار المصرية " ، واصبح عضوا في مجلس الاوقاف الاعلى ، وعضوا في مجلس

شورى القوانين .

٩ - اسس " جمعية احياء العلوم العربية " لاهياء التراث العربي

الاسلامي ، وكان له نشاط بارز في الصحف والمجلات والمحافل والندوات والكتيب

والمطبوعات .

١٠ - وفي يوم ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ م " ٢ " ، مات الشيخ محمد

عبد ، رحمه الله واسكنه في جناته .

وقد مات في مدينة الاسكندرية ، عن عمر يناهز السابعة والخمسين عاما ،

قضاه في ثلاث مراحل كما وصفنا باختصار ، وترك خلفه ثلاث بنات . ولم يكن

١ - انظر مذكرات " بلنت " سنة ١٩٠١ م ، ٢ نوفمبر ، عن " كوكب الشرق "

في ٢٢ أغسطس ١٩٣٢ م . نقله الاعمال الكاملة (١ : ٣٠) .

٢ - توافق ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ هـ .

له عقب ذكر •

عاش الشيخ محمد عبده رائدا ، ومات رائدا والرواد في تاريخ

الانسانية قليلون بل نادرون •

أما طبيعة هؤلاء الرواد فكما بين لنا الشهيد سيد قطب في افراح الروح " ١ "

قال :

(ان الرواد دائما ، كانوا وسيكونون هم اصحاب الطاقات الروحية الفائقة ،

هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة القدسة التي تنصهر في حرارتها كل ذرات

المعارف ، وتكشف في ضوئها طريق الرحمة ، مزودة بكل هذه الجزئيات ،

قوية بهذا الزاد ، وهي تغذ السير نحو الهدف البعيد ، هؤلاء هم الرواد

الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشاملة ، المتعددة المظاهر في :

العلم والفن والمقيدة والعمل ...

انهم قليلون في تاريخ البشرية ... بل نادرون • ولكن فيهم الكفاية ...

فالقوة المشرفة على هذا الكون هي التي تصوغهم ، وتبحث بهم في الوقت

المقدر المطلوب) •

١ - افراح الروح ، سيد قطب ، الدار العلمية ، بيروت • ص ١٩ - ٢٠ •

الفصل الثالث : شخصيته واخلاقه

=====

ان الدارس لسيرة الشيخ محمد عبده في مختلف مراحل حياته ، منذ طفولته الى موته ، والمتبع لارائه وافكاره ، واثاره ، والمطلع على مشاهد حياته ، . . . يستطيع ان يتخيل له صورة واضحة القسما ت ، تبدو فيها بوضوح ملامح شخصيته ، وتبرز فيها العوامل المختلفة المؤثرة في نفسيته ، وعقليته ، واطهر ما فيها سجاياه ، واخلاقه .

والشيخ محمد عبده قد يبدو لك من بعيد على خلاف ما لو رأيتته من قريب . وان تقويم الشخصيات امر في غاية الصعوبة .
وبحكم دراستي لشخصية الشيخ محمد عبده ، فقد اطلعت على معظم ما كتب عنه وقيل فيه . وتوصلت الى النتيجة التالية ، وهي :-

ان حقيقة الامر في شخصيته واخلاقه لا تزال تحتاج الى مزيد من الاستطلاع والتشخيص ، والى استجواب كثير من العلماء المخلصين . اعني من هم قريون منه في الزمن من تتلمذوا عليه او تتلمذوا على ايدي تلاميذه ومعاصريه . فربما تساعد هذه الطريقة على ان نرسم صورة واضحة له ، ونزيل ما يحيط به من غموض وتناقض فيما اجتمع حوله من اخبار .

فبينما ينزله رشيد ، وسعد ، وقاسم ، والحقاد ومن معهم منزلة

المجتهد في الدين ، ويرفعونه الى اعلى درجات البطولة والاخلاص . . . اذا كثيرون يتهمونه بالمروق من الدين والانحراف عن سبيل المسلمين ، بل وتسخير الدين لخدمة اعدائه ومحاربيه .

فاذا تركنا هؤلاء ، واولئك من قد يجد الباحث سبيلا الى رميهم بالتحيـز والمحاباة له ، او التزمت والتحامل عليه ، وسلكتا المسلك الصحيح في تقويم شخصيته ،

واخلاقه ، كان في وسعنا ان نرسم صورة واضحة المعالم لشخصية الشيخ محمد
عبد و نفسيته وسجاياه ، ثم نبرزها امام الاعين بكامل اوصافها ومتطلباتها ، لا
نزيد في ذلك ولا ننقص .

وسأحاول في هذه المجالة ان ارسم صورتين مختلفتين للشيخ محمد عبد

من وجهتي النظر المشار اليهما .

١ - الصورة الاولى :-

=====

ذكر الشيخ رشيد رضا في المقصد السابع من الفصل السابع ، في

" تاريخ الاستاذ الامام " ما ملخصه : " ١ "

" ان الله طبع هذا الرجل على عزة النفس وعلو الهمة ، هبة ووراثة

وتربية ، مما حدا بأستاذه الافغاني ان يخاطبه قائلاً : (قل لي اي ابناء

الملوك انت) .

وهو ابن فلاح يسكن قرية متواضعة ، لكنه ترفع عن المداينة ، والتلق ،

والنفاق ، واعرض عن يمارضه في مقاصده وان كان من الكبراء العظام (ولو

اختلفوه ناظرين بعين الانصاف لرأوا حقيقة التواضع مع الرفعة كيف تكون ، ولرأوا

كيف كان يخدم الفقير ويساعد المسكين . . . ويتجافى جنبه عن ضججه) كما

قال رشيد .

ولكن الخديوي كان يقول : (انه يدخل علي كأنه فرعون) .

كان مهيب الطلعة ، حسن المباشرة ، وقور المجلس ، لطيف

الحديث ، دقيق الملاحظة من نظرائه بديهة هابه ، ومن عاشره معرفة

اجه ، . . .

١ - بتصريف : عن ، تاريخ الاستاذ الامام للشيخ رشيد رضا (١ / ٩٥٠ / -

كان سليم الصدر ، صافي القلب (ما انتقم من سيء ، ولا سعى في
ضرر احد وانا استنجده احد انجده ، وانا استرفده ارفده ولو كان منه منفضيه
او قد تكلم فيه . . .) .

كثيرا ما كان يلتمس الحجة لغيره ، او يحمل كلامه على حسن قصد ،
ويحسن الظن به ، ويتفاضى عن الشر ، فيصنع المعروف مع من لا يعرفه ،
لا يؤذي احدا ، ولا يضر الشر لاحد ، يعفو عن ظلمه ، ويدفع بالتى هي
احسن ، وكان يعجبه قول افلاطون (استصلاح العدو خير من استهلاكه) " ١ " .
ولما كان يبيده تصريف بعض الامور وهو في المناصب المالية ، كان يضع
كل رجل في المكان الذى يناسبه ، لا يقبل الرشوة ، ولا يرقى من لا يستحق الترقية
ولو كان من تلامذته واصدقائه . . .

وفي نفس الوقت كان وفيا لاصدقائه وتلاميذه ، يهتم بهم كثيرا ، يدفع
الشر عنهم ما استطاع ، ويسوق الخير اليهم بقدر المستطاع ، وكان اصدقاؤه
وتلاميذه يجلونه ويحترمونه ، ويبادلونه الوفاء والاخلاص ، مما احدا برشيد ان
يصفه فيقول : (انه اوفى الاوفياء لاصدقائه) .

وهو في الشجاعة شجاع ، لا يبالي بتهديد وره اليه ، ولو بالقتل ،
ولم يكن احد يتجرأ على ان يقول له : اخطأت فكيف يتجرأ على ان يمد يده ليقتله " ٢ " .
وهو في الكرم كريم ، يكتم الصدقة ويخفي البذل ، ويكثر العطاء ، كان
يدخن ثم ترك التدخين ، وجعل ما كان ينفقه فيه صدقة (ولم يكن في ايام السراء
ابسط يدا منه في ايام الضراء) " ٣ " .

-
- ١ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٥٢) .
 - ٢ - نفس المصدر (١ : ٩٦٠) .
 - ٣ - نفس المصدر (١ : ٩٦٦) .

وهو من اهل المروءة والنجدة ، و (لا يزال في الناس كثير من اهل
المعروف والمروءة ، ولكننا لا نعرف احدا ، لا يشك من يعرفه في نجدته اياه اذا
عراه خطب بكل ما يقدر عليه في نفسه او في تأثيره عند غيره كما كان يفعل هذا
الرجل لمن يلتحق اليه) . " ١ "

اما عاداته ، فمخالفة لعادات علماء مصر ، كما خالف طبوسه ملبوسهم ،

كتطويل الاردان ، وتوسيمها ، وجرالانديال — الا في العمامة .

كان يكره ان تقبل يده ، بل يصافح الناس مصافحة ، ومنع الطلاب

من تقبيلها بعد الدرس كما هي عادتهم مع اساتذتهم في الازهر .

كان يحتذى النعال المدنية دون سائر العلماء ، — انيقا في لبسه —

يركب الخيل احيانا ، ويمشي على رجليه احيانا . كما كان يأكل الطعام في

الشوارع اذا جاع ويملئ ذلك تعليلا طريفا .

يقول رشيد : (ومشيئا مرة من الازهر قاصدين سكة الحديد ، فلما

جاوزنا شارع الموسكي ، مال الى دكان فاشترى منها قليلا من البسكويت ، وطلق

يأكل منه بلطف ، بعد خروجنا من السوق ، فقلت له مازحا ، : امفتي الديار

المصرية يأكل في الطريق ؟ قال : اما قرأت انه قيل " لديوجين " الفيلسوف :

لماذا تأكل في الطريق ؟ فقال : لانني اجوع في الطريق . ، ونحن قد

فاتنا عشاء الدار الان فنكتفي بهذا) . " ٢ "

ونحن نكتفي بهذا القدر من الرسم ، ونأتي الى ختام الصورة فنضع عليها

اللمسات الاخيرة التي تطل على القارئ المتفحص ، والمشاهد المتأمل ،

فنقول :

١ — نفس المصدر (١ : ٩٦٩) .

٢ — تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٧٢) .

ان في الشيخ محمد عبده عدة خصال منها : الصدق ، والامانة ،
والجدية ، والحركة ، والمصامية والمزة ، والشجاعة والكرم ، والمثالية
والنزاهة ، والمناد في الحق ، والتواضع له ، ومنها : حبه ووفاءه ،
واخلاصه وتجرده ، ويقظته وجراته ، وسمو روحه ورضا نفسه ، والمصق
في فكرته ، والشمول في مجالستها ، وغير ذلك من السمات الواضحة في
شخصيته والتي سيرت خطاه في حياته ، وحدده مواقفه ، وحددت
للناس اخلاقه .

٢ - الصورة الثانية : —————

=====

الصورة الثانية له على العكس تماما في كل شيء ، في صدقه ، وامانته ،
ومثاليته ونزاهته ، واخلاصه وتجرده ، الى آخر ما ذكرنا من صفات
في الصورة الاولى .

وقد كان المصور في هذه المرة ، غيره في المرة الاولى ، انه من رجال
الازهر ومن اصدقاء الشيخ ايضا ، انه الشيخ " الجنيبي " " ١ " ، واحد
من علماء الازهر المعروفين بالصلاح والتقوى ومعه الشيخ " النهباني " " ٢ "

-
- ١ - نسبة الى " جنبيه " قرية في اقليم البحيرة ، كان الشيخ الشنقيطي متزوجا
اخته ، وله عدة مؤلفات من بينها : " الزايات المصرية " ، " بلايا
بوذا " ، توفي سنة ١٩٢٥ م / الاعلام للزركلي .
 - ٢ - يوسف بن اسماعيل النهباني ، نسبته الى بني نهان " من عرب البادية
" بفلسطين " تعلم في الازهر ، وعمل في القضاء ، في بيروت ، ذهب
الى الاستانة ، وسافر الى المدينة مجاورا ولما نشبت الحرب العالمية الاولى
عاد الى قريته . وتوفي بها سنة ١٩٣٢ م .
/ الاعلام للزركلي .

الازهرى ايضا ، وشيخ الاسلام ، " مصطفى صهرى " ، " ١ " وقد حمل اللواء
من بعد هؤلاء في هذا اليوم الكاتب الاسلامي " محمد محمد حسين " " ٢ " .
في هذه الصورة ، نجد الشيخ محمد عبده ضالا لا يعرف الصراط
المستقيم ، حائرا في معظم امور الدين ، مضروبا وهو اجهل من الجاهلين ، ذا
لسانة وسفه ، فقد مزيا الادباء ، وهد عن مناهج الفضلاء ، مثلها بمناد
واصرار شيطاني ، لا يعلم ما يقول ، ولا يقدر عاقبته ولا يستطيع ان يقيم على صحته
دليلا . " ٣ "

وايضا نجد الشيخ " الجنبهبي " يتهمه بالخيانة ، ولم يكن فيه الا
خطة لرفع شأنه ، واعلاء كلمته ، ولخداع الناس به ، وليفتن به اهل بلاد
الشام . " ٤ "

وهو في حقيقة الامر جبان ، متعاس عن الجهاد ، مهالي ، للاستعمار . . .
ووصل الامر بالشيخ الجنبهبي الى حد اتهامه بالكفر ، ولمن يستغرب
هذا يقول : (ولا غرابة في ذلك لان الله تبارك وتعالى جعله من الائمة الذين

-
- ١ - من العلماء المعاصرين ، سياسي وفقه ، احد اعضاء المجلس النيابي ،
ومجلس المحسوخ في الدولة العثمانية ، شغل منصب نائب الصدر الاعظم
في رئاسة الوزراء بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الاولى .
/ الاعلام للزركلي .
 - ٢ - انظر كتاب : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ص ٣٠٠ - ٣٢٥ .
وانظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٣ - ١٠٨ .
 - ٣ - انظر كتاب : بلايا بوذا تأليف الجنبهبي ص ٢٨ ، نقله محمد
محمد حسين في كتابه الاسلام والحضارة الغربية ص ٨٧ .
 - ٤ - انظر نفس الكتاب ص ٥٢ ، نقله محمد محمد حسين في نفس
الكتاب ص ٩٢ .

يسارعون في الكفر) •

اما الشيخ " النبهاني " فقد كان ارحم به من " الجنبهبي " فقد ذكر
انه دخل في الجمعية الماسونية وانه ممن حق عليه قول الحق سبحانه :
" واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون " •^١

ولكن هذه الرحمة تلاشت في ديوانه المسمى ، ب " ديوان العقود
اللؤلؤية في المدائح النبوية " ٢ " حين ذهب الى ابعد بكثير ما ذهب اليه الشيخ
" الجنبهبي " ، في ذم الشيخ محمد عبده ، بل في الاسراف في ذمه وقدمه ،
بل في تكفيره وضلاله ، والتحذير من كتبه ومؤلفاته وخاصة تفسيره القران الكريم •
وسوف اقتطع للقارئ مقطعين فقط من قصيدته الرائية المشهورة •
حتى تتضح الرؤية ، كلية في هذه الصورة • وهي مما لا غنى لنا عن كتابتها •
لتظهر المقارنة الدقيقة بين الصورتين •

أ - القطع الاول :

===== في بيان صداقته " لكرومر " ، وتأنيبه الانجليز ،
والاقتداء بهم ، وبيان كفره ، وضلاله ، يقول :

تولع بالدنيا وصير دينه	اليها على ما فيه من خفة جسرا
يميننا اذا كانت يميننا وان تكن	يسارا سعى يعدو اليها من اليسرى
فمن جهة يدعى الامام ويقتدى	بأعمال اهل الكفر من جهة اخرى
يذم خيار المسلمين وعند ما	يرى حاجة للكفر يستحسن الكفرا
لكيما يقال الشيخ حمر في ضميره	فيبلغ عند القوم مرتبة اخرى

١ - سورة البقرة (١١ - ١٢) •

٢ - انظر كتاب : الاسلام والخضرة الغربية ص ٩٨ - ١٠٢ ، نقلا عن هذا

الديوان ص ٣٧٠ - ٤٠٠ بتصرف •

وايد اعداء البلاد بمسئله
فمن رهبة او رغبة كم سمى له
والقى لهم درسا يخالف حكمه
وقد ضل في القران مع عظم نوره
احذر كل الناس من كتب دينه
واوهم اهل الجهل ان بهم خيرا
طغام من الجهال اكسبهم خسرا
بأزهرها المعمور دين ابي الزهرا
كما خبطت عشواء في الليلة القمر
وبالرد والاعراض تفسيره احسرى

ب : المقطع الثاني :

===== في فساد سيرته ، وانحلال اخلاقه اثناء اقامته

في بيروت يقول :

يعاشر نسوان النصارى ولا يرى
ويأكل معهم كل ما يأكلونـــــــــــــــــه
ويفتي بحل المسكرات جميعها
ويأكل مخنوقا ويفتي بحلـــــــــــــــــه
وتحطيله لبس الهراييط والريـــــــــا
وقد كنت في " لبنان " يوما صحبته
وصليت فرض الظهر والعصر بعنده
وقبل غروب الشمس صاحب شيخه
ولم اراه ادى فريضة مـــــــــــــــــزب
اما الشيخ " مصطفى صبرى " فقد قال ان الشيخ محمد عبده قرب كثيرا
من الازهريين الى اللادينييين خطوات ، ولم يقرب اللادينييين الى الدين خطوة ،
وهو الذى ادخل الماسونية في الازهر بواسطة شيخه الافغاني ، كما انه هو الذى
شجع قاسم امين على تزويج السفور في مصر . " ١ "

١ - انظر كتاب : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ،

مصطفى صبرى (١ : ١٣٣) .

وهنا ايضا نكتفي بهذا القدر من الرسم ، ونأتي الى ختام الصورة فنجدها
صورة سوداء مظلمة ، لا ترى فيها نقطة بيضاء ، او شبه بيضاء ، وهذه الصورة
انما تدل على فساد الاصل الذي تنطبق عليه تمام الانطباق ، وعلى عدم وجود
خطوط محددة ينتهي اليها ، لا يتعدها ، الامر الذي ادى الى سوء سيرته
وفساد اخلاقه .

وخير لي ، ان اترك القارئ والمشاهد امام هاتين الصورتين ، من ان
اغض احدى عيني عن صورة ، وانظر بالآخرى الى الاخرى ، والله سبحانه
وتعالى يقول :

” تلك امة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
يعملون ” . ” ١ ”

الفصل الرابع :- " شيوخه وتلاميذه "

=====

قلنا فيما مضى ان دراسة شخصية الشيخ محمد عبده ، ونفسيته ، وسلوكه ، لا بد من ان تستوعب جميع مراحل حياته منذ نشأته الى حين وفاته ، وتبين مؤثرات كل مرحلة عليه .
فمن الضروري ان نعرف شيوخه الذين اثروا عليه في بداية حياته ، واثناء نشأته ، وفي عنفوان شبابه ، ونبين اثرهم على تكوين شخصيته التي نحن بصدده معرفتها .

ونذكر ثلاثة من اشهر اساتذته ومربيه وهم :-

" الشيخ درويش بن خضر " ، الشيخ محمد عيش ، " والشيخ جفال الدين الافغاني " ، وقد رتبهم حسب اقدميتهم في تعليم الشيخ محمد عبده وتربيته .

ونذكر ايضا تلاميذه الذين اثر عليهم ، بمبادئه وافكاره ، ومنهجيه وسلوكه .

وسنمى هنا بذكر ابرز تلاميذه في ميدان الحياة العلمية والعملية وهم :
" رشيد رضا " ، " محمد مصطفى المراغي " ، " مصطفى عبد الرازق " ،
" احمد لطفي السيد " ، " سعد زغلول " .

ولا يعنى هذا ان هؤلاء وحدهم هم شيوخه ، وتلاميذه ، فالشيخ محمد عبده تلقى العلم من الكثيرين من العلماء " ١ " ، ولقى العلم على الكثيرين

١ - منهم الشيخ " حسن الطويل " الذي علمه الفلسفة والمنطق ، والشيخ محمد البسيوني الذي علمه الادب العربي وقواعد اللغة .

من الطلاب ، وانما اقتصرنا على ذكر هؤلاء ، لانه كان لهم نشاط بارز في جميع مجالات الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ولان اولئك هم اكثر من اثروا عليه في تكوين شخصيته وهؤلاء هو اكثر من اثر فيهم ، وكان عاملا قويا في تكوين شخصياتهم .

ونحاول ان نبين الصورة الحقيقية لكل واحد منهم على حدة ونبين الى اي حد كان الشيخ محمد عبده رائدا في حياته . وانيا بـ
موتـه .

ولنبتدى بذكر شيوخه اولا

١ - " شيوخه "

=====

وهؤلاء يقسمون الى قسمين :-

أ : شيوخه الذين كان لهم فضل تنشئته وتربيته وتعليمه ... حتى

العقد الثاني من عمره . وهم :

" الشيخ درويش بن خضر " و " الشيخ محمد عيش "

ب : أستاذ الريادة والسيادة ، السيد : " جمال الدين الافغاني "

١ - " درويش بن خضر " :

=====

احيانا تنطبق الاسماء على مسمياتها تمام الانطباق ، والشيخ " درويش "

من الذين تنطبق اسماءهم عليهم تماما . فقد كان درويشا ، لا بمعنى الدروشة

التي يفهمها كثير من الناس ، ولكن بمعناها الاصيلي الدال على قوة العبادة

وكثرتها ، وكثرة القراءة والذكر والمداومة عليها .

هذا الدرويش كان كثيرا الاسفار ، وخاصة في الصحراء الغربية ، رحل

الى مدينة " طرابلس الغرب " ١ " وجلس الى احد شيوخها المشهورين ويدعى

" محمد المدني " والد الشيخ الصروف " ظافر الطرابلسي " . وتعلم عنده

بعض الملوم ، واخذ عنه الطريقة " الشاذلية " ، وعاد الى قريته .

حفظ موطأ الامام " مالك " ٢ " رحمه الله ، وبعض كتب الحديث ،

واجاد حفظ القران وفهمه ، وكان هذا الدرويش يشتغل بما يشتغل به اهل القرية

١ - احدى المدن الجماهيرية الليبية اليوم .

٢ - امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه ، ابو عبد الله واحد الائمة

الاربعة عند اهل السنة واليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته في المدينة =

من فلاحه الارض وكسب الرزق بالزراعة .

أ : " اللقاء الأول " :

=====
يصف الشيخ محمد عبده الأول لقاءه بينه وبين الشيخ

" درويش " فيقول :

(جاءني هذا الشيخ صبيحة الليلة التي بتها في " الكنيسة " " ١ " ،

ويده كتاب يحتوي على رسالة كتبها السيد " محمد المدني " الى بعض مريديه

بالاطراف ، بخط مغربي دقيق ، وسألني ان اقرأ له فيها شيئا لضعف بصره ،

... فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت منه اشد النفور ،

ولما وضع الكتاب بين يدي ، رميته الى بعيد ، ولكن الشيخ تبسم وتجلى في

الطاف مظاهر الحلم ، لم يزل بي حتى اخذت الكتاب ، وقرأت منه بضعة

اسطر ، فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت ، بمباراة وأفضحة تغالب اعراضه فتغلبه ،

وتسبق الى نفسي ، وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب

بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية ، فرميت الكتاب وانصرفت اليهم) . " ٢ "

وتبع هذا اللقاء لقاءات اخرى ، ظل الشيخ يقرأ له وهو يشرح تلك الرسائل

التي تحتوي على معارف الصوفية ، وكلام مهم في اداب النفس وترويضها على مكارم

= المنورة ، كان صلها في دينه بحمدا عن الامراء والملوك ، صنف الموطأ ،

وله رسالة في الوعظ وله ايضا تفسير غريب القران ، توفي سنة ١٧٩ هـ .

انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠ : ٥) / والاعلام للزركلسي :

(٦ : ١٢٨) .

١ - البلدة المسماة " كنيسة اورين " .

٢ - انظر فصل " سيرته " ضمن الاعمال الكاملة (٢ / ٣٣٠) .

الأخلاق ، وتطهيرها من دنس الرذائل ، وتزهيدها في الباطل من مظاهر الحياة الدنيا حتى جاء اليوم الذي صار أحب شيء إليه ما كان يخضه من مطالعة وقراءة ، وابتدأ يطرح على الشيخ أسئلة تتعلق بالطريقة الصوفية ، وما فيها من أذكار وأوراد ، والشيخ يجيب على جميع أسئلته بأسلوب المعلم العزيم والمرشد الأمين .

يقول الشيخ محمد عبده : (ولم أجد أماً ما يرشدني إلى ما وجهت إليه نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من صحبتة أحد أقاربي وهو الشيخ " درويش خضر " وهو مفتاح سعادتي وهو الذي رد لي ما كان غائباً من غريزتي ، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع في فطرتي) " ١ "

ب - " ثقله بعبيدة " :

===== قلنا فيما مضى ان الشيخ محمد عبده ، ترك الدراسة ، وأحب اللهو واللعب مع لداته ، " ٢ " بعيدا عن عين والده ، وهذه الفترة القصيرة التي مربها الشيخ محمد عبده بحق لي ان اسمها ب " رحلة الضياع " ، وهي مما يحصل مع معظم الطلاب في سني التعليم الأولى ، لان الأطفال في هذه الفترة يجهون اللعب أكثر من أي شيء آخر ، والشيخ محمد عبده واحد منهم .

ولو استمر الشيخ محمد عبده في رحلة الضياع التي وصفها هو نفسه في سيرته لقتض عمره كله في ضياع ، قلقا ، حائرا ، يسأل ولا يجد جوابا ، ولا يجد

١ - نفس المصدر (٢ / ٣٣١) .

٢ - أصدقائه الذين في عمره ، ويقال بالنسبة للأنثى أترا بها .

لقلبه ولا لنفسه راحة وسكونا ، ولظل يبكي ويصرخ ، ويتعذب ويتألم مثل كثير من الناس الذين فاتتهم فرصة التعليم ، ولطواه التاريخ مثل ما يطوى ملا بين البشر من غير ان يشعر بهم أحد .

ولكن الله قدر له امرا آخر ، ورسم له طريقا جديدا ، واعد له مهمة كبرى ، من اول لحظة عرف فيها " درويشا " ، فاذا به يسير في الطريق الجديد ، بخطي ثابتة مثزئة ، واذا به يتحول كلية من حال الى حال ، كل شيء فيه تغير حسه ، وشعوره ، وقيمه ، وافكاره ، وتصوراته ، ومفاهيمه كأنه ولد من جديد ، وتكيف مع الوضع الجديد ، واذا به انسان اخر جديد . كل ذلك من السر الجديد الذي كشفه له " الشيخ درويش " رحمه الله .

فأقبل الشيخ محمد عبده على القران ، وعاش في ظلاله ، ودرس معانيه ومرامييه ، كما درس بعض معارف الصوفية وادابها ، فاذا به يعيش في دنيا غير التي كان يعيش .

يقول : (فلم تمض علي بضعة ايام الا وقد رأيتني اطيير بنفسي في عالم اخر غير الذي كنت اعهد ، واتسع لي ما كان ضيقا ، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيرا ، وعظم عندي من امر المرقان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا وتفردت عني جميع المهوم . . .) " ١ " .

ج : - حسن الصجبة :

===== (وكنت عند وصولي الى البلد اجد خال والدي الشيخ " درويشا " قد سبقني اليه ، فكان يستمر معي ، يدارسني القران ، والعلم الى يوم سفرى ، وكل سنة كان يسألني ، ماذا قرأت ؟ فاذا ذكر له ما درست ، فيقول : ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست شيئا من هادئ الهندسة ؟ وهكذا ، وكنت اقول له : بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في

الازهر . فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في اى مكان ، فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها (٠٠٠) " ١ "

هكذا كان العلماء ، فيما مضى ، يعطون بهمة عالية ، وروح طيبة ونفس مشرقة اخاذة ، ولا يدخلون بمعلمهم على من يطلبه ، ويعطون من وقتهم لمن اراد ان يعيش معهم وفي كنفهم ، ولا يصلح العالم الا بهذا ، ولا يكون عالما الا اذا ظهر علمه بين الناس .

ولكني آخذ عليه انه كان يحث على دراسة المنطق والفلسفة " ٢ " التي قد تهودى بدارسها - غير المشرس - الى زعزعة عقيدته الصحيحة ، وقد تهوى بالنفس فى ضلالات تحرمها خيري الدنيا والاخرة . هذا وقد كان الشيخ محمد عبده صغيرا ، لا يقوى على فهمها ومعرفته ما يصلح منها وما لا يصلح من خلال المنظار الاسلامي .

-
- ١ - فصل في سيرته ، ضمن الاعمال الكاملة (٢ / ٣٣٢) .
 - ٢ - المنطق : آلة عاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره ونصدق فيه ، هكذا عرفه ابن سينا ، وهذا الفن انما دخل على الاسلام بعد اتساع الدولة الاسلامية ودخول كثير من الامم في الاسلام ، وخاصة ما كان من جهة اليونان انظر كتاب : المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم ، عوض الله جاد حجازي - الطبعة الرابعة ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة ، صفحة ٢٣٠ / وانظر كتاب النجاة لابن سينا ص ٣٠ .
- اما الفلسفة فالمراد منها الحكمة ، وهي من العلوم النظرية التي تعتمد على العقل والفكر .
- انظر كتاب : عقيدة العرب في المذم والفلسفة ، لعمر فروخ ، الطبعة الثانية - المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م .

وهذا لا ينقض قولنا : ان الشيخ " درويش " هو الذي اعاد الشيخ محمد عبده الى الجادة وحببه في العلم والمثابرة عليه ، وانه اتقده بالقران ، وطمه الطريقة الصحيحة في تلاوته ، وارشده الى اقصر الطرق في فهمه ، وتدبره وخلصه من قيود التقليد الى اطلاق التوحيد - حسبها قال الشيخ محمد عبده واخرجه من عالم الزهو واللهو الى عالم العبادة والزهادة ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ولم ينقطع جبل الاتصال بينهما الى ان مات الشيخ " درويش " سنة ١٢٨٩ هـ . " ١ " رحمه الله تعالى .

وكان ممن اثنى عليه من الكتاب ، " احمد امين " في كتابه :

" من زعماء الاصلاح . . . "

قال : (وشخصية الشيخ " درويش " من الشخصيات اللطيفة التي تظهر في البيئات المصرية على قلة . . . وهي شخصية متصوفة ، تمتاز بنور البصيرة اكثر مما تمتاز بسعة العلم ، تعرف الدنيا وشؤونها ، وتزهد في قيمتها عن علم لا عن غيباء ، وخير عبادتها ذكر الله بالقلب لا باللسان ولا بالاوراد ، تحمل في الدنيا كما يحمل اهلها ولكن في رفق وتسامح ، وميل الى الخير ، هي شخصية من اولئك الذين يرون الدنيا جسرا الى الاخرة ، فلا بد ان يعبر الجسر في امان ، يألون لفئلة الناس وطفحان المادة عليهم ، وتورطهم في المفاصد ، ويشفقون عليهم ، ويعملون ما امكنهم لانقاذهم في هواده ، يشع النور في قلوبهم على وجوههم ، فيكون منظرهم وتصرفهم وحركاتهم وسكناتهم منظرًا جذابا يستدعي الحب والاعجاب) . " ٢ "

١ - توافق ١٨٧٣ ميلادية .

٢ - من زعماء الاصلاح محمد عبده تأليف احمد امين ، مؤسسة الخانجي -

٢ - * محمد عيش * :

===== ان مقاله * احمد امين * مثيابه على

شخصية الشيخ * درويش * يصح ان يقال هنا .

لان الشيخ * محمد عيش * من الشخصيات الاسلامية النادرة فسي

المحافظة على الدين من البدع والخرافات ، ومن كل دخيل على الاسلام .

وضح الاستاذ العقاد قدر الشيخ عيش ، قال :-

(وقد كان الشيخ * محمد عيش * رجلا صالحا هنيئا عن المطامع

الدينيوية التي كانت تستهوي طلاب المظاهر من علماء عصره ، وكان مخلصا صادق

النية في كراهة البدع التي يخش منها على الدين) . " ١ "

كان له كبير فضل في تعليم الشيخ محمد عبده بعض العلوم الدينية في

الازهر الشريف ،

درس الفقه المالكي ، وله في ذلك كتب وشرح نذكر منها :

- شرحه على مختصر خليل .

- فتح العلي المالكي على مذهب الامام مالك .

- مجموع فتاوى عيش .

* فروع يصحح بين الديكة * ؟

=====

كان الشيخ محمد عبده لا يزال طالبا في الازهر الشريف ، وكان يقوم

الى جانب هذا بالقاء الدروس في بعض مساجد القاهرة . " ٢ "

ولما كان قد درس الفلسفة والمنطق بين يدي بعض الاساتذة ،

وفي مقدمتهم * جمال الدين الافغاني * ، ونز في هذا الفن ، احب ان لا يحرم

١ - عبرى الاصلاح والتعليم الشيخ محمد عبده ، عباس محمود العقاد

ص ١٤٠ .

٢ - وهو مسجد محمد بك ابو الذهب .

طلبة العلم من الانتفاع به ، فصار يدرس شرح العقائد النسفية في علم الكلام ،
وبعض ما درسه في الحكمة والمنطق ،
وحصل ان احد التلاميذ ، وشي به عند الشيخ " محمد عيش " ،
فأبلغه أن طالبا بالازهر يحضر على " جمال الدين " ، ويقرا كتب الممتزلة
والمتكلمين ، يدرس العقائد النسفية " ١ " للتلاميذ ، وانه يرجح مذهب الممتزلة " ٢ "
على مذهب الاشاعرة " ٣ " ،
فاستدعاه الشيخ " عيش " ، وكلمه في ذلك ، ودار بينهما الحوار

التالي " ٤ " :-

- ١ — متن صغير الحجم ، مؤلفه عمر بن محمد النسفي ، شرحه السعد التافازاني ،
وقد كتب عليه مجموعة كبيرة من الحواشي ، وهو في غاية الاختصار / انظر
العقائد النسفية مطبعة ونشر مكتبة المشي — بغداد .
- ٢ — من الفرق الاسلامية ، اول من اطلق عليها هذا الاسم " الحسن البصري " ،
حينما قال : اعترلنا واصل بن عطاء ، وقيل : لا عترالمهم قول الامة . وقيل
غير ذلك ، ولهم آراء خاصة في العقيدة وهم اصحاب الاصول الخمسة : التوحيد ،
العدل ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر .
/ انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
ص ١١٥ / وانظر الفصل لابن حزم مكتبة المشي ببغداد ص (١ : ١٥٤)
/ تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة (١ : ١٣٨) .
- ٣ — اصحاب ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسى الاشعري
رضي الله عنهم ، والاشاعرة يقتضون على الصفات الالهية السبع ،
الثبوتية اللازمة لذاته تعالى والتي لا يتصف بظدها .
انظر / الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١١٩) ، مطبعة المشي
ببغداد .
- ٤ — انظر الاعمال الكاملة (٣ : ١٩٢) .

عليش : بلغني انك تقراً شرح المقائيد النسفية درساً ؟

محمد عبده : نعم .

عليش : وبلغني انك رجحت مذهب المعتزلة على مذهب الاشاعرة ؟

محمد عبده : اذا كنت اترك تقليد الاشعري فلماذا اقلد المعتزلي ؟ اذن

اترك تقليد الجميع واخذ بالدليل .

عليش : اخبرني الثقة بذلك .

محمد عبده : هلم الثقة الذي يشهد بذلك ، ؟ فليفرق امامنا هنا بين المذهبيين

وليخبرنا ايهما رجحت .

عليش : او مثلك يفهم شرح المقائيد ؟

محمد عبده : الكتاب حاضر وانا حاضر ، فسلني ان شئت .

وانتهبي مشهد الحوار ، وكان مشهداً رائعاً ، من اوضح سماته الحدة

في الكلام ، والجديية في الحديث ، والصدق في القول .

واستغرب " الشيخ عليش " ، ومن معه هذا الموقف من الطالب

" محمد عبده " ، وكبرت مراجعته على الحاضرين ، وقالوا للشيخ " عليش "

كلاماً ، وأغر صدره ، واتقل همه وغمه ، مما زاد الموقف حدة ، وخطورة ،

واحتدم الجدل بين الطرفين فعمد الشيخ " عليش " الى عصاه وضرب بها الطالب

" محمد عبده " على رأسه ، فسقطت عمامته ، وشفى صدر استاذة .

هذه هي نهاية المشهد الصاخب بين استاذ وتلميذه ، بطل

هذا المشهد " شيخ معمم يحمل في يده عكازاً " وتلميذ معمم ايضاً يحمل في يده

كتاباً " ، والجمهور يشاهد من بعيد كل احداث القصة .

انه بلا شك مشهد حي يمثل الصراع بين القديم والحديث ، او قل بين

الشرعية الاسلامية بصفائها وسهولتها ، وبين كلام الفلاسفة والمناطق بصعوبته وتمقيداته

... وهو الصراع الذي لا تزال نعاني منه الى اليوم .

وكان من اثر ذلك ان الشيخ محمد عبده لما عاد في اليوم التالي
ليواصل عمله احضر معه عصا ، استعداده للمقاومة ، مما يصح ان نقول انه
جراة من الشيخ " محمد عبده " على من لا يحق له ان يعصيه
وان تعجب فعجب قوله : (اذا جاء الشيخ بمكازه فله العصا)
وظل الشيخ محمد عبده على عداوة مع الشيخ " طيش " ، يحكي الشيخ
محمد عبده ان اثره قد ظهر في قاعة الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هـ
حين عرض الشيخ محمد عبده نفسه على مجلس الامتحان وابتلي فيه اشد الابتلاء
(لتمصب الاكثر من اعضائه مع المرحوم " طيش ") ،
ويذكر السبب في هذا العداوة وهو الذي عده الشيخ محمد عبده : (اتهاط الآلام)
من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة) حتى ظن انهم لن يمنحوه درجة ما في العلم ،
لولا امر الله الغالب .

وفي سنة ١٢٩٩ هـ مات الشيخ " طيش " ، بعد ان ترك
في نفس الشيخ محمد عبده اثرا ظل يلازمه طول حياته :
انه الحقد على الازهريين ، وطريقتهم ، ورميهم بالتقليد والجمود
والسير بالدين الى الوراء . (لذلك كان عنيفا في حديثه عن الازهريين ، يلوم
ويعتب في حدة وعنف ، وله في ذلك كلمات متناثرة يصادفها القارئ في مواضع
من كلامه) . " ٢ " .

١ - توافق ١٨٨٢ م .

٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا

(١ : ٧) .

٣ - " جمال الدين الافغانسي " :

=====

(ان ابي وهبني حياة يشاركني فيها " علي " و " محروس ")

والسيد جمال الدين وهبني حياة اشارك فيها محمدا و ابراهيم وموسى وعيسى والاولياء
والقديسين) .

" محمد عبده "

لقد عرفنا في الفصل الثاني والده " عبده بن حسن خير الله التركماني "

... الذى كان سببا في مجيئه الى الدنيا ...

ونريد ان نعرف من هو هذا الرجل الذى وهبه حياة يشارك فيها

الانبياء والاولياء والقديسين ...

أ : - " أصله ونسبه " :

=====

روى في نسبه واصله انه " ايراني " ينتمي الى مذهب الشيعة .

بينما زعم هو انه سني من بلاد " الافغان " ، وانه شريف النسب حسيني الجذ .

وقد اورد الدكتور " محمد محمد حسين " الادلة على انه ايراني شيعي

اخفى اصله ونسبه تحمية على اهل السنة في البلاد التي ينزل فيها حتى يتسنى له

ان يلعب نفس الدور الذى لعبته الاسماعيلية " ١ " في الدعوة الى خلافة اهل بيت

النبوة " ٢ "

من هذه الادلة :-

١ - ذكر ابن اخته المدعو " ميرزا الطف الله خان " " ٣ " انه من بلدة " اسد اباد "

١ - طائفة باطنية ، تستروراء التشيع لآل البيت .

٢ - انظر الاسلام والخضرة الخيرية ص ٦٤ و ٨٣ .

٣ - وكان يلزمه في كثير من زيارته ليران .

- بالقرب من " همدان " ، وأنه شيعي ولم يكن حنفي المذهب .
- ٢ — ذكر الشيخ محمد عبده أنه كان في الحقيقة فارسياً ، وأنه انتسب
للاقنان لسببين : — " ١ " .
- الاول : ان يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السني لا الشيعي .
الثاني : ان يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها في
الخارج .
- ٣ — ذكر احد العلماء " ٢ " ثبوت تشييعه في دوائر الدولة الرسمية ، جاء هذا
في رسالة بحثها هذا العالم الى " رشيد رضا " بتاريخ ٢٩ رجب ١٣١٦
هجرية .
- قال فيها : (اني ارى جريدتك طافحة بشقايق المتأففين " جمال
الدين " المطلقة ، وقد تدرجت به الى الحسينية التي يزعمها زورا ،
وقد ثبت في دوائر الدولة رسمياً انه " مازندارى " من اجلاف الشيعة . .
وهو مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية) . " ٣ " .
- ويقول الشيخ " مصطفى عبد الرازق " " ٤ " في مقدمته لكتاب " الصورة
الوثقى " : (هذا خلاف لا سبيل الى تحييده ، فان ما يتعلق بنشأة
" جمال الدين " وحياته قبل اتصال الشيخ " محمد عبده " به سنة ١٨٧١ م
هو على قلة مصادر مطاط بغموض واضطراب) . " ٥ " .

-
- ١ — انظر كتاب " الصورة الوثقى " — المقدمة — تأليف جمال الدين ، ومحمد
عبده ، الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م — دار الكتاب العربي —
بيروت ص ١٨ .
- ٢ — هو الشيخ " ابو الهدى " / انظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٠) .
- ٣ — نفس المصدر ونفس الصفحة : وانظر كتاب : " رشيد رضا " لاحمد الشراصي
ص ١٤٣ .
- ٤ — من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وسنترجم له فيما بعد .
- ٥ — انظر مقدمة كتاب " الصورة الوثقى " ص ٢ .

ويبدو من كلام الشيخ " مصطفى " ان حقيقة هذا الامر قد انكشفت
للشيخ " محمد عبده " بعد اتصاله به . . .
فهو يقول : (ويدل على هذا اقول الشيخ " محمد عبده " في فاتحة
تعميره لرسالة " الرد على الدهريين قال : ويحملني على ذكر شي من سيرة هذا
الرجل الغاضل ما رايناه من تخالف الناس في امره ، وتباعد ما بينهم في معرفة
حاله ، وتباين صورته في مخيلات اللائقين لخبره ، حتى كان حقيقة كلية تجلت
في كل ذهن بما يلائمه ، او قوة روحية قامت لكل نظربشكل يشاكله ") . " ١ " .
وقد اعترف الشيخ " محمد عبده " في نفس " الصورة الوثقى " انه من

شعبة الفرس .

ويظهر ان الذي اوقع في هذا اللبس هو " البلدة " التي منها
" السيد جمال " هل هي " اسعد اباد " من اعمال كابل في افغانستان ؟
ام انها " اسد اباد " من اعمال همدان في ايران ؟
ولعل السيد " جمال الدين " قد استغل هذا التشابه بين البلدتين ،
فاخفى تشيعه وادعى انه من اهل السنة .
واما زعمه انه شريف ينتسب الى " الحسين " رضي الله عنه ، فقد يكون
له طريق الى الصحة ، وقد يكون من اختراجه للتزويد في الفضل . وان كنت استبعد
قوله ، لانه لا دليل عليه ، ولان من يكذب على الناس في بلده ، خليق ان لا
يصدق في نسبه .

ب : - " لقاءه بالشيخ " محمد عبده " واثره فيه " :

=====

نزل جمال الدين مصر سنة ١٨٢٠م ، بدعوة من " رياض باشا " عندما
اجتمع به في الاستانة ، فقررت له الحكومة المصرية راتباً شهرياً ، مقداره " عشرة
جنيهاً " . " ٢ " .

١ - نفس الكتاب . ونفس الصفحة .

٢ - انظر زعماء الاصلاح لاحد امين ص ٦٩ .

حاول ان يدرس في الازهر فلم يستطع ، لكره الازهرين له ،
فاتخذ له بيتا في " حارة اليهود " مالمث ان صار منتدبا للعلماء وللطلاب ومنهم -
محمد عبده ، عبد الكريم السلطان ، ابراهيم اللقاني ، ابراهيم الهلباوي ،
سعد زغلول - ثم اتخذ من " طهس " قرب " الانكليزية " مجلسا له يلتقي فيه
مع طلابه حتى الفجر " ١ " يلتقي فيه مع هؤلاء ومع غيرهم مثل : محمود سامي
البارودي ، عبد السلام المويلحي ، ابراهيم المويلحي ، علي مظهر ،
سليم النقاش ، اديب اسحاق ، حيث كانوا يسألونه عن ادق المسائل ، فيجيب
عليها . " ٢ "

احب السيد " جمال الدين " مصر ، واحب منها " محمد عبده " .
يقول : (مصراحب بلاك الله الي ، وقد تركت لها في الشيخ
محمد عبده ، طودا من العلم الراسخ ، وعمودا من الحكمة والشلم ، وطسو
الهمم ، واني ليذهب بي المعجب ويأخذ مني كل مأخذ ، عندما اري المصريين
في جمود واولي الهمة منهم في قمود (٠٠٠) " ٣ "

وقال مرة وهو يوضي بمصر : (حسبكم محمد عبده من وصي امين) " ٤ "

ولقد كانت نظرة السيد " جمال الدين " صائبة ، فيه وكان " محمد
عبده " امينا على حكمة استاذة وقائما على مذهبه

-
- ١ - انظر كتاب : جمال الدين الافغاني تاريخه ورسائله وبعادته ، محمود
ابوريه ص ٤٥ .
 - ٢ - انظر : زعماء الاصلاح لاحمد امين ص ٧٠ - ٧٣ .
 - ٣ - خاطرات جمال الدين الافغاني الحسيني ، لمحمد باشا الخزوي ،
الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ص ١٩ .
 - ٤ - عقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ، العقاد ص ١٠٣ .

يقول محمد الفاضل بن عاشور : (وكان في مقدمة المنتسبين اليه
والاخذين عنه من هو عضده في عمله ، والقائم على حكمته ومذهبه الاصلاحى من
بعده الاستاذ الامام " محمد عبده ") . " ١ "

والحديث عن الاثر الذى تركه " الافغانى " في شخصية الشيخ
" محمد عبده " يطول كثيرا ولا تكفى صفحات قليلة في كتابة شي * كثير .
والمهم هنا ان نقول :-

ان الشيخ " محمد عبده " لم يكن في الحقيقة الا اثرا من آثار السيد
" جمال الدين " .

وما من مناسبة يذكر فيها اسم " الافغانى " الا وتهتز السنة الذاكرين
" بمحمد عبده " فكان هناك اتصالا روحيا بين الشخصيتين ، او اتفاقا سرىا
يحتم اجتماع الشيخين .

لقد تشربت روح الشيخ محمد عبده الحكمة والمعرفة من روح استاذه
(فلم ينفذ الى لباب المعارف الا بتوجيهه ، ولم يتذوق روح حكمها الا بنفحاته ،
فلا عجب ان يكون بطا اتبع له من رفقة وما تأتى له من تشرب افكاره وضمونها
والتصرف فيها تصرف الايضاح والضبط والتركيب والتحرير صورة منه تشرب روحه ،
وتنفس حكمته ، وامن بها في عمله على القواعد التي وضعها " الجمال " بيده) " ٢ "

يقول الشيخ محمد عبده : (وقد صاحبت من ابتداء شهر المحرم
١٢٨٧ هـ " ٣ " واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمة والكلامية ، وادعو
الناس الى التلقى عنه كذلك) . " ٤ "

-
- ١ - التفسير ورجاله ، لمحمد الفاضل بن عاشور ، الطبعة الثانية ، دار الكتب
الشرقية ، تونس ص ٢٣٠ .
 - ٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .
 - ٣ - توافق ١٨٧٠ ميلادية .
 - ٤ - ترجمة سيرته ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده (٢ : ٣٣٢) .

ولعل هذه الصحبة ، وتلك المودة ، وبينهما ، هي التي جلبت
للشيخ " محمد عبده " الصاعب وابعده كثيرا عن طريق الازهر ، وصيرته حديث
المشايع والطلاب فيه — هو وشيخه —
" ١ " .
(واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يقولون عليه وعلينا الاقويلى) .

والشيخ محمد عبده يرى ان اثره لم يقتصر عليه وعلى بعض جلساء
الشيخ الافغاني ، بل تعداه ، ليعم ضربا سرها ، وكان لم يكن في مصر الازهر
" ام العلوم " الا الاستاذ الافغاني ، ولكن كما يقولون — : الحب يعمي ويصم .
يقول الشيخ " محمد عبده " في ترجمة سيرة الافغاني وبيان اثره :-
(عظم امر الرجل في نفوس طلاب العلوم ، واستجزلوا افوائد الاخذ
عنه ، واعجبوا بدينه ، وادبه ، وانطلقت الالسن بالثناء عليه ، وانتشر صيته
في الديار المصرية .

ثم وجه عنايته لحل غل الاوهام عن قوائم العقول ، فنشطت لذلك
الباب واستضاءت بصائر ، وحمل تلامذته على العمل في الكتابة ، وانشاء الفصول
الادبية والحكمية ، والدينية ، فاشتغلوا على نظره ، وروعوا ، وتقدم فن الكتابة
في مصر بسعيه ، وكان ارباب القسم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في
المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكرى ،
وخيرى باشا ، ومحمد باشا سيد احمد ، على ضعف فيه ، ومصطفى باشا وهي ،
على اختصاص فيه .

ومن عدا هؤلاء فاما ساجعون في المراسلات الخاصة ، واما مصنفون
في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شاكلها .

ومن عشر سنوات تولى كتيبة في القطر المصري لا يثق غبارهم ولا يوطأ
مضمارهم ، واغلبهم احداث في السن شيخ في الصناعة ، وما منهم الا من اخذ عنه
او عن احد تلامذته ، او قلد المتصلين به ، ومنكر ذلك مكابر ، وللحق مداير " ١ "

واني ارى ان الشيخ " محمد عبده " قد غض الطرف عن الجانب

الآخر من حياة استاذنا والاثرا الذي تركه في مصر ، وهو موقف يؤخذ عليه ،

وسأبين هذا الاثر ، وذلك لاهميته بين الناس ، واستحقاقه ذلك

فأقول :-

انضم جمال الدين الافغاني الى المحفل الماسوني الاسكتلندي في

القاهرة وكان يضم كثيرا من طيبة القوم " ٢ " ، فأزاد - كما يقول رشيد رضا -

(ان يربي فيها رجالا يصفون كيف يحفظون بلادهم ، وانفسهم ، فوجه همه الى

استخدام الماسونية ، في تعليم تلامذته ما لا يمكن التصريح به الا في جمعية سرية ،

فدخل في الماسونية ودخل معه تلامذته النابغون ، فجعل بهم قوة للمصريين ،

وصار رئيس محفلهم ، ولكنه كان غالبا ما يتكلم في مضادة الانجليز ، لما كان من

زحفهم على بلاده ، ولما كان يعتقد من طمطمهم في مصر فقاوموه حتى اضطروه

الى ترك الماسونية مع كبار حزبه " ٣ "

١ - ترجمة سيرة جمال الدين ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده

(٢ : ٣٤٩ - ٣٥٠) .

- وانظر كتاب : مذكراتي في نصف قرن لاحمد شفيق باشا . الجزء الاول

مطبعة مصر . الطبعة الاولى ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م . (١ : ١١٠ - ١١١) .

٢ - انظر من زعماء الاصلاح محمد عبده ، احمد امين ص ٧٩ .

٣ - نفس المصدر ص ٧٣ ، / وانظر المنار ، الجزء الخامس ، ايار

١٩٠٣ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

ولما ترك المحفل الاسكتلندي انشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي ،
دعا اليه مريدياً من العلماء والوجهاء ، وبلغ عدد المشتركين فيه نحو ثلاثمائة عضو ،
من نخبة المفكرين والناهضين المصريين ٠٠٠ فكان لذلك هزة في الاندية والمجتمعات
كما قال احمد امين ٠ " ١ "

والماسونية كانت في نظر الافغاني شيئاً مثالياً ، ومثلاً يحتذى به ،
ولكنه سرعان ما لاحظ انها تستغل لاهداف خاصة خلاف ما كان ينتظر منها .
يقول : (كنت انتظر ان اسمع وارى كل عجيبة غريبة ، ولكن ما كنت
لاتخيل ان الجبن يمكنه ان يدخل بين اسطواناتي المحافل الماسونية ، اذا لم تدخل
الماسونية في سياسة الكون ، وفيها كل بلاء حر ، واذالات البناء التي في يدها
لم تستعمل لهدم القديم ، ولتشديد معالم حرية صحيحة ، واخاء ومساواة ، وترك
صروح الظلم والعتو والجور ، فلا حطمت يد الاحرار مطرقة حجارة ولا قامت لبنايتها
زاوية قائمة ٠٠٠) " ٢ "

ويعبر الافغاني عن خيبة امه في الماسونية بأن القائمين عليها تسيطر
عليهم الانانية وحب الرئاسة والاهواء ٠٠٠ (ولكن مع الاسف ارى ان جرائم الاثرة
والانانية وحب الرئاسة والعمل من جماعات بمقتضى اهوائهم ، وخضوع الشرق عن بعد
سحيق ، يمتوره تهديد ووعيد ، وغير ذلك من الامور التي ما تأسست الماسونية
الحرية الا لملاشاتها ٠٠٠) " ٣ "

-
- ١ - من زعماء الاصلاح ص ٧٣ . / وانظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٤٠)
 - ٢ - الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، تحقيق الكاتب محمد عمارة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ص ٥٢١ ، (مقالة بعنوان " نقد الماسونية " وهي منقولة عن كتاب :
خاطرات جمال الدين الافغاني) .
 - ٣ - الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ص ٥٢١ .

والمؤسف حقا ان يصر الافغاني ان يبقى ماسونيا عاملا بدل ان يهجرها
ويهاجمها ويحذر الناس من مقبة الوقوع في جائلها "١" . . . على الرغم من اعترافه
بانها رموز غير مفهومة وانها من اساطير الاولين التي تخل بعقيدة الداخل فيها
(فالماسونية على شكلها هذا وتقاليدها ليست فقط قديمة العهد ، بل هي لم تنزل
في العهد ، ولسوف اذا اصررت واصرا بناؤها على الوقوف عند حد رموز اكثرنا لا يفقه
معناها ولا المراد من وضعها انها ستختنق في العهد ولا تدج منه ، ماسونيتكم
ايها الاخوان لا تتجاوز " كيس اعمال وقبول اخ " يتلى عليه من اساطير الاولين
ما يعل ويخل في عقيدة الداخل ، ويسقط مكانة الماسونية في عينيه ، انتم اليوم بين
رئيس ومروءوس ، تابع واتبوع ، شرق يا مرموستشرق يوضح ، مال يجمع وجزية
للسرف تؤدى ، وليس من عمل يدل على ادنى اثر من الحياة للماسونية في الشرق . .)
ويبدو لي ان انغماسه فيها ، وعمله في السياسة لم يتح له ان
يتشدد مع تلاميذه ويربيهم تربية خلقية وه ينية فكان كثير منهم غير متدينين . . "٣"
نذكر الى جانب هذا ان الافغاني اول من نادى بأن " مصر للمصريين " "٤"
فجذب اليه هذا الشعار عدد من مريديه من اليهود والنصارى ، وهذا يعني
ان الافغاني احل رابطة الوطن محل رابطة الدين ،
والى جانب ذلك كان الافغاني يؤمن بوحدة الاديان الثلاثة واتفاقها
وعدم تخالفها كما يبدو من قوله : (واما ما نراه من اختلاف اهل الاديان ، فهو
صنع رؤساء بعض تلك الاديان الذين يتجرون بالدين) وهذا يعني الشعار الثاني
للماسونية وهو " الاخاء " .

-
- ١ - انظر المروة الوثقى ص ٢٥ .
 - ٢ - الاعمال الكاملة لجمال الدين ص ٥٢٢ .
 - ٣ - انظر كتاب الاسلام والتجديد ، تشارلز ادمز ص ١٠ ، ٩٥ .
 - ٤ - انظر : جمال الدين الافغاني لمحمود ابورية ص ١٢٣ .

ويؤمن ايضا بالاشتراكية (التي ستودي حقا مهضوما لاكثرية من الشعب

الغافل) " ١ "

- حسب قوله - .

ويقول ايضا عن الثورة البرجوازية الفرنسية - التي عاش العالم في حرارتها

اجيالا متعددة ، وعن الثورة الاشتراكية المنتظرة .

(والدعوة لطلب الحرية في فرنسا ، وهي دعوة ومطلب حق ، كم

صادف اهلها من المحن ، وكيف استحرف فيها القتل ، وسالت الدماء .

واليوم فالعالم يقدرهم ، ولسوق يقتدى بهم ، وهكذا ادعوى الاشتراكية .

وان قل نصرانوها اليوم فلا بد ان تسود في العالم ، يوم يعم فيه العلم الصحيح

ويعترف الانسان انه واخاه ، من طين واحد ، او نسمة واحدة ، وان التفاضل انما

يكون بالانفع من المسمى للمجموع) " ٢ "

فهو الى جانب جهه للاشتراكية وتأييده لها ، ودعوته اليها ، يتنبأ .

لها مستقبلا تعم فيه الارض .

فهي اذن حتمية ، وكلامه هذا قريب الشبه من التفسير المادى للتاريخ

عند الشيوعية " ٣ " ، (فلا بد ان تسود في العالم) .

١ - خاطرات جمال الدين ، لمحمد باشا المخزومي ص ١٨٩ / وانظر الاعمال

الكاملة لجمال الدين ص ٨٨ .

٢ - خاطرات جمال الدين ص ٢١١ .

٣ - انظر كتاب : نقض اوهام المادية الجدلية ، للدكتور محمد سعيد

رضان البوطي ، دار الفكر - بدمشق الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ -

١٩٧٩ م ، ص ٢١٢ .

وفيه ايضا جملة من مبادئ الشيوعية في هذا العصر . تجده في قوله
(وان التفاضل انما يكون بالانفع من المسمى للمجموع) وهو قريب الشبه من قولهم :
(من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته) .

وفي قوله : (ويعرف الانسان انه واخاه من طين واحد او نعمة واحدة)
فيه اشارة الى قولهم ، ان الشيوعية ستقيم حكومة عالمية كل الناس فيها شركاء في كل
شيء .

ولعل الافغاني ايضا اول من نادى باشتراكية الاسلام ، وان الاسلام
دين اشتراكي ، لانه يذهب الى ان اول من دعا الى الاشتراكية هو الصحابي
الجليل " ابو ذر الغفاري " " ١ " .

ويقول الافغاني (كل اشتراكية تخالف في روحها واساساتها اشتراكية
الاسلام " ٢ " فلا تكون نتيجتها الا ملحة كبرى ، وسيل الدماء ، وسيل المعر من

-
- ١ - صحابي جليل - جندب بن جنادة ، اسلم بمكة قد يما ثم رجع الى قومه ثم هاجر
الى المدينة وهو اول من حيا بتحية الاسلام روى له عن النبي صلى الله عليه
وسلم ماقتان وواحد وثمانون حديثا ، مات بالبيعة سنة احدى وثلاثين /
انظر رياض الصالحين للنووي ، تحقيق محيي الدين الجراح ص ٥٤ .
 - ٢ - الاولى ان نعتد عن مثل هذه المصطلحات " اشتراكية الاسلام " " ديقراطية
الاسلام " . . . لان الاسلام هو الاسلام ، انه وان كان يلتقي مع بعض هذه
المذاهب في بعض النقاط فلا يعني هذا انه مثلها ، لوجود الفرق الاساسي
بين الاسلام وغيره وهو ان الحاكم والمشرع والمعبود في الاسلام هو الله ، وفي
غير الاسلام هو غير الله . فبدلا من ان نقول الاشتراكية الاسلامية ، نقول :
" التضامن الاجتماعي في الاسلام " او " التكافل الاسلامي " . . . الخ .
انظر كتاب العدالة الاجتماعية في الاسلام ، سيد قطب ، طبعة دار
الشروق ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

الأبرياء ، ومن تخريب لبناء لا يشاء عليه شيء ينتفع به احد من الخلق) . " ١ "

محمد :- فهل كان للسيد جمال تأثير على شخصية الشيخ " محمد عبده "

في هذا المجال ؟

والجواب نعم " ٢ " . ولعل هذا هو السبب في اهمال الشيخ " محمد عبده "

لهذا الجانب من تاريخ استاذنا والله اعلم .

١ - خاطرات جمال الدين ص ٢٠٣ .

٢ - استطيع ان اقول في غير مجانبه للحق ان الشيخ محمد عبده تأثر بفكر استاذنا

جمال الدين الافغاني فكان خادما لاهدافه يرى بعينيه ويعمل بمقله ،

ويكتب بوحيه فدخل الماسونية وانشأ جمعية سرية هدفها التقرب بين

الاديان الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام .

اضف الى ذلك ما درسه الشيخ محمد عبده من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وما

كان له من اثر في تكوين شخصيته العلمية .

- تاريخ الاستاذ الامام الجزء الاول ، الصفحات (٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨)

٨١٩ ، ٨٧٣) .

- الاعمال الكاملة للامام الجزء الاول ، ص ٣٥ .

- جذور البلاء ، الاستاذ عبد الله التل ص ١٣٧ .

- اسرار الماسونية لويس شيخو ص ١٩٥ .

- رائد الفكر المصري محمد عبده ، عثمان امين ، الطبعة الثانية ص ٤٠ .

- الاتجاهات الوطنية في الاهدب المعاصر ، محمد محمد حسين

(١ : ٣٠٨) .

- اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، دكتور عبد المجيد المحتسب

(١١٥ - ١١٩) .

٢ - تلاميذه

=====

تمهيد :-

=====

لا شك ان الشيخ " محمد عبده " صاحب مدرسة فكرية تربية ...
تخرج منها كثير من القادة ، والزعماء والمفكرين ، واصحاب الاقلام ، ورجال
السياسة والحكم ...

كان " الشيخ محمد عبده " هكذا لانه كان رائدا ومرشدا ومربيا
والرواد في تاريخ البشرية قليلون ...

هذا الرائد ، شهد له بالريادة اهل السياسة ، والاجتماع ،
والادب ، والصحافة ، ورجال الدين " ا " ، ورجال الاقتصاد ...

فكان من هؤلاء :

سعد زغلول ، وحسين رشدي ، وعبد الخالق ثروت ، وعطلي

يكن في مجال السياسة والحكم .

واحمد لطفي السيد ، ومنصور فهمي ، ومحمود عزبي ، في حقل

الصحافة .

وحافظ ابراهيم ، ومصطفى المنفلوطي ، وعبد الرحمن البرقوقي ،

في الادب .

وظلمت حرب في الاقتصاد .

وقاسم امين في الاجتماع .

وفي الازهر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ المراغي .

أما رشيد رضا الطرابلسي فأشهر من ان يعرف .

وسأترجم فقط لخمسة من هؤلاء ، هم :

- ١ - رشيد رضا
 - ٢ - الشيخ العراقي *
 - ٣ - مصطفى عبد الرازق
 - ٤ - احمد لطفي السيد *
 - ٥ - قاسم امين *
- واشير الى سادس * هو " سمد زفلول " *
- وقد اكتفيت بالحديث عن هؤلاء لانهم اشهر قلاميده *
- الذين حملوا اللواء من بعده ونشروا مذهب * ودعوا اليه * . . . الامر الذي ادى الى تحول كبير في مجرى الحياة المعاصرة في طامة العالم الاسلامي * وفي مصر على وجه الخصوص *
- وفي التعريف بهؤلاء تعريف بالاثرا الذي تركه الشيخ محمد
- عده بصدده * والطراز الخاص بمدرسته * والطابع الذي تشكلت به
- الحياة العامة *

وهؤلاء للتلاميذ قسما :

أ : رجال دين ، تخصصوا في دراسة وتدريس الشريعة . . .

ب : رجال سياسة واقتصاد واجتماع . . .

من الصنف الاول : الشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ محمد

مصطفى المراغي ، والشيخ مصطفى عبد الرازق .

ومن الصنف الثاني : احمد لطفي السيد ، وقاسم امين ، وسعد

زغلول .

أ = الصنف الاول :

=====

١ - " محمد رشيد رضا " :

=====

في قرية القلمون من جبل لبنان ، ولد الشيخ " محمد رشيد رضا " ،

بتاريخ ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ " ١ " ، " ٢ "

التقى بالشيخ " محمد عبده " سنة ١٨٩٨ م ، اللقاء الثالث الذي

صيره تلميذا للشيخ محمد عبده .

اما اللقاء الاول فقد حصل في طرابلس الشام بعد عودة الشيخ من

اوربا .

وتم اللقاء الثاني ايضا في طرابلس سنة ١٨٩٤ م ، وكان الشيخ

محمد عبده يصفاه هناك ، فلزمه رشيد ليل نهار ووثق علاقته به . واحبه كما

يحب والده ، وهو اول من اطلق عليه لقب " الاستاذ الامام " ، وكان يؤمن ان

الشيخ محمد عبده هو (بقية رجال المسلمين) . " ٣ "

-
- ١ - توافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٦٥ م .
 - ٢ - رشيد رضا عصره وحياته ومصادره وثقافته ، الدكتور احمد الشواصي ص ١٠٢ .
 - ٣ - انظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٩٥) .

١ - " ترجمان افكاره " :

=====

وتق الشيخ محمد عبده برشيد فجمله ترجمان افكاره ، وكان
يجه كثيرا ، ويؤثره على غيره حتى انه قال مرة لصديقه الشيخ " عبد الكريم
سليمان " ،

(اما ان تكف عن السيد رشيد ، واما ان استغني انا عن

صحبة اربعين سنة) " ١ " .

وكان الشيخ عبد الكريم ، اراد النيل من اخلاص السيد رشيد للشيخ

محمد عبده .

وقال :-

(ان الله بعث بهذا الشاب ليكون مدادا الحياتي ، ومزيذا في عمري ،
ان في نفسي امورا كثيرة اريد ان اقولها او اكتبها للامة ، وقد ابطيت بما اشغلني
عنها ، وهو يقوم ببيانها الان ، كما اعتقد واريد ، وانا اذكرت له موضوعا يكتب
فيه ، فانه يكتبه كما احب ، ويقول ما كنت اريد ان اقول ، وانا اقلت له شيئا
مجملا ، بسطه بما ارتضيه من البيان والتفصيل ، فهو يتم ما بدأت ، ويفصل
ما اجملت ، وقد رايت في سفرى هذا من آثار عمله وتأثيره ، ما لم اكن اظن ولا
احسب ، فهو قد انشا لي احزابا واوجد لي تلاميذا واصحابا ، (" ٢ ")

وعن الرابطة الروحية بينهما يقول رشيد : (علاقتي بالاستاذ

روحية اصلاحية محضة) " ٣ " ،

١ - الاعمال الكاملة للامام محمد عبده (٣ : ١٣١) .

٢ - الاعمال الكاملة للامام (٣ : ١٣١) .

٣ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٠١١) .

وفي موضع آخر يقول : (طاربي هذا العشق الروحي بعد وفاة السيد
" جمال الدين " الى الاستاذ الامام ، وكان قد علم بحبي له ، وظن انه كحسب
الالوف من الناس للعلماء والنصحاء ، والكتاب ، والخطباء ، وبعد محاورات
ومسايرات كثيرة تتابعت من اواخر رجب الى العشرة الاخيرة من شوال ، علم ان هذا
الحب نوع آخر لم يعرف له ضربا الا حبه للسيد " جمال الدين " . " ١ "
وعن علاقتهم في المعاشرة العادية يقول رشيد (ولكثرة ما يراني الناس
معهم كما كاللزام والملزوم اللذين لا ينفك احدهما عن الاخر) . " ٢ "
وعن حياتهما العملية قال رشيد : - (كنا كروح واحدة في جسدين ،
كان يكاشفني بجميع افكاره واسراره في علاقته بالحكومة ، والخدمى ، واللورد كرومر ،
ورئيس النظار ، وفي اعماله في الازهر ، ومجلس الشورى ، ومجلس الاوقاف الاعلى
وبعهد الي بكتابة بعض المقالات في الجرائد لتأييد رأيه ، وتفنيده آراء مخالفيه) .
" ٣ "

٢ - " الوارث الاول " :

=====

يقول الامير شكيب ارسلان عن الشيخ رشيد رضا : (وهو الاولى بأن
يخلف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مشروعه) . " ٤ "
ومحمود ساهي البارودى صديق قديم للشيخ " محمد عبده " : قال له
مرة : - (ان السيد جمال الدين قد ترك لنا ، ففقت بالاصلاح بعده ، خير قيام ،
واني لخائف ان تنقطع السلسلة بعدك ، فبشرني هل عندك احد ترجوان يتصل بسره
سير الاصلاح ؟

-
- ١ - نفس المصدر ص ١٠١٢ .
 - ٢ - نفس المصدر ص ١٠١٣ .
 - ٣ - نفس المصدر ص ١٠١٦ .
 - ٤ - حاضر العالم الاسلامي ، لوشوب ستودارك (١ : ٢٨٣) .

قال : نعم ، عندي شاب سوري يقوم بذلك ، وسأرسله اليك لتعارفاً (" ١ ") .
ويقول صاحب كتاب : " التفسير والمفسرون " ، الشيخ محمد حسين

الذهبي :-

(ان الشيخ رشيد هو الوارث الاول لعلم الاستاذ الامام اذ انه
اخذ عنه فوعى ما أخذ ، والف في حياته ، وبعد وفاته ، فكان لا يحيد
عن منهجه ، او ينحرف عن افكاره) (" ٢ ")

٣ - " المدافع الاول " :

=====

كان الشيخ رشيد متقفاً في الجملة مع لسانه في العقيدة والفكر والرأى
والخلق والعمل ، وكان يدافع عنه دفاع الابن عن ابيه عند تعرضه للخطر ،
ويرد على منتقديه ، وايضا على الذين ينتقدون الافخاني ويوجهون اليه التهم .
فمثلاً : حين ترجم السيد " سليم العنجزوري " للسيد جمال ذكر
انه كان (يكثر من شرب الشاي والتبغ ، واذا تعاطى مسكراً فقليلاً من الكونياك) (" ٣ ")
والشيخ رشيد الذي اورد هذا القول : يرد عليه ويبرر فعله بقوله
(ولم نسمع حتى من اعدائه انه كان يشرب المسكرات ، فان لم يكن ما قيل من
شربه لقليل من الكونياك الافرية ، فيحتمل ان يكون له شبهة ، كأن يكون رآه
الناقل يشرب شيئاً ، يشبه الكونياك ، او يكون شرب ذلك القليل تداوياً " ٤ " فظنه
الناظر عادة .

١ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٩٥) .

٢ - التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ص ٢٤٢ ، دار الكتب

الحديث ، الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

٣ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٤٩) .

٤ - ان التداوى بالمحرمات يحرم لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " ما جعل =

وهذه الشبهات كثيرة ، وقع لي منها ما ظن به من لا يعرفني الا

بالسمع انني افطر في رمضان متعمدا) . " ١ "

ومثلا : لما اجتمع الشيخ " يوسف النهباني " بالشيخ رشيد سنة

١٣٢٦ هـ " ٢ " ، ذاكراه بشأن " الشيخ محمد عبده " وقال له : (من المعلوم

المسلم انه كان يترك كثيرا من الصلوات بلا عذر ، وانا نفسي راقته من وقت الضحى

الى قبيل المغرب ، عند رجل كان دطانا في جبل لبنان ، فلم يصل الظهر ولا

العصر ، ولم يكن له عذر ، بل كان بكامل الصحة ، ورأيت الظهر والعصر

ولم يصلهما) . " ٣ "

فعلم الشيخ رشيد تركه لبعض الصلوات ، وقال في الجواب عنه

(لعل مذهبه يجوز الجمع في الحضر) . " ٤ "

= الله شفاء امتي فيما حرم عليها " . وما جوزه رشيد هو القول الثاني للشافعي ،

وهو خلاف مذهب احمد ومالك وابي حنيفة . / انظر كتاب : الاضاح عن

معاني الصحاح ، ليحيى بن محمد بن هبيرة ، المؤسسة السعيدية بالرياض

(٢ : ٢٧٠) .

١ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٥٣) .

٢ - توافيق ١٩٠٨ م .

٣ - العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية ، يوسف بن اسماعيل البهباني ، ص

٣٤ وما بعدها .

٤ - يجوز عند مالك الجمع في الحضر للمطر في المغرب والعشاء دون الظهر والعصر

وعند الشافعي واحمد يجوز ايضا الظهر والعصر . وقال ابو حنيفة : لا يجوز

ذلك على الاطلاق ، الا بعرفة والمزدلفة في حق المحرم .

انظر : الاضاح عن معاني الصحاح (١ : ١٥٧ - ١٥٨) .

ولم يقل احد من الائمة ان الظهر والعصر يجزمان مع المغرب والعشاء .

٢ - " محمد مصطفى المراغي "

=====

ولد الشيخ " المراغي " " بالمرافة " من " جرجا " من " صعيد مصر " عام ١٨٨١م ، ونشأ كما ينشأ الطلاب من أبناء الصعيد حفظ القرآن وارتقى في الدرس حتى دخل الازهر الشريف ، فدرس فيه وتلمذ على " الشيخ محمد عبده " .

كان " المراغي " اخلص اخوان الشيخ محمد عبده ومريديه ، وذلك بسبب مكابذته في سبيل ما يسمى " باصلاح الازهر " .
فقد استطاع ان يرسم طريقا جديدا للزهر ، وان يغير الكثير من مناهج التعليم وطرأقه ، وهو المراد " باصلاح الازهر " .
كان الشيخ " محمد عبده " من المعجبين به ، فرشحه للقضاء في السودان ، فوليه سنة ١٩٠٤م .

وفي السودان قامت بينه وبين الانجليز صلات ومودة ، فتعلم لغتهم ، وتشرب من افكارهم وآرائهم فأحضر الى مصر واسندت اليه مشيخة الازهر سنة ١٩٢٨م .

ويبدو انه فرض فرضا في هذا المنصب ، وخطا عن الملك فؤاد وعن المشايخ الازهريين ، فحدثت ضجة ، قام بها الازهريون بحجة انه لا يصلح لهذا المنصب ، وليس اهلا له . . . الى ان استقال بعد عام تقريبا ، لهذا السبب ، ولعدم استجابة الملك فؤاد لبرنامج الاصلاح . " ١ "

ظل المراغي بعيدا عن مشيخة الازهر حتى سنة ١٩٣٥م ، فولي المشيخة من جديد ، وفي هناك عشر سنوات ، انشأ خلالها ، كلية اللغة العربية وكلية اصول الدين وكلية الشريعة ، ووافد البحوث الازهرية الى البلاد الاوروبية ، واحيا تقليد

الشيخ " محمد عبده " في التدريس " بالرواق العباسي " ١٠ " ١ "

يقول " المراغي " في حفل تكريم اقيم له ، بمناسبة عودته للازهر الشريف عام ١٩٣٥م : (لا ننسى ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور ، الذي نهتمى به في حياة الازهر العامة ، ويهتدى به علماء الاقطار الاسلامية في فهم روح الاسلام وتعاليمه ، ذلك الانسان الذي نشر الحياة العلمية ، والنشاط الفكري ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القران ، وجر الطريق لتذوق سر العنبرية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا ينيان الا على العلم والتقوى " ٢ " ، ومكارم الاخلاق ، وذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر الا بعد ان امن في التاريخ " الاستاذ الامام محمد عبده " قدس الله روحه وطيب ثراه ٠٠٠) ٠ " ٣ "

شهد العلماء بتلمذته ، وتقمص شخصية شيخه ، فقال الشيخ شلتوت رحمه الله : (ان الشيخ المراغي ما خرج بروحه وعلمه وقله وتفكيره عن ان يكون تلميذ الاستاذ الامام " محمد عبده ") ٠ " ٤ "

ويقول صاحب كتاب " مناهج المفسرين " : (واظهر نبوغا وذكاء وجداف في التحصيل والدرس ، ولازم دروس الاستاذ الامام " محمد عبده " ونهل من معينه وهو يمد من مدرسته) ٠ " ٥ "

-
- ١ - الامام محمد عبده ، للجندى ص ١٢٠ .
 - ٢ - وذلك في قول الشيخ محمد عبده (سرية للمجد هوفا فيرندي عجل : على اساس من التقوى اراعيه) .
 - ٣ - تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، بقلم انور الجندى ، الطبعة الاولى ١٩٢٠م ص ٨٨ .
 - ٤ - الامام محمد عبده ، عبد الحليم الجندى ص ١٧٠ .
 - ٥ - مناهج المفسرين ، تأليف الدكتور : منيع عبد الحليم محمود ، الطبعة الاولى ١٩٢٨م ص ٣٣٩ .

ويقول " الجندی " في تراجم الاعلام المعاصرين : (والحق ان الامام " محمد مصطفى المراغي " ثمرة من ثمار الازهر ، ورائد طريق اليقظة الاسلامية ، والتجديد ، والاصلاح ، والاجتهاد ، وانه خطوة تالية لاستاذه الامام " محمد عبده ") . " ١ "

ويقول الشيخ الذهبي رحمه الله : (لم نعرف من رجال هذه المدرسة رجلا ثائرا بروح الاستاذ الامام ، ونهج على طريقته من التجديد ، واطراح التقليد ، والعمل على تنقية الاسلام من الشوائب التي الصقت به ، وتنبيه الغافلين عن هديه وارشاده مثل الاستاذ الاكبر الشيخ " محمد مصطفى المراغي " رحمة الله ورضوانه عليه) . " ٢ "

" انفع الناس بحلمك تكن عالما " :

=====

يذكر الشيخ المراغي " وصية " اوصاه بها الشيخ محمد عبده ليلة سفره الى السودان لتولي القضاء في احدى مدنها فيقول :-
(ودعته ليلة سفرى الى السودان لتولي قضاء مديرية " دنقلة " فمما قال لي : انصحك بأن تكون للناس مرشدا اكثر من ان تكون قاضيا ، وانا استطعت ان تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم ، فان الاحكام سلاح يقطع العلاقات ، بين الاسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجروح .

١ - تراجم الاعلام للمعاصرين ص ٤٣٢ .

٢ - التفسير والمفسرون ، للشيخ الذهبي ص ٢٥٦ .

وسألني هل تعرف تعريف " العلم " ؟ فقلت نعم : وكنت

أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم . فسردت بعضها .

قال : اسمع مني تعريفا مفيدا : " العلم هو ما ينفعك وينفع الناس "

وقال : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت : لا . قال : اذا انت

لست بعالم فانفع الناس بعلمك تكن عالما . " ١ "

جلس الناس يستمعون الى الشيخ المراغي في المساجد ، وتلاحقت

دروسه في كل مكان ، وانتفع الناس بعلمه حتى واقته المنية سنة ١٩٤٥ م ،

فخلف من بعده مشيخة الازهر تلميذ آخر من تلاميذ الشيخ " محمد عبده " ،

لا يقل اهمية عن الشيخ " المراغي " انه الشيخ " مصطفى عبد الرازق " .

٣ - " مصطفى عبد الرازق "

=====

في صعيد مصر أيضا ، في قرية " ابي جرج " من اعمال
" المنيا " ، ولد الشيخ " مصطفى عبد الرازق " عام ١٨٨٢ م .
ونشأ كما نشأ " المرافي " طفلا صعيديا ، وكثيره من اطفال
القرية ، المصرية المحافظة ، وتعلم في الازهر الشريف ، حتى نال الشهادة
المالمية وعين مدرسا في القضاء الشرعي .
تتلمذ في الازهر على الشيخ " محمد عبده " ، فسمع دروسه ،
وتلقى توجيهاته ، وارشاده ، وخاصة ما يتعلق منها في الادب .
يقول الشيخ مصطفى : (وطالمت بارشاد " محمد عبده " ،
" ديوان الحماسة " ، " ونهج البلاغة " ، فحسنا ما كان خبا من نوحى
الادبي (٠٠٠) " ١ .

أ :- " تأثيره بالشيخ محمد عبده " :

=====

اما الاثر الذي تركه الشيخ " محمد عبده " في هذا التلميذ

فيرويه هو نفسه وهو يصور حالة الازهر يومئذ فيقول :-

(لم تكن دراستي في الازهر على طول مدتها بالتى تشبع رغبتي في

العلم ، وتحقق لروحي ما تتطلع اليه من الاطمئنان ، ولكن الدروس التى كنت احضرها

في الازهر على الاستاذ " محمد عبده " كانت تنسيبني ما اشعر به من مرارة ، وتصد

عن نفسي السأم واليأس ، اللذين كانا يساورانها اذ ذاك ، فلما انقطع رضوان الله

عليه عن التدريس في الازهر طوطني هذا اليأس وذاك السأم ، واسودت دنياي

الدراسة في الازهر امام عيني فكرهت المضي فيها ، بيد انى رأيت ان لا اتركها قبل

ان استتير برأى الاستاذ الامام ، فبعثت اليه بكتاب فيه :
اني نظرت في امرى بعد ان قضيت ما قضيت في " الجامع الازهر " واضعت ما
اضعت من صحتي وشبابي ، في طلب العلم فلم اجد ثمنا لما بذلت ، الا حشدا من
الصور والخيالات لا تضيء البصيرة ولا تبعث المعزومة ، ولا تعدد للسعادة في الحياة
الدنيا ولا في الحياة الاخرى

طلبت السبيل الى العلم النافع فما وجدت الدليل ، ولا اهتديت الى
السبيل وقد هدتني اليك خاتمة اللطاف ، وفاتحة اللطاف ، فحجتك امالك ان
تعلمني مما علمك الله

وها انذا ابسط يد الرجاء اليك ، ولم ابسط لغيرك يدا ، وارفع
اليك اميتي في الحياة ، وقد وضعت املتي ببابك ، ومثلك من لا يخيب ببابه الامل . . .
فاستدعاني الامام وقال لي : " ان الحق معك ، وقد مررت مثل
حالتك ، وغاية ما استطيت ان ارشدك اليه ، - قبل نيلك شهادة الازهر - هو
ان تعنى الى جانب راسك الازهرية بالتزود من الدرامات الادبية " .
واختار لي طائفة من الكتب لاطالعها في اوقات فراغي ، وما اشك ان
هذا التوجيه الصائب كان له اثر كبير في ثقافتى الادبية ، ان صار مني ميلا الى هذه
الناحية كان يغذيه والدى رحمة الله عليه) " ١ "

ب - " ثقافته الغربية " :

=====

سافر الشيخ " مصطفى " الى باريس ، شيخا ازهريا معصما ، يغدو
وينوح بين الباريسيين ، بكل فخر واعتزاز ، على رأسه تاج الازهر ، يتباهى
به على اعين الناس ، لا يمنعه من لبسه ، عزيمة باريس ، ومفاتيحها

وفي " السوربون " " ١ " ، تلقي دروس علم الاجتماع على " دوركايم " " ٢ " ثم التحق في " ليون " بمدسة اللغات الشرقية .
ج - العودة الى مصر " :

=====

عاد الى مصر عام ١٩١٤م ، واشترك في تحرير " الجريدة " والسياسة الاسبوعية " . ثم عين سكرتيراً عاماً للمعهد الديني ، ثم مفتشاً بالمحاكم الشرعية ، ثم استاذاً بالجامع الأزهر .
ولي الشيخ " مصطفى " وزارة الاوقاف مرات ، وتولى مشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ " المرافي " سنة ١٩٤٥م .
سار على درب استاذة الامام محمد عبده في اصلاح الأزهر نحو عامين الى ان توفاه الله سنة ١٩٤٧م ، وان لم يكن له في توجيه سياسة الأزهر اثر بارز .

-
- ١ - جامعة السوربون ، من اعظم واشهر الجامعات في اوروبا ، وقد درس فيها عدد كبير من المهتمين العرب .
 - ٢ - يهودى نمساوى ، صاحب نظرية " المقدد الاجتماعي " ، وهو استاذ " طه حسين " وغيره من الادباء المصريين .

ب : " تلاميذه من الصنف الثاني "

=====

رجال السياسة والاقتصاد ، والاجتماع . . .

١ - احمد لطفي السيد . . .

٢ - قاسم امين . . .

٣ - سعد زغلول . . .

١ - " احمد لطفي السيد "

=====

" الخليفة الأول " :

=====

كان اللقاء الاول بين " احمد لطفي " والشيخ محمد عبده ،
سنة ١٨٩٤م وهو ما زال طالبا ، في مدرسة الحقوق ، حين انتدب الشيخ
محمد عبده للاشتراك في امتحان الطلبة المقبلين على التخرج ، ومن بينهم
" احمد لطفي السيد " .

وهذا يعني انه صحبه في المرحلة النهائية في مدرسة الحقوق .
يقول احمد لطفي : (ومنذ ذلك اليوم لزمته) " ١ " .

يرى الدكتور " عثمان امين " ان " احمد لطفي " يعد بحق خليفة
الاستاذ الامام في نضاله الوطني ، وثورته الاجتماعية ، وانطلاقه للاصلاح . . .

١ - انظر كتاب رشيد رضا صاحب المطار ، الشواحي ص ٢٧٠ ، نقلا
عن كتاب : احمد لطفي السيد (استاذ الجيل) تأليف الدكتور /
حسين فوزي النجار ، المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف
والترجمة ص ٤٨ .

وانه مكمل لرسالته في ميادين السياسة ، والاخلاق ، والاجتماع ، ، ، ،
اول ما برز اسمه في صحيفة " الجريدة " لسان حال
" حزب الامة " ، وقد عرفت هذه الصحيفة في عهد اشرافه عليها باصرارها على
الدفاع عن دعوة الاصلاح والتجديد التي نادى بها " الشيخ محمد عبده " ، ، ،
ومن ناحية اخرى يرى الدكتور " عثمان امين " ان احمد لطفي
السيد قد كمل بالفعل رسالة الشيخ محمد عبده في وجه آخر من وجوه الدعوة الى
التنبيه والتنوير " ١ " ، حيث اسهم مع سعد زقلول ، وقاسم امين في مواصلة
الجهود لتحقيق امنية الشيخ محمد عبده ، في انشاء جامعة هصرية الى جانب
الازهر الشريف . " ٢ "

٢ - قاسم امين

=====

ولد قاسم امين لاب " تركي " وام " هصرية " سنة ١٨٦٣ م " ٣ "
تلقى تعليمه الابتدائي في الاسكندرية ، ثم رحل مع أسرته الى
القاهرة ، ودخل المدرسة " التجهيزية " - القسم الفرنسي - .
التحق بمدرسة الحقوق والادارة ، ونال شهادة " الليسانس "
وهو في العشرين من عمره .
اتجه الى العمل بالمحاماة ، فعمل في مكتب " مصطفى فهمي "
للمحاماة .

-
- ١ - هي في الحقيقة دعوة الى التوبة والتعميم ، تلك التي دعا اليها
قاسم امين .
 - ٢ - المصدر السابق ص ٢٧٠ نقلا عن كتاب احمد لطفي السيد
ص ٣٤ ، ٣٥ .
 - ٣ - انظر معجم المؤلفين ، لمحمد رضا كحالة .

أ - " في باريس " :

=====

سافر الى فرنسا سنة ١٨٨١ م ، في بعثة دراسية ، وانظم في جامعة

" مونبليه " .

التقى بالشيخ محمد عبده في باريس حوالي سنة ١٨٨٣ ، وكان

مترجما له ، اثناء اقامته في باريس ، وجعله عضوا في جمعية " الصروة الوثقى " . " ١ "

قرأ قاسم لكل من " نيتشه " ، " وداروين " ، " وماركس " .

عد الى مصر ، فعمل في سلك القضاء فبرز اسمه ولكن على نطاق ضيق .

ب - " في مصر " :

=====

عمل قاسم بعد عودته الى مصر ، في سلك القضاء ، في وظيفة نائب

قاض ، في الاستئناف ، مع " سعد زغلول " وقرار واحد عام ١٨٩٢ م " ٢ " .

وكان تعيين " سعد " امرا ادعش كثيرا من قضاة المحاكم الابتدائية

واغضبهم " ٣ " .

ومن هذا التاريخ بدأت صلة قاسم بسعد تزداد قوة على حد قول سعد

(فاخططنا مع بعض اختلاطا شديدا ، وتلا زمنا تلازما عظيما ، فلم يعرفوا لم

تأكل فيه معا ، وكلما عرض لاحد امرا او فصل مهما كان ، حدث فيه الاخر

عند اول اجتماع معه) . " ٤ "

١ - قاسم امين ، تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر القاهرة ، وزارة

الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ص ٤٧ .

٢ - سعد زغلول لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٢ .

٣ - انظر مذكرة محمد فريد القسم الاول ص ١٢٧ - ١٢٨ ، (لانهم يرون

انه قلا يستحق هذا قبل ان يتدرج اليه ، وهم احق به منه) .

٤ - سعد زغلول لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٣ .

ج : - " في الطريق الى صالون نازلي فاضل " :

=====

ولما كان سعد ركنًا مهمًا في صالون " نازلي فاضل " ، نظرًا لصلته
القوية بها فقد قاد صديقه قاسم امين معه ، وهناك التقى قاسم بالشيخ " محمد
عبد " ثانية . وصارا صديقين حميمين تحت سقف واحد .
وفي هذه الفترة ظهر كتاب باللغة الفرنسية للدوق " داركور " تناول
فيه مختلف مظاهر الحياة في مصر بالنقد والتجريح " ١ " .
ولما كان قاسم اكثر اعضاء الصالون فهماً للفرنسية ، وكانت للصدمة التي
شعر بها من تناولهم الاتهام قوية ، فقد كلف قاسم بترك الاتهامات التي الصقها
الكاتب الفرنسي ، بمصر والمصريين ، فقال للمؤلف الصاع صاعين وثلاثة ، ورد
هجومه على الحضارة الاسلامية ، والنظام الاجتماعي في مصر " ٢ " .
ويبدو ان دفاع قاسم عن مصر والمصريين ، لم يكن نابعا من صميم قلبه ،
وانما كان يقصد الدفاع عن " الذات " فقط ذات مصر والمصريين ، لانه مصرى احب
مصر واهل مصر . والا لما تراجع عن افكاره وآرائه التي ضمنها كتابه الاول
" الرد على الدوق داركور " ، ولف كتاب " تحرير المرأة " واتبعه بكتاب
" المرأة الجديدة " اللذين كان لهما اكبر الاثر في سفور المرأة المصرية .

د : - " محمد عبده وقاسم " :

=====

الحديث عن الاثر الذي تركه الشيخ محمد عبده " في قاسم امين " على
جانب كبير من الاهمية ، ذلك ان " قاسم امين " تعرض الى هجمة من البرنس
نازلي فاضل لان الرد في نظرها لم يكن في صف النهضة النسائية التي تتزعمها ،

١ - قاسم امين ، تأليف ماهر حسن فهمي ص ١٠٠ - ١٠٥ .
٢ - الاعتصام ، العدد التاسع ، آب / اغسطس ١٩٧٩م ص ١٨ .

ففكرت في تكليف شخص آخر "١" ان يرد على "قاسم" .
ولكن الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول وغيرهما ، توسطوا
في الامر ، على ان يتقدم "قاسم" بالاعتذار الى "نازلي" ، ففعل ، ثم عاد
يتردد على صالونها . "٢"
وفي هذه الاثناء تزوج قاسم من "فتاة تركية كانت تحت رعاية مربية
انجليزية" . "٣" فكان لهذا الزواج اثره على تفكير قاسم .
وتوسط "قاسم" لصديقه "سعد" فزوجه من ابنة استاذ
"مصطفى فهمي" رئيس النظارة ، "٤" فأصبحت زوجة قاسم ، وزوجة سعد
صديقتين ، حتى ان زوجة قاسم كانت توسط عائلة سعد عندما تغضب من زوجها ،
او يغضب منها . "٥"
وعندما تصدى قاسم امين ، لموضوع المرأة ثانية ، وجد من الشيخ
"محمد عبده" كل تشجيع .
ويتردد ان الشيخ محمد عبده له ضلع في اخراج هذا الكتاب "٦" ،
فقد اجتمع قاسم امين به ، وتلا عليه بعض فصول كتابه "تحرير المرأة" في

-
- ١ - فارس نمر صاحب المقطم / انظر الاعتصام | ص ١٩ .
 - ٢ - الاعتصام ، العدد التاسع ، آب / اغسطس ١٩٢٩ م / ص ١٨ - ١٩ .
 - ٣ - قاسم امين ، ماهر حسن فهمي ، ص ٦٩ .
 - ٤ - سعد زغلول ، سيرة وتحية ، تأليف عباس محمود العقاد ، مطبعة
حجازي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م | ص ٥٢٨ .
 - ٥ - قاسم امين ، ماهر حسن فهمي ص ١٥٨ - ١٥٩ .
 - ٦ - ويقال : ان اللورد كرومر هو صاحب الفكرة في هذا الكتاب / انظر كتاب
قاسم امين ، لماهر حسن فهمي ص ١٥٨ .

جنيف عام ١٨٩٧م . " ١ "

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه لدرجة ان الشيخ
محمد عبده اتخذ من " المنار " مجلة تؤيد " قاسم امين " فكلف رشيد رضا ،
ليمدح هذا الكتاب ويثني عليه ويثبم المعارضين من الازهر الشريف بالثرثرة والسير
على غير هدى . " ٢ "

هـ : — " المرأة الجديدة " !

=====

اثارت الآراء التي عرض لها قاسم امين في " تحرير المرأة " ثائرة
كثير من المفكرين في عصره ، وشغلت الصحافة ، وكان ردا الفعل تجاه كتابه
مغاوتا فبينما ايده بعض المفكرين ، ندد آخرون بما جاء فيه .

= تحت عنوان " علاقة محمد عبده بالكتاب " قال محمد عمارة : (والرأى الذى
أؤمن به والذى نبع من الدراسة لهذه القضية ، هو ان هذا الكتاب انما جاء
ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده ، وقاسم امين ، وان في
هذا الكتاب عدة فصول ، قد كتبها الاستاذ الامام وحده ، وعدة فصول اخرى
كتبها قاسم امين ثم صاع الاستاذ الامام الكتاب صياغته النهائية) .
انظر الاعمال الكاملة للامام محمد عبده (١ : ٢٥٢) .

١ — قاسم امين ص ١٥٨ — ١٥٩ .

٢ — الغريبان " المنار " اول صحيفة بادرت الى تأييد قاسم امين ، فقالت :
(ان اكثر المنتقدين يسيرون على غير هدى ، ويشترشون بما اتعليه عليهم
خيالاتهم التي اثارتها احوالهم وطوائفهم) .
انظر : قاسم امين ، لهما هر حسن فبهى ص ١٧١ .

ومن المندوبين " الشيخ محمد احمد حسنين البولاقي " الذي الف كتابا في الرد عليه اسماه " الجليس الانيس في التحذير عما في تحرير المرأة من تلبيس " ١ " ٠ "

ومنهم " محمد فريد وجدى " الذي وضع كتابا اسماه " المرأة

المسلمة " ٢ " ٠ " ردا على كتاب قاسم .

ومنهم : " محمد طلعت حرب " في كتابه " تربية المرأة والحجاب " ٣ " ٠ "

أما موقف الصحافة فكان يتأرجح بين التأييد الذي لا حد له ، وبين

المعارضة لبعض جوانب دعوته ، وحملت صحيفة " اللواء " ٤ " ٠ " لواء المعارضة وفتحت صفحاتها لأقلام المعارضين .

أما صحيفة " المؤيد " ٥ " ٠ " و " مجلة المنار " ٦ " ٠ " ، وجميع

المجلات التي يحررها النصارى الذين يعيشون في الارض " الفساد " ٧ " ٠ " فكانت تؤيد الكتاب وصاحبه .

وهكذا وجد قاسم امين نفسه بين فئتين من الناس ، فئة تؤيده ، وطى

١ - الجليس الانيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس " تأليف

محمد احمد حسنين البولاقي مطبعة المعارف الاهلية ، ١٣١٧ هـ /

١٨٩٩ م ص ٣ وما بعدها .

٢ - المرأة المسلمة ، تأليف محمد فريد وجدى . الطبعة الاولى ، مطبعة الترقى

١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م ص ٥ وما بعدها .

٣ - تربية المرأة والحجاب ، تأليف محمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بصر ،

الطبعة الثانية ١٣٢٣ هـ . ص ٩ وما بعدها .

٤ - اللواء ، مصطفى كامل ، القاهرة ١٩٠٠ م / في ٣١ يناير كانون ثاني ١٩٠١ م

وفي ٢٤ ، ٢٧ فبراير ، شباط ١٩٠١ م .

٥ - المؤيد ، الشيخ علي يوسف ، القاهرة ١٨٨٩ م / ٣٠ سبتمبر ايلول

١٨٩٩ م .

٦ - المنار ، السنة الثانية الاعداد ١٨ ، ٢٤ سنة ١٨٩٩ م .

٧ - منها : - مجلة الضياء ، ابراهيم اليازجي القاهرة ١٨٩٨ م .

رئيسها الشيخ محمد عبده ، وتلميذه رشيد ، واخرى تعارضه وتنتقده يمثلها علماء الازهر ومعظم المخلصين .

فأخرج كتابه الثالث " المرأة الجديدة " هذا واستكبارا ، واستمرارا في دعوته اصرفه على الاخذ بالقيم الخيرية ، والقسوة في الحكم على الحضارة الاسلامية والسخط على المعارضين من العلماء والمشايخ " ١٠٠٠ " وهكذا ذاع صيته في الافاق حتى صار يطلق عليه محرر المرأة والصلح الاجتماعي قاسم امين .

أما سعد ، فما الظاهر انه اراد ان يكمل سيرة قاسم امين في ضرورة تحرير المرأة ، فأظن انه شارك " قاسما " افكاره في الكتاب الثاني الذي اهداه قاسم اليه . " ٢ " .

واعتبر نفسه من انصار تحرير المرأة ، وبالفعل عمل على سفور المرأة حتى لقب بلقب الزعيم السفوري الجليل . " ٣ " .
ويبدو ان تصرفاته الطائشة هي التي جعلت رشيد ضايفه
" بالتفريح " في قوله :

(ثم ان سعدا دخل في اطوار التفريح في معيشته وافكاره الاجتماعية ، والقانونية ، وغلبت الترفة الوطنية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية) . " ٤ " .

= : - والفتتاف ، ليعقوب صروف ، وفارس نمر ، القاهرة ١٨٧٦م .

: - انيس الجليس ، الكسندرة اقريشوه ، الاسكندرية ١٨٩٨م .

١ - انظر رسالة : قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر ص ٨٢ - ١٢٠ ، بتصريف .

٢ - اثار الزعيم سعد زغلول ، جمع وترتيب محمد ابراهيم الجزيري ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م (١ : ٦٨ - ٧٣) .

٣ - صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة ، تأليف الدكتور طه وادي ، مركز كتب الشرق الاوسط ١٩٧٣م ص ٤٠ .

٤ - الاسلام والتجديد ، لتشارلز ادمز ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

الفصل الخامس : ثقافة الشيخ محمد عبده ، مواهبه ، اثاره

=====

وهو ثلاثة مباحث :

- المبحث الاول : مصادر ثقافته واثرها على فكره .
 - المبحث الثاني : مواهبه .
 - المبحث الثالث : تراثه الادبي والفكري .
- 1 - " مصادر ثقافته " :

=====

وهي ثلاثة :-

- أ - القرية وما تعلمه فيها .
- ب - مصادر ثقافته العربية .
- ج - مصادر ثقافته الغربية .

أ : " في القرية "

=====

في جو القرية المصرية ، نشأ الشيخ محمد عبده ، وفي " محطة

نصر " تلقى دراسته الاولية ، وفي غرفة صغيرة اسمها " الكتاب " تعلم بهادى

القراءة والكتابة ، وعلى يد حافظ للقران ، حفظ كتاب الله ،

وفي الطريق الى " المسجد الاحمدى " بطنطا ، تلقى لونا اخر

جديدا من المعرفة امتازبه عن معظم لداته ، فتعلم صفاء القلب ، وسمو الروح ،

وتهذيب النفس ، وتوكيد اواصر الاخوة والمحبة .

في قريتين ، قريتين ، " محطة نصر " و " كنيسة اورين "

جمع لونين من المعرفة :

1 - في قريته : حفظ القران فاستفاد بذلك زادا ثقافيا جديدا ، بالاضافة

الى تقويم السانه وحسن بيانه •

٢ — وفي قرية الشيخ " د رويش " : تعلم الصوفية التي تسمو بالروح وتهذب

النفس •••

فهو بهذين اللونين استفلاح ان يكون معرفة عقلية للمعلوم

الاسلامية • ومباشرة عملية لتهديب النفس وترويضها •••

كان في هذه المرحلة لا يقنع بالامر الواقع المشاهد • ولا يقف في تعليقه

عند حلقة من حلقات اسبابه • بل يرجع الى اسبابه الاولى ويصمد للتعرف على

نتائجه الاخيرة •

يقول الاستاذ سليمان دنيا : (والشيخ محمد عبده رجل كبير

المقل • جرى القلب • يستطيع ان يفهم ما يقوله الناس على الوجه الذي

ارادوه • ولا يتهمب ان يقول فيه ما يبدو له انه حق • وهو الى جانب كبر

عقله وجراة قلبه • قد اتيح له من الفراغ ما ملاهه بالقراءة والاطلاع) • " ١ "

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين • تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا

القسم الاول • الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م دار احياء الكتب

العربية ص ٨ •

ب- مصادر ثقافته العربية

=====

وصل الشيخ محمد عبده الى " القاهرة " ، ليتم دراسته في
" ازهرها " ومنه حصيله علمية ، بز فيها لداته ، وتفوق على معظم اقرانه .
وهناك في الازهر راح ينهل من معين الثقافة الصافي ، فدرس
القواعد العربية من نحو وصرف وعروض ، والبلاغة باقسامها .
كما درس التاريخ الاسلامي ، وصر الصحابة والتابعين ، والدولة
الاموية والعباسية حتى تاريخ الدولة العثمانية .
ودرس علوم الدين الاسلامي : الفقه واصوله ، والحديث ورواته
والتفسير والمفسرين ومناهجهم ، والقران وطومه واعجازه
لم يقنع الشيخ محمد عبده بهذا ، وكان يرى انه غير كاف في تنمية
ملكة الطالب ، وتكوين عقليته ، نتيجة للتشجيع الذي وجده من الشيخ درويش
على التزود بالفلسفة والمنطق والهندسة والرياضيات .
وفي ضوء ذلك لجأ الى الشيخ " حسن الطويل " ليعلمه الفلسفة ،
والمنطق ، والى الشيخ " محمد البسيوني " ليعلمه الادب العربي وقواعد اللغة
على غير الطريقة التي تدرس في الازهر .
كان الشيخ محمد عبده لا يزال يبحث عن معلم يركن اليه ليدرس له
الحكمة واخيرا ساقط الصدف السيد " جمال الدين " فتعلم منه الحكمة وطسم
الكلام ، وعلم الاصول ، وعلوم اخرى .
كان الشيخ محمد عبده في هذه المرحلة مثال الطالب الواعي ،
الذي يتقن كل ما يدرس ، ويتفاعل معه ، ويتأثر به ، حتى غلب زملاءه ،
وصاح في جنبات الازهر ، وبين اعمدة المساجد بدعوته الى الاصلاح وعقيدته
الى ان نال الشهادة الازهرية ، وحاز على الدرجة الثانية .

يقول الدكتور " محمد البهي " : (وهكذا اجمع الشيخ محمد عبده
في معرفته بين بيئة القرية وبيئة المدينة ، وبين المعرفة العقلية ، والتهذيب
الروحي الصوفي المتزن) * ١ *

١ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ١٣٠ .

ج - مصادر ثقافته الفرنسية

=====

خرج الشيخ محمد عبده من الأزهر إلى الحياة العملية ، بحصيلة علمية كبيرة وثقافة دينية وغير دينية ، واسعة .

ولما تحصل له كل هذا ، بدأ مرحلة جديدة من مراحل تفكيره ، فتناول الأزهر الشريف بالنقد واخذ ينقده ، وينقد علماءه ، وينقد كتب الدراسة وطرق التدريس .

كما ابتدأ يعي ما حوله من سوء السياسة ، والاقتصاد والاجتماع بسبب الاحتلال الاجنبي للبلاد .

ولما قامت الثورة العربية وشارك فيها دفاط عن الدستور ، نفي إلى بيروت ، وهناك التقى بكبار رجال الفكر والادب ، فزادت حصيلة ما عنده من علوم إلى ان تم استدعاه إلى باريس ليعمل من هناك بجانب استاذة السيد " جمال الدين " .

وفي باريس اقبل على تعلم اللسان الفرنسي ، فتعلم لغة القوم ، واتقنها وكان من افصح الناس نطقاً بها ، وفهما لها ، حتى انه ترجم كتاب " التربية " للفيلسوف الفرنسي " هيربرت سبنسر " .

وقد شهد بفصاحته وحذقه للغة الفرنسية " قاسم امين " .
(وكان في الذروة من المصريين الذين حذقوا اللغة الفرنسية فهما ونطقاً وانشاءاً) .

ويقال : انه اطلق في اثناء مرضه الاخير مقالة باللغة الفرنسية ، نشرت في بعض المجلات الفرنسية .

ولقد كان اثر الثقافة الغربية على فكرة كبريا ، بل وعلى نفسه ،
واحاسيسه ، فأراد ان يطوع كل شي في مصر لما يشعربه في نفسه وما يمليه عليه
فكره ...

يقول الاستاذ سليمان دنيا :-

(عاش الشيخ محمد عبده في الازهر وبين الازهرين ، فكان
ازهريا مثلهم ، يفهم الكتب الازهرية ، ويتعمق معانيها ومراميها ، كما يفهمون
ويتعمقون ، ولكنه عاش الى جانب ذلك مع الناس خارج الازهر ، فانفعلت
نفسه بالمجتمع ، مثلما انفعلت بالبيئة الازهرية .
وربما كانت نفس الشيخ محمد عبده ، سريعة الانفعال والتأثر ،
فانطبع فيها اثر من هذا ، واثر من ذاك ، وتفاعل الاثران ، فكان منهما
مزيج عكس على المجتمع شيئا من اثر الحياة الازهرية ، وعكس على الازهر -
او حاول ان يعكس - شيئا من اثر الحياة الخارجية .
ويظهر ان هذا التكوين الثنائي قد خلق متاعب للشيخ محمد عبده ،
اذ حاول ان يرضي احاسيسه كلها ، فينتقل شيئا من الازهر الى المجتمع ،
وينقل شيئا من المجتمع الى الازهر .
اقصد انه ربطا حاول ان يقرب بين الازهر والمجتمع ، بين دنيا
الناس ودينهم ، وعساه لقي معارضة شديدة ، من الناس خارج الازهر ،
كما لقي معارضة من الناس في داخل الازهر .) " ١ "
كل ذلك حصل بفعل الثقافة الغربية ، التي اخذت عليه عقله
وتفكيره ، وظهر اثرها في سيرته وسلوكه .

وحاصل ذلك كله ان الشيخ محمد عبده ، مليء علما ، يصح ان يقال عنه ، " موسوعة علمية " جمعت من العلوم ، بشتى انواعها ، اشياء كثيرة جدا .

(فأما علوم اللغة العربية فقد بلغ منها ان كان ادق الناس فهما للقران والحديث ، ولغيرهما من فصيح الكلام ، ولبليغ الكتاب ، وخطب الخطباء) . . .

أما العلوم العقلية : فقد ارتقى فيها الى ان صار فيلسوفا ، اعترف له بذلك من يعتد بمعرفتهم . " ١ "

وأما علوم التصوف : فكان فيها من الراسخين ، " ٢ " . . .

وأما العلوم الشرعية : فقد كان فيها اماما مجتهدا . . .

وأما العلوم العصرية : فكان يعرف منها الرياضيات ، ويلم

بالطبيعات ، ويتقن الفلسفة ، العقلية ، وعلوم التربية والنفس والاخلاق والاجتماع ، وتواريخ الملل ، والامم ومذاهبها ، وكان يطالع دائما ما يصدر عند الافرنج من المصنفات في هذه العلوم ، وفي شأن الاسلام ، وكان قد عزم على تعلم اللغة الالمانية وشرع فيه لان الالمان سبقوا غيرهم في جميع العلوم . . . وقد درس علم الخط المسند ، وكتب فيه كتابا لاجل تحقيق التاريخ

العربي القديم . " ٣ "

١ - كالاستاذ المشرف في كتابه (محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين) .

٢ - فزاء الفتوحات المكية كما قرأ تاريخ ابن الاثير / انظر تاريخ الاستاذ

الامام (١ : ١٠٣١) .

٣ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٠٣) .

٢ - " مواهب " -

=====

حيا الله الشيخ " محمد عبده " مواهب كثيرة ، فكان ذكيا المعيا ، استطاع بما حباه الله ان يحسن استخدام هذه المواهب ، وان يقويها بالمطالعة والبحث والتفكير ، ففدا شاعرا مع الشعراء ، واديبا مع الادباء ، وكاتبا مع اصحاب الاقلام وقائدا مع القواد ، ومصاحبا مع المصلحين ، وناقدا وفيلسوبا ، وخطيبا ، ومتصوفا ، وباحثا ، ومحللا ، ومرشدا ، وموجها ، ومربيا . . . ان الناظر الى تراثه يتملكه العجب من المساحة العريضة الفسيحة ، التي جعلها ميدانا له ، والتي اجاد فيها بما قدمه للناس من عرض بارع ، دقيق .

ولا اريد ان اطيل البحث فأقدم للقارئ جميع ما انتجه الشيخ محمد عبده في المجالات المختلفة ، فان ذلك يحتاج الى سنين طويلة ، وفي الحقيقة انه يستحق ان يفرد في كل مجال بدراسة مستقلة لخصب انتاجه ودماسته ويكفي ان نشير اشارات خاطئة الى ابرز مواهبه ، فمنها : الشعر ، والغالة ، وترك بقية مواهبه لبحث الباحثين

أ - الشيخ " الشاعر " :-

ب - الشيخ " الكاتب " :-

أ : الشيخ محمد عبده الشاعر :-

=====

لم يكن الشيخ " محمد عبده " كثيرا من قول الشعر ، فلم اعثر له على الكثير منه ، وكل ما عثرت عليه له قصيدة نظمها وهو في السجن ، عند ما قبض عليه عقب فشل الثورة المرابية " ١ " ، وحض ابيات قالها عندما احس بدنو اجله

١ - انظر الاعمال الكاملة للامام (١ : ٤٦٨ - ٤٧٤) .

في مرضه الاخير * ١ *

ولكن شعره على قلته يدل على ان له فيه موهبة ، ولعله لم يكثر منه

تأسيا بقول الامام الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء يبرى : اكنت اليوم اشعر من لبيد

او ليس هو القائل :

سريت للمجد هونا غير ذي هجل : على اساس من التقوى اراعيه

وهو القائل :

وقمت للحق اجلو من مطالعه : نورا وكان غمام الظلم يخفيه

وهو الذي يقول على فراش الموت :

ويخرج وهي الله للناس طريبا : عن الراى والتأويل يهده ويلهم^٢

وقصيدته التي نظمها وهو في السجن تنس على مائة بيت ، من الشعر

يصور فيها :-

١ - مذهبه في الاصلاح .

٢ - مذهب العربيين وتطلعاتهم .

٣ - علاقته بالعربيين اثناء الثورة .

٤ - ما حدث للثورة من فشل ، ولجيشها من هزيمة .

ومطلع قصيدته يقول فيه :

دهر يخالخ في عجب وفي تيسه

مالي يعنف قلبي من تخاضيه

١ - نفس المصدر (٢ : ٣٣٧) .

٢ - هذا البيت ، من قصيدة انشدها قبيل وفاته ، وهو على فراش الموت :

يقول فيها :

اهل او اكتظت عليه المآثم

ولست ابالي ان يقال محمد

احاذر ان تقضي عليه العمائم

ولكنه دين اردت صلاحه

لقد قام الشيخ " محمد عبده " مع الثوار ، وسار سيرهم ، وقاتل معهم ضد عدوهم اعتقادا منه ان عزته في عزة بلاده ، وايمانا منه ان مجده في مجدها يقول :

مجدى بمجد بلادى كنت اطلبه : وشيعة الحر تآبى خفض اهليته
ولما آل امر الجيش الى الفوضى ، خشي الشيخ " محمد عبده " .
على وطنه من العدو والاجنبي ، يقول :

فولولت مهجتي حزنا على وطني : وقلت خطب لعلي ان اجليته
لقد امل الشيخ في وضع قاعدة اصلاحية ، يسير الناس بمقتضاها فيسعدون
يقول :

وكان لي امل في وضع قاعدة : لكل نوع من الاعمال تحويته
ويؤخذ القوم طرا في مهاجمهم : ان لا يجوروا عن المشروع او فيه
حتى يكون نظاما كل سيد هم : بمقتضى الالف مع فهم يزيكته
وياخذ العلم والتهذيب مأخذه :: من النفوس فتزحو من دار ربه
ويصبح العدل طيفا من جبلتنا : ويشهد الكون انا من مواليته
هذى سبيلي حبيت السير فيهل على : رغم الانوف من البله المعاتيه
وعن مذهب العربيين قبل ان ينضم اليهم يقول :

قامت عصابات جند في مدينتنا : لعزل خير رئيس كنت راجيته " ١ "

= وللناس لامل يرجون نيلهم : اذا ماتت واطمحت عزائم
فيارب ان قدرت رجعى قريسة : الى عالم الارواح وانفض خاتم
فهارك على الاسلام وارزقه مرشدا : رشيدا يضيء النهج والليل قاتم
يما علمني نطقا وعظما وحكمة : ويشبهه مني السيف والسيف صارم
ويخرج وحي الله للناس عارضا : عن الراى والتأويل يهدى ويلهم
١ - الاشارة الي رياض باشا ناظر النظار الذى طلب عرابي خلعه في يوم عابدين

قاموا عليه لامر كان سيدهم " ١ " يخفيه في نفسه والله مهديسه
كان الرئيس حليف العدل منقبه وسيد القوم يهوى الجور يا ثيه
وعن علاقته مع زعماء الثورة ونصحه لهم يقول :
لوا رؤوسهم عجا بقوتهم واستكبروا النصح ان يصغوا الساقيه
مزجت بالمهزل جدى عل يعجبهم كوالد الطفل يلبيه بمرضيه
ولم يزالوا حيارى في تردد هم حتى دهاهم ابو الهيجا بداهيه
ويصف معركة " التل الكبير " ، ومصير الجيش المهزوم فيقول :-
ساق النظام على الاثتات عسكره فصيح التل طودا من سواريه
منا قتيل ومنا هائم جزعنا قلبي الجريح فهلا من يداويه ؟
في موقع الشرق كانت شر هزيمتهم والشرق ضأن وذئب الغرب راعيه ؟
وقائد الجند وافانا بلحيتيه يسيل رجا وثوب العار كاسيه
وسلم السيف واستجدى بغفلتته عفوا من الخنق المفزوخد يويه
ويختتم قصيدته بالحديث عن الايام ومصائبها ، وعن الثبات ومضائفه ،
وانه خير وسيلة لعلاج المحن والمصائب . . . حتى يدرك الموت كل انسا . . .
ان المنايا سهام الله سدد ها وليس يخطئ سهم الله مرميه

ب- " الشيخ محمد عبده الكاتب " :

=====

مقالات الشيخ محمد عبده تربي على " الخمسين " مقالة كتبها

بنفسه ونشرها في الصحف ، وأغلبها نشر في " الوقائع المصرية " .

فهو اذا كتب في الادب اديب ، وفي السياسة سياسي ماهر ،

وفي البدع والخرافات تراه محاربا شجاعا ، وفي العلم تراه عالما ، وفي

النقد نقادا ، وفي المجتمع يعرف الداء فيضع له الدواء ، وهو في الدين

فقيه فطن . . . وفي كل شيء له باع طويل ، ورأي حصيف ، ونظرة

فاحصة فهو اذن صاحب فكر مستنير .

فمن مقالاته مثالا : " ١ "

" مقابلة الشكر بالشكر " و " عادات المآثم " و " التملق "

و " الخرافات " و " العفة ولو ازمها " و " حاجة الانسان الى الزواج "

و " ما اكثر القول وما اقل العمل " و " الحشيش " و " وضع الشيء في

غير محله " و " الصياح خلف الجنائز " و " الوطنية " و " مصر

والحجشة " و " نيل المعالي بالفضيلة " و " الحياة السياسية " و

" الشورى والاستبداد " و " الناس من خوف الذل في ذل " و

" لا تتم نكاح الاعداء الا بخيانة الاصدقاء " .

ولو ابرزنا كل ما قاله الشيخ محمد عبده ، - وهذا ما لا نستطيعه هنا

لتبين لنا المساحة العريضة التي جال فيها فكره ، وتحدث بها قلمه * وهذا

يدل على الموهبة العظيمة التي كان الشيخ يتمتع بها في الكتابة ، الموهبة التي

فاق بها الكثير من الناس والتي يتمناها الكثيرون منهم ، انها افضل الله يختص به

من يشاء .

٣ — تراثه الادبي والفكرى

=====

عرفنا ان الشيخ محمد عبده ظل يكتب المقالات المتنوعة في مختلف المجالات مدة طويلة ، وهذه المقالات مملوءة بالعلوم المفيدة التي تدل على موهبته في فن الكتابة والخطابة .

كذلك ترك لنا الشيخ محمد عبده تراثا فكريا كبيرا يمثل في دراساته وحوثه العميقة ، الادبية والدينية ، والنفسية والاجتماعية . . . ويمكن تقسيم هذا التراث الى قسمين :

القسم الاول : مقالاته المختلفة التي بثها في المجالات والجرائد وخاصة " الوقائع المصرية " والتي استمرت طيلة حياته ، منها الادبية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والنفسية ، واغلبها اسلامية .
القسم الثاني : مؤلفاته وكتبه المطبوعة .

قلت ؛ ليس في مقدوري ان اتحدث عن القسم الاول من تراثه ، لمساحته الواسعة ولان كل نوع منها يستحق دراسة خاصة .
اما القسم الثاني فسوف اذكر فيه مؤلفاته ، وتعليقاته ، وشروحه ، حسب تاريخ تأليفها على وجه التقريب ، مع ذكر تعريف موجز بهذه الكتب .

" كتبه المطبوعة : "

=====

١ — " رسالة الواردات " : وهي رسالة في الكلام على طريقة الصوفية واسلوبهم .
وهي اول تأليفه .

٢ — " رسالة في وحدة الوجود " : بين فيها مراتب الوجود وتعدد ها من وجه ، ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر .

- ٣ - " تاريخ اسماعيل باشا " : مجموعة فصول نشرت في جريدة " الطائف " .
- ٤ - " فلسفة الاجتماع والتاريخ " : وهو الكتاب الذي افه وهو يدرس مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم وقد ضاعت اصوله . ويعتبر مفقودا .
- ٥ - " حاشية عقائد الجلال الدواني " : في علم الكلام ، وتحقيق مسائله ، وتحرير الخلاف بين المتكلمين ، وبيان ما هو لفظي منه وما هو حقيقي وقد اهتمت في كثير من ابوابها الى ان الحق في العقائد هــ مذهب السلف .
- ٦ - " شرح نهج البلاغة " : وهو شهير ، وسبب شرحه تيسر فهمه وحمل طلبة العلم على مطالعته لتحصيل ملكة البلاغة ، من كتاب تفيض البلاغة منه ايضا .
- ٧ - " شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني " : وهو الوحيد الذي شرحها ، ولم يصرف لغيره شرح عليها .
- ٨ - " شرح البصائر النصيرية " : في المنطق ، وهو شرح وجيز ، اطلق عليه لفظ التعليقات وقد قرأه د روسا في الجامع الازهر .
- ٩ - " نظام التربية والتعليم في مصر " : وهي رسالة موجزة في الطريقة المثلى لتربية المصريين ، وتعليمهم ، وهي من احسن ما كتب في موضوعها .
- ١٠ - " رسالة التوحيد " : من اشهر كتبه ، بل اشهرها ، قرأها د روسا في بيروت ثم في الازهر وترجمت الى اللغة الفرنسية ، وطبعت .

- ١١ - " تقرير المحاكم الشرعية " : ضمنه كثيرا من الفوائد الادارية ،
والاجتماعية ، والادبية وهو كتاب
مفيد للقضاة والحكام .
- ١٢ - " الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية " : وهي مقالات كتبها لمجلة
المنار ، غرضه منها ، تنبيه المسلمين
وارشادهم الى اسباب تاخرهم ، وضيق
مجدهم ، وزوال ملكهم ، والى طريق
الخلاص ، ووسائل العلاج .
- ١٣ - " تفسير سورة المص " : القاه دروسا على علماء ووجهاء الجزائر ،
ثم دونه في كتاب مستقل .
- ١٤ - " تفسير جزء عم " كتبه في بعض اسفاره الصيفية الى اوربا وكان تمامه في
مدينة جنيف " بسويسرا سنة ١٣٢١ هـ ،
وقد كتبه ليقرأ في مدارس الجمعية الخيرية
الاسلامية ، وليتفح به اساتذتها ،
وظالبيها .
- هذه هي مؤلفاته التي اتمها ، وله ابحاث اخرى بدأها ولم
يتمها مثل بحث " العلم وتأثيره في الارادة والاختيار " .

" تفسير المنار " :

=====

من آثار الشيخ محمد عبده في التفسير ، تلك الدروس التي
القها في الازهر الشريف على تلاميذه ومريديه تحقيقا لرغبة تلميذه رشيد رضا كما

هو المذكور في مقدمة تفسير المنار . " ١ "

وقد ابتدأ الشيخ محمد عبده دروس التفسير في غرة المحرم من سنة ١٣١٧ هـ
ففسر سورة الفاتحة ، والبقرة ، وال عمران ، واول سورة النساء ، وتوقف عنفس
قوله تعالى ، من هذه السورة " والله ما في السموات وما في الارض وكان الله
بكل شيء محيطا " . آية (١٢٦)

وكان ذلك في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ .

وهذه الدروس تعد اثرا من اثاره في التفسير ، وان لم يدون هو
شيئا منها ، بل قيدها عنه طلابه ، وخاصة " محمد رشيد رضا " الذي يوضح
ذلك في مقدمة تفسير " المنار " يقول :-

(وكنت اكتب في اثناء الدروس مذكرات اودعها ما اوام . أهم ما قاله ،
واحفظ ما اكتب ، لاجل ان ابيض ، وادمه بكل ما اذكركه في وقت الفراغ ، ولم
البت ان اقترح علي بعض الراقبين في الاطلاع ، عليه ، من قراء المنار في البلاد
الاسلامية ، ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر ، ان الشرح في المنار ،
فشرعت في ذلك ، في اول المحرم سنة ١٣١٨ هـ ، وذلك في المجلد الثالث من
المنار ، وكنت اولا اطلع الاستاذ الامام على ما اعدته للطبع ، كلما تيسر ذلك ،
بعد جمع حروفه في المطبعة ، وقبل طبعه ، فكان ربما ينشج فيه بزيادة قليلة ،
او حذف كلمة او كلمات ، ولا اذكرانه انتقد شيئا مما يراه قبل الطبع ، بل كان
راضيا بالمكتوب ، بل معجبا به ، على انه لم يكن كله نقلا عنه ، وممزوا اليه ،
بل كان تفسيرا للكاتب ، من انشائه ، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جل ما
استفاده منها ، لذلك كنت اغزو اليه القول المنقول عنه ، اذا جاء بعد كلام لي
في بيان معنى الآية او الجمل على الترتيب ، فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لي

بعده قلت في بدئه : (اقول) .

ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ كل ما كتبه اما قبل طبعه ، وهو
الغالب واما بعده ، وهو الاقل ، لم اكن ارى حرجا فيما اعزوه اليه ، مما
فهمته منه وان لم اكن كتبه عنه في مذكرات الدرس ، لان اقراره اياه ، يؤكد
صحة الفهم ، وصدق العزو (" ١ " ١٠ هـ .

وكان للشيخ محمد عده - فيما فسر من كتاب الله - وقفات عالج

فيها بعض مشكلات القران ، ودفع بها بعض ما اثير حوله من شكوك " ٢ " .

وذلك مثل شرحه اية (٧٨) واية (٧٩) من سورة النساء .

١ - قال تعالى : " اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ، وان

تصيهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصيهم سيئة يقولوا هذه

من عندك ، قل كل من عند الله ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون

يفقهون حديثا " .

٢ - وقال تعالى : " ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن

نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا " .

وقد جمع بينهما وحاول التوفيق بين ما يظن فيهما من تناف ، وتضاد ،

وهو نسبة افعال المباد تارة الى الله تعالى ، وتارة الى العبد . وسيأتي بيانه

في الباب الثاني من هذه الرسالة بحسب مشيئة الله تعالى .

١ - تفسير المنار (١ : ١٥) ، الطبعة الرابعة .

٢ - التفسير والمفسرون ، تأليف محمد حسين الذهبي (٣ : ٢١٨ - ٢٢٠) .

ومثل شرحه لقوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيه ، فيمنح الله ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد ، وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ، ولا يزال الذين كفروا في مرة ملة حتى تأتهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم " . " ١ " .

وقد رد قصة الشرائق ، وفند ما بثي عليها من تفاسير ، فقدح في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتضعف الثقة بالوحي الذي تكفل الله بحفظه ، قال تعالى : " انا نحن لازلنا الذكر وانا له لحافظون " . " ٢ " .

وله ايضا من البحوث : تفسير لقصة زيد بن حارثة ، وزينب بنت جحش ، رد فيه ما الصق بها من احاديث باطلة ، تصور النبي صلى الله عليه وسلم بصورة الرجل الشهمواني وابطل ما اثير حول هذه القصة من مطاعن روي بها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم زورا ، ونبهنا . " ٣ " .

١ - سورة الحج الايات (٥٢ - ٥٥) .

٢ - سورة الحجر اية (٩) .

٣ - انظر كتاب : اتجاهات التفسير في العصر الحديث (١ : ١٠٦) .

الفصل السادس : " مذهبه في الاصلاح ومنهجه في الدعوة والبحث "

قلت في الفصل الثاني - اطوار حياة الشيخ " محمد عبده " -

انه بدأ حياته العلمية ، وهو صغير السن ، فحفظ القرآن الكريم ، وعاشر
اهل التصوف ،

ولما دخل الازهر ، عاشر الازهريين فترة طويلة ، فدرس العلوم

المصرية ، والشرعية ... الخ .

وحين قدم السيد " جمال الدين الافغاني " الى مصر ، لازمه الشيخ

" محمد عبده " وتلقى من العلوم الحكيمة ، والمطوية ، ... الخ ،

وفي المنفى التقى بكبار رجال الفكر الاسلامي ، وبعض المفكرين

الغربيين ، وسأحتماله الظروف ان يتعلم الفرنسية ، وان يطلق بها على شي

من ثقافة اهلها .

ولما عاد من منفاه ، تقلد عدة مناصب في الدولة ، فأكسبه ذلك خبرة

في شؤون العمل ، والعمال ، واطلع على نظم الحياة في مصر وقوانينها ،

فتكون له بذلك رصيد ضخم من العلم والمعرفة في جوانبها المختلفة ، فاستحق

بذلك ان يلقبه رشيد رضا بلقب " الاستاذ الامام " ، وان يعده الاستاذ عباس

المقاد " عمقيرة الاصلاح والتعليم " ، وان يعتبره الدكتور عثمان امين

" رائد الفكر المصري " ، وان يعده الاستاذ احمد امين " من زعماء الاصلاح "

اما الاستاذ محمد حسين الذهبي فقد عده " رائد اللون الادبي الاجتماعي

للتفسير في العصر الحاضر " .

والشيخ محمد عبده ، لم يستقر على مذهب بعينه ، ولم يلتزم بمنهجا

معينا ، فهو مع الصوفية صوفي ، ومع الفلاسفة فيلسوف ، ومع الادباء اديب ،

... انه شخصية مستقلة قائمة بذاتها وقد اعطى عقله حريته في البحث والفهم

والنقد .

يقول الأستاذ : " سليمان دنيا " : (وكذلك كان الشيخ محمد
عده رحمه الله ، فهو لم يقتح بطلاً فتح به كثير من المؤلفين ، من حكاية آراء العلماء
من قبله ، وتصوير وجهة نظرهم ، ليقوم بدور هو أشبه بالتبليغ فقط) " ١ " .
ومنهجه الذي سببته هنا ، استقى مصادره من كتب السلف ،
والاشاعرة ، والمعتزلة ، والفلاسفة ، والمتصوفة ، وبعض ما اطلع عليه من
كتب الغربيين بعد تعلمه الفرنسية .

فلا غرابة ان يكون مع السلف مرة ، وضدهم مرة ثانية .
ولا غرابة ايضا ان يكون مع المعتزلة في مسائل ، وان لا يكون معهم في

مسائل اخرى .

ولا غرابة ايضا ان يكون مع المتصوفة في وجوب ترويض النفس وتهذيبها
وان يأخذ عليهم نهذهم لما احله الله ، وعزوفهم عن الدنيا ، وعن الواقع .
ولا غرابة ايضا ان يكون مع الكلاميين في استخدام القضايا المنطقية
وان يرميهم بالانزلاق الى السفسطة احيانا .

فهو بهذا قد سلك مسلكا مستقلا في التفكير النظري والفهم العميق

والتدقيق والتطبيق في سبيل ما دعا اليه واراده " ٢ " .

ولكي ازيد الامروضوح ، واتعرف على منهجه في الاستدلال بمائة

وفي الجانب المعرفي بخاصة لا بد ان ادرس اهداف تفكيره ، وجوانبه .

١ - محمد عده بين الفلاسفة والكلاميين و القسم الاول ص ٨ .

٢ - انظر عمقري الاصلاح والتعليم ص ١٨٨ - ٢١٦ يتصرف .

اولا : " اهداف تفكيره " !

=====

أ : تحرير الفكر من التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف ، على
الاساس من القران والسنة .

ب : العودة الى النطق بالفصحى ، واصلاح اساليب الكتابة في جميع
المجالات .

ج : التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب
من حق العدالة على الحكومة .

يصور الشيخ محمد عبده اهداف تفكيره ، وما دعا اليه ، فيقول : " ١ " (وارتفع صوتي بالدعوة الى امرين عظيمين :

الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على

طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف " ٢ " ، والرجوع

في كسب معارفه الى منابعها الاولى ، واهتباره من ضمن موازين العقل البشري
الذي وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبثه ، لتتم حكمة الله في
حفظ نظام العالم الانساني ، وانه على هذا الوجه يعد صديقا للملم باعطاء
البحث في اسرار الكون داعيا الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتمويل طيبها
في ادب النفس ، واصلاح العمل ،

كل هذا اذنه امرا واحدا وقد خالفت في الدعوة اليه راي الفقيين

المظيئين اللتين يتركب منها جسم الامة :

- طلاب علوم الدين ، ومن على شاكلتهم .

- وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم .

-
- ١ - انظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١١ ، ١٢) .
 - ٢ - لم يلتزم الشيخ محمد عبده بهذا ، وسلك مسلكا مستقلا ، جمع فيه بين
طريقة السلف ، وطرق الفلاسفة والمتكلمين ، كما سنرى في هذه الرسالة .

أما الامر الثاني :

=====

فهو اصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومجالسها ، او فيما تنشره الجرائد على الكافة ، منشأ او مترجما من لغات اخرى ، او في المراسلات بين الناس .
وكانت اساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يجه الذوق ،
ولتكبر لغة العرب :

الاول :-

===== ما كان مستعملا في مصالح الحكومة ، وما يشبهها ،
وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات ، رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده
الى لغة من لغات العالم ، لا في صورته ولا في مادته .

والنوع الثاني :-

===== ما كان يستعمله الادباء ، والمثخرون من الجامع

الازهر وهو ما كان يراعى فيه السجع وان كان باره .

(الامر الثالث) :

===== وهناك امر آخر كنت من دعائه ، والناس

جميعا في عن عنه ، ومد عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم
الاجتماعية .

وما اصابهم الوهن والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه وذلك هو :
التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق المعاملة
على الحكومة .

نعم : كنت فيمن دعا الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها ، دعواتها الى
الاعتقاد بأن الحاكم وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطون ، وتخليهم
شهواتهم ، وانه لا يرد عن خطاه ، ولا يقف طغيان شهوته الا تصح الامة له

بالقول والفعل) أ . هـ .

ثانياً : " جوانب تفكيره " :

=====

نشط الشيخ محمد عبده في دعوته ، وحارب على عدة جبهات ،

وسخر ما عنده من امكانيات فكانت النتيجة تلك المدرسة الاصلاحية التي

اسمها ، والتي تدرس فيها العلوم بشتى انواعها ، واولئك التلاميذ الذين تخرجوا

منها وعملوا في معظم مجالات الحياة ، وكان لهم اثر كبير في مصر ، وفي بعض

الاقطار المجاورة ، وهذا التراث وهو - رقم قلته - يعد بحق اوضح اثر تركه

الشيخ محمد عبده في هذا المجال .

ونفس النظر عما في هذه المدرسة ، مما يؤخذ على الشيخ محمد

عبده ، فاني اسجل له تعدد جوانب نشاطه في دعوته .

فالي جانب نشاطه الفكري في الجانب المقدي نشط في الجانب

القومي وفي السياسة الوطنية ، كما نشط في الجانب الاجتماعي ، في الكشف عن

عيوب المجتمع ، وبيان مقوماته ، كما نشط في الجانب التربوي ببيان اقوم السبل

لايجاد المسلم الصالح الذي يتمشى مع روح العصر وشكله .

ولست هنا بسبيل ان اتحدث عن كل هذه الجوانب ، فان القيام

يفرض علي ان اقصر حديثي - في هذه المعجالة - على منهج الشيخ محمد عبده

فيما يتصل بالجانب المقدي ، لان هذا الجانب هو موضوع الرسالة المهمة .

غير اني سأقف بالقارئ وقتاً قصاراً عند بقية الجوانب لتحصل عنده

صورة كلية وان كانت اجمالية عن : الشيخ " محمد عبده التركماني " .

١ - الجانب القوي والوطني :

=====

تناول الشيخ محمد عبده في هذا الجانب ضرورة شعور كل مواطن

بوطنه ، ومعرفة الصلة الوثيقة ، والرابطة الاكيدة التي تربطه به .

كما تناول في هذا الجانب نظام الشورى في الحكم ، وضرورته

لاصلاح الراعي والرعية ، كما نبه الى الصلة بين ما يشرع من قوانين وبين احوال

البلاد القائمة وعاداتها وتقاليدها . . . " ١ " .

وبالجملته فهذه امور يرى الشيخ " محمد عبده " انها حقائق هامة

يجب على كل مواطن ان يحرص عليها ، ويدافع عنها لان بها تقوم شخصيته -

كإنسان - ووجوده .

والمعروف ان ديار الاسلام هي وطن كل مسلم ، ويجب على كل

مسلم ان يحافظ على وطنه ، ويدافع عنه .

وليس معنى كلام الشيخ " محمد عبده " بالوطن والوطنية وحب

الوطن ، والمعنى القومي الحديث ، والذي جاء من اوربا ، وهو : التعصب

لمساحة محدودة من الارض ، تتخذ وحدة وجودية يرتبط تاريخها القديم بتاريخها

المعاصر ليكونا شيئاً واحداً متكاملين له شخصية مستقلة تميزها عن غيرها من البلاد

الآخري . " ٢ " .

ولكن معنى تأكيد الرابطة بين المواطن ووطنه ، وتوثيق الصلة بين الحاكم والمحكوم على

اساس من الحب ، والشورى ، والعدل .

١ - تاريخ الاستاذ الامام (٢ : ١٩٩) وما بعدها .

٢ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص ١٠ .

٢ — الجانب الاجتماعي :

=====

نبه الشيخ " محمد عبده " الى ضرورة التربية الجماعية على اساس
رعاية التعاليم الاسلامية والمثل الاسلامية والقيم الاسلامية والتمسك بالاخلاق الفاضلة
المؤدية الى الاتحاد . . .

يقول : (الا ان الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع ، واوراق ،
وجذوع ، وجذور ، : هي الاخلاق الفاضلة بمراتبها ، فعلى المسلمين ان
يبروا اللصم تربية اسلامية حقيقية ليجنوا تلك الثمرة يغير ذلك كل امل باطل ،
وكل الاماني احلام واوهام ، وكل احتجاج بخير رسمي عجز) " ١ " .
وطالب " الشيخ " بمساهمة الاغنياء في تعليم الفقراء ، وفتح
المدارس والمعاهد ، حتى تتسع دوائر التعليم ، ومن ثم تعم التربية وتتهذب
النفوس .

ومن ناحية اخرى يرى الشيخ " محمد عبده " ان المجتمع بحاجة الى
موجهين ، خلقت ثقافتهم من عوامل الضعف والجمود ، المؤدى الى القصور في التعليم .
وحمل الشيخ محمد عبده ، على الازهر وعلمائه ، وحاول ان يقرب
بين دنيا الناس ودينهم فلقى معارضة شديدة ، شوهدت فيما بعد سيرته .
يقول الاستاذ سليمان دنيا : —

(ربطا حاول ان يقرب بين الازهر والمجتمع ، بين دنيا الناس
ودينهم ولم يلق معارضة شديدة ، من الناس خارج الازهر ، كما لقي معارضة من
الناس في داخل الازهر .

١ — تاريخ الاستاذ الامام (٢ : ٤٦٩) / انظر الاعمال الكاملة ج ١

فالناس في خارج الازهر ، تقصم الروح الدينية التي تدخل في حياتهم عناصر من العزة والكرامة ، والشمو والاباء ، تحلو بهم عن سقاسف الامور ، والانحدار في مسالك الحيوان والاعجم .

والناس في داخل الازهر ، لا يحاولون ان يتصرفوا في بضاعتهم تصرفا يجذب الانظار اليها ، ويوجب الناس فيها ، ويعرفهم بقدر الحاجة اليها . هكذا كان المجتمع المصري وكان الازهر في عهد " الشيخ محمد عبده " كلاهما لا يحاول الالتقاء بالآخر ، فلا الازهر يحاول مطولة جديدة ان يدنو من المجتمع ولا المجتمع يحاول ان يدنو من الازهر .

وظلا كذلك كالماء في البئر ، والظمان على شاطئه . فلا الماء يصعد من تلقاء نفسه الى الظمان ، ولا الظمان يحتال على الاعتراف من ماء البئر .

ومثل هذه الحال ، تفرض على المصلح ان ينظر الى كلتا الجهتين ، ولقد عمل الشيخ محمد عبده في كلا الميدانين ، وكان له في كل منهما اثر .

٣ - الجانب التوسوي :

=====

هذا الشيخ " محمد عبده " الى محاربة الحزبية والمذهبية والتقليد الاعى ، وبين ان لها اثرا سيئا ليس فقط على وحدة الجماعة الاسلامية وتماسكها ، بل ايضا على دينهم الذي يشوه سمعته انتسابهم اليه ومخلفاتهم لتوجيهها ته كما جاء في الكتب والسنة .

كما دعا الى محاربة كتب المتأخرين التي تلفت في عهد الركود والضعف لها من آثار سيئة على التوجيه ، ولانها حجبت العقل الاسلامي من ان يرى الحياة المعاصرة فيسايرها في احداثها وتطوراتها

يقول : (وما دنا مقيدين بمهارات هذه الكتب المتأخرة ، والمتداولة ، ولا نعرف الدين والعلم الا منها فلا نزهاد الا جهلا) . " ١ "

ويقول : (ان الناس تحدث لهم باختلاف الزمان امور ووقائع لم ينص عليها في هذه الكتب ، فهل توقف سيرا العالم من اجل كتبهم ؟ هذا لا يستطاع) " ٢ "

ومن ناحية اخرى دعا الى احياء التراث القديم ، كأساس يجب ان يقوم عليه اى اصلاح ، وتبنى عليه نهضة الشرق في مسيرته للحياة المعاصرة ، ولقد اسهم بنفسه في احياء هذا التراث . . . فيما عمل ، ودعا ، ووجه .

٤ - " الجانب العقدي " :

=====

لم يستقر الشيخ محمد عبده على مذهب معين من المذاهب المعروفة ، ولم يلتزم منهجا معيناً يسير عليه .

لذلك يخطئ من يقول انه سلفي ، او يدعي انه فيلسوف او صوفي ، او متكلم يسلك في الاستدلال على العقائد مسلك المتكلمين .

انه شخص مستقل ، نهج منهجا مستقلاً فأعطى عقله حريته الكاملة في البحث والفهم والنقد . . . ثم في الايمان والعمل .

١ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٤٣) .

٢ - تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٤٤) .

والذي لا شك فيه عندى ان الشيخ محمد عبده سلك في العقيدة
مسلكا جمع فيه بين مناهج السلف والفلاسفة والمتكلمين ، اى اخذ فيه مآرجه
من كل منهم .

فهو على طريقة السلف ، في اشياء ، ومع الفلاسفة والمتكلمين في

اشياء اخرى .

والسبب في ذلك انه عول على العقل كثيرا ، وقال انه هو الطريق

الاكيد لكل عقيدة يراه اعتقادها .

فهو مع السلف في معظم امور الغيب ، خاصة في الامور السمعية التي

تكون بعد الموت . كالبعث والحشر ، والعرض والميزان ، والحساب ،

والصراط ، والجنة والنار ، الا في بعضها ، فانه كان يسلك طريق

المتكلمين في التأويل .

كما اول الميزان : بالقدر والقيمة عند الله .

واول الكوثر : بالهدى والرشاد .

وله رأى في ان البعث يكون للارواح " ١ " ، لكنه فيما بعد رأى

ان البعث يكون للارواح والاجساد . وترك مسلك الصوفية والالهييين من الفلاسفة

في كيفية البعث .

وسئى ذلك كله مفصلا وبيننا في الباب الاخير من هذه الرسالة .

وهو مع السلف في النبوة وامكانها ، وشروط النبي ، وصفاته ،

وفي المعجزة وامكانها وشروطها ، ودالاتها ، وفي اثبات نبوة نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم ، وفي ان القران معجزة الاسلام الخالدة ، واثبات ماله صلى الله

عليه وسلم معجزات وردت في القران او بطريق الخبر المتواتر .

ولا يخالف السلف الا في بعض المعجزات ، المروية بطريق خبر الواحد ، لان خبر الواحد عنده ليس حجة في الامور الاثباتية . " ١ " وهو مع السلف في قضية افعال الله تعالى :- في تحليل افعال الله ، وخلق افعال العباد ، والقضاء والقدر ، وفي جواز رؤيته سبحانه وتعالى . اما في طريق معرفة الله ، واثبات وجوده ، فهو مع السلف ومع غيرهم ، بمعنى انه جمع بين منهج السلف والفلاسفة والمتكلمين . فهو مع السلف في معرفة الله بطريق الفطرة والنظر . ومع الفلاسفة في طريقهم في البرهنة والاستدلال بان :- الموجود ان كان واجبا فهو المطلوب ، والا استلزمه استحالة الدور والتسلسل . والواجب هو الله تعالى . " ٢ " .

ومع المتكلمين في قولهم :- ان الاجسام وما يجرى مجراها حادثة وحدوقها يقتضي بالضرورة ان لها محدثا . وهو الله تعالى . ولا يفوتني ان انبه الى امر مهم ، اعتقد انه السبب في بعد الشيخ " محمد عبده " عن منهج السلف في بعض المسائل . وهو ان الشيخ محمد عبده بالغ في الاعتماد على عقله ، حتى جاوز به حده ، فحكمه في كل شيء ، ووكل اليه حل جميع المشاكل التي قد تواجه الانسان .

١ - هووضح هذا الامر في الخاتمة .

٢ - وهذا الطريق ضعيف ، سترى ضعفه فيما بعد .

يقول الدكتور سليمان دنيا :

(وعندى ان الشيخ محمد عبده اذا كان لم ينقص العقل حقه ،

فهو قد جاوز به حده) " ١ "

فكان بذلك فيلسوفا سلك سبيل الفلاسفة ، (فان سبيل الفلاسفة

ان يتخذوا عقلهم طريقا الى اية عقيدة يعتقدونها ، فالقدمات العقلية اولا والنتائج

ثانيا واخيرا) " ٢ "

هذا هو سبيل الفيلسوف وبخيره لا يكون المرء فيلسوفا .

واليك هذا النص الذى رسم فيه الشيخ محمد عبده منهجه ، وقال : انه

الطريق الى رضوان الله تعالى :-

(والحق الذى يرشد اليه الشرع والعقل ان يذهب الناظر المتدين

الى اقامة البراهين الصحيحة على اثبات صانع واجب الوجود ، ثم انه الى اثبات

النبوة ، ثم يأخذ كل ما جاء به النبوات بالتصديق والتسليم ، بدون فحص فيما

تكنه الالفاظ ، الا فيما يتعلق بالاعمال على قدر الطاقة .

ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده ، بالبراهين

الصحيحة ، كان ما ادعى اليه ما كان . لكن بغاية التحرى والاجتهاد .

ثم اذا فاء من فكره الى ما جاء من عند ربه ، فوجد به بظاهره

ملائما لما أحقته فليحمد الله على ذلك . والا فليطرق عن التأويل ويقول :

" آمننا به كل من عند ربنا " " ٣ " فانه لا يعلم مراد الله ونبيه الا الله ونبيه .

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٩) .

٢ - نفس المصدر ص ٥٩ .

٣ - سورة ال عمران اية (٧) .

فعلى هذا المنوال يكون نسجه ، فيؤد من الله برضوان ، حيث أسس
عقائده ، على السديد من البراهين ، واستعمل الاخبار الالهية بالقبول والتسليم
وتناولها بقلب سليم) * ١ *

وان الشيخ محمد عبده بهذا يضع الدين الوارد عن طريق الوحي في المرتبة
الثانية ، ويضع العقل في المرتبة الاولى ، حيث حكم بضرورة الاخذ بما يتأدى اليه
العقل اذا اختلف مع النص ، ولم يعط النص من عناية اكثر من ان يقول له :

(انك من عند الله) .

وان الشيخ محمد عبده بهذا يرسم طريق النجاة بأن : (ياخذ المرء
طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده ، بالبراهين الصحيحة كان ما ادهت اليه
ما كان) ،

(ذلكم هو كل ما في الامر ، اما النصوص الالهية ، وما تنطوى عليه من
آراء ، فأمرها دأربين : ان تكون موافقة لما ادهت اليه هذه البراهين .

او ان تكون مخالفة لها .

والامر في كلتا الحالتين سهل يسير ، في نظر الشيخ محمد عبده .

فانها ان كانت موافقة ، فقد كفى الله المؤمنين القتال .

وان كانت مخالفة فلا قتال ايضا ، لانه يكفي بأن يقول ، آمنت بما

جاءت به الى جانب الايمان بما ادهت اليه البراهين) * ٢ *

١ - المصدر السابق ص ٥٨ - ٥٩ .

٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، الاستاذ سليمان دنيا ،

(١ : ٥٩) .

يقول الاستاذ سليمان دنيا :-

(ولا يخدمنا قول الشيخ محمد عبده " فليطرق عن التأويل ،

ثم يقول : آمنابه كل من عند ربنا " فان ذلك ايمان بالفاظ جوفاء لا

لا معنى لها ، ما دام اقد آمن من طريق آخر باراء تعارض هذه الالفاظ

معارضة تامة) . " ١ "

ذلكم هو سبيل الفلاسفة - كما قلت - اما سبيل السلف - الذي ارتفع

صوت الشيخ محمد عبده بالدعوة اليه ، بينما آمن من قلبه بخلافه - فانهم

بعد ان يثبتوا وجود الصانع ، بطريق القطرة ، مستعينين بالادلة التي

يرشدهم اليها من يدعي انه رسول الله ، وبعد اثبات الصانع يثبتون صدق

النبوة بالمعقل ايضا .

ثم اذا صح عندهم اهدان الاصلان تلقوا ما اتاهم من عند الله على ما تفيد

عبارات النصوص مفوضين غير مؤولين ولا مشبهين .

هذا هو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم .

واين هذا من ذاك ؟ " ٢ "

١ - نفس المرجع ص ٦٠ .

٢ - بتصرف : انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين .

(١ : ٥٨ - ٦١) .

الباب الثاني

=====

* الالهيات *

يشتمل هذا الباب بعد تعريف مجمل " للالهيات " على

أربعة فصول هي :

- ١ - الفصل الأول : وجود الله تعالى .
- ٢ - الفصل الثاني : وحدانية الله تعالى .
- ٣ - الفصل الثالث : صفات الله تعالى وكمالاته .
- ٤ - الفصل الرابع :: أفعال الله تعالى .

تعريف "الالهيات" :

===== "الالهيات" : جمع "الهيئة" . وهي

نسبة للصفة .

يقال : هذا علم الهي ، وصفة الهيئة ، واله بين الالهيّة . " ١ "

" واله " : من اله بمعنى مجد ، على وزن " فعال " بمعنى

" مفعول " . لأنه مأثوم أي مهبود .

ويجمع " الاله " على " آلهة " " ٢ "

وإذا اطلق لفظ " الاله " فالقصد هو " الله " جل جلاله .

ولفظ " الاله " وضع في الأصل لكل مهبود ، لكن غلب " بال " " ٣ "

على المهبود بحق " ٤ " ، وهو " الله سبحانه وتعالى " .

١ - لسان العرب لابن منظور ، مطابع كونستانس ماس ، طبعة مسورة

عن بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٧ : ٣٥٩) .

وانظر : المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية ، مطبعة دارالكتب

١٩٧٠ م (١ : ٤٤٢) .

٢ - مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، دارالكتاب

العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م ص ٢٢ .

وانظر : القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،

مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة (٤ : ٢٨٠) .

وانظر : المصطلحات الاربعة بين المودودي ومحمد عبده ، لعبد

التمثال الجبري ، الطبعة الثانية ، دارالاعتصام للطباعة والنشر

ص ١٣٦ .

٣ - الأفضل أن يقال : اختص " بال " لأن الغالب في شيء قد يستعمل

على قلة في شيء غيره . وكلمة " الله " لا تستعمل في غير الحق

اطلاقا .

٤ - لسان العرب ، ابن منظور (١٧ : ٣٦١) ،

المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية (١ : ٤٤٠) .

جاء في تفسير المنار : لفظ الجلالة علم على ذات واجب الوجود " ١ " .
" والالهيات " : اصطلاح يطلق على كل ما يتعلق بذات اللـع ،
وصفاته ، وافعاله " ٢ " .
وعلماء العقيدة يبحثون تحت هذا العنوان " الالهيات " ، في الذات
الالهية وتنزيهها ، وفي وحدانية الله ، وفي أسمائه وصفاته وافعاله " ٣ " .
وانا على طريقة علماء العقيدة في البحث في موضوع " الالهيات في فكر
الشيخ محمد عبده " .
ولقد قسمت البحث في هذا الباب الى اربعة فصول ،
هي :-

-
- = دلشرة المعارف الاسلامية ، لجماعة من المستشرقين ، نقلها السي
العربية محمد ثابت الفندي ، انتشارات جهان - طهران
بوندر جمهورى (٤ : ٢٨٦) .
١ - تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، (١ : ٤٤ ، ٤٦) .
٢ - المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية (١ : ٤٤٣) .
- والمعجم الوسيط ، اخراج ابراهيم مصطفى ، اشرف على طبعه
عبد السلام هارون (١ : ٢٥) .
- ومحيط المحيط ، بطرس البستاني ، لبنان ، مؤسسة جواد للطباعة
، ص ١٥ .
- وشرح المواقف في علم الكلام ، السيد الشريف علي بن محمد بن علي
الجزجاني ، تحقيق الدكتور احمد المهدي ، مكتبة الازهر ، دار
المحامي للطباعة - الموقف الخامس في الالهيات .
٣ - انظر المواقف ، لعبد الدين الايجي ، الموقف الخامس
في الالهيات .
وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن ابي العز الحنفي علي بن علي .

- ١ - الفصل الاول : وجود الله تعالى .
- ٢ - الفصل الثاني : وحدانيته .
- ٣ - الفصل الثالث : صفاته وكمالاته .
- ٤ - الفصل الرابع : أفعاله تعالى ، وكونه موجداً وخالقاً لأفعال العباد

• أم لا .

ولسوف أعرض رأى الشيخ " محمد عبده " في كل فصل على حدة ،
ثم أنقد ما يستحق النقد منه ، في ضوء مذهب السلف ، وجمهور
العلماء ، وأبين الى اى حد كان الشيخ " محمد عبده " متمسكاً
مع هؤلاء العلماء . رضي الله عنهم أجمعين .

===

الفصل الاول : " وجود الله تعالى "

=====

أ : معرفة الله .

ب : اثبات وجوده .

أ : " معرفة الله "

=====

رأى الشيخ " محمد عبده " :

===== يرى الشيخ " محمد عبده " أن الواجب

المعني على كل مكلف ، هو اليقين من اي طريق اخذ .
وان ما دار من خلاف بين علماء الأصول " ١ " في اول ما يجب على كل
مكلف ، لا طائل تحته ، ولا حاجة الى الاكثار من الكلام فيه ، فان الجميع
متفقون على ان المقصود من المكلف هو المعرفة بربه خالقا وصانعا . فلا حاجة
الى النزاع في مقدمات هذه المعرفة ، هل هي النظر " ٢ " ، أو القصد الى
النظر " ٣ " ، أو جزؤه . . الى آخر هذا الكلام " ٤ " .

١ - أصول العقيدة ، وعظم الكلام .

٢ - وهو قول المعتزلة ، والاستاذ ابو اسحق الاسفرائيني ، قالوا : اول

واجب على المكلف هو النظر في معرفة الله ، اذ المعرفة موقوفة عليه ،

وما توقف عليه الواجب فهو واجب .

انظر كتاب : شرح الاصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن احمد ،

تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م ،

مطبعة الاستقلال الكبرى ص ٥٢ - ٥٥ .

وانظر كتاب : مذاهب الاسلاميين ، دكتور عبد الرحمن بسدوي ،

طبعة بيروت ، دار الملايين ، (١ : ٣٧٩ ، ٣٩٦) .

٣ - وهو قول امام الحرمين ، والقاضي ابوبكر ، وابن فورك ، قالوا : اول واجب

على المكلف هو القصد الى النظر ، لتوقف الافعال الاختيارية واجزائها على القصد

انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، دكتور سليمان دنيا ، القسم

الاول ص ٢٠٩ .

٤ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، دكتور سليمان دنيا ، (١ / ٢١٠) .

يقول الشيخ " محمد عبده " (وحاصل الكلام ان الواجب العميني هو اليقين
من اى طريق اخذ .

وقد كان ذلك حاصلًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ،
وانما احتيج الى طريق التفصيل بعد ذلك ، ولردع المعاندين ، مخافة طغى عقول
القاصرين) " ١ " .

وحكم الاشتغال بمثل هذه المسائل " فرض كفاية " يقوم به البعض ،
للذود عن الاسلام ، ولردع ارباب الكفر ، والطغيان . الخ .
يقول : (ومثل هذا يجب كفاية ، خصوصا في زماننا هذا ، الذى
قد قام فيه القسيسون على ساق ، واخذوا يدعون الناس الى التنصر في الاسواق ،
واخذت كلمة الكفر في الطغيان ، ووهت من كلمة الحق أركان ، والناس عن هذا
غافلون ، فاننا لله ، وانا اليه راجعون ، فنسأل الله تعالى ان يؤيد هذا الدين
بروح المعرفة ، وان يقطع ابرار ارباب الجهالة والسفه) " ٢ " .
ولكن الشيخ " محمد عبده " في موضع نقاشه لآراء العلماء يميل الى
قول الاشاعرة ويؤيده ، ويقول انه حقيق بالقبول ، وقد اتفق عليه الملبسون ،
وجماهير الحكماء " ٣ " .

قال الشيخ الاشعري " ٤ " :

اول الواجبات هو معرفة الله تعالى بما يحصل اليقين الذى لا

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٠٩) .

٢ - نفس المصدر ص ٢٠٩ .

٣ - نفس المصدر ص ٢١١ .

٤ - أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسى الاشعري رضي
الله عنه ، وهو مؤسس مذهب الاشاعرة ، من الاثمة المتكلمين المجتهدين
ولد في البصرة ، حمل لواء المذهب المعتزلي ، ثم رجع عنه وجاهر =

• يحتمل النقيض بوجه

وبعبارة اخرى : هو معرفة الله تعالى ، ان يتفرغ عليها ، وجوب

الواجبات ، وحرمة المنهيات " ١ " .

لقد انتصر الشيخ " محمد عبده " لهذا الرأي وقال : انه

لا سبيل الى وجوب معرفة الله تعالى ، الا طريق الشرع الحنيف .

وتصدى لرأى المعتزلة القائلين : ان اول واجب هو النظر في معرفة

الله ، ان المعرفة موقوفة عليه ، وما توقف عليه الواجب فهو واجب .

وقد برهنوا على هذا بقولهم :-

ان شكر المنعم واجب * وشكر المنعم لا يتصور من الشاكر ،

الا بعد معرفة المنعم ، ومعرفة انما تكون بالنظر . فالنظر ما يتوقف عليه

المعرفة التي يتوقف عليها الشكر ، الذي هو واجب .

فالنظر ما يتوقف عليه الشكر بالواسطة ، وما توقف عليه الواجب فهو

واجب ، فالنظر واجب .

وكل ذلك احكام عقلية ، فوجوب عقلي ، وهو المطلوب .

فقال :-

ان استدلال المعتزلة هذا بارد للاسباب التالية :-

= بخلافه ، بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب اشهرها (مقالات الاسلاميين)

توفي في بغداد سنة ٣٢٤ هـ .

انظر : تاريخ المذاهب الاسلامية ، للشيخ محمد ابوزهرة ،

دار الفكر العربي (١ : ١٨٠) .

(١ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٠٩)

١ - أما أولا :- فلأن مقدمته الاولى ليست برهانية ، بل هي خطابية

مشهورة .

٢ - وأما ثانيا :- فانهم ان ارادوا : ان العقل حاكم بأن شكر المنعم واجب ،

بمعنى انه يترتب عليه الثواب والعقاب فلا نسلم هذا ،

فان العقل ليس له سبيل ان يعلم هذه الامور .

وان ارادوا : ان العقل حاكم بأن شكر المنعم واجب ،

بمعنى انه حسن ولازم ، فلا نزاع في ان مثل هذا يمكن ان يعلم بطريق العقل ،

فليكن النظر واجبا بهذا المعنى ولا ضير فيه .

٣ - واما ثالثا :- فلأن العقل يحكم بأن فقيرا لو وجد في سبيله قرطاسا

من الذهب ولا يعلم من اين هذا ، ولا من اتى به ، فلا يجب على هذا

الفقير ان يفتش عن من اتى به حتى يسدى اليه نفعا او شكرا .

ولو انه قابل هذا المحسن بالاساءة ، لا يذم ، لعدم

علمه بأنه محسن .

ولو ان المحسن سلب احسانه عنه ، مع علمه بأنه لا

يعرفه ، كان سفيها اذ لم يخبره بأنه المحسن .

بل هذا الصنع دليل على ان المحسن غير طالب للمقابلة والشكر ، ولو كان طالبا

لذلك ، ولم يظهر نفسه ، فقد سفه نفسه .

ومن لم يعلم له الهيا ، ولا خالقا ، ولم يدرا للعالم

صانعا من اصله ، ولم يشهد الاحسان ، والاساءة الا من بني نوعه ، وكان

محصلا لرزقه من صنعه ، وكسب يده ، فكيف يجب عليه شكر ، أو عبادة ،

أو معرفة ، الا من طريق ما يرى ان تحصيل العلم كمال . ومن اعظم

الكلمات علم مبدأ العالم ، وما يشبه ذلك .

بل لو علم صانعه وخالقه ، وانه الرازق ، لم يجب عليه

شكره الا بايجاب منه ، وايدان بأنه يطلب منه ذلك .

كيف وهو لا يعلم ما اذا يليق بذلك المنعم من انواع التعظيم والشكر .
فربما كان ما يظنه شكرا ، كقرا .

فلا بد في ذلك من معلم صادق يخبره بما يرضاه ذلك المنعم
من انواع الشكر على ما علمه ، فلا سبيل الى ذلك الا طريق الشرع . " ١ "

هذا القول من الشيخ " محمد عبده " هو نفس ما ذهب اليه
الاشاعرة ، فان وجوب معرفته تعالى لم يثبت من طريق العقل ، لان علم
مثل هذا مما لا يهتدى العقل الى معرفته .

بل لا بد فيه من مخبر صادق ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ،
وكذلك علم الامور الحسية " ٢ " ، فانها لا تكتسب بطريق النظر ، بل لا يسه
فيها من الحس أو الاخبار .

" دور العقل في معرفة الله تعالى " :

===== يوضح الشيخ " محمد عبده " في

" رسالة التوحيد " مقدار الصلة بين العقل وبين معرفة الله ، ومدى تفاوت
الناس في عقولهم في معرفة الله ، كما يبين مدى احتياج العقل الى
النبوة في معرفة كثير مما لا يستقل العقل بمعرفته .

فيقول :-

(وليست عقول الناس سواء في معرفة الله تعالى ، ولا في معرفة
حياة بعد هذه الحياة ، فهم وان اتفقوا في الخضوع لقوة اسم من قواهم ،
وشعر معظمهم بيوم بعد هذا اليوم ، ولكن افسدت الوثنية عقولهم وانحرفت
بهم عن مسلك السعادة ، فليس في سعة العقل الانساني في الافراد كافة ان
يعرف من الله ما يجب ان يعرف ...)

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٠١) .

٢ - كالجنة والنار ، وما فيهما من النعيم والمذاب .

لهذا كله كان العقل الانساني محتاجا في قيادة القوى الادراكية والبدنية الى ما هو خير له في الحياتين ، الى معين يستعين به في تحديد احكام الاعمال ، وتمييز الوجه في الاعتقاد بصفات الالهية ، ومعرفة ما ينبغي ان يعرف من احوال الآخرة (٥٠٠) " ١ "

" ادراك حقيقة الباري " :

===== يرى الشيخ " محمد عبده " ان ادراك

حقيقة الباري سبحانه وتعالى غير ممكن .

وهذا الرأي انما استمده من الفلاسفة الاسلاميين ، منهم الشيخ " ابو

نصر الفارابي " " ٢ " الذي برهن على استحالة العلم بحقيقة الواجب . بقوله :-

(ان علمنا بحقيقة من الحقائق موقوف على العلم بجميع لوازمها ، حتى

نميز العرضي من الذاتي ، ونحصر كلا منهما ، وذلك غير ممكن ، فانا الى اى

حد وصلنا يحكم العقل بجواز ذاتي غير ما علمنا ، لم نصل اليه حكما حقيقيا ،

وجوازا واقعيا ، فعلمنا بحقيقة من الحقائق محال ، فعلمنا بحقيقة الواجب

محال بالاولى ، وانما ندرك الاشياء بالخواص واللوازم) " ٣ " .

١ - رسالة التوحيد الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٩٦) .

٢ - فيلسوف اسلامي ، يعرف بالمعلم الثاني ، تركي الاصل ، من اكبر

فلاسفة المسلمين ، ولد في " فاراب " على نهر جيحون ، رحل الى

بغداد ومصر والشام ، كان يحسن اليونانية ، واكثر اللغات الشرقية ،

مات بدمشق سنة ٣٣٩ هـ /

انظر البداية والنهاية (١١ / ٢٢٤) / والاعلام للزركلبي

(٧ : ٢٤٢) .

٣ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ١٩٤) .

يسلك الشيخ " محمد عبده " مسلكا برهانيا علميا في بيان هذه الحقيقة

لكنه لا يخلو من الكلام عليه ، وفيه مجال للتعميق عليه ...

فهو يريد ان يقول : ان للمقل حدا لا يتعداه ، وهو الوصول الى

معرفة عوارض بعض الاشياء التي له مجال في معرفتها ، ثم التوصل بذلك الى

معرفة مناشئها .

اما الوصول الى معرفة الاشياء ، وتصورها بالكنه والحقيقة فغير ممكن ، وليس

له من القوة ما يحقق ذلك .

واليك نص كلامه : (اذا قدرنا عقل البشر قدره ، وجدنا غاية ما ينتهي

اليه كماله ، انما هو الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت

الادراك الانساني حسا كان او وجدانا ، او تعقلا ، ثم التوصل بذلك الى

معرفة مناشئها ، وتحصيل كليات لانواعها ، والاحاطة ببعض القواعد لمعرض

ما يعرض لها ، اما الوصول الى كنه وحقيقة فمما لا تبلغ قوته ، لان اكتناها

المركبات انما هو باكتناها ما تركبت منه ، وذلك ما ينتهي الى البسيط الصرف ،

وهو لا سبيل الى اكتناها بالضرورة ، وغاية ما يمكن عرفانه منه ، هو عوارضه

واثاره) .

ويضرب الشيخ " محمد عبده " مثل " الضوء " حيث لم يستطع العلماء

حتى الآن التوصل الى معرفة حقيقته ، ولا الى تحديد معنى الاضاءة نفسه .

يقول :-

(خذ اظهر الاشياء واجلاها ، كالضوء : قرر الناظرون فيه له

احكاما كثيرة ، فصلوها في علم نخاص به ، ولكن لم يستطع ناظران يفهم ما هو

ولا ان يكتنه معنى الاضاءة نفسه ، وانما يعرف من ذلك ما يعرفه كل بصير له

عينان ، وعلى هذا القياس) .

ويرى الشيخ (محمد عبده) أيضا ان الاشتغال في معرفة الكنه

والحقيقة لا فائدة منه ، بل يعود على صاحبه بالخسران ...

يقول :

(ثم ان الله لم يجعل للانسان حاجة تدعو الى اكتناه شيء من الكائنات وانما حاجته الى معرفة العوارض والخواص ، ولذة عقله ، ان كان سليما ، انما هي تحقيق نسبة تلك الخواص الى ما اختصت به ، وادراك القواعد التي قامت عليها تلك النسب .

فلاشتغال بالاكتناه اضاءة للوقت ، وصرف للقوة الى ما سيقت اليه) .

ثم ان الشيخ " محمد عبده " اراد ان يقرب هذا المعنى الى

الافهام ، فلجأ الى ضرب مثل آخر هو " نفس الانسان التي بين جنبيه .

فقال :-

(اشتغل الانسان بتحصيل العلم بأقرب الاشياء اليه ، وهي نفسه ،

ارد ان يعرف بعض عوارضها ، وهل هي عرض او جوهر ؟ هل هي قبيل

الجسم او بعده ؟ هل هي فيه او مجردة عنه ؟ ... كل هذه صفات لم

يصل العقل الى اثبات شيء منها ، يمكن الاتفاق عليه .

وانما مبلغ جهده انه عرف انه موجود حي ، له شعور وارادة ، وكل

ما احاط به بعد ذلك من الحقائق الثابتة فهو راجع الى تلك العوارض التي وصل

اليها بيديته .

اما كنه شيء من ذلك ، وكيفية اتصافه ببعض صفاته ، فهو مجهول

عنده ولا يجد سبيلا للعلم به) .

ثم قال : اذا كان هذا هو الحال مع بعض المظنقات ، فكيف يكون

حال العقل مع خالقه تعالى ؟ ...

(هذا هو حال العقل الانساني مع ما يساويه في الوجود ، او ينحط

عنه ، بل وكذلك شأنه فيما يظن من الافعال انه صادر عنه كالفكر وارتباطه

بالحركة والنطق ، فما يكون من امره بالنسبة الى ذلك الوجود الاعلى ؟ ماذا

يكون اندهاشه ؟ بل انقطاعه " ١ " اذا وجه نظره الى مالا يتناهى من الوجود الازلي الابدى ؟) .

ثم يقول : ان النظر في صحيفة هذا الكون يقود الى معرفة الله تعالى ، وذلك لمن صفت نفوسهم ، وسلمت عقولهم ، وانجلت فطرهم (النظر في الخلق يهدي بالضرورة الى المنافع الدنيوية ، ويضيء للنفس طريقها الى معرفة من هذه آثاره ، وعليها تجلت انواره ، والى اتصافه بما لولاه لما صدرت عنه هذه الاثار على ما هي عليه من النظام) .

وهنا يضح الشيخ " محمد عبده " اللمسات الاخيرة ، ويقرر النتيجة الاكيدة التي يريد ان يتوصل اليها من وراء هذا البحث فيقول :-

(اما الفكر في ذات الخالق ، فهو طلب للاكتناه من جهة ، وهو ممتنع على العقل البشرى ، لما علمت من انقطاع النسبة بين الوجودين ، ولاستحالة التركيب في ذاته ، وتناول الى مالا تبلغه القوة البشرية من جهة اخرى .

فهو عمت ، ومهلكة ، لانه سعي الى مالا يدرك ، ومهلكة لانه يودي الى الخبط في الاعتقاد ، لانه تحديد لما لا يجوز تحديده ، وحصر لما لا يصلح حصره) ا . هـ " ٢ "

١ - الانقطاع هنا بمعنى " المعجز " .

٢ - بتصرف عن رسالة التوحيد الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده

(٣ : ٣٧٩ - ٣٨٠) .

تقويم كلام الشيخ " محمد عبده " :

===== لقد سلك الشيخ " محمد عبده " مسلكا
مستقلا في معرفة الله ، فلم يتقيد بمذهب ، من المذاهب ، ولم يخرج عما
يمليه عليه عقله ، ويصل اليه تفكيره .
فلا غرابة ان يكون مع السلف تارة ، ومع الاشاعرة تارة اخرى ، ولا غرابة
ان يستمد بعض آرائه من الفلاسفة وغيرهم . فهو صاحب فكر حر مستقل كما
ذكرت .

وهو هنا مع الاشاعرة في قولهم انه لا سبيل الى معرفة الله تعالى الا
بالشرع ، ولا بد لذلك من مخبر صادق ، وهو النبي .
ومع السلف في قولهم بوجوب النظر في مخلوقات الله ، لان الانسان خلق
مستعدا ، وفي مكتته وقدوره ان ينظروا ويستنتج ، وذلك ما ميز الله به الانسان
عن بقية المخلوقات .

وهو مع الفلاسفة حين استمد منهم فكرة : استحالة التركيب في ذاته
سبحانه ، وهذا خلاف مذهب السلف وجمهور المتكلمين على ما قرره الخزالي " ١ "
وشيخ الاسلام ابن تيمية " ٢ " رحمهما الله تعالى ، مما سنبينه بعد قليل باذن
الله .

-
- ١ - محمد بن محمد الخزالي الطوسي ، ابو حامد ، حجة الاسلام ، فيلسوف
متصوف ، له نحو مائتي تصنيف ، ولد بخراسان سنة ٤٥٠ هـ ورحل الى
الشام والحجاز ومصر ، وغيرها ، نسبتها الى صناعة الفزل ، او الى غزله
من قرى " طوس " مات سنة ٥٠٥ هـ / الاعلام للزركلي (٧ : ٢٤٧) .
 - ٢ - احمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني الدمشقي ابو العباس ، شيخ
الاسلام ، نشأ في دمشق ورحل الى مصر ، سجن عدة مرات في سبيل
الدعوة الى الله ، وصنف كثيرا من كتبه في السجن ، ثم منع من ذلك ،
كان كثيرا البحث في فنون الحكمة . داعية اصلاح في الدين ، آية في =

والصواب هو : ما ذهب اليه السلف في معرفة الله تعالى وهو ان الله سبحانه وتعالى ، خلق الانسان مستعدا ، وفيه قوة — حينما يصل الى درجة البلوغ الى ان يبحث ويستنتج ، ويستدل في الشؤون الدينية ، وهذا الاستعداد وهذه القوة ، مما لا يصح ان يرتاب فيه .
فان كل انسان يشعر اذا بلغ مهلخ الرجال ، ان فيه هذه القوة ، بل ، هذا هو ما ميز الله به الانسان عن بقية المخلوقات .
وقد استدل السلف رضي الله عنهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو هريرة رضي الله عنه :
قال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او يمجسانه او يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " " ١ " .
ولنستمع لشيخ الاسلام ابن تيمية — شيخ المذهب السلفي — حين سئل عن المراد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((كل مولود يولد على الفطرة . . .)) الحديث ، قال : — (على السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة) " ٢ " .
ويقول في تفسير قول الله عز وجل " اقرأ باسم ربك الذي خلق " " ٣ " ،

-
- = التفسير واصله مات في السجن في قلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ /
دائرة المعارف الاسلامية (١ : ١٠٩) .
١ — الحديث متفق عليه رواه البخارى ومسلم بروايات متعددة / انظر
البخارى في كتاب الجنائز ، ومسلم في باب القدر .
٢ — مجموع افتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ، وابنه محمد الطبعة الاولى سنة ١٣٨١ هـ
(٤ : ٢٤٥) .
٣ — سورة العلق اية (١) .

وقوله : " اقرا وربك الأكرم " " ١ " :-

(ذكر في الموضعين بالاضافة التي توجب التعريف ، وأنه معروف عند المخاطبين ، ان الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق . وان المخلوق مع انه دليل ، وانه يدل على الخالق ، لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال ، ومعرفة فطرية منروزة في الفطرة ضرورية بديهية اولية) " ٢ " .

ومع هذا فان السلف رضي الله عنهم ، يوجبون النظر في الكون والانسان على السواء ، لان في ذلك عاملا من عوامل تجلية الفطرة ، ان النظر فيهما يؤدي قطعا الى ما تنطق به الفطرة البشرية من معرفة الحقيقة العلييا ، وهو الرب تعالى .

كما ان الامر الالهي يالنظر في الايات الكونية - ومنها الانسان يشهد لهذه الفطرة البشرية . وذلك في كثير من الايات القرانية .

قال تعالى : " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والسماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت " " ٣ " .

وقال تعالى : " افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها والقيتنا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " " ٤ " .

١ - سورة العلق اية (٣) .

٢ - مجموع الفتاوى (١٠ : ٣٢٤) .

٣ - سورة الفاشية الايات من (١٧ - ٢٠) .

٤ - سورة ق الايات من (٦ - ٨) .

وقال عز وجل : " افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم " ١ " .

وقال : " فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فانبثنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وابا ، متاعا لكم ولانعامكم " ٢ " .

وقال : " فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب " ٣ " .

فالامر بالنظر شاهد صدق على ان الانسان في مكنه ومقدوره ان ينظر ويستنتج ، والشيخ محمد عبده مع السلف في هذا ، يقول في رسالة التوحيد :-

(قد امر الكتاب بالنظر واستعمال العقل فيما بين ايدينا

من ظواهر الكون ، وما يمكن النفوذ اليه من دقائقه ، تحصيلا لليقين بما

هدانا اليه ، ونهانا عن التقليد بما حكى من احوال الامم في الاخذ بما عليه ابائهم فالتقليد مهلة يعذر فيها الحيوان ، ولا يجمل بحال الانسان)^٤

ولكنه لا يقف عند هذا بل يتعداه الى قول الاشاعرة : ان معرفة الله لا سبيل لها الا الشرع ، ولا بد في ذلك من النبي .

١ - سورة يوسف اية (١٠٩) / الروم اية (٩) / فاطر اية (٤٤)

غافر اية (٨٢) / محمد اية (١٠) .

٢ - سورة عبس الايات من (٢٤ - ٣٢) .

٣ - سورة الطارق الايات من (٥ - ٧) .

٤ - رسالة التوحيد ، الامام محمد عبده ، القاهرة ، مكتبة الجامعة الازهرية

١٣٨٦ هـ سنة ١٩٥٦ م ص ١٥ .

" الرأي المختار في هذا الموضوع "

=====

وانا اميل مع السلف رضي الله عنهم في هذا ، وأؤيده ، وأؤكد

بالحقائق التالية :

اولا :

===== هذه القوة اصيلة عند كل انسان ، يجدها الانسان غير المتدين

كما يجدها اطلع الناس تفكيراً ، واعظمتهم تحقلاً ، وستبقى اصيلة في النفوس ،
متطورة بتطور الانسانية ، متجاوبه مع درجة الثقافه التي يلبسها الانسان نفسه ،
وستزداد فيه هذه القوة كلما ارتقى بفكره ، واتسمت ابحاثه ودراساته .

ثانياً :

===== حتى ان الطفل الصغير فيه هذه النزعة الفكرية ، وهذا مما

اثبتته علماء النفس - ان صح التعبير - عند كثير من الاطفال .
يقول العلامة الدكتور محمد عبد الله داراز : - (فان كثيراً من الاطفال ذوى
الفطر السليمة ، لا يقنعون بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقفون في تعليقه عند
حلقة من حلقات اسبابه ، وغاياته القريبة ، بل يصعدون دائماً الى اسبابه
الاولى ، ويسترسلون في تصريف نتائجه الاخيرة ، فهذه صورة مصغرة من تلك
النزعة الفكرية الانسانية التي هي ابدأ في حركة وتقدم يابيان الوقوف والجمود) . " ١ "

ثالثاً :

===== لقد اخذ التفكير في الموضوعات الدينية ، هل لهذا العالم

رب وخالق ؟ مساحة كبيرة من التفكير البشرى ، لا فوق في ذلك بين جنس .

١ - كتاب : الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، دكتور محمد

عبد الله داراز ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٩ هـ /

١٩٦٩م ص ٩٧ .

• جنس ، حتى اشد الناس همجية واقربهم الى الحياة الحيوانية .
يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين : (ان الغريزة الدينية
مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى اشدّها همجية واقربها الى الحياة الحيوانية
وان الاهتمام بالمعنى الالهي ، وبما فوق الطبيعة ، هو احدى النزعات العالية
الخالدة للانسانية) " ١ " .

رابعا :

====
هكذا كان اجماع الناس في التفكير البشري ، خاصة فيما يتعلق
بالموضوعات الدينية وهو اجماع ينادى به الواقع الملموس ، في كل زمان ومكان .
هذه القوة اذن ، هي القوة التي حباها الله للانسان ، وهي قسوة
الفطرة الالهية في الناس جميعا .

يقول " د راز " : (ما هذه اذا تلك القوة الخالصة التي لا تزيدنا
المقاومة الا عنفا ، واشتمالا . والتي تقهر في النهاية انصارها ، واعداءها
على السواء ؟)

أليست هي قوة الفطرة التي تورق وتثمر كلما طودها الريح فيل ثراها وسقى
اصولها ؟

بلى ، وان هذا الريح قد تكفي منه قطرة ، وربما تبلور في نظرة ،
فما هي الا طرفة من تأمل الفكر ، او لحظة من يقظة الوجدان ، أو أزمة من صدمات
العزم فاذا أنت تسبح بخيالك في عالم الغيب . . . (" ٢ " للوصول الى
الحقيقة العلوية الفطرية والتعرف عليها بوضوح .

١ - نفس المصدر ص ٨٤ .

٢ - الدين ص ٩٧ .

خامسا :

===== بعد الاعتراف بأن الانسان خلق مستعدا لان يفكر ويستنتج
في مرحلة معينة وفي سن معينة ، سواء أكان استنتاجه هذا صوابا أم خطأ ، نقول :-
ان الانسان مع هذا الاستعداد الفطرى للنظر ، والتفكير ، والاستنتاج ،
قد فطره الله على الايمان برب خالق في حدود هذا المفهوم ، دون ما وراءه من
التفاصيل الدينية التي جاء بها الانبياء ، والرسل صلوات الله عليهم اجمعين .

سادسا :

===== بقي لي وقفة قصيرة مع قول الشيخ " محمد عبده " السابق
وهو أن (النظر في الخلق يهدى بالضرورة الى المنافع الدينية ، ويضيء للنفس
طريقها الى معرفة من هذه آثاره ، وعليها تجلت انواره) .
هذا القول ، مضافا اليه قوله " ١ " في تفسير ، قوله تعالى :
" ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر
بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأخيل به الارض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم
يعقلون " ٢ " يزيد الامر جلاء ، ووضوحا ، ويدخل الشيخ " محمد عبده "
في ركب السلف رضي الله عنهم اجمعين فيكون فكر الشيخ " محمد عبده " موافقا
لفكر السلف في هذا الموضوع ، ويصبح تقرير رأى الشيخ " محمد عبده " هكذا :-

— ان معرفة البارئ تعالى يشعر بها كل انسان في اعماق نفسه ،

وتنادى بها فطرته التي فطره الله عليها . ولكن هذه الفطرة قد تتعرض لـ

١ — سيأتي بأكمله في الفصل الثاني ، عند التدليل على وحدانيته تعالى .

٢ — سورة البقرة آية (١٦٣) .

يحجبها عن طريق الاهتداء الى الله ، لكن الانسان في كل حين لا يبعد عن سماع نداء الفطرة من داخله ، لان الله تعالى اودع في الفطرة ما يهديها الى خالقها عند اول انذار .

وأما بقية التفاصيل فلا سهيل الى معرفتها الا بارسال الرسل ، صلوات الله عليهم أجمعين . وان ما جاء به الرسل ، وما يدركه العقل يلتقيان عند نقطة واحدة لا يقاظ الفطرة وتنبيهها وتوجيهها .

قال تعالى : " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " ١ .

يقوى هذا ويدعمه ، ما لخصه السيد رشيد رضا من حديث للاستاذ الامام في احد دروسه . قال :

(ان الشعور بوجود اله يتصرف في الاكوان تصرفا غيبيا ، فوق تصرف المخلوقات بما يكون من افضاء الاسباب الى المسببات ، قد عرف في جميع البشر من ادنى القبائل الهمجية الى ارقى الشعوب المدنية ، فهو شعور يستوى فيه الحفاة العراة في صحارى افريقيا وجزائر المحيط ، وفلاسفة اليونان في الماضى ، وفلاسفة الافرنج الآن ، وقد عرف في الفريقين عن قدام الامم كالمصريين ، والكلدانيين والهنود ، كما هو معروف في هذا العصر .

ومثل هذا الاتفاق بين الشرقي والغربي والشمالى والجنوبي في جميع الازمان من غير تواطؤ ولا تقليد ، ولا تلقين ولا تعليم لا يعقل الا انه فطرى نفس البشر) ٢ .

١ - سورة القمر الايات (١٧ ، ٢٢ ، ٣٢) .

٢ - الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٨٦) وقال : لخص الشيخ رشيد

رضا هذه السطور من حديث للاستاذ الامام في احد دروسه .

ولا يفوتني أن أنبه الى قول الشيخ " محمد عمده " (لاستحالة التركيب في ذاته) .
فهذه الفكرة ربما ابعدهت قليلا عن مذهب السلف ، لانها فكرة فلسفية
صرفه ، استمدها من اقوال بعض الفلاسفة الاسلاميين الذين تأثر بهم الى حد
كبير .

فهو لم يذهب بعيدا في قوله هذا عما ذهب اليه الكندي " ١ " ، في
الاستدلال على الوجدانية ، وهو ايضا مسلك الفيلسوف ابن رشد " ٢ " في كتابه
" مناهج الادلة " .

وهناك ملخص ما قالوه :-

(ان محدث العالم واحد لا شريك له ولا تركب في ذاته ، ولو فرض ان
العالم مخلوق ، لاكثر من اله ، لكانوا مركبين من صفة تعميم ، ومن جملة
اوصاف تميز كلا منهم ، والتسليم بوجود الصفات تسليم بوجود الكثرة في كل اله ،
فيجب ان نقف على العلة في وجود التركيب في كل اله ، ولو فرض وجود علة ،
وجب البحث عن علة لهذه العلة وهكذا دواليك ، ولا يمكن الانتقال في سلسلة
العلل فيجب الوقوف عند حد ، فيلزمنا القول بوجود اله برى من كل كسرة أو

١ - أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي ، فيلسوف العرب ، درس
الفلسفة والمنطق والهندسة والحساب والموسيقى والنجوم وغيرها ، وله كتب
ومؤلفات فيها .

انظر الفهرست لابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،
لبنان ص (٣٥٧ - ٣٦٥) .

٢ - محمد بن احمد بن محمد بن رشد الاندلسي ابو الوليد ، الفيلسوف
من اهل قرطبة ، درس لارسطو ، وترجم معظم كتبه الى العربية ، صنف
اكثر من خمسين كتابا ، كان دمث الاخلاق ، حسن الرأي ، اتهمه
خصومه بالزندقة ، مات في مراكش ودفن في قرطبة سنة ٥٩٥ هـ /
شذرات الذهب (٤ : ٣٢٠) .

تركيب لأن الكثرة في كل الخلق وليست فيه البتة (" ١ " .

ولست هنا بسبيل الرد على هذا القول والاعتراض عليه ، ولسوف يأتي هو الرد عليه عندما نتحدث عن رأى الشيخ محمد عبده في الوجدانية بانان الله .

١ - التفكير الفلسفي في الاسلام ، لعبد الحليم محمود ، الطبعة الثانية ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م (٢ : ٣٢٠) .

ب : اثبات وجود الله تعالى "

=====

مسلك الشيخ " محمد عبده " :

===== لقد سار الشيخ " محمد عبده " في

الاستدلال على وجود الباري في طريقين :-

الاول : اثبات وجود الممكن ، والممكن يقتضي بالضرورة وجود الواجب

• هو الله سبحانه

الثاني : اثبات حدوث العالم ، وحدث العالم يقتضي بالضرورة أن له

محدثا وهو الله سبحانه

واليك البيان :-

١ - الطريق الأول : " دليل الامكان " :

===== قسم الشيخ " محمد عبده " العلوم الى ثلاثة

اقسام ، هي :-

١ - ممكن لذاته : وهو ما لا وجود له ولا عدم من ذاته ، وانما يوجد لموجد

• ويعدم لعدم سبب وجوده

٢ - واجب لذاته : وهو ما كان وجوده لذاته من حيث هي

٣ - مستحيل لذاته : وهو ما كان عدمه لذاته من حيث هي

ثم شرع الشيخ " محمد عبده " في بيان حكم المستحيل ، وهو أن لا يطرأ

عليه وجود ، وان العدم من لوازم ما هيته من حيث هي

وانتقل الى بيان احكام الممكن وهي :-

أ : الممكن لا يوجد الا بسبب ولا ينعدم الا بسبب

ب : الممكن ان وجد يكون حادثا

ج : الممكن لا يحتاج في عدمه الى سبب وجودي

د : الممكن كما يحتاج للسبب في وجوده يحتاج اليه في بقاءه

ثم انتقل الى البرهنة على ان الممكن موجود قطعاً فقال :-
(نرى أشياء توجد بعد أن لم تكن ، واخرى تنعدم بعد ان كانت ،
كأشخاص النباتات والحيوانات .

فهذه الكائنات : اما مستحيلة أو واجبة أو ممكنة .
لا سبيل الى الاول ، لان المستحيل لا يطرأ عليه الوجود .
ولا الى الثاني ، لان الواجب له الوجود من ذاته ، وما بالذات
لا يزول فلا يطرأ عليه العدم ، ولا يسبقه ، فهي ممكنة ،
فالممكن موجود قطعاً) " ١ "

وفي النهاية أخذ يستدل على وجود الواجب ، بعد أن أثبت قطعياً
وجود الممكن فقال :-

(جملة الممكنات الموجودة ، ممكنة بداهة ، وكل ممكن محتاج
الى سبب يعطيه الوجود ، فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها الى
موجد لها ،

فاما أن يكون عينها : وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه .
واما أن يكون جزأها : وهو محال لاستلزامه ان يكون الشيء سببها
لنفسه ولما سبقه ، ان لم يكن الأول .

ولنفسه فقط ان فرض أول . وطلانه ظاهر .
فوجب ان يكون السبب وراء جملة الممكنات ، والموجود الذي ليس بممكن هو
الواجب .

اذ ليس وراء الممكن الا المستحيل والواجب ،
والمستحيل لا يوجد فيبقى الواجب .

- فثبت ان للممكنات الموجودة موجدا واجب الوجود
- وايضا الممكنات سواء كانت متناهية او غير متناهية قائمة بوجود
- فذلك الوجود :- اما ان يكون مصدره ذات الامكان وماهيات الممكنات
- وهو باطل لما سبق في احكام الممكن ، من أنه لا شيء من الماهيات الممكنة
- بمقتضى للوجود •

فتعني ان يكون مصدره سواها ، وهو اللواجب بالضرورة) " ١ "

٢ - الطريق الثاني : " حدوث العالم "

=====

لقد سار الشيخ " محمد عبده " شوطا طويلا في هذا الطريق ،
وتكلم كثيرا في هذا الموضوع ، فأورد مقالات الفلاسفة ، وحللها وناقشها ،
وبين ان الناس في ذلك فريقان :-

- ١ - فريق قال بحدوث العالم ، وهؤلاء أصابوا •
 - ٢ - وآخر قال بقدمه ، وهؤلاء اجتهدوا فأخطوا في نظرهم ،
ولم يسددوا مقدمات أفكارهم •
- ولا شك عندي في أن الشيخ " محمد عبده " كان فيلسوفا
كبيرا ، ماهرا وهو يشقق القول ويبرهن على حدوث العالم ، ويرد على الحكماء
والفلاسفة •
- فلم يترك مسألة الاوتراه يدلي بدلوه فيها ، فجاء برهانه في
غاية الدقة ، وقوة الملاحظة ، وديح الكلام ...

١ - نفس المصدر ص ٣٦٩ •

وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، للدكتور سليمان
دنيا (١ : ١٥٤ - ١٥٥) ، (١ : ٢٥١) •

وجملة ما استدل به على حدوث العالم هو :-

هذا العالم واجب الحدوث ، لأن لكل معلول علة ، وذات العلة مهايئة لذات المعلوم ، ولا بد أن يكون وجود المعلوم في الآن الثاني لوجود العلة حتى تتحقق الافادة والاستفادة .

لأن معنى العلة : ما هو معطي الوجود .

ومعنى المعلوم : ما هو مستفيد الوجود من غيره .

وبعبارة أخرى :

ان هذا العالم لا يد وان يكون واجب الحدوث ، لان لكل حادث محدث .

والحادث غير المحدث قطعا .

والمحدث سابق للحادث بالضرورة حتى يكون هناك مفيد ومستفيد .

وحتى تتصور الافادة .

وبعبارة هو يقول :-

(وأما وجوب حدوثه ، فلأننا لا نعلم من معنى العلة إلا ما هو معطي

الوجود ، ولا من معنى المعلوم إلا ما هو مستفيد الوجود من غيره

ومن البين أنه لا بد ان تكون ذات العلة ، مهايئة لذات المعلوم ،

حتى يتحقق المفيد والمستفيد ، وتتصور الافادة .

والمستفيد بذاته ليس واجدا ما يستفده . ان لو كان واجدا له ،

لم تتحقق الاستفادة . ان تكون تحصيل الحاصل . وهو محال .

وليس المفاد ههنا إلا نفس الذات المملولة ، ووجودها .

وانا كان المفاد مسلوما ، فقد كان الذات معدوما .

واقادتها اخراجها من العدم .

فان : رجع معنى الافادة الى اخراج الممكن من العدم الى الوجود .

والاخراج من العدم يستدعي سبق العدم .

فما من ممكن ومعلول إلا وقد سبق وجوده عدمه ، سببية لا تجتمع
مع المسبوقية • ان لو اجتمعا للزمه كونه مخرجا من العدم ، في حال كونه
لم يكن فيه •

اي في حال وجوده وهو تحصيل الحاصل •
والحاصل أن البداهة شاهدة بأن اعطاء شيء لشيء ، في أن كون
ذلك الشيء حاصلًا للمعطى له ، انما هو تحصيل حاصل •
بل لا بد أن يتحقق حال للمعطى له ، لم يكن له المعطى حتى
يتصور اعطاء ، وهذا ظاهر •

فقد ثبتت كلية المقدمة القائلة : العالم حادث ، وهو

المطلوب (١٠)

===

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين • دكتور سليمان دنيا ،

(١ : ١٧٩ — ١٨٠) •

" التعليق على مسلك الشيخ محمد عبده "

=====

لقد سلك الشيخ محمد عبده في الاستدلال على وجود الهاري

عز وجل مسلكين هما :-

الاول : مسلك الفلاسفة

وخلاصته : الموجود ان كان واجبا فهو المطلوب ،

والأ استلزمه ، لاستحالة الدور " ١ "

والتسلسل " ٢ "

الثاني : مسلك جمهور المتكلمين .

وخلاصته : هذا العالم حادث ، ولا بد له من محدث ،

هو الله تعالى .

١ - مناقشة المسلك الاول :

===== أما هذا المسلك فقد قلده فيه الشيخ محمد

عبده ، جمهور الفلاسفة ، في الاستدلال على وجود الواجب . وهو مسلك

١ - الدور : معناه أن الموجد المؤثر قد أوجد شيئا هو المعبور عنه " بالأثر " ،

وأن يكون ذلك الأثر هو الموجد للمؤثر فيه . بمعنى أن يتوقف

الشيء على نفسه .

٢ - التسلسل : معناه أن يتوقف كل موجود على موجد ، وهذا الموجد يتوقف

على آخر يوجد له ، وذلك على موجد أيضا الى ما لا نهاية . بلا

نتيجة .

انظر كتاب : الله بين الفطرة والدليل بقلم الشيخ محمد حسن الياسين ،

المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الثالثة

لا يخلو من النقد والاعتراض عليه .

لأن الشيخ محمد عبده يريد أن يقول :-

ان الموجود اما واجب لذاته أو ممكن .

لأن الموجود اما ان تستلزم وتقتضي حقيقته الوجود ، بحيث

يأبى العدم ولا يقبله ، او لا تقتضي حقيقته الوجود ولا تستلزمه بل الوجود

والعدم اليها سواء .

• فالاول هو الواجب لذاته

• والثاني هو الممكن

ولما كانت جملة الممكنات ، ممكنة . والممكن لا يوجد الا بسبب يمنحه الوجود .

فهذا لا يخلو من أحد احتمالات ثلاثة :

الأول : اما ان يكون عينها ،

الثاني : اما ان يكون جزأها ،

الثالث : اما ان يكون غيرها .

والاول باطل ، وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه ، ولأن الشيء

لا يكون علة لنفسه .

والثاني باطل ، وهو محال ايضا لاستلزامه ان يكون الشيء سببا لنفسه ،

ولما سبقه اذا كان ذلك الجزء علة لجميع السلسلة .

فثبت الثالث ، ووجب ان يكون السبب وراء جملة الممكنات ، والخارج عن جملة

الممكنات واجب بالذات . فثبت المطلوب .

وهنا يتعارض قول الشيخ " محمد عبده " : " ان احتياج الممكن الى اجزائه

يؤدي الى احتياج الشيء الى نفسه وهو باطل " . مع قول الفلاسفة في الواجب:

" انه يتركب من ذات وصفات ، ولا يجوز ان يتركب من أجزاء ، وحاجته الى

اجزائه هي حاجته الى نفسه ، وحاجة الواجب الى نفسه ليست مستحيلة " .

كان الأولى بالشيخ " محمد عبده " وهو يركب سنن الفلاسفة
أن يدلل على وجود الباري عز وجل بأسلوب سهل يسير من غير تعقيد ولا
تضييق .
فيقول مثلاً " ١ :-

هل خالق العالم واجب لذاته أو ممكن كسائر المخلوقات ؟
والجواب : ان هذا الصانع الخالق لا بد ان يكون واجبا لذاته ، والا كان
ممكنا قطعاً . فلا يصلح خالقا .
لأنه وقد فرض ممكنا لا وجود له من حيث ذاته كما هو حقيقة
الممكن . فهو من حيث ذاته فاقده الوجود ، واذنا فلا يكون مانعا لغيره
الوجود ، لأن فاقده الشيء لا يعطيه أو كما يقول أهل الفقه : " ان
الايجاد بعد مرتبة الوجود " .
بمعنى : أن الحديث عن الایجاد انما يكون بعد ثبوت الوجود ، اذ لا
يعقل ایجاد شيء الا بعد وجود ذلك الشيء .
فان قيل : لعل وراء هذا الخالق الممكن ، خالقا آخر منحه
الوجود وأوجده ، فيصلح اذا ان يكون خالقا ومانعا الوجود لهذا العالم .
ويجاب عليه : ذلك الخالق الاخر ان كان ممكنا لا يصلح ان
يمنح الوجود لغيره لانه وقد فرضناه ممكنا فلا وجود له من حيث ذاته كما هو
حقيقة الممكن . واذنا فلا يمنح الوجود لغيره .
وان كان واجبا لذاته كان هو الخالق الواجب لذاته فيكون هو الاله
المطلوب .

١ - من كلام الشيخ محمد يوسف الشيخ رحمه الله ، في محاضرة ألقاها على
طلاب السنة التحضيرية في مادة " نصوص عقيدة " لعام ١٣٩٧هـ /

فان قيل : نختار ان الخالق الثاني ممكن •

فيرد عليهم بأنه لا يصلح ان يمنح الوجود للخالق الاول لأنه وقد

فرضناه ممكنا فهو فاقد الوجود لذاته •

فان قيل : ان وراء الخالق الثاني خالقا ثالثا ممكنا أيضا منح الوجود

للخالق الثاني •

قلنا : ومن منح الخالق الثالث الوجود ؟

قالوا : منحه خالق رابع ، وهكذا الى ما لا نهاية • فليس هناك

خالق واجب الوجود لذاته كما هو معروف في العقيدة الاسلامية •

ويجاب على قولهم هذا بما يلي :-

• ان هذا يعني وجود سلسلة من الخالقين كل فرد منها ممكن •

اذا كل فرد منها لا وجود له من حيث ذاته • فهو فاقد الوجود من حيث

ذاته •

اذا فلا يكون اى فرد من هذه السلسلة خالقا ، واذا لا مخلوق أصلا لانه

لا خالق •

وهذا باطل مشاهدة وحسا ، فهناك ارض مخلوقة • وسماء

مخلوقة • وحيوان مخلوق • ونبات مخلوق الى آخر المخلوقات •

وخلاصة القول :

• اذا كان هناك مخلوق ، فلا بد في النهاية من خالق واجب الوجود لذاته •

• والا فلا مخلوق اصلا وهو باطل مشاهدة وحسا •

• واذا كان هناك خالق واجب لذاته فقد ثبت الاله والالوهية • وهذا هو المطلوب •

والا لنزم أحد أمرين

• الأول : الدور : وهو باطل لأنه ينتهي الى توقف الشيء على نفسه •

• الثاني : التمسلس : وهو باطل لأنه لا يوصل الى نتيجة •

ولما كان الدور والتسلسل باطلين ، فقد ثبت أنه لا بد من الاقرار بوجود صانع

• مجرد واجب الوجود لذاته ، وهو الله تعالى •

٢ - مناقشة المسلك الثاني :-

===== أما المسلك الثاني فقد سلكه كثير
من العلماء ، كابى منصور الطائرى "١" ، وابن حزم الظاهرى "٢" ،
وعند الدين الايجى "٣" ، والقاضى عبد الجبار "٤" من الممتزلة ،
وهؤلاء جميعا على اختلاف مذاهبيهم ، وتباين طرقهم واستدلالاتهم في اثبات
المحدث فانهم اتفقوا في النتيجة النهائية وهى :-

-
- ١ - انظر كتابه : التوحيد ، تحقيق الدكتور فتح الله خليف ، طبعة
دارالمشرق بيروت لبنان - ص ١٢ •
 - ٢ - انظر كتاب : ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه ، للشيخ محمد
ابوزهرة ، ص ٢٢ دارالفكر العربى •
 - ٣ - انظر كتاب : المواقف ص ٥ الموقف الخامس • بشرح الجرجاني •
عبد الرحمن بن احمد بن عبد الفغار البكرى الايجى الشيرازى • عند
الدين • كان اماما في المعقولات ، والمعاني والبيان ، والنحو ،
أشهر مؤلفاته : المواقف ، والمقائد العضدية ، وجواهر الكلام •
توفي سنة ٧٥٦ هـ
 - انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين ابى نصر عبد الوهاب
ابن على السبكي • تحقيق محمود محمد الطناجى ، وبعد الفتاح
الخلو ، الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م عيسى البابسى
الطبي (١٠ : ٤٦ - ٤٧) •
 - ٤ - انظر شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٩٤ - ٩٦ •
وانظر كتاب : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدريسة ،
دارالكتب العلمية ، تحقيق الدكتور رشاد سالم (١ : ١٠٧) •

" هذا العالم حادث ولا بد له من محدث هو الله تعالى "

وهذا المسلك الذي أخذته الشيخ محمد عبده عن المتكلمين ، لا

يتعارض دليله مع العقل السليم ، ولا يتناقض مع الشرع الحنيف .

وقد استدل به السلف بطريقة علمية مختصرة هي :-

اننا نشاهد من حدوث الحوادث ، حدوث المخلوقات من حيوان

ونبات وجماد الى آخرها . وهي ليست مستنعة حيث وجدت ، ولا هي

واجبة الوجود بنفسها لانها كانت بعد ان لم تكن .

فحدثها دليل على المحدث لها ، المخالف لما هي

عليه ، وهو الله تبارك وتعالى . " ١ "

وهذه الطريقة كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية شرعية

وعقلية .

فهي شرعية :

لأن القرآن ارشد اليها وبينها ، وهدى الناس اليها في

كثير من آياته :

قال تعالى : " ويقول الانسان انا ما كنت لسوف اخرج حيا اولاً

يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً " ٢ "

وقال : " وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي

رميم ، قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ، تقديم حسين محمد

مخروف ، دار الكتب الحديثة الطبعة الاولى ص ١٥ - ١٦ .

وانظر : شرح حدوث النزول ، لابن تيمية ص ٢٨ المكتب الاسلامي

الطبعة الخامسة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

٢ - سورة مريم الايات (٦٦ ، ٦٧) .

علم "١".

وهي عقليه :

لأن العقل السليم استطاع ويستطيع أن يتنبه اليها ، ويدركها

من غير أن يرشده اليها شرع حنيف . "٢"

وحاصله :

فان اثبات وجود الله أمر في غاية اليسر والسهولة . لا يحتاج

الى مقدمات ونتائج ، ولا يكون بهذا التعقيد الذي قد لا يفيد القارئ شيئاً ،

ولا يقربه الى الايمان خطوة .

ومع تحفظي من المسلك الأول الذي سلكه الشيخ محمد عبده ،

وهو مسلك الفلاسفة ، وقبولي للمسلك الثاني وهو مسلك المتكلمين ، فاني أرى

أن طريق القرآن الكريم هي أقوى الطرق وأسهلها وأقربها الى عقول العامة

فضلا عن الخاصة في اثبات وجود الله سبحانه . وذلك ببيان عظمته في خلقه

وسيطرته على كل ما في العالم ، وبيان عنايته ورعايته لما في الكون ، واتقائه

لكل ما فيه من قوى ونواميس ، وسنن وقوانين . . . الخ .

وهذا الطريق استخدمه الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون ،

ومن تبعهم ، ولا يزال يستخدمه كثير من المسلمين الى يومنا هذا .

وهو الطريق الذي أوهده وأسير عليه ، لأنه الأولى ،

والأسلم ، وبه يثاب العبد ، ويجزى الخير الكثير .

١ - سورة يسن الايات (٧٨ ، ٧٩) .

٢ - انظر كتاب : النبوات ، لابن تيمية ، ص ٤٨ ، مكتبة الرياض

الحدیثة .

"الرأى المختار في الاستدلال على البارى تعالى"

=====

وأنا على طريق القران في الاستدلال على الخالق عزوجل ، لأن في
القران براهين عقلية واضحة ، يفهمها الجميع ، تقود الى الحق والى صراط
مستقيم .

قال تعالى : " وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

فتفرق بكم عن سبيله " ١ "

لذلك كله ، وحتى لا اتبع سبيل الفلاسفة وغيرهم ، اخترت

طريق القران الكريم . الطريق الوحيد الذى يهذى من اتبعه سهل السلام ،

ويصل به الى معرفة البارى عزوجل على اكمل وجه .

وهذا الذى اخترت ، هو طريق السلف أيضا ، فهم يصرحون

بان وجود الله أمر فطرى ، تشهد به الفطر السليمة من غير دليل .

وايضا : فان اثبات وجود الله من حيث هو موجود لم يكن

هدفا من الأهداف القرانية ، ولا مما جاء به الرسل عليهم السلام ، لأنه سبحانه

أبين وأظهر من ان يجهل فيطلب الدليل على وجوده . وهذا ما سرح به كبار

أئمة السلف وعلمائهم .

قال حجة الاسلام أبو حامد الخزالي : (بعث الانبياء) - صلوات الله

عليهم - لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا " لا اله الا الله " وما أمروا أن يقولوا :

لنا اله ، وللعالم اله ، فان ذلك كان مجبولا في فطرهم من مبدأ نشوئهم ،

وفي عنقوان شبابهم ، ولذلك قال عزوجل " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

ليقولن الله " ٢ " . وقال : " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر

١ - الانعام اية (١٥٣) .

٢ - لقمان اية (٢٥) ، الزمر اية (٣٨) .

الناس عليها " ١ " .

فاذا في فطرة الانسان وشواهد القران ما يخفي عن اقامة البرهان " ٢ " .

وسمع الامام ابن القيم رحمه الله " ٣ " ، شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :-

كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شي ؟

وانه كثيرا ما كان يتمثل بهذا البيت :-

وليس يصح في الازهان شئ ، اذا احتاج النهار الى دليل " ٤ " .

قال ابن القيم ؛ (ومعلوم ان وجود الرب تعالى اظهر للمقول

والفطر من وجود النهار ، ومن لم يرد ذلك في عقله وفطرته فليشبههها) " ٥ " .

١ - الروم اية (٣٠)

٢ - احياء علوم الدين ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفسة

للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - (١ : ١٥٥) .

٣ - محمد بن ابي بكر بن ايوب الزري الدمشقي . الشهير بابن القيم ، ركن

من اركان الاصلاح الاسلامي ، واحد كبار العلماء ، تتلمذ لشيخ الاسلام

ابن تيمية ، حتى كان لا يخرج عن شي من اقواله ، وهو الذي هذب

كتبه ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، واهين وعذب بسببه

ما ت سنة ٧٥١ هـ / الاعلام (٦ : ٢٨٠) .

٤ - هذا البيت من كلام ابي الطيب المتنبي . انظر ديوانه بشرح المعبري

المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم

الابيارى ، وعبد الحفيظ شلي ، طبة سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ،

مصطفى البابي الحلبي بمصر . (٣ : ٩٢) وفيه بدل " الازهان "

" الافهام " .

٥ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، لابن القيم ،

دار الفكر العربي (١ : ١٦٠) .

”١“
وهناك من انحرفت فطرهم ، فقالوا : ان العالم لم يزل ، وهم الدهرية .
وقد رد القران عليهم بما يضطرهم الى الاعتراف بالحق ، والرجوع الى الصواب .
وفي عصرنا هذا وجد من ينكر الله تعالى ، ويتهم الدين بأنه مخدر
للشعوب وذلك تحت تأثير المذاهب الهدامة ، بسبب تعارض الدين ، وعقيدة
الاله مع صالح هذه المذاهب أو مبادئها
والقران الكريم في معرض الحديث عن الباري عز وجل ، والاستدلال عليه
سلك مسلكين متوازيين متقابلين .

فهو ان يرد على من انحرفت فطرهم أو اختلفت بسبب عوامل اختلفت فيهم
هذه المعرفة الالهية ، يوجه الناس الى النظر في الكون الفسح للتعرف على
عظمة الله وقدرته ، واحكام صنعه واتقانه ، وعنايته التامة بكل ما في العالم
من تناسق ، وتضامن ، وانسجام واختلاف ، وترباط بين اجزائه
ووحداته

١ - المسلك الاول : الرد على من انحرفت فطرهم :

=====

أقول : ان تحقق التدوين الاجمالي أمر مركز في النفوس . وان معرفة
الرب والاتقار به خالقا وصانعا فطرة فطر الله الناس عليها ، لا فرق في هذا
بين مسلم ويهودي ، ونصراني وملحد .

١ - طائفة قديمة تانكرت الصانع وزعمت ان العالم قديم ، ولم يزل الحيوان
من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون ،
فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر ، او كما يقولون : ارحسام
تدفع وارض تبلع والمهلك هو الدهر . / انظر شرح العقيدة الاصفهانية
لابن تيمية ص ١٠٩ - ١١٠ .

الا ان هذه الفطرة قد تختفي وراء غواش طارئة ، أذكر منها :-
١ - تلك الشبهات المختلفة ، والأفكار الخبيثة التي يشيعها الملاحدة ،
والاباحيون في مختلف العصور ، وفي كل مكان ، صدا عن سبيل الله ،
وتحلا من الشرائع والأديان ، ومن القيم النبيلة ، ومكارم الأخلاق ،
ولا سيما تلك المذاهب الحديثه كالشيوعية " ١ " ، والعلمانية " ٢ " ،
والمقلانية " ٣ " . . . الخ ، التي تسعى في اصرار عنيد الى هدم
المثل العليا الفاضلة ، تدعو اول ما تدعو الى نهد الدين والكفر برب
العالمين . " ٤ "

-
- ١ - انظر نقض أوهاام المادية الجدلية ، للبوطي .
 - ٢ - معناها : اقامة الحياة على غير اساس من الدين / انظر كتاب :
العلمانية نشأتها وتطورها واثارها في الحياة الاسلاميه
المعاصرة ، سفر عبد الرحمن ، دار مكة للطباعة
والنشر ١٤٠٢ / ١٩٨٢م ، ص ٢١ - ٢٤ .
 - الطبعة الاولى .
 - ٣ - التي تؤمن بما يقع تحت مجهر الحس والعقل فقط ، وتتكرم وراء الطبيعة
او ما يسمى بالميتافيزيقا .
 - ٤ - انظر كتاب : الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء
الاوروبيين ، اشرف على تحريره جون كلوفر ترجمة الدمرداش
عبد الحميد سرحان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار
احياء الكتب العربية ١٩٦١م ص ٣٣ .

- ٢ - انصراف الانسان الى ملذاته و شهواته ، لا سيما تلك التي حرمها الله تعالى وحث على تركها الرسل الكرام . بل ان الانسان في مشاغله الجاهلة الضرورية ينس في كثرتها ، وقسوتها ما استكن في نفسه من الفطرة ، خصوصا اذا توفرت له الهيئة الفاسدة التي هي من اشد العوامل خطورة على الفطرة . " ١ "
- ٣ - التقليد والتعصب الأعمى للمذهب ، وفي ذلك ابطال شرف العقل ومكانته ، لأنه انما خلق للتأمل والنظر ، وفيه ايضا حجر على المواهب واقفال لمنافذ المعرفة . " ٢ "
- ٤ - المبالغة في تعظيم بعض المخلوقات وتقديسها ، الى حد عبادتها والتوجه اليها ، وهذا يخفي في الانسان ما فطر عليه من عبادة الخالقية والربوبية وتقديسها . " ٣ "
- تلك هي بعض العوامل التي قد تختفي وراءها الفطرة ، والتي لو انقشعت ، لظهرت الفطرة واضحة جليلة ، وليرجع الانسان بفطرته الى ربه .

-
- ١ - انظر كتاب : عقيدة المسلم ، للشيخ محمد الخزالي ص ١٧ .
- ٢ - انظر كتاب : مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، محمد المجذوب ، ط ٢ ، دار الاعتصام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ص ٢٢ .
- ٣ - انظر كتاب : دستور الاخلاق في القران ، محمد عبد الله دراز ، تعريب وتحقيق وتعليق الدكتور : عبد الصبور شاهين ، مراجعة الدكتور السيد محمد بدوي ، مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية ، الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ص ١٩٨ / وانظر كتاب : تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء ، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق خير الدين علي ، بيروت ، دار الوحي العربي ص ٦٩ .

ولقد جاء في القرآن ما يرد على هؤلاء في كثير من الايات • فقد رد

على الدهرية :

قال تعالى : " وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا

الا الدهر " • " ١ " •

فكذبهم وقال :

" وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون " • " ٢ " •

اي ان قولهم هذا مني على الظن والتخمين • لان من كان يريد الحق يكتفي النظر الى حدوث الحياة في الاجسام • وفي هذا الدليل الكافي علي ان هناك موقدا للحياة • ومنعما بها وهو الله سبحانه • وان ظهور الحياة في حد ذاته دليل للاقناع بوجود

الاله الخالق •

قال تعالى : " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين

تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له " • " ٣ " •

وقال : " فلينظر الانسان مما خلق • خلق من ماء دافق " • " ٤ " •

وقال : " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت " • " ٥ " •

وقد رد الله عليهم بضرورات فكرية • وايات فطرية •

منها : —

١ — قوله تعالى حاكيا قول رسل الامم المنكرة للخالق : " قالت رسلهم افسى

١ الله شك فاطر السموات والارض " • " ٦ " •

١ — سورة الجاثية اية (٢٤) •

٢ — سورة الجاثية اية (٢٤) •

٣ — سورة الحج اية (٧٢) •

٤ — سورة الطارق الايات (٥ — ٦) •

٥ — سورة الفاشية اية (١٧) •

٦ — سورة ابراهيم اية (١٠) •

فهو سبحانه لا يحتجب الشك ، لظهور الأدلة وشهادتها عليه .

٢ - قال تعالى : " ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق ، إن يشأ

يدهبكم ويأت بخلق جديد " ١ "

٣ - وقال تعالى : " ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين " ٢ "

٤ - وقال تعالى : " قل أأنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له

اندادا ذلك رب العالمين " ٣ "

٥ - وقال تعالى : " ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة

وهو على جمهم إذا يشأ قدير " ٤ "

٦ - وقال تعالى : " أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من

شيء " ٥ "

٧ - وقال تعالى : " قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار " ٦ "

٨ - وقال تعالى : " أم ينسأ الخلق ثم يميدده ومن يرزقكم من السماء

والأرض أله مع الله قل هاأوا برهانكم إن كنتم صادقين " ٧ "

٩ - وقال تعالى : " ومن آياته إن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر

تنتشرون " ٨ "

١ - سورة إبراهيم آية (١٩) .

٢ - سورة المؤمنون آية (١٧) .

٣ - سورة فصلت آية (٩) .

٤ - سورة الشورى آية (٢٩) .

٥ - سورة الاعراف آية (١٨٥) .

٦ - سورة الرعد آية (١٦) .

٧ - سورة النمل آية (٦٤) .

٨ - سورة الروم آية (٢٠) .

١٠ - وقال تعالى : " أفميينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد " ١

هذا غيضي من فيض من ايات الله الدالة على الخالق سبحانه ،
وهي أدلة بينه في نفسها ، لا تحتاج الى فلسفة متفلسف ، أو كلام
متكلم .

هذا وان الوقوف على الاختراع الحقيقي في الموجودات يهيب قطعا
معرفة المخترع وهو الله سبحانه .

وقد أكد الله سبحانه هذا بقوله : " أم خلقوا من غير شيء أم
هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون " ٢

هذه الاية الكريمة تضطر المتفكر ، المتمعن فيها الى الاعتراف
بأن الشئ لا يخلق نفسه ، ولا يخلق من غير خالق . فلا هذا ولا هذا بل هو
الله خالق كل شيء ابتداء ، واعادة . ٣

قال تعالى : " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ،

انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميما بصيرا " ٤

١ - سورة ق اية (١٥) .

٢ - سورة الطور الايات من (٣٥ - ٣٦) .

٣ - انظر تفسير ابن كثير " تفسير القران العظيم " ابو الفداء اسماعيل بن

كثير القرشي الدمشقي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ،

الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م (٦ : ٢٦٩ ، ٤٣٦) ،

وانظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه التأويل ، وهو

تفسير القران الكريم ، لمحمود بن عمر الزمخشري . مطبعة الاستقامة ،

الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م (٢ : ٣٦٩) ،

(٣ : ٥١٢ - ٥١٣) ، (٤ : ٢٥) .

٤ - سورة الانسان الايات من (١ - ٢) .

وهي ايضا دليل واضح يفهمه كل من اوتي نصيبا من التفكير ، وسمح لعقله
أن ينظر فيها من غير تعقيد أو تقليد ، بعيدا عن التعصب الأعمى والمكابرة
البغيضة .

وله أن يقول فيها كما تقول :-

يستنكر الله في هذه الآية حالتين وفرضين ، هما :

١ - يستنكر ان يخلقوا من غير خالق .

٢ - ويستنكر ان يخلقوا أنفسهم .

وهذا الذي استنكره واضح البطلان بالضرورة ، اذ كيف يخلق

الشيء من العدم من غير خالق وموجد ؟

وأبعد من هذا ان يخلقوا أنفسهم .

فالخالق بداهة غير المخلوق ، بل هو مقدم عليه ، فكيف يكون المخلوق

هو الخالق ؟

وكيف يتقدم الشيء على نفسه ؟

فالنتيجة الحتمية أنه لا يد لهم - بل لكل مخلوق - من خالق آخر غيره .

وهكذا ، جرى الكتاب المبين في عديد من آياته البينة أن يستدل بالخلق

على الخالق .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(ان الاستدلال بهذه الطريقة فطري بديهي ، مستقر في النفوس

لا يمكن لأحد أن ينكره ، يقول :- أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ فهذا ممنوع

في بداهة العقل . أم هم خلقوا أنفسهم ؟ ، فهذا أشد امتناظا . فعلم

ان لهم خالقا خلقهم وهو الله سبحانه وقد ذكر الدليل بصيغة استفهام

الانكار ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس

لا يمكن لأحد انكارها ، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون

محدث أحدثه ، ولا يمكنه أن يكون هو أحدث نفسه (" ١ ")
والاستدلال بهذه الطريقة ، وبهذا الأسلوب ، استدلال غلي ايضاً -

لا ينكره الا مسلوب العقل ، أو غافل ، أو ممطل جاحد .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

(فصل الممطل الجاحد ما تقول في دولا ب دائر على نهر ،

قد أحكمت آلاته واحكم تركيبه ، وقدرت آلاته أحسن تقدير ، وقد جعل على
حديقة عظيمة فيها من انواع الثمار والزروع ، يسقيها حاجتها ، وفي تلك الحديقة

من يلم شعشها ، ويحسن مراعاتها . اترى ذا اتفاقاً " ٢ " من غير فاعل ،

ولا قيم " ٣ " ولا مدبر ؟ أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان ؟

وما الذي يفتيك به وما الذي يرشدك اليه ؟ (" ٤ ")

وان من اكثر الايات القرآنية دلالة ووضوح في الاستدلال ، اية

سورة العلق ، وهي قوله تعالى :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق) (" ٥ ")

١ - الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، طبعة بومباي ، ١٩٦٨ م ، ص

(٥٢ - ٥٣) .

٢ - يعني صدقة .

٣ - القيم : الخادم الذي يوعى شؤون الحديقة .

٤ - كتاب : مفتاح دار السعادة ، ومشور ولاية العلم والارادة ، لابن القيم ،

طبعة القاهرة ١٣٢٣ هـ (١ : ٢٢٥) .

٥ - سورة العلق الايات من (١ - ٢) .

فهذه أول آية من أول سورة انزلت في القرآن الكريم "٢" ، تضع الانسان مباشرة امام كثير من الاسئلة والتساؤلات التي لا مناص ازاءها من الاقرار ، والتسليم بمقصودها الا وهو الاعتراف بالخالق .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

فذكرت الخلق مطلقا ومقيدا ، لتنبه الانسان في كل أحواله ، ان هذا الخلق لا بد له من خالق ، ثم ذكرت خلق الانسان من طقة ، ليكون الانسان نفسه هو الدليل الذي يستدل به على خالقه ، وهذا دليل قطري يعرفه كل فرد من داخل نفسه . "٢"

وهكذا يتفق السلف "٣" ، ومعهم جمهور فقهاء المتكلمين "٤" ، وبعض الفلاسفة "٥" من المسلمين ، على أن أدلة القرآن في الاستدلال على وجود الله هي أدلة سمعية ، وعقلية ، وشمورية ونفسانية فطرية ، لا يسع الانسان سوى ، صاحب العقل السليم والنفس المطمئنة ، والاحساس الحي الا ان يسلم بها تسليما ، ويقول ربي الله خالق كل شيء .

-
- ١ - انظر كتاب الثقافة الاسلامية ، تأليف نخبة من العلماء المسلمين ، تقديم الدكتور راشد الراجح الشريف ، جامعة أم القرى ، المستوى الثاني ص (١٠) / ومجموع الفتاوى ج ١٦ ص ٢٥٤ .
 - ٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ١٦ (٢٦٠ : ٢٦٢) بتصريف ، تصوير الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .
 - ٣ - انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد ، تأليف الدكتور محمود احمد خفاجي ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م (١ : ١٥٤) .
 - ٤ - انظر : الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني ، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م (٣ : ٧٩ - ٨٠) .
 - ٥ - انظر : مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد ، مع مقدمة محمود قاسم وتحقيقه ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

٢ - المسلك الثاني : العناية الالهية بما يرى في العالم :

=====

النظر الى هذا الكون الفسيح ، وما فيه من اتقان وابداع ،
ونظام دقيق رتيب ، يشهده اجمالا جميع الناس ، لا فرق بين عالمهم
وجاهلهم ويشهده تفصيلا اولئك الذين تخصصوا في كثير من العلوم الكونية
كعلم الفلك ، وعلم الطب ، وعلم الحيوان والنبات ، وعلم طبقات الارض ،
وعلم الفضاء في العصر الحاضر الخ .
لقد اكتشف هؤلاء من أسرار الكون ، واياته ، ما خفي على جماهير
الناس ، وعلمتهم ، وصدق الله العظيم " سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد " (١) .
فان هذه النظرات في الانفس والافاق ، تشهد بما لهذا الكون
من رب وصانع ، ومن هنا كان هذا العامل ، منبها للفطرة ، حيث ينتهي هذا
النظر الى النتيجة التي فطر الناس عليها .
وتتكلم في هذا المسلك القرآني بشيء من التفصيل ،

فنقول :

ان الحس المجرد ، بواسطة العين ، وما تراه من سماء مرفوعة
بغير عمد ، امتلأت بالكواكب والنجوم ، كل منها يتحرك في مدار لا
يخطيء " لا الشمس ينهي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في
فلك يسبحون " (٢) .

وأرض مبسوطة فيها البحار والانهار ، والجبال والسهول والوديان
وفي بطنها ألوان من المعادن كثيرة " وفي الارض ايات للمؤمنين " (٣) .

١ - سورة فصلت اية (٥٣) .

٢ - سورة يس اية (٤٠) .

٣ - سورة الذاريات اية (٢٠) .

كل ذلك يكفي الناظر الى الالتفات الى موجد ذلك ومبدعه .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

(فالآيات المخلوقة والمتلوة ، فيها تبصرة ، وفيها تذكرة ،

تبصرة من العمى ، وتذكرة من الخفلة ، فيبصر من لم يكن عرف فيعرف ،

ويذكر من عرف ونسي) " ١ " .

وفي عجائب الكون آيات والآلاء ، واسرار وحكم ، ١٠٠٠ دهشت الباحثين

حتى حيرتهم ، ولفتت انتباه السالكين حتى أوصلتهم الى ربهم ، فهذا البدوى

البسيط ، استجاب لنظرة الى السماء والارض ، فما اروع ما قال : " ان البعرة

تدل على البعير ، واثرا الاقدام يدل على المسير ، فهيكل علوى بهذه اللطافة

ومركز سفلي بهذه الكثافة ، اما يدلان على اللطيف الخبير ؟ بلى .

يقول الاستاذ ابو الحسن الندوى :

(ان هذا الكون مليء بالأسرار ، مليء بالعجائب ، وان جماله

ليشهر الألباب ، ويشير الدهشة والاستغراب) " ٢ " .

ويقول الاستاذ دراز :

(فما ظنك بقصر السماء سقفه ، والارض قراره ، والجبال اوتاده

والنبات زينته ، والشمس والقمر والنجوم مصابيحها ، ١٠٠٠ او لا يكون احق بلفست

النظر الى بارى ومصور حي قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى) " ٣ " .

١ - كتاب : الايمان ، لابن تيمية ، تصحيح وتعليق محمد خليل هراس ،

دار الطباعة المحمدية ص ٢٠٠ .

٢ - كتاب : النبوة والانبياء في ضوء القرآن ، ابو الحسن الندوى ص ١٣٧ .

٣ - كتاب : الدين ، محمد عبد الله دراز ص ١٢٢ .

أفلا يكون هذا أكبر شاهد على صدق الفطرة ، وان لهذا الكون صانعا ،
فالتقى النظر والفطرة ، فتضافرت الفطرة والنظر الى هدف واحد وهو ان لهذا
العالم صانعا مدبرا ، فكان النظر مجليا للفطرة حيث ينتهي النظر الى ما
فطر عليه .

ولنستمع الى ما قاله علماء الغرب المتخصصون في هذا الموضوع " ١ " :

١ - يقول ا . كريس موريسون " ٢ " : (لو أن حجم الكرة الأرضية كان
أكبر مما هو عليه أو أصغر ، ولو أن سرعتها كانت مختلفة عما هي عليه ،
لكانت أبعد أو أقرب من الشمس مما هي عليه ، ولكانت هذه الحالة
ذات اثر هائل في الحياة ، من كل نوع ، بما فيها حياة الانسان ، ولما أمكن
وجود الحياة فوقها) " ٣ "

٢ - يقول فرانك ألن : " ٤ "

١ - انما استشهد بأقوالهم لان كثيرا من المرتدين من ابناء جلدتنا ، درسوا
في الغرب نظريات داروين ، وماركس ، وهيغل ، وفرويد
ولكي أقول لهؤلاء : شهد شاهد من أهله .

٢ - رئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك ، ورئيس الاكاديمية العلوم فيها .

٣ - كتاب : العلم يدعو الى الايمان ، تأليف كريس موريسون ، ترجمة

محمد صالح فلكي ، تصدير احمد حسن الباقوري ، تقديم احمد زكي ،

الطبعة السادسة ، نيويورك ، القاهرة مؤسسة فرانكلين للطباعة

والنشر ١٩٧١ م ص (٥٣) .

/ وانظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، الطبعة الخامسة ١٣٨٦ هـ

— ١٩٦٧ م (٣ : ٢٥٥ - ٢٥٨) .

٤ - عالم الطبيعة البيولوجية ، دكتوراة من جامعة كورنك ، استاذ الطبيعة

الحيوية بجامعة مانيتو بكندا ، اخصائي في ابصار الألوان والبصريات

الفسيولوجية ، ونتاج الهواء السائل حائز على وسام تورى الذهبي للجمعية

الملكية بكندا .

(ان البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية ،
وهي تتكون من خمسة عناصر : الكربون ، والايديروجين ، والنيروجين ،
والاكسجين ، والكبريت ، ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد
(٤٠٠٠٠) ذرة . أما الذرة فهي مؤلفة من جزيئات كهربائية سالبة ، وموجبة
والموجبة يطلق عليها اسم البروتون ،
والسالبة يطلق عليها اسم الالكترون ، وبعض الذرات فيها زيادة على ذلك شحنة
متعادلة تسمى " نيوترون " ، والبروتون ، والنيوترون يشكلان نواة الذرة ،
بينما الالكترون يشكل كواكبها السيارة التي تدور حولها بسرعة هائلة ، وبحركة
اهليجية) " ١ "

يكفي هذا من علماء أجنب ، خصصوا معظم وقتهم للاطلاع والبحث ،
وصدق الله العظيم " أنتم اشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ،
واغطش ليلها واخرج ضحها ، والارض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها
ومرعها ، والجبال ارساها مئاغا لكم ولأنعامكم " " ٢ "

أما الانسان :

=====
ففي خلقه اتقان واحكام ، وهو اقرب وأظهر من بقية المخلوقات
ومن ثم ، صيغ الأمر بالنظر في الآية في صورة الاستفهام الذي يشعر باللوم
والتقصير ،

١ — عن كتاب : الله يتجلى في عصر العلم ص ١٢ .
وانظر : كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقربان ، للشيخ نديم
الجسر ، الطبعة الثالثة بيروت ، المكتب الاسلامي — لبنان ١٣٨٩ هـ
— ١٩٦٩ م .

٢ — سورة النازعات الايات من (٢٧ — ٣٣) .

قال تعالى : " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " ١٠٠ " .
فان أقرب شيء الى الانسان نفسه ، فاذا نظر فيها وجد آثار التدبير
فيه ظاهرة ، والعناية الالهية تامة .
ومن أظهر ما يدركه المدرك ما جعل الله في الانسان من عينيّن وأذنين
وفم ، وفتحات البول والغائط وقد هيأها الله لتؤدي ما جعل اليها من أعمال ،
فكلمها بما يصونها مما يؤذيها ، لتؤدي مهمتها ، وقد وضعها في أماكن على
وضع تبدو منه جميلة " فتبارك الله أحسن الخالقين " ٢٠٠ " .
وقوام الانسان جميل ورشيق قال تعالى : " لقد خلقنا الانسان في
أحسن تقويم " ٣٠٠ " ومهياً لعمارة الارض والعيش فيها الى الاجل المحتوم ،
قال تعالى " هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها " ٤٠٠ " .
يمشي ، ويقعد ، يتحرك ويسكن ، خلق فيه القدمين والساقين ،
والفخذين ثم الجذع وعلى جانبيه الذراعان ، ثم العنق ثم الرأس ، وفيه من
الحواس الظاهرة والباطنة ما هو في امس الحاجة اليه :
قال تعالى : " ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهدىناه النجدين " ٥٠٠ " .
وقال تعالى : " والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " ٦٠٠ " .

-
- ١ — سورة الذاريات اية (٢٠) .
 - ٢ — سورة المؤمنون اية (١٤) .
 - ٣ — سورة التين اية (٤) .
 - ٤ — سورة هود اية (٦١) .
 - ٥ — سورة البلد الايات (٨ — ١٠) .
 - ٦ — سورة النحل اية (٧٨) .

فكل مفكر يدرك في الانسان وخلقته ، اتقاناً واحكاماً بيننا ، ويدرك تمام الادراك
ان وراء هذا الاتقان الظاهر والاحكام البين أسراراً من الحكم ،
ومن ثم كان النظر في الأنفس عاملاً ينبه الفطرة ، حيث انه يسوق الى
ما تنطق به وهو الرب تعالى .

قال الشيخ الاشعري رحمه الله :

(الانسان اذا فكر في خلقته من أى شيء ابتداء ، وكيف دار
في أطوار الخلق ، طورا بعد طور ، حتى وصل الى كمال الخلقه عرف
بالضرورة أن له صناعاً) " ١ "

وقال الامام ابن الجوزي " ٢ " رحمه الله :

(من أكبر الأدلة على وجود الخالق ، ان هذه النفس الناطقة
المحيية ، المحركة للبدن ، على مقتضى ارادتها ، والتي دبرت مصالحها ،
ولتقت الى معرفة الأفلاك ، واكتسبت ما امكن تحصيله من العلوم وشاهدت الصانع
في المصنوع فلم يحجبها ستر وان تكاثف ، ولا يعرف مع هذا ما هيئتها ، ولا
كيفيتها ولا جوهرها ولا محلها ، ولا يفهم من اين جاءت ، ولا يدري اين
تذهب ، ولا كيف تعلقت بهذا الجسد ، وهذا كله يوجب طيها ان لها مديراً

١ - انظر : الطل والنحل ، للشهرستاني ، الناشر مكتبة المشفى ببغداد

(١ : ١١٩) .

٢ - ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، احد كبار العلماء ،
جمع نحواً من ثلاثمائة مصنف ، عالم بالتفسير والحديث ، والتاريخ والحساب
والنجوم والطب ، والفقه . اثنى عليه كثير من العلماء ، كابن تيمية ،
والحافظ الذهبي ، وابسن خلكان توفي سنة ٥٩٧ هـ ببغداد ،
ودفن بالقرب من مدفن احمد بن حنبل . / انظر مقدمة كتاب صيد
الخطير .

وخالفا تعرفه ، وكفى بذلك دليلا عليه ("١")
وأنا لا أستطيع أن أحصي كل شيء عن الانسان ، وما زال العلم عاجزا عن معرفة كنهه . فهناك علم الاجنة ، وعلم الوراثة ، وعلم الانسجة ، وعلم التشريح وعلم الشكل الخارجي وعلوم اخرى غيرها ، يقف اصحابهما مههورين امام آيات الله في الانسان ، وكلما ازداد الانسان علما ، كلما ظهر جهله . "٢"

يقول ابن تيمية رحمه الله :

(والاستدلال على الخالق بخلق الانسان في غاية الاستقامة

والحسن ، هي طريقة عقلية صحيحة ، وهي شرعية ، دل عليها القران ،

وهدى الناس اليها وبينها وارشد اليها) "٣"

وصدق الحق تعالى قال :

١ - " أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون " "٤"

٢ - " فلينظر الانسان مما خلق خلق من ماء دافق " "٥"

٣ - " ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون " "٦"

-
- ١ - كتاب : صيد الخاطر ، لابن الجوزي ، مراجعة وتعليق الشيخ عيسى الطنطاوى ، تحقيق ناجي الطنطاوى ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ص ٢٢٧ .
 - ٢ - انظر كتاب : الانسان ذلك المجهول تأليف الكسيس كارل ، تعريب شفيق أسعد فريد ، بيروت ١٩٧٤ م .
 - وانظر كتاب : الطب محراب الايمان ، لخالص جلي ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
 - ٣ - كتاب : النبوات ، لابن تيمية ص ٥٢ الطبعة السلفية .
 - ٤ - سورة الواقعة آية ٥٨ .
 - ٥ - سورة الطارق الايات (٦ - ٧) .
 - ٦ - سورة الروم آية (٢٠) .

٤ - " والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم

السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " ١ "

٥ - " الذى خلقك فسواك فعدلك في اى صورة ما شاء ركبك " ٢ "

وأقسم بثلاثة محال بعث في كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم ،

اصحاب الشرائع الكبار " ٣ " فقال :

" والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الامين ، لقد

خلقنا الانسان في احسن تقويم " ٤ "

===

١ - سورة النحل اية (٧٨) .

٢ - سورة الانفطار الايات (٧ - ٨) .

٣ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي

الصابوني ، دارالقران الكريم ، بيروت ، الطبعة الرابعة ،

١٤٠١ هـ ، المجلد الثالث ، ص ٦٥٤ .

٤ - سورة التين الايات (١ - ٤) .

" آيات قرآنية تجمع بين المسلكين "

=====

في القرآن الكريم آيات كثيرة جدا ، جمعت بين دليلي الخلق

والعناية •

خذ مثلا : قول الحق تبارك وتعالى :

١ - " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم

تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً . وانزل من السماء

ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم

تعلمون " ١ "

في هذه الآية تنبيه على دلالة الخلق ، وإشارة إلى العناية

الإلهية الدالة على الخالق •

فإن المقطع الأول من الآية " الذي خلقكم والذين من قبلكم " يفيد

الأول والمقطع الأخير " الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وانزل من السماء

ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم " يفيد الثاني •

٢ - " الله الذي خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به

من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره وسخر لكم

الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائمين وسخر لكم الليل والنهار " ٢ "

في هذه الآية أيضا تنبيه على دلالة الخلق ، وتنبيه على العناية

الإلهية بالإنسان ، الدالة على الخالق المسخر •

١ - سورة البقرة الآيات (٢١ - ٢٢) •

٢ - سورة إبراهيم الآيات (٣٢ - ٣٣) •

فان صدر الاية " الله الذى خلق السموات والارض " يفيد الأول •
واقية الاية " وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك
لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الانهار ٠٠٠ " الى اخر الاية " يفيد الثاني •
٣ - " واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه
ياكلون " ١ " •

ففي احيائه تعالى للارض الميتة بالنبات اشارة الى الخلق ، وفي اخراجه
منها ما يؤكل منه قوام الحياة عليها ، تنبيه على دلالة العناية الالهية بهذا الانسان
٤ - " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، والفلك
التي تجرى في البحر ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء
من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يوقنون " ٢ •
٥ - " واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه

ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من
العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايد يهم افلا يشكرون سبحانه الذى
خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون •
واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قد رناهُ منازل حتى
عاد كالمرجوج القديم لا الشمس ينهي لها ان تدرك القمر ولا
الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " ٣ •

١ - سورة يسن اية (٣٣) •

٢ - سورة البقرة اية (١٦٤) •

٣ - سورة يسن الايات (٣٣ - ٤٠) •

٦ - " يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ٥ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يرثكم الهرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون " ١ "

٧ - " خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفيء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق النفس ان ركب لركوف رحيم ٥ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حليمة تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقي في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسهلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون

أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله
لغفور رحيم "١" .

ففي هذه الايات ، وغيرها ، تنبيه على دلالة الخلق ، وعلى مدى
عناية الله سبحانه بالمخلوق البشرى .

وفيهما بيان كرمه تعالى عليه بأن جعل بقية المخلوقات طوع ارادته ،
وفي خدمته الا بعضها مما لا يقدر عليه الانسان .

ونحن نرى كيف أن الانسان يستفيد من نزول الماء ، وحلول الليل ،
ومجئ النهار ، وضياء القمر ، وشروق الشمس ، وزينة الكواكب ، وركوب البحر
والجمال ، والخيول ، والبغال ، والحمير ، الى اخر هذه النعم
التي لا تعد ولا تحصى .

انها ايات ربانية ، عقلية واضحة وفي غاية اليسر والبساطة ، وتصلح
لجميع المستويات العقلية ، وليس فيها اي تعقيد يفرضه الناس .

انه مسلك قرآني فريد جمع فيه بين المسلكين ، ومنهج مستقل أغنى به
الناس عن منهج الفلاسفة والمتكلمين ، وهو منهج عقلي شرعي واضح متميز ، دل

عليه القرآن وهدى الناس اليه " ١٠ "

١ - بتصريف عن :

- كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ، دكتور
محمود احمد خفاجي (١ : ١٥٨ - ١٦٣) .
- كتاب : مناهج الادلة في عقائد الملة لابن رشد مع مقدمة
محمود قاسم وتحقيقه ص ١٥٠ - ١٥٢ .
- كتاب : جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ، تحقيق وتخريج
محمود شاکر ، دارالمعارف بمصر ، وطبعة دارالمعرفة
للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان (١٦ : ٣٢٦) .
- كتاب : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، أو
نقص تأسيس الجهمية لابن تيمية ، تصحيح وتكميل محمد
بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ،
الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ (١ : ١٧٤ - ١٧٦)
- كتاب : التبيان في اقسام القرآن لابن القيم ، تصحيح طه يوسف
شاهين ، دارالطباعة المحمدية بالازهر ص ٢١٧ .

الفصل الثاني : " وحدانية الله تعالى " :

=====

قدمة :

=====

توحيد الله سبحانه وتعالى ، من أهم الأركان التي قامت

عليه رسالات الرسل ، عليهم السلام ، وأول منازل الطريق

وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل . " ١ "

قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا

أنا فاعبدون " . " ٢ "

وقال تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت " . " ٣ "

وفي هذا الفصل سأبين رأي الشيخ " محمد عبده " في :

الوحدانية ، وتفرد المولى عز وجل بالألوهية ، وأدلته على ذلك ، ثم

انقد ما يستحق النقد منها على ضوء كلام السلف ، وأهل الحق جميعا رضي

الله عنهم .

" رأي الشيخ محمد عبده في الوحدانية "

=====

تحدث الشيخ " محمد عبده "

في وحدانية الله ، كثيرا عند تفسيره قول الحق سبحانه وتعالى " والمهكم اله

واحد لا اله إلا هو الرحمن الرحيم " . " ٤ "

وقول الحق أيضا " الله لا اله إلا هو الحي القيوم " . " ٥ "

١ — انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٤ .

٢ — سورة الأنبياء آية (٢٥) .

٣ — سورة النحل آية (٣٦) .

٤ — سورة البقرة آية (١٦٣) .

٥ — سورة البقرة آية (٢٥٥) .

كما بين في " رسالة التوحيد " المعنى المراد بالوحدانية ، وقال انها
ما يجب لله تعالى ذاتا ووصفا وافعالا .
وفي هذا الفصل ، سأقتصر على الكلام ، في : " الوحدانية في الذات "
فقط مرجحا الحديث عن الصفات ، والافعال الى الفصلين اللاحقين ، وذلك
لأهمية كل واحد ، واستحقاقه فصلا خاصا .

١ - رأيه وأدلته :

=====

أ : - رأيه العقلي في اثبات الوحدة :

بمعنى عدم تعدد الذات

=====

الواجبة .

يرى الشيخ محمد عبده ان مما يجب الاعتقاد به : استحالة التركيب

في حقه تعالى ، ويمزق ذلك للأسباب التالية :- " ١ "

١ - لانه تعالى لو تركب لتقدم وجود كل جزء من اجزائه على وجود

جملة التي هي ذاته .

وكل جزء من اجزائه ، غير ذاته بالضرورة ، فيكون وجوده جملة

محتاجا الى وجود غيره .

٢ - ولانه تعالى لو تركب لكان الحكم له بالوجود موقوفا على الحكم

بوجود اجزائه ولا مرجح لان يكون الوجوب له دون كل جزء من

اجزائه ، بل يكون الوجوب لاجزائه ارجح فتكون هي الواجبة

دونه .

١ - انظر : رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده ،

(٣ : ٣٢٠) .

ويرى الشيخ محمد عبده ايضا : استحالة ان يقبل الواجب القسمة لانه
لو قبل ذلك لعاد الى غير وجوده الواجب ، وصار الى وجودات متعددة فيكون
ذلك قبولا للمعدم او تركها وكلاهما محال * ١ *
هذا رأيه وادلته في اثبات ذات واجبة غير متعددة ، وهو مسلک عقلي اقتضى
فيه طريق الفلاسفة ، فان هذا هو عمدتهم فيما يدعون من التوحيد ، وهو حجة
باطلة كما سترى .

ب : - رأيه الشرعي في اثبات اله واحد .

=====

يرى الشيخ * محمد عبده * ان في القرآن الكريم كثيرا من
الآيات التي تشير الى ان في الكون ، من الآيات ما يدل على وحدانية الله تعالى .
وأظهر هذه الآيات وأشهدها قوله تعالى * واليهكم اله واحد لا اله الا
هو الرحمن الرحيم . ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلک التي
تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لايات لقوم يعقلون * ٢ *

قال : وهذه الآيات اجناس : - ٣ *

(٢٤) : الأول والثاني :

=====
منها خلق السموات والارض ، ففيه آيات بينات
كثيرة الانواع يدعش المتأملين بعض ظواهرها . فكيف حال من اطلع على ما اكتشف
العلماء من عجائبها ، الدال على ان ما لم يعرفوه اعظم مما عرفوه منها ؟

-
- ١ - نفس المصدر (٣ : ٣٧١) .
 - ٢ - سورة البقرة الآيات (١٦٣ - ١٦٤) .
 - ٣ - انظر تفسير المنار (٢ : ٥٧ - ٦٤) ، بتصريف الطبعة الثالثة .

تألف هذه الاجرام السماوية من طوائف يبعد بعضها عن بعض بما يقدر
بالملايين ، وألوف الملايين من سني سرعة النور ، ولكل طائفة منها نظام كامل
محكم ، ولا يبطل نظام بعضها نظام الآخر ، لان للمجموع نظاما عاما واحدا يدل على
انه صادر عن اله واحد ، لا شريك له في خلقه وتقديره ، وحكمته وتدبيره ،
واقرب تلك الطوائف اليانا ما يسمونه " النظام الشمسي " نسبة الى شمسنا هذه التي
تفيض انوارها على ارضنا ، فتكون سببا للحياة النباتية والحيوانية فيها ، والكواكب
الطابعة لهذه الشمس مختلفة في المقادير والابعاد ، وقد استقر كل منها في مداره
وحفظت النسبة بينه وبين الآخر ، بسنة الهية منتظمة حكيمة يعبرون عنها بالجانبيهة
العامة ، ولولا هذا النظام لانفلتت هذه الكواكب السابحة في افلاكها تصدم
بعضها بعضا ، وهلكت العوالم بذلك .
فهذا النظام اية على الرحمة الالهية ، كما انه آية على الوجدانية .
هذه هي السموات تشير الى اياتها عن بعد . (وفي الارض ايات
للموقنين) " ١ " ، في جرمها ، وماداتها ، وشكلها ، وعوالمها المختلفة
من جماد ونبات وحيوان ، فلكل منها نظام عجيب ، وسنة الهية مضطردة في تكوينها
وتوالد ما يتوالد من احيائها ، وغير ذلك حتى لو دقت النظر في انواع الجمادات
من الصخور المختلفة الانواع ، والجواهر المتعددة الخواص والالوان لشاهدت من
النظام فيها ومن انواع المنافع في اختلافها وتنوعها ما تعلم به علم اليقين انها
ترجع في ذلك الى ابداع اله حكيم ، رؤوف رحيم ، لا شريك له في الخلق
والتدبير .

٣ — الجنس الثالث :

===== قوله " واختلاف الليل والنهار " .

وهو ان يجيء احدهما ، فيذهب الاخر ، ويطول هذا فيقصد ذلك
وكل ذلك بحسبان ، مضطربه في جميع الاقطار والبلدان ، ومثله اختلاف
الفصول باختلاف مواقع العرض والطول .

وقد ذكر هذه الآية بعد خلق السموات والارض ، لان هذا الاختلاف
هو اثر مقابلة الارض للشمس ، وحركتها بازائها ، وتفصيل ذلك مشروع في محله
من العلم الخاص بهذه المسائل .

وفي المشاهد من اختلاف الليل والنهار ، والفصول وما للناس في
ذلك من المنافع والمصالح ايات بيينات على وحدة مدع هذا النظام المضطرب ورحمته
بعباده ، يسهل على كل احد ان يفهمها وان لم يعرف اسباب ذلك الاختلاف
وتقديره .

وفي القران بيان لذلك في مواضع كثيرة كقوله تعالى : " وجعلنا الليل
والنهار ايتين ، فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مهصرة ، لتبتهتوا فضلا من ربكم ،
ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا " . " ١ " .
فهذه الآية تهدي الى ما في اختلاف الليل والنهار من المنافع العامة ،
وفي معناها ايات اخرى ، قال تعالى : " يكور الليل على النهار ويكور النهار على
الليل " . " ٢ " .

وقوله تعالى : " يفشي الليل النهار يطلبه حثيثا " . " ٣ " .

وصفوة القول في هذا المقام ان اختلاف الليل والنهار اثر من آثار النظام
الشمسي . قلنا ان ذلك النظام يدل على وحدة واهبة ومقدرة ، ونقول ان اشارته

١ — سورة الاسراء اية (١٢) .

٢ — سورة الزمر اية (٥) .

٣ — سورة الاعراف اية (٥٤) .

تدل على ذلك ايضا .

٤ - الجنس الرابع :-

=====
قوله : " والفلك التي تجرى في البحر " .

واما كون الفلك اية فلا يظهر بادي الرأي كما يظهر كونها رحمة من
قوله " بما ينفع الناس " اى في اسفارهم وتجاراتهم ، وما يعرف في هذا العصر
بالمشاهدة والاختبار اكثر مما كان يعرف في العصور السالفة ، اذ كانت الفلك
شراعية ، فلم يكن البخار يسير امثال هذه البواخر والهواج العظيمة التي تحكي
مدنا كبيرة ، فيها جميع المرافق التي يتمتع بها المترفون ، والملوك ، في
الهرم من الاراك والسرر والحمامات وغير ذلك ، أو قلاط وحصونا فيها اُقتل الات الحرب .
وكل ذلك رحمة الاله الذى خلق هذه الاشياء ، وهدى اليها
الانسان ، فلا بد لفهم كونها آية على وحدانيته ، من فهم طبيعة الماء ،
وطبيعة قانون الثقل في الأجسام ، وطبيعة الهواء ، والريح ، وزد على ذلك
معرفة طبيعة البخار والكهرباء التي هي العمدة في سير الفلك الكبرى ، في زماننا ،
فكل ذلك يجرى على سنن الهمة مضطردة منتظمة ، تدل على انها صادرة عن قوة
واحدة هي هدر الابداع والنظام وهي قوة الاله الواحد الحكيم الرحمن الرحيم .

٥ - الجنس الخامس :-

=====
قوله : " وما انزل الله من السماء من ماء " هذا

هو الماء في كونه مطرا وفي كونه سببا للحياة ، وهو اية في كيفية وجوده وتكونه ،
فانه يجرى في ذلك على سنن الهمة حكيمة تدل على " الوحدة " والرحمة .
ثم انه اية في تأثيره في الموالم الحية ايضا ، فان هذا النبات
يسقى بماء واحد هو مصدر حياته ، ثم هو مختلف في الوانه وطعمه ، وروائح ،
فتجد في الارض الواحدة نبتة " الحنظل " مع نبتة " البطيخ " متشابهتين في
الصورة متضادتين في الطعم ، وتجد في " النخلة " وتمرها ما تذوق حلاوة ولذة ،

وتجد في جانبها شجرة " الليمون " الحامض ، " والنارنج " في ثمرها ما تعرف حموضة وملوحة ، وتجد بالقرب منها شجرة " الورد " لها من الرائحة ما ليس " للنخلة " ، وما يخالف في أريجها زهر " النارنج " ، بل يوجد في الشجر ما له زهر ذكي الرائحة ، فاذا قطعت الفصن الذي فيه هذا الزهر تهبث منه رائحة خبيثة .

فتلك السنن التي يتكون بها المطر وينزل ، جارية بنظام واحد دقيق ، وكذلك طرق تغذى النبات بالماء هي جارية بنظام واحد ، فوحدة النظام وعدم الخلل فيه تدل على ان مصدره واحد ، فهو من هذه الجهة يدل على الوحدة الكلية الكاملة ، ومن جهة ما للخلق فيه من المنافع والموافق يدل على الرحمة الالهية الشاملة ، وكل مثل هذا فيما بث الله تعالى في الارض من كل دابة فانها آيات على الوحدة .

٦ - الجنس السادس :

=====
قوله " وتصريف الرياح :

وتصريف الرياح تدبيرها ، وتوجيهها على حسب الارادة ووفق الحكمة والنظام ، فهي تهب في الغالب من احدى الجهات الاربع ، وتارة تأتي نكباء " ١ " بين بين ، وقد تكون متناوحة " ٢ " اي تهب من كل ناحية ، ومنها العقيم ومنها الملقحة للنبات وللشباب ، واذا هبت حارة في بعض الاماكن والاقوات فهي تهب عقب ذلك لطيفة الحرارة او باردة ، وكل ذلك يجري على سنة حكيمة تدل على وحدة مصدرها ورحمة مدبرها .

٧ - الجنس السابع :-

=====
قوله : " والسحاب المسخر بين السماء والارض " .

اي النسيم المذلل المسحوب في الجو لاتزال المطرفي البلاد المختلفة .

١ - اي مائلة عن مهبها .

٢ - اي اشتدت في هبوبها .

ذكر السحاب هنا بعد ذكر تصريف الرياح ، لانها هي التي تثيره وتجمعه
وهي التي تسوقه الى حيث يمطر ، وتفرق شمله احيانا فيمتنع المطر .
ولم يذكره عند ذكر الماء ، مع انه سببه المباشر ، ليرشدنا الى انه في
نفسه آية . فانه يتكون بنظام ، ويعترض بين السماء والارض بنظام ، فهو في
ظاهره آية تدهش الناظر الجاهل بالسبب ، لولم يألف ذلك ويأنس به ، وانما
يعرفها معرفتها من وقف على السنن الالهية في اجتماع الاجسام اللطيفة وافتراقها ،
وعلوها وهبوطها ، وهو ما يعبر عنه العلماء بالجاذبية ، وهي انواع :
جاذبية الثقل ، والجاذبية العامة ، وجاذبية الملاصقة ، وغيرها . ا . هـ
وبعد ان انتهى الشيخ " محمد عبده " من تفسير الآية ، والاستدلال
بما فيها من ايات كونية على وحدة الله تعالى ، ورحمته ، قال :
(ومن لا يعرف اسرار هذه الكائنات ، وانما ينظر الى ظواهرها ،
فيراهها كما تراها العجموات ، فهو لا يفهم معنى كونها ايات ، لانه اهل آلة الفهم
التي امتاز بها وهي العقل ، ولذلك اخبر الله تعالى عن هذه الاجناس كلها
ان فيها آيات لقوم يعقلون . فانهم هم الذين ينظرون في اسبابها ، ويدركون
حكما واسرارها ويميزون بين منافعها وضارها ، ويستدلون بما فيها من الاتقان
والاحكام ، والسنن التي قام بها النظام على قدرة مدعها وحكمته ، وفضل ورحمته
وعلى استحقاقه للمعبادة دون غيره من برئته ، وبقدار ارتقاء العقل في العلم
والعرفان ، يكمل التوحيد في الايمان ، وانما يشرك بالله اقل الناس عقلا واكثرهم
جهلا) ا . هـ .

مناقشة رأى الشيخ محمد عبده في الوجدانية ١ -

=====

أقول : لما أثبت الشيخ " محمد عبده " الواجب ه على طريقة الفلاسفة والمتكلمين ، أخذ يثبت وحدانيته فقال رأيه العقلي السابق في اثبات الوحدة بمعنى بساطته وعدم تركبه في الخارج ، وعدم تركبه في الخارج يقتضي عدم تركبه في العقل لأن الحقيقة العقلية صورة من الحقيقة الخارجية .
وفي اثباته واحد لا شريك له ، تكلم الشيخ محمد عبده ، كلاما وافيا لا غبار عليه ، فقد أثبت الاله الواحد على طريقة القران الكريم في نفي الشريك عن الله تعالى ، وهو مسلك طيب احمده عليه .
ولا أريد أن أضيف جدا الى هذا المسلك ، فان الشيخ محمد عبده لم يترك لأحد مجالا للتعقيب عليه ، وسأكتفي ببيان المعنى الاجمالي للتوحيد عند السلف في حينه .

وما جاء في " رسالة التوحيد " يحتاج الى توجيه ، ووجه نظمه ان يقال : واجب الوجود لا تركيب فيه ، وما لا تركيب فيه فهو واحد ، فواجب الوجود واحد وانما قلت لا تركيب فيه ، لان المركب مفتقر الى ما تركب منه ، وما تركب منه ، غيره . وواجب الوجود لا يفتقر الى غيره ، فواجب الوجود لا تركيب فيه . " ١ "
اما ما ذكره الشيخ " محمد عبده " في " رسالة التوحيد " ، فهو كلام نقله عن بعض المتكلمين في اثبات الوحدة ، منهم الشيخ شمس الدين محمد بن الاصفهاني " ٢ " ، حيث قال : (والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ص ٢٣ .
٢ - محمد بن محمود بن عبد الله الكافي الاصفهاني . الامام المتكلم المشهور الذي قيل انه لم يدخل الى الديار المصرية احد من رؤوس علماء الكلام مثله ، ولد بأصفهان سنة ٦١٦ هـ ، رحل الى بغداد واشتهر بالفقه والعلوم ، ورحل =

والا لما كان واجب الوجود لذاته ضرورة افتقاره الى ما تركب منه (" ١ " .
وقد تصدى له شيخ الاسلام ابن تيمية ، وذكر ان أصل كلامه مأخوذ
من كلام أبي عبد الله الرازي " ٢ " وقد سلك فيه مسلك المتفلسفة كابن سينا " ٣ "
وامثاله .

ثم قال : (فان هذا هو عمدتهم فيما يدعونه من التوحيد وهو
حجة باطلة . . . وقد تفتن لفساد هذه الحجة من تفتن لها من الفضلاء كأبي حامد
الغزالي وغيره وذلك من وجوه : - نكتفي بذكر ثلاثة منها : -

(احدها) :
===== أن يقال قول القائل : انه يلزم افتقاره الى ما ركب منه ،
وذلك ينافي وجوب الوجود ممنوع ، لان غاية ما فيه : ان ما ركب منه جزء من
أجزائه . وقول القائل ان المركب مفتقر الى جزئه ليس بأعظم من قوله : انه
مفتقر الى كله ، فان الافتقار الى المجموع أشد من الافتقار الى بعض المجموع ،

= الى دمشق والقاهرة ، وعمل فيها قاضيا ، له من المؤلفات : شرح المحصول
القواعد في العلوم العربية ، اصول الفقه ، اصول الدين ، المنطق
والجدل ، قال الذهبي : له يد طولى في العربية والشعر . مات
سنة ٦٨٨ هـ . / انظر شرح الاصفهانية ص ٣ ، ١٧٢ .

١ - شرح الاصفهانية ص ٣ .

٢ - محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري ، فخر الدين الرازي ، الامام -
المفسر ، اشتهر بعلمه في المنقول والمعقول ، وعلوم الاوائل ، رحل الى
خوارزم ، وبلاد ما وراء النهر ، وكان واعظا بارعا في اللغتين العربية
والفارسية ، مات سنة ٦٠٦ هـ / الاعلام للزركلي (٧ : ٢٠٣) .
٣ - الحسين بن عبد الله بن سينا ، ابو علي ، شرف الملك ، الفيلسوف
الرئيس ، صاحب التصانيف في الطب والمنطق ، والطبيعات والالهييات ،
اصله من بلخ ، مولدى في احدى قرى بخارى ، قال ابن القيم وابن تيمية
انه من اهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين ، صنف نحو مائة كتاب ، =

فالمفتقر الى المجموع مفتقر الى كل جزء منه ، والمفتقر الى جزء منه لا يلزم ان يكون
مفتقرا الى الجزء الاخر ، ومعلوم ان افتقاره الى الجميع هو افتقاره الى نفسه ،
وهو معنى قوله واجب بنفسه ، فعلم ان وجوبه بنفسه لا يوجب الافتقار المتنافي
لوجوب الوجود .

(الوجه الثاني) :

=====
أن يقال : وجوب الوجود الذي دل عليه الدليل ينفي ان
يفتقروا أن يكون مفتقرا الى شيء خارج عن نفسه ، اذا كانت الممكنات لا بد لها
من موجود غير ممكن ، موجود بنفسه . وهذا ينفي ان يفتقروا الى شيء خارج عن
نفسه .

فلوقيل انه موجود بنفسه ، مستثنى عن غيره ، وانه مفتقر الى غيره

للزم الجمع بين النقيضين .

فأما ما هو داخل في معنى نفسه فليس هو شيئا خارجا عن نفسه حتى يقال :

افتقاره اليه ينافي وجوده بنفسه .

(الوجه الثالث) :

=====
ان يقال : قول القائل واجب الوجود بنفسه هل يقتضي

ان يكون مفتقرا الى نفسه أم لا يقتضي ذلك ؟

فان اقتضاه كان افتقاره الى جزئه أولى وأحرى بالالتزام ، فلا يكون

متنما .

وان قيل لا يقتضيه . قيل : وكذلك التركيب لا يقتضي أن يكون المركب

مفتقرا الى جزئه ، فانه اذا كانت نفسه لا توجد الا بنفسه ولم يحسن ان يقال هو

= انظر لسان الميزان (٢ : ٢٩١) / وفيات الاعيان (١ : ١٥٢)

الاعلام (٢ : ٢٦١) .

مفتقر الى واحد منها ، اذ المركب ليس الا اجزاء وصورة التركيب (" ١ " .
وشمة قضية أخرى ، تعرض لها الشيخ " محمد عبده " في رسالة التوحيد
استلزمها الحديث عن الوحدة الذاتية ، وهي : " الوحدة في الوجود وفي
الفعل " حسبما قال " ٢ " .

" ٣ " .
ويعني بها : التفرد بوجود الوجود ، وما يتبعه من ايجاد الممكنات .
أحب في هذا الفصل أن أتناولها ، وأطلق عليها ، لأن الشيخ محمد
عبده استند فيها الى بعض الايات القرآنية ، التي تشير الى معنى كلامه ،
وتؤيد نتيجة ما استدل به كقوله تعالى " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا " .
" ٤ " .

قال الشيخ محمد عبده : " ٥ " .

(واما الوحدة في الوجود وفي الفعل ، ونعني بها التفرد بوجود
الوجود ، وما يتبعه من ايجاد الممكنات ، فهي ثابتة .
لانه لو تعدد واجب الوجود ، لكان لكل من الواجبين تعين " ٦ " يخالف تعين
الآخر بالضرورة ، والا لم يتحصل معنى التعدد ، وكما اختلفت التعينات ،
اختلفت الصفات الثابتة للذوات المتعينة ، لان الصفة انما تتعين وتنال تحققها
الخاص بها بتعين ما ثبتت له بالبداهة ، فيختلف العلم والارادة باختلاف
الذوات الواجبة . ان يكون لكل واحدة منها علم و ارادة يباينان علم الاخرى و ارادتها
ويكون لكل واحدة علم و ارادة يلائمان ذاتها وتعينها الخاص بها .

-
- ١ - شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ، ص ١٩ - ٢٩ .
 - ٢ - اما الحديث عن افعال الله فقد خصصت له فصلا مستقلا .
 - ٣ - انظر رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٦) .
 - ٤ - سورة الانبياء اية (٢٢) .
 - ٥ - المصدر السابق ، نفس الجزء ، ونفس الصفحة .
 - ٦ - كيان ، أو ذات .

هذا التخالف ذاتي ، لأن علم الواجب واراדתه لازمان لذاته من

- ذاته ، لا لأمر في الخارج ، فلا سبيل الى التغيير والتبدل فيهما كما سبق .
- وقد قدمنا ان فعل الواجب انما يهدر عنه على حسب علمه وحكم
- ارادته ، فيكون فعل كل صادرا على حكم يخالف الاخر مخالفة ذاتية .

فلو تعدد الواجبون لتخالفت افعالهم بتخالف علومهم واراדתهم ، وهو خلاف يستحيل معه الوفاق ، وكل واحد يحتضن وجوب وجوده وما يتبعه من الصفات له السلطة على اليجاد في عامة الممكنات . فكل له التصرف في كل منها على حسب علمه واراדתه ، ولا مرجح لنفاد احد القدرتين دون الاخرى ، فتتضارب افعالهم حسب التضارب في علومهم واراדתهم ، فيفسد نظام الكون ، بل يستحيل ان يكون له نظام ، بل يستحيل وجود ممكن من الممكنات ، لان كل ممكن لا بد ان يتعلق به اليجاد على حسب العلوم والارادات المختلفة ، فيلزم ان يكون للشيء الواحد وجودات متعددة ، وهو محال .

فلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، ولكن الفساد ممنوع بالبداهة ، فهو جل شأنه واحد : لا شريك له في وجوده ولا في افعاله (أ . ه .
" مناقشة وتعليق " :

===== ان هذا الذي ذكره الشيخ محمد عبده في اثبات وحدة

الله في الوجود وفي الفعل ، ليس بخريب على دارس العقيدة الاسلامية .
فهذا الذي ذكره هو ما اشتهر عند المتكلمين واهل النظر بدليل التمانع
ومعناه باختصار :

- انه لو كان للعالم صانعان ، فان العقل يجوز اتفاقهما ، كما يجوز اختلافهما .
- فعند اختلافهما : مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ، ويريد الاخر تسكينه .
- أو يريد أحدهما احياءه ، ويريد الاخر اماتته :

فاما أن يحصل مرادهما ،

أو مراد أحدهما .

- اولا يحصل مراد واحد منهما •
- والأول ممتنع لانه يستلزم الجمع بين الضدين •
- والثالث ممتنع لانه يلزم خطو الجسم من الحركة والسكون ، أو من الموت والحياة وهو ممتنع • ويستلزم ايضا عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون لها •
- وانا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هو الاله ، والاخر ليس باله ••

-
- ١ - انظر : شرح الطحاوية ، الطبعة السادسة ص ٧٨ •
- وانظر : شرح المواقف في علم الكلام ، الموقف الخامس في الالهيات ، للشريف الجرجاني (٦٨ - ٧١) •
- وانظر : احياء علوم الدين ، للفرزالي ، مؤسسة الطحي وشركان القاوه ١٣٨٧ هـ (١ : ١٠٨)
- وانظر : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص (٢٧٧ - ٢٧٨) •
- وانظر : المغني في ابواب التوحيد والمدل ، للقاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور ، محمد مصطفى حلمي والدكتور ابو الوفا النخعي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر (٤ : ٢٧٥) •
- وانظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ، لأبي بكر الطيب الباقلاني تحقيق زاهد الكوثري ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر ١٣٨٢ / ص ٣٤ •
- وانظر : الشامل في اصول الدين ، ابو محمد الجويني ، والد امام الحرمين تحقيق الدكتور علي سامي النشار ، وفيصل بدير عون ، وسهير محمد مختار ، دار المعارف بالاسكندرية ص ٣٥٢ •
- وانظر : التوحيد ، ابو منصور الماتريدي ، تحقيق الدكتور فتح الله خليف ، طبعة دارالمشرق ، بيروت ، لبنان ص (٢٠ - ٢١) •

وهذا الدليل ، انما استند فيه المتكلمون الى قوله تعالى :
" لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا " وتابعهم في ذلك الشيخ محمد عبده .
ودليل التمانع هذا دليل عقلي على اثبات وحدة الصانع ، وتفرد
بالألوهية .

أما الآية القرآنية ، فليس فيها ما يثبت ذلك مباشرة ، وانما تشير اليه ، وتفيد
نتيجة الدليل ، والنتيجة هي فساد السموات والارض حالة تعدد الالهة .
وقد ذكر الأستاذ : محمد يوسف الشيخ رحمه الله " ١ " ، أن
بعض المتكلمين يرى أن قوله تعالى " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا " حجة
اقناعية للمسترشد وان لم تفد افحاطا للجاحد . وتفصيل ذلك كما يلي :
قال الأستاذ : - " ٢ "

(قال الباحثون : ان الفساد في الآية يحتمل أمرين :

الاول : عدم تكون السموات والارض وعدم خلقهما .
الثاني : خروج السموات والارض عما عليهما من هذا النظام الحاصل
بالفعل .

١ - فان كان المراد الاول فتقرير الدليل هكذا :

لو تعددت الالهة لم تتكون السموات والارض لكن عدم تكونهما باطل .

١ - مدرس مادة " العقيدة " بجامعة الملك عبد العزيز سابقا ، له باع

طويل في الفلسفة وعلم الكلام ، مات سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٢ - مذكرة مادة " العقيدة " لطلاب السنة التحضيرية بجامعة ام القرى ،

سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

في هذا الدليل مقدمتان :

• الاول : لو تعددت الالهة لم تتكون السموات والارض

• الثانية : ان عدم تكونهما باطل

اما الاولى : فلأنه اذا تعددت الالهة ، فهل تتكون السموات والارض

بمجموع قديرتيهما تعاونا ، أو بكل منهما استقلالاً ، أو

باحداهما فقط ؟

والاول باطل : لأن شأن الاله كمال القدرة

والثاني باطل : لأنهما اذا تكونتا باحداهما استقلالاً ، فاذا تكونتا

مرة ثانية بالاخرى لزم تحصيل الحاصل

والثالث باطل : لانه يلزم الترجيح بلا مرجح ، لأن كلا من الالهين

تام القدرة وجميع الممكنات بالنسبة الى كل منهما على سوا

واذا كانت هذه الفروض الثلاثة باطلة لزم عدم تكون السموات والارض ، على تقدير

تعدد الالهة

أما المقدمة الثانية ، القاظة :

• ان عدم تكونهما باطل ، فهذا ما يشهد به الحس والمشاهدة

اذا تعدد الالهة لزمه باطل ، وما ادى الى الباطل فهو باطل ، فالتعدد

باطل • فثبت نقيضه وهو وحدة الاله تعالى

٢ - وان كان المراد الثاني ، فتقرير الدليل هكذا :

لو كان في السموات والارض الهة غير الله ، لاختلوا وتنازعا ،

واذا حصل هذا ، فسدت السموات والارض واختل النظام الذي صار العالم فيسه

كشخص واحد استقرت فيه الحياة للانسان والحيوان والنبات الى غير ذلك مما ظهر

وخفي • لكن العالم لم يطرأ عليه الفساد والخلل ، بل ما زال في نظام تام

" لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون "

" ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور " . " ١ "

كل ذلك بنظام دقيق وقوانين صحيحة ،

اذا لو تعددت الالهة ، لختلفوا وتنازعوا ، ولو حصل ذلك لفسدت

السموات والارض ، لكن الفساد باطل ، فبطل ما أدى اليه وهو التعدد ،

فالاله واحد .

" اعتراض وتوجيه " :

===== واعترض البعض على هذا التصوير ، بما يجعله

حجة اقناعية غير يقينية كما يلي :

انا لا نسلم أنه اذا تعددت الالهة يلزم فعلا ان يختلفوا ،

ويتنازعوا بل يجوز ان يتفقوا وحينئذ لا فساد .

غاية الأمر انه يغلب على الظن كما جرت به العادة أنه اذا

تعدد الرؤساء اختلفوا وتنازعوا ، ولكن العقل - بقطع النظر عن العادة - يجوز

اتفاقهم .

فالاستدلال بالاية ظني مهني على ما جرت به العادة من

الاختلاف فعلا عند تعدد الرؤساء .

لهذا عدل بعضهم عن التصوير الظني الى تصوير الاية تصويرا

آخر ، بحيث تفيد اليقين . قالوا :

معنى الاية : لو كان فيهما الهة غير الله لا يمكن ان يختلفوا

ويتنازعوا ، ولو أمكن ذلك ، لا يمكن ان تفسد السموات والارض ، لكن إمكان الفساد

باطل ، بالحس والمشاهدة ، فما أدى اليه وهو تعدد الالهة باطل .

وفي هذا التصوير لم يلاحظ اختلاف الالهة فعلا ، بل الملاحظ فيه

امكان الاختلاف بينهم ، وهذا الامكان قطعي يحتمه العقل .

"اعتراض وتصويب":

===== هذا التصوير لم يسلم من الاعتراض عليه ، فقد اعترض

البعض عليه بقولهم :

انا نسلم ان امكان الاختلاف عند التعدد قطعي ، وما يلزمه من

امكان الفساد قطعي ايضا .

لكن : هل امكان الفساد باطل حتى يكون ما ادى اليه باطلا ،

وهو تعدد الالهة ؟

كلا . بل امكان الفساد صحيح ، لان العالم ممكن يجوز عليه

الوجود والعدم ، والنظام والفضى ، والفساد والاختلال ، بل الفساد سيقع

فعلا .

قال تعالى " يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب " . " ١ "

وقال تعالى " اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ،

واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت " . " ٢ "

وقال تعالى " اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال

سيرت " . " ٣ "

وقال تعالى " يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ويرزوا لله

الواحد القهار " . " ٤ "

وقال تعالى " اذا زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت الارض اثقالها

وقال الانسان مالها " . " ٥ "

١ - سورة الانبياء اية (١٠٤) .

٢ - سورة الانفطار الايات (١ - ٤) .

٣ - سورة التكويد الايات (١ - ٣) .

٤ - سورة ابراهيم اية (٤٨) .

٥ - سورة الزلزلة الايات (١ - ٣) .

فما معنى هذه الايات الا خراب السموات والارض ؟

اذا ، فهذا التصوير فاسد لا يصار اليه .

والصواب

==== في معنى الاية هو التصوير الاول ، والاستدلال حينئذ بالاية ظني ،

ولا ضير في ذلك ، فقد سبقت الاية لاقناع الجماهير وعامة الناس بالوحدانية ،

وليس بعيدا ان يكون في مناهج القران ما هو ظني ، فان القران نزل لجميع

البشر ، فهو يخاطب كل طائفة بما يتفق مع مستواها العقلي ، وهذا مبدأ قرره

القران الكريم . قال تعالى :

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن " . " ١ "

فان قيل :

ان العقائد الدينية لا يكفي فيها الظن ، بل المطلوب فيها

العلم واليقين ،

قال تعالى " فاعلم انه لا اله الا الله " . " ٢ "

وقال تعالى " وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا

يفني من الحق شيئا " . " ٣ "

يجاب عليه :

بأن الناس في الاستفادة من هذه الاهدان الظنية الخطابية

فريقان :

أ : فريق لا يستفيد منها الا الظن فحسب ، وهؤلاء هم الطائفة الممتازة من البشر

الذين اوتوا حظا وافرا من العقل والفكر ، فمثل هؤلاء نظروا في هذا الدليل

١ - سورة النحل اية (١٢٥) .

٢ - سورة محمد اية (١٩) .

٣ - سورة النجم اية (٢٨) .

بحق فاهتدوا الى ان الاختلاف بين الالهة بالفعل حتى تفسد السموات والارض
انما هو بحكم المادة فحسب ، فهو حكم ظني كسائر الاحكام المادية •
أما العقل فيجوز اتفاقهم ، فلا يلزم الفساد ، ومن هنا كان مبلغ

ما يقيده هذا الدليل عندهم انما هو الظن فحسب •

ب- : و فريق آخر يستفيد منه العلم واليقين ، وهم الجمهور وطامة الناس •
الذين منحوا حظا عاديا من العقل والفكر ، فلا يتعمقون في تفكيرهم كاولئك
المتأزين ، فلا يفرقون بين المادة وحكم العقل •

فتعدد الالهة عندهم ، وفي مستوى تفكيرهم يستلزم الاختلاف والنزاع
قطعا فيلزم الفساد قطعا ، فيعلمون انه اله واحد قطعا ، وهذا هو

المطلوب •

" برهان التمانع "

===== وهنا يقال :

اذا ، فقد اغفل القران الكريم اقتناع المتأزين بهذه العقيدة

• بالدليل القطعي

يرد عليه :

ان هذه الاية البينة ، كما تمنع بظاهرها الصريح الواضح الجماهير

وطامة الناس بالوحدانية ، تشير وترشد الطائفة الممتازة الى حجة قطعية تنادي

• بالوحدانية

• تلك الحجة هي : برهان التمانع •

وتقريره هكذا :

لو كان فيهما الهة غير الله لا يمكن بينهما التمانع والتعارض ، كأن

يريد أحدهما حركة شي ، بينما يريد الآخر سكونه • لكن امکان التمانع باطل •

وهو محال ، واذا أدى تعدد الالهة الى باطل كان التعدد باطلا •

في هذا الدليل مقدمتان :

• الاولى : ان تعدد الالهة يستلزم امكان التمانع .

• الثانية : ان امكان التمانع باطل .

• اما الاولى ، فواضحة قطعية .

نعم : التمانع بالفعل عند التعدد ظني جرت به العادة ،

• لكن امكان التمانع لازم قطعا عند التعدد .

• اما الثانية ، وهي ان امكان التمانع باطل ، فلأن التمانع محال

• لا ممكن .

وبيانه هكذا :

ان التمانع كما صورنا : ان يريد احد هما حركة شيء ، ويريد الاخر

• سكونه .

نقول : هذا التمانع محال . لانه لا يخلو الحال من احد احتمالات ثلاثة :

وهي :

أ : ان ينفذ مرادهما .

ب : ان لا ينفذ مراد واحد منهما .

ج : ان ينفذ مراد احد هما دون الاخر .

• والكل محال .

• اما الاولى : فلأنه يستلزم اجتماع الحركة والسكون ، وهو محال ، لأنه اجتماع

• النقيضين .

• اما الثاني : فلأنه يستلزم ارتفاع النقيضين ، الحركة والسكون ، وهو محال .

• كما يستلزم محالا آخر ، وهو عجز الالهين .

• اما الثالث : فمحال ، لأنه يستلزم الترجيح بلا مرجح ، ويلزم عليه عجز الاله

• الذي لم ينفذ مراده .

ونجمل هذا الدليل هكذا :

ان تعدد الالهة يستلزم امكان التمانع ، وامكان التمانع باطل ، لأنه

• محال

فالتعدد أدى الى باطل ، فيكون باطلا ، واذ كان التعدد باطلا كان الاله

• واحدا

فالاية اذا : اقناع للجماهير صراحة ، واقناع للخواص الممتازين ،

من هذا الوجه (أ . ه .

وحاصل الكلام أن يقال :

ان في الاية الكريمة الدليل الكافي على اثبات وحدانية الله تعالى ،

سواء حصل هذا بدليل التمانع ونفي صدور الفعل الواحد عن فاعلين ، حيث ان

الفعلين من نوع واحد اذا اجتمعا على محل واحد فسد المحل ضرورة • أو حصل

بطريق آخر غيره • " ١ "

ومعد : فهذه هي طريقة المتكلمين ، في اثبات وحدة الصانع • وهذا

هو الشيخ محمد عبده يسير في نفس الطريق ، ويسلك نفس المسلك •

يضاف الى ذلك ما ذكره سابقا عند تفسير قوله تعالى :

" والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم " •

والاية التي تليها ، وقد سبق الحديث عنه •

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٦ •

وانظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٠٦ - ٢٠٧)

" المعنى الاجمالي للتوحيد عند السلف "

===== التوحيد عند سلف الامة : هو افراد ا

الله بالمعبادة وحده ، لتفردہ بالخلق ، وهذا هو الذى جاء به الشرع الحنيف

ودعت اليه الرسل الكرام ، وبه يكمل ايمان المسلم .

وهذا يقتضي اخلاص الدين لله ، ومحبة ، وخوفه ، ورجاءه ،

والتوكل عليه ، والثقة به ، والطاعة له ، والرضا به ، الها واحدا لا اله

الا هو ، وخلق ما عداه من الالهة ، المزيفة .

وهذا النوع من التوحيد يسمى توحيدا في الطلب والقصد . أو

التوحيد الارادى الطلبي .

وهناك نوع اخر من التوحيد الذى دعت اليه الرسل ، وهو التوحيد في

الاثبات والمعرفة . أو ما يسمى ب : التوحيد العلمى الخبرى الاعتقادى

المتضمن اثبات صفات الكمال لله وحده ، وتنزيهه عن الشبيه والمثل ، وعن

كل ما لا يليق بجلاله .

والتوحيد المطلوب اولا هو توحيد الالهية المتضمن توحيد الربوبية ، لا

العكس . لان من يعجز عن الخلق لا يصلح ان يكون الها .

ولا يتم احد التوحيدين الا بالآخر ، فهما متلازمان تلازم الظاهر للباطن ،

كوجهي عملة واحدة ، لا يقوم احد هما من غير الآخر .

وقد دل القران الكريم على هذين النوعين من التوحيد في آيات كثيرة ، منها :

١ - من الايات الدالة على النوع الاول : التوحيد الطلبي القصدى ،

أ : قال تعالى " قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون

ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ، ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم

ولي دين " . " ١ "

ب- : قال تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون " ١

ج : قال تعالى : " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، الا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " ٢

د : قال تعالى : " قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين " ٣

هـ : قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامرا من شفيح الا من بعد اذنه ذلك الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون " ٤

و : وقال تعالى : " قل ياأيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين " ٥

ز : وجملته سورة (الانعام) " ٦

-
- ١ - سورة ال عمران اية (٦٤)
 - ٢ - سورة الزمر الايات (١ - ٣)
 - ٣ - سورة الزمر الايات (٦٤ - ٦٥)
 - ٤ - سورة يونس اية (٣)
 - ٥ - سورة يونس اية (١٠٤)
 - ٦ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٨

٢ - من الايات الدالة على النوع الثاني : توحيد الالتهات والمعرفة

أ : قال تعالى : " قل هو الله احد الله الصمد لم يله ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد " ١ " .

ب : قال تعالى : " الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنی " ٢ " .

ج : قال تعالى : " هو الله لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن

الرحيم " هو الله لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن

العزیز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون " ٣ " .

د : قال تعالى : " هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم " ٤ "

هـ : قال تعالى : " الم الله لا اله الا هو الحي القيوم " ٥ " .

ويدخل في معنى النوع الثاني " توحيد الاسماء والصفات " ومعناه ان

يوصف الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف " ٦ " أو

تعطيل " ٧ " ومن غير تكيف " ٨ " ولا تمثيل " ٩ " .

١ - سورة الاخلاص واياتها اربع .

٢ - سورة طه اية (٨) .

٣ - سورة الحشر الايات (٢٢ - ٢٣) .

٤ - سورة الحديد اية (٣) .

٥ - سورة ال عمران الايات (١ - ٢) .

٦ - التحريف : هو التفسير والتبديل ، واصطلاحاً تغيير الفاظ الاسماء الحسنی

والصفة العلی ، ومعانيهما ، وهو ينقسم الى تحريف لفظ مثل استوى باستولى

وتحريف معنى كمثل الیدين بالنعمة .

٧ - التعطيل ماخوذ من المطل الذي هو الخلو والفراغ والترك . والمراد بالتعطيل

هنا : نفي الصفات الالهية وانكار قيامها بذاته تعالى .

٨ - التكيف : تعيين المكنه ، يقال كيف الشيء اي جعل له كيفية معلومة .

٩ - التمثيل : هو التشبيه وهو ينقسم الى قسمين :

الاول : تشبيه المخلوق بالخالق كتشبيه اليهود والنصارى عزيراً =

• والملاقة بين انواع التوحيد الثلاثة هي علاقة تلازم وتضمن وشمول •

• فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الالهية •

• وتوحيد الالهية متضمن لتوحيد الربوبية •

• وتوحيد الاسماء والصفات شامل للنوعين فهو يقوم على افراد الله تعالى بكل ما له

• من الاسماء الحسنى ، والصفات العليا التي لا تنبغي الا له •

• فهذه الانواع الثلاثة متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضا ، ولا ينفح

احداها بدون الاخر ، كما لا ينفح توحيد الربوبية بدون توحيد الالهية ، وكذلك

لا يصح توحيد الالهية بدون توحيد الربوبية ، فلا يكمل لاحد توحيده الا باجتماع

انواع التوحيد الثلاثة • " ١ "

• وعيسى بالله =

الثاني : تشبيه الله بخلقه بأن يقال له وجه كوجه المخلوق ، ويسد

كيد •••

انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية تأليف

عبد العزيز المحمد السلطان ، من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث

العلمية بالرياض ، الطبعة العاشرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م •

ص (٣٩ - ٤٢) •

١ - في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٢٣ - ٢٢٤) •

الفصل الثالث : صفات الله تعالى وكلماته :

=====

تمهيد :

===== يبحث علماء اصول العقيدة ، في موضوع الصفات الالهية عن صنفين

• من الصفات الثبوتية

(الأول) صفات وكلمات جاء بها الكتاب المبين ، والوحي الأمين ،

ونادى بها العقل السليم . ككونه تعالى قادرا ، ومريدا ،

وعالما ، وحيا ، وسميما ، ومصيرا ، ومكلما .

فقد جاء القران في " القدرة " فقال : " قل اللهم مالك الملك

تروي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء " . " ١ "

وجاء في الارادة ، فقال : " فعال لما يريد " . " ٢ "

وجاء في العلم ، فقال : " عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " . " ٣ "

وجاء في الحياة ، فقال : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " . " ٤ "

وجاء في السمع ، والبصر ، فقال : " وهو السميع البصير " . " ٥ "

وجاء في الكلام فقال : " وكلم الله موسى تكليما " . " ٦ "

وكما شهد القران بهذه الصفات ، فقد أرشد العقل اليها ، وثبتت بالدليل

العقلي كما سيأتي بيانه ان شاء الله .

١ - سورة ال عمران اية (٢٦) .

٢ - سورة البهوج اية (١٦) .

٣ - سورة الرعد اية (٩) .

٤ - سورة البقرة اية (٢٥٥) .

٥ - سورة الشورى اية (١١) .

٦ - سورة النساء اية (١٦٤) .

(الثاني) : صفات جاء بها القران والسنة كالوجه ، والعين ، واليد ، والاصبع ، والساق ، والقدم ، وكان موقف العقل من هذا الصنف مضطربا وانقسم الناس من هذا الصنف الى فريقين :

أ : فريق من الناس اثبت هذا الصنف له تعالى ، على نمط ما في الحوادث والممكنات .

فله تعالى وجه كوجه الانسان ، ويد كيد ، وعين كعينه . . الى اخر هذه الصفات . وهؤلاء هم المشبهة . " ١ "

ب : الفريق الثاني ذهب الى استحالة ان يكون له وجه كالوجوه ، وعين كالاعين ، ويد كالايدي البشرية ، كما قال المشبهة .

بل نزهوا الله سبحانه عن هذا وتبرؤا من التشبيه وأهله . ثم اختلف هؤلاء المنزهون بعد هذا التنزيه فيما هو المراد بهذه الصفات . وما معناها ؟

١ - فمنهم من فوض العلم بالمراد اليه تعالى ، واثبت لله سبع صفات فقط ، وهؤلاء هم الاشاعرة . مع ايمانهم القطعي بصفات اخرى زائدة على الصفات السبع كالقدوس ، والسلام ، والمؤمن ، والرازق الى اخر هذه الصفات ، ولهم في هذا الاقتصار تخرج جيد ، لا حاجة لذكره هنا .

١ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٣ ، ٢٣٩ ، الطبعة السادسة

وانظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٣٩ .

وانظر : شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، محمد خليل هراس ،

مراجعة الشيخ عبد الرزاق غنفي ، ص (٢٣) .

وانظر : الرسالة التدمرية ، مجمل اعتقاد السلف ، تأليف شيخ الاسلام

ابن تيمية ، تحقيق الاستاذ زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي

بيروت ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ . بيروت . ص

١١ وما بعدها .

٢ - ومنهم من صور المراد بهذه الصفات في معنى يليق بجلاله وعظمته ،
وزاد على ذلك صفات اخرى كالخالق ، الوازق ، المحيي ، المميت ،
العظيم . . . الخ

وهؤلاء هم علماء السلف رضوان الله تعالى عليهم * ١ *
ويمكن تقسيم الصفات الالهية ، عند السلف والاشاعرة كما يلي :-

أولا : تقسيم السلف : * ٢ *

يقسم السلف رضي الله عنهم ، الصفات الى قسمين : * ٣ *

صفات ذاتية ، وصفات فعلية .

وكل منها ، تقسم الى قسمين ، فيكون المجموع اربعة اقسام على هذا النحو :-
أ : الصفات الذاتية ، وهي الصفات الملازمة للذات المقدسة ، فلا تنفك
عنها ، وهي قسمان :

١ - صفات عقلية : كالقدرة والارادة والعلم . . .

ب - صفات خبرية : كالوجه ، والعين ، واليدين . . .

ب : الصفات الفعلية ، وهو الامور المتعلقة بمشيئة الله وارادته .
وهي قسمان :

١ - صفات عقلية : كالخلق ، والرزق ، والاعطاء ، والمنع . . .

٢ - صفات خبرية : كالنزول ، والمجيء ، والاستواء . . .

١ - مذكرة مادة العقيدة الاسلامية ، اعداد الاستاذ محمد يوسف الشيخ .

٢ - انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ١٠٥ .

وانظر : الاسئلة والاجوبة الاصولية ، لعبد العزيز السلطان ص ٥٧ ،
الطبعة المباشرة .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص (١٢٧ - ١٢٨) الطبعة
السادسة .

٣ - باعتبار لزومها للذات وعدم لزومها .

ثانيا : تقسيم الاشاعة :

===== يقسم الاشاعة رضي الله عنهم الصفات الى اربعة

اقسام : " ١ "

نفسية ، وسلبية ، ومعاني ، ومعنوية .

١ - نفسية : وهي الوصف الدال على الذات ، دون معنى زائد عليه ، وهي

" الوجود " .

٢ - سلبية : وهي الصفات التي تنفي عن الله تعالى ما لا يليق بجلاله ،

كالقدم ، والبقاء .

٣ - صفات المعاني : ويقصد بها ما يدل على معنى زائد على الذات وهي

الصفات السبع السابقة الذكر .

٤ - الصفات المعنوية : ويقصد بها الاحوال الثابتة للذات ، اذا قامت بها

المعاني عند من يثبت الاحوال ، ككونه عالما ، وكونه قادرا

وكونه مريدا . الخ . " ٢ "

أما الشيخ محمد عبده ، فيقسم الصفات الى :

اولا : صفات البرهان : وهي ما ارشد اليه البرهان ، وجاءت به الشريعة

الاسلامية ، لتأييده والدعوة اليه .

١ - باعتبار مفهومها .

٢ - انظر رسالة : ابن حزم وموقفه من الالهيات ، اعداد الطالب : احمد

الناصر الحمد ، اشراف الدكتور عبد العزيز عبيد ، جامعة ام القرى ،

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، فصل الصفات نقلا عن كتاب الشامل في اصول

الدين للجويني ص ٣٠٨ ، وحاشية البيجوري على متن السنوسية

مطبعة دار الكتب العربية ص ١٩ ، وحاشية الصاوي على شرح

الخريدة البهية ، مطبعة الاستقامة ص ٥٩ .

كالقدم : بمعنى ان يكون الواجب قد يما ازليا .

والبقاء : بمعنى ان لا يطرأ عليه عدم .

ونفي التركيب : بمعنى الوحدة ذاتا ووصفا ووجودا وافعالا .

والحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والاختيار .

ثانيا : الصفات السمعية :

===== وهي ما جاء ذكرها على لسان الشرع ، ولا

يحيلها العقل ، لكن لا يهتدى اليها النظر وحده ، ويجب الاعتقاد بأن الله

متصف بها اتباعا لما قرره الشرع ، وتصديقا لما اخبر به .

وهي صفة الكلام ، وصفة السمع ، وصفة البصر . " ١ "

وهذا تقسيم للصفات من حيث ثبوتها ، فهي اما عقلية ايدها الشرع

ولم يلد بها ، او شرعية ، جاءت على لسان الشرع ، والعقل لا يحيلها .

اما الصفات الخيرية التي جاء بها القران والسنة كالوجه ، واليمين

واليد ، . . . الخ فان الشيخ محمد عبده ، لا ينكرها ، لكنه يفوض العلم

بالمراد منها الى الله تعالى ، ويقتصر على ما ذكره من صفات البرهان ، والصفات

السمعية . كما فعل الاشاعرة رضى الله عنهم اجمعين . لكنه يرى ان الكلام في

مثل هذه الصفات لا يد له من فائدة يحمل عليها لان الله عز وجل لم يخاطبنا

بما لا نستفيد منه معنى . " ٢ "

١ - انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة

للإمام (٣ : ٢٧٠ - ٣٧٧) .

٢ - انظر الاعمال الكاملة للإمام (٤ : ١٣٠) .

" العلاقة بين الذات والصفات "

=====

نطرح هذا السؤال :

هل الصفات عين الذات ، أو غيرها ، أو لا هي ولا غيرها ؟

وما رأى الشيخ " محمد عبده " في ذلك ؟

وللاجابة على هذا السؤال نقول :-

لقد عرف الشيخ محمد عبده قدر نفسه ، ومبلغ علمه حين سلك

في هذا الموضوع مسلكاً استطاع فيه ان يفلت من طريق الجدل الذي وقع فيه

الفلاسفة والمتكلمون ، وان يسير في طريق يحمده عن هذا الطريق ، يقدر

ما يقربه من طريق السلف ، وجمهور اهل الحديث والتفسير رضي الله عنهم

أجمعين .

ولقد اعمل الشيخ " محمد عبده " فكره ، واستفرد وسعه ،

في مناقشة معظم المذاهب في الصفات ، والرد عليها ، وخاصة مذهب الفلاسفة

الاسلاميين ، ومذهب المعتزلة من اهل الكلام ، ومن ثم وصل الى النتيجة

النهائية التالية :-

١ - في شرحه على العقائد المضدية : " ١ "

قال : (والواجب عليك شرعا ان تعتقد انه عالم ، قادر ، مرید . . .

الى اخر الصفات وانه موصوف بالعلم ، والقدرة ، وغيرها ، على ما يفهمه

الناظر ، من الآثار ، وليس لك ان تنظر فيها وراء ذلك ، فانك قاصر عن ان

تدركه) .

٢ - في رسالة التوحيد : " ١ "

أ : قال : (فيكفينا من العلم بها ان نعلم انه متصف بها ، اما ما وراء ذلك فهو مما يستأثره بعلومه ، ولا يمكن لعقولنا ان تصل اليه ، ولهذا لم يأت الكتاب العزيز ، وما سبقه من الكتب الا بتوجيه النظر الى المصنوع ، لينفذ منه الى معرفة وجود الصانع ، وصفاته الكمالية ، اما كيفية الاتصاف بها ، فليس من شأننا ان نهتد فيه) .

ب : قال : (فالذى يوجه علينا الايمان هو ان نعلم انه موجود ، لا يشبه الكائنات اذلي ، ابدى ، حي ، عالم ، مرید ، قادر ، منفرد في وجوده ، وفي صفاته ، وفي صنع خلقه ، وانه متكلم ، سميع ، بصير ، وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع باطلاق اسمائها عليه .

اما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية ، وكون السمع والبصر ، غير العلم بالمسموعات والمبصرات ، ونحو ذلك من الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب فمما لا يجوز الخوض فيه ، ان لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه . والاستدلال على شيء منه بالالفاظ الواردة ضعف في العقل ، وتخفيف بالشرع ، لان استعمال اللفظة ، لا ينحصر في الحقيقة ، ولئن انحصرت فيها فوضع اللفظة لا تراعى فيه الوجودات بكنهها الحقيقي ، وانما تلك مذاهب فلسفة ان لم يفضل فيها امثلهم فلم يهتد فيها فريق الى مقنع .

فما علينا الا الوقوف عندما تبلغه عقولنا ، وان نسأل الله ان يخفر لمن آمن به ، وما جاء به رسله ممن تقدمنا) .

٣ - في تفسير القرآن : " ١ "

قال : (فاذا جاء في نصوص الكتاب او السنة شيء ينافي ظاهره التنزيه

فلمسلمين فيه طريقتان :

" ٢ "

احدهما : طريقة السلف ، وهي التنزيه كقوله تعالى " ليس كمثله شيء " =====

وقوله عز وجل " سبحان ربك رب العزة عما يصفون " " ٣ " ، وتفويض الامر الى

الله تعالى في فهم حقيقة ذلك ، مع العلم بأن الله يعلمنا بضمون كلامه ط

نستفيد به في اخلاقنا واعمالنا واحوالنا ، ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من

عقولنا ، ويصورها لمخيلاتنا .

والثانية : طريقة الخلف وهي التاويل .

=====

يقولون : ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا

يخرج شيء منها عن المعقول .

فاذا جزم العقل بشيء ، وورد في النقل خلافه ، ويكون الحكم العقلي

القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بد له من معنى موافق يحتمل

عليه ، فينبغي طلبه بالتاويل .

وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله

تعالى وصفاته ، وعالم الخيب ، واننا نشير في فهم الايات على كلا الطريقتين ،

لانه لا بد للكلام من فائدة يحتمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا

نستفيد منه معنى (.

١ - انظر الاعمال الكاملة للامام (٤ : ١٢٩ - ١٣٠) .

٢ - سورة الشورى اية (١١) .

٣ - سورة الصافات اية (١٨٠) .

٤ — في تفسير جزء عم : " ١ "

قال : (فنحن مأمورون ان نعترف لله جل شأنه بأنه القادر ،
العالم ، الحكيم ، الذي شهدت بصفاته هذه آثاره في خلقه ، التي ذكرها
في وصف نفسه في قوله : " الذي خلق فسوى " ٢ " ولا ندخل في هذه —
الصفات معنى مما لا يليق به ، كما ادخل الملحدون الذين اتخذوا من دونه
شركاء له ، او عرفوه بما يشبهه به خلقه ، وانما توجه الينا الامر بتسبيح الاسم
دون تسبيح الذات " ٣ " ليرشدنا الى ان مهلخ جهدنا ، ومنتهي ما تصل اليه
عقولنا ان نعترف الصفات بما يدل عليها ، اما الذات فهي أعلى وأرفع من ان تتوجه
عقولنا اليها الا بما نلاحظ من هذه الصفات التي تقوم عليها الدلائل وترشد اليها
الآيات) .

هذا هو مجمل ما توصل اليه الشيخ محمد عبده في الكلام في الصفات
وهو كما يبدو لي كلام في غاية الدقة ، ولمعرفة قيمته ارى ان القى الضوء على مذهب
السلف في الصفات . وتحديد العلاقة بينها وبين الذات .

-
- ١ — تفسير جزء عم الموجود ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٨٢) .
 - ٢ — سورة الاعلى اية (٢) .
 - ٣ — يقصد الامر في قوله تعالى : " سبح اسم ربك الاعلى " ، سورة الاعلى
اية (١) .

” مذهب السلف في الصفات ”

=====

للعلماء في تحديد مذهب السلف في الصفات اقوال متعددة : ” ١ ”

((القول الاول)) :

يرى الامام ابن الجوزي رحمه الله ان السلف كانوا مفوضة ” ٢ ” .

وينسب هذا الرأي الى الامام احمد بن حنبل ” ٣ ” رضى الله عنه .

فقد ذكر في كتابه : ” مناقب احمد ” ان عقيدة الامام احمد تلخص

في الايمان والتسليم فيما جاء وصفا لله تعالى على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله

صلى الله عليه وسلم ، بلا تأويل ولا تشبيه ، ولا كيف ولا معنى ،

((القول الثاني)) :

ير

١ — انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٢٥ —

٢٢٨) .

٢ — بمعنى انهم كانوا يفوضون معاني الالفاظ التي جاءت بها النصوص الى الله

تعالى ، ويقرونها تلاوة فقط ، ولا يثبتون ما تضمنته من صفات ، لانهم

يروون ان هذا من التشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى .

٣ — شيخ اهل السنة ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني ، الذهلي ،

المروزي ، البخاري ، واحد الاعلام ببغداد ، وشيخ الاسلام في

عصره ، وناصر السنة ، وقامح البدعة ، كان اماما في الحديث وفنونه ،

واماما في الفقه ، واماما في الورع ، مات في ثاني عشر من ربيع الاول سنة

٢٤١ هـ وقد جاوز سبعا وسبعين سنة . / انظر طبقات الحفاظ لمجد

الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ،

القاهرة ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م ص ٤٣١ .

يرى حجة الاسلام الخزالي رحمه الله ان السلف كانوا يؤولون تأويلا
اجماليا " ١ " . ونسب هذا الرأي الى الامام احمد رضي الله عنه . " ٢ "

((القول الثالث))

وهو قول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : فهو يرى ان
السلف كانوا يفهمون معاني النصوص ، ويثبتون لله ما تضمنته من صفات ، ثم
يفوضون علم كیفيتها الى الله عز وجل .
ولقد اختار هذا الرأي كثير من اتباع الشيخ وتلاميذه ، اشهرهم
الامام ابن القيم رحمه الله .
" تقرير مذهب السلف "

=====
قرر شيخ الاسلام مذهب السلف الصالح هذا بما يدل
عليه كلامهم ، واستشهد بجواب الامام مالك رضي الله عنه لمن سأل عن كيفية
الاستواء في قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " . " ٣ "

قال : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول) ،
فان " مالكا " رحمه الله تعالى لم ينف حقيقة الصفة ولكنه نفى علم الكيفية .
وأما قول كثير من السلف في آيات الصفات واحاديثها : امرها كما
جاءت بلا كيف ، فليس مرادهم به : الايمان باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه ،

-
- ١ - بمعنى انهم يصرفون النصوص عن ظاهرها ، ثم يقفون عند ذلك ، فلا يحددون
معنى ما يؤول اليه اللفظ ، بل يقولون لا ندرى ما اراده الله ورسوله مع
علمنا ان ظاهر ذلك غير مراد .
 - ٢ - انظر كتاب : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، ابو حامد الخزالي ،
تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، طبعة البابي الحلبي ١٩٦٦م ص ١٨٤ .
 - ٣ - سورة طه آية (٥) .

ولا اثبات لما تضمنه من صفة والا كان قولهم بلا كيف لا معنى له ، فان من ينفي
الصفة لا يحتاج ان يقول : بلا كيف ، بل المراد من قولهم ، أمرها
كما جاءت ، الامر بابقاء دلالتها على ما هي عليه ، فانها الفاظ دالة على معاني
فلو كانت دلالتها منتفية لوجب ان يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد ان الظاهر
منها غير مراد .

ولا يقال حينئذ بلا كيف . ان نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من
القول . وكذلك قال الامام احمد زعيم اهل السنة في عصره : لا يوصف الله الا
بما وصف به نفسه او بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القران ،
والحديث . " ١ "

ويرى ابن تيمية رحمه الله ان اسماء الله تعالى وصفاته كلها
" توقيفية " لا يجوز لنا ان نطلق شيئا منها على الله في حالتنا الاثبات
او النفي الا بتصريح من الشرح ،
قال : (ما أثبتته الله ورسوله اثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفينا ،
والالفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي ، فنثبت ما اثبتته
النصوص من الالفاظ والمعاني ، وننفي ما نفتته النصوص من الالفاظ والمعاني " ٢ "

وقال الامام ابن القيم :
(ونقول هو الحكيم ولا نقول هو الماقل ، ونقول هو خليل ابراهيم
ولا نقول هو صديق ابراهيم وان كان المعنى واحدا . لاننا لا نسويه ، ولا نصفه ،

-
- ١ - انظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٢٧)
نقلا عن كتاب : مذهب ابن تيمية في صفات الله . للدكتور خليل هراس ،
طبعة الامام ص (١٢٦ - ١٢٧) .
 - ٢ - نفس المرجع (١ : ٢٢٩) نقلا عن منهاج السنة (٢ : ٤٤٣) ،
تحقيق الدكتور رشاد سالم ، والرسالة التدمرية ص ٤٥ ، ومجموعة الرسائل
الكبرى - الفرقان بين الحق والباطل (١ : ١٠٢) .

ولا نطلق عليه الا بما سمى به نفسه (" ١ ")

ويؤكد ابن القيم انه لا يصح لاحد ان يشتق لله تعالى من كل فعل من

أفعاله اسماء له . وانما يقتصر على ما ورد في الشرع .

فيقول : (ودخل في اسمائه سبحانه " الواجد " دون الموجد

وهو بمعنى ذو الوجد والغنى . فان الموجد صفة فعل ، وهو معطي الوجود ،

كالمحيي معطي الحياة ، وهذا الفعل لم يجيء اطلاقه في افعال الله ولا في

الكتاب ولا في السنة . فلا يعرف اطلاق اوجد الله كذا وكذا ، وانما الذي جاء

خلقه ورأه ، وصوره واعطاه ، ونحو ذلك .

فلما لم يكن يستعمل فعله ، لم يجيء اسم الفاعل منه في اسمائه الحسنی

فان الفعل اوسع من الاسم ، ولهذا اطلق على نفسه افعالا لم يتسم منها بأسماء

الفاعل ، كآراد ، وشاء ، واحداث ، ولم يسم بالمرید ، والشائي ،

والمحدث كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتمكن وغير ذلك من الأسماء

التي اطلق افعالها على نفسه .

فباب الافعال اوسع من باب الاسماء ، وقد اخطأ اقبح الخطأ من

اشتق له من كل فعل اسما ، وبلغ بأسمائه زيادة عن الالف فسماء : الماكر

والخادع ، والكائد ، والفاتن ، ونحو ذلك (" ٢ ")

وبناء عليه استطيع ان اقول : ان الشيخ محمد عبده مع السلف في هذه

المسألة ، ومع ما قرره ابن تيمية وتلميذه .

١ - نفس المرجع (١ : ٢٣٠) نقلا عن : اجتماع الجيوش الاسلامية على

غزو المعطلة والجهمية ص ٥٧ .

٢ - نفس المرجع (١ : ٢٣١) نقلا عن : مدارج السالكين (٣ : ٤١٥) .

فهو يرى أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، وما يجب له أو
يقتض عنه ، لا سبيل إلى ادراكها بالعقل (والواجب عليك شرعا ان تعتقد أنه
عالم ، قادر ، مرید . . . إلى آخر الصفات وليس لك ان تنظر فيما وراء ذلك
فانك قاصر عن ان تدركه) لأنها من شؤون الغيب التي لا تدخل في نطاق
وظيفة العقل ، وانما وظيفته في ذلك ان يفهم ما تضمنته النصوص من معاني اسماء
الرب وصفاته (فيكفيها من العلم بها ان نعلم انه متصف بها ، اما ما وراء ذلك
فهو مما يستأثر هو بعلمه ، ولا يمكن لعقولنا ان تصل اليه) .

وقوله : (واما كيفية الاتصاف بها فليس من شأننا ان نهتج فيه) .
وهو يرى ايضا : انه لا يجوز التحويل في اثبات الاسماء والصفات
او نفيها على غير ما جاء به الرسل الكرام ، ومن رجح في شيء من ذلك الى القضايا
العقلية ، او الاستحسان بالرأى او غير ذلك فقد قال على الله بخير علم ولا هدى
ولا كتاب منير ، وذل عن سواء السبيل ، فلنسال الله له المغفرة .
(فما علينا الا الوقوف عند ما تبلغه عقولنا ، وان نسال الله ان يخفر
لمن آمن به وما جاء به رسله ممن تقدمنا) .

وفي قول الشيخ " محمد عبده " في الاستدلال على شيء من الصفات
من اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب بالالفاظ الواردة في اللغة انه
(ضعف في العقل وتفرير بالشرح لان استعمال اللغة لا ينحصر في الحقيقة . . .)
بمعنى آخر : انه يجب علينا ان نؤمن بما ورد في اللغة أوصافا أو أسماء له في
كتابه أو سنة رسوله مع تفويض علمها الى الله تعالى وحده نظر ، فهو
لا يتفق فيه مع مقرري مذهب السلف .

ويكفي للرد عليه ما ورد لهم من كلام في منع المجاز والتأويل ، وسيأتي
بيانه فيما بعد باذن الله .

ونسوق نصا للامام ابن القيم في هذا المقام ، يثبت فيه الحقيقة المتبادرة

من ظاهر النص الوارد في صفات الله واسمائه ، ان لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الداعي الى الله على بصيرة (ان يكون قد اخبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله بما الهدى في خلاف ظاهره ، والحق في اخراجه عن حقائقه ، وحمله على وحشي اللغات ، ومستكرهات التأويلات وان حقائقه خلال ، وتشبيهه ، والحاد ، وان الهدى والعلم في مجازه واخراجه عن حقائقه) " ١ "

اما ما ورد في رسالة التوحيد وهو قوله : (اما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية ، وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات ونحو ذلك من الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب ، فما لا يجوز الخوض فيه . ان لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه) .

فشير مسلم له فيه ، لان مذهب السلف في الصفات واضح كل الوضوح ، وهو مبني على ثلاثة اساس هي : " ٢ "

- ١ - صفات الله قديمة .
- ٢ - صفات الله قائمة بذاته .
- ٣ - صفات الله زائدة عن ذاته .

وحتى تتكون الصورة الواضحة الجلية لتحديد العلاقة بين الذات والصفات

الالهية ، ارى أن أوضح معنى كل واحد من هذه الأمور . . .

١ - صفات الله قديمة :-

===== يرى علماء السلف ان صفات الله تعالى قديمة ،

كلها فقد ورد عن الامام احمد رضى الله عنه انه قال : من قال ان الله عز وجل

لم يكن موصوفا ، حتى وصفه الواصفون ، فهو بذلك خارج عن الدين " ٣ "

١ - انظر في العقيدة الاسلامية ، ص ٢٤٤ ، نقلا عن : مختصر الصواعق

المرسلة (١ : ٦) .

٢ - نفس المرجع ص ٢٤٦ . الجزء الاول .

٣ - نفس المرجع (١ : ٢٤٦) نقلا عن اعتقاد احمد ، ابو الفضل التميمي

(٢ : ٢٣٨) طبع طبقات الحنابلة .

قال شارح الطحاوية : (ان الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال ، صفات الذات ، وصفات الفعل ، ولا يجوز ان يمتد ان الله وصف بصفة بعد ان لم يكن متصفا بها ، لان صفاته سبحانه صفات كمال ، وقدها صفة نقص ، ولا يجوز ان يكون قد حصل به الكمال بعد ان كان متصفا بضمه ، ولا يريد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها ، كالخلق ، والتصوير والامانة ، والاحياء ، والقبض ، والبسط ، والطي ، والاستواء ، والاتيان ، والسجود ، والنزول ، والغضب ، والرضا ، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، وان كنا لا ندرك كنهه ، وحقيقته التي هي تأويله ولا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، ولكن اصل معناه معلوم لنا) " ١ " .

فقد صفاه تعالى ، اذن لا ينفي قيام الحوادث في ذاته ، ولا يتعارض معه ، بل يرى ابن تيمية ان ذلك ضرورة لا مناص منها لفهم كثير من النصوص ، التي تدل على حدوث احاد تلك الصفات ، بصراحة لا تقبل التأويل . ويرى ان الصفات قديمة ، الا ان منها ما هو قديم الجنس حادث الاحاد بمعنى ان الصفة قديمة ولكن تحدث في ذاته تعالى آحادها ، وذلك مثل العلم والسمع ، والبصر ، والكلام .

ويفصل شارح العقيدة الطحاوية في حلول الحوادث بالرب تعالى المنفي في علم الكلام فيقول :

(فان اريد بالنفي انه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثه ، اولا يحدث له وصف متجدد لم يكن - فهذا نفي صحيح . وان اريد به نفي الصفات الاختيارية من انه لا يفعل ما يريد ، ولا يتكلم بما شاء اذا شاء ، ولا انه يفض ويبرض لا كأحد من الوري ولا يوصف بما وصف به

نفسه من النزول والاستواء والاتيان كما يليق بجلاله ، وعظمته - فهذا نفي
باطل (١٠٠)

وزهب السلف ايضا الى ان كل ما وصف به تعالى من افعاله الاختيارية ،
فهو قائم به ، وان هذا ما دل عليه العقل ، واقتضته اللغة ،
فاللغة ليس فيها ان من اوجد شيئا في غيره كان متصفا بذلك الشيء ،
فلا يقال لمن اوجد حركة في جسم من الاجسام انه متحرك بهذه الحركة ، بل
الجسم الذي قامت به الحركة هو المتحرك ، لانه لا يشتق لمحل اسم من صفة لم
تقم به .

كما ان العقل يقتضي ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل
ولا يتأثر ان يكون حكم هذه الصفة عائدا على غير ذلك المحل . فالحياة ،
والعلم ، والقدرة اذا قامت بمحل كان ذلك المحل حيا عالما قادرا ، ولا
يكون الحي حيا بحياة تقوم بخيره ولا العالم عالما بعلم يقوم بخيره ، ولا القادر
قادرا بقدرة تقوم بخيره .

وكذلك الامر في الافعال ، فلا يكون باتفاق العقلاء تحركا بحركة تقوم
بخيره ، بل المتحرك هو من قامت به الحركة ، وطرده هذا انه لا يعقل فاعل
الا من يقوم به الفعل . ٢٠

وابن تيمية يرى ان هذا ما دل عليه الشرح والعقل فهو يقول :
(فان قلت لنا : فقد قلت بقيام الحوادث بالرب . قلنا لكم نعم ، وهذا
قولنا الذي دل عليه الشرح والعقل ، ومن لم يقل ان الهاري يتكلم ويريد ويحسب
ويستغنى ويبرض ويجيى . فقد ناقض كتاب الله . ومن قال انه لم يزل ينادى

١ - نفس المصدر ص ١٢٩ .
٢ - انظر : في العقيدة الاسلامية ص ٢٥٠ - ٢٥١ نقلا عن منهاج السنة
النهوية لابن تيمية (٢ : ٢٩٣) تحقيق الدكتور رشاد سالم .

موسى في الازل فقد خالف كلام الله مع مكابرة العقل ، لان الله تعالى يقول
" فلما جاءها نودى " ١ " وقال : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون " ٢ " ، فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال فقيام الحوادث بذات
الله لم ينكره احد من السلف والائمة ، ونصوص القران تتضمن ذلك مع صريح العقل)
٣

٢ - صفات الله قائمة بذاته :

===== يرى السلف ان صفات الله تعالى ، ليست
قائمة بنفسها وانما هي قائمة بذاته سبحانه وتعالى ، لان الصفات لا تقوم الا
بموصوف ،

ورأوا أنه لا يصح ان تقوم صفات الله تعالى بغيره ، والا لما صح

وصف الله بها ، بل كانت صفات من قامت به .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(فيمتنع ان تقوم هذه الصفات الا بموصوف قائم بنفسه ، ولا

يجوز ان تقوم صفات الله بأنفسها بل بموصوف ، وكذلك صفات العباد ، لا يجوز

ان تقوم بأنفسها بل بموصوف) . " ٤ "

ويقول : (وايضا فالرسل الذين خاطبوا الناس ، واخبروهم ان الله

تعالى قال ، ونادى وناجى ، ويقول ، لم يفهموهم ان هذه مخلوقات منفصلة

١ - سورة النمل اية (٨) .

٢ - سورة يسن اية (٨٢) .

٣ - انظر : المرجع السابق ص ٢٥٤ ، نقلا عن منهاج السنة النبوية

(١ : ٢٢٤) .

وعن كتاب : الصواعق المرسله ، لابن القيم (١ : ٢٦٣) .

٤ - انظر في العقيدة الاسلامية (١ : ٢٥٧) نقلا عن منهاج السنة

النبوية (٢ : ٤٧٩) .

عنه ، بل الذي افهموه اياه ان الله تعالى نفسه هو الذي يتكلم والكلام قائم به لا بغيره . . .

وبالجملة : لا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم الا من يقوم به القول والكلام ولا يعقل في لغة احد ، لا لغة الرسل ولا غيرهم ، ولا في عقل احد ان المتكلم يكون متكلماً بكلام لم يقم به قط ، بل هو بائن عنه ، اخبره في غيره ، كما لا يعقل انه متحرك بحركة خلقها في غيره ، ولا يعقل انه متلون بلون خلقه في غيره وطرد ذلك انه لا يعقل انه يريد بارادة احدثها في غيره ، ولا محب ، وراض ، وغضبان ، وساخط ، برض ومجبة وغضب ، وسخط ، خلقه في غيره) .

ويخلص الى القول بأن (الكلام والقدرة والعلم وسائر الصفات انما يتصف بها من قامت به) . " ١ "

ويؤكد الامام ابن القيم هذا فيقول : (ان اتباع الرسل الذين نقلوا هذا الباب عنهم ، اثبتوا لله صفة الكلام ، كما اثبتوا له سائر الصفات ، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها ، لا كما يقوله بعض المكابرين انه خلق الكلام لا في محل ، ومحال قيامها بغير الموصوف بها ، وكما يقوله المكابرا الاخر ، انه خلق في محل ، فكان هو المتكلم به دون المحل) . " ٢ "

٣ - صفات الله زائدة عن ذاته :

=====
يري محرووا مذهب السلف ، ومقرروه ان الصفات الالهية ، كالقدرة ، والعلم ، والارادة معان قائمة بالذات

١ - نفس المرجع ، (١ : ٢٥٨) نقلا عن منهاج السنة النبوية

(٢ : ٢٩٠ - ٢٩١) .

٢ - نفس المرجع : / نقلا عن مختصر الصواعق المرسله في الرد على الجهمية

والمعطله (٣ : ٢٩٣) .

زائدة عليها .

قال ابن تيمية ، حاكيا مذهب جمهور مشبهة الصفات الذين

يقولون بأن لله تعالى صفاتا زائدة عن ذاته :

(واما جمهور مشبته والصفات فيقولون : لا يكون عالما ، الا بعلم ،

ولا قادرا الا بقدرة اي يمنع ان يكون عالما من لا علم له ، وان يكون قادرا

من لا قدرة له ، وان يكون حيا من لا حياة له ، ولا ريب ان هذا معلوم ضرورة

فان وجود اسم الفاعل بدون مسمى المصدر ممتنع ، وهكذا كما لو قيل : نصل

بلا صلاة ، وصائم بلا صيام ، وناطق بلا نطق) . (٣)

وعارض منكرى الصفات ، ودلل على فساد رأيهم ، وقال ان الذات

بدون صفات لها امر لا وجود له في الازهان ، وليس لها وجود في الخارج ،

فان الذهن قد يفرض أحيانا المظالم ويتخيلها ، فانه لا يمكن وجود شيء قائم

بنفسه في الخارج لا يتصف بصفة ثبوتية اصلا ، (ففرض ذاته بدون صفاته

اللازمة الواجبة له فرض ممتنع) . (٢)

وقال شارح الطحاوية : (ولهذا كان أئمة السنة رحمهم الله تعالى ،

لا يطلقون على صفات الله وكلامه انه غيره ، ولا انه ليس غيره ، لان اطلاق

الاثبات قد يشعر ان ذلك مباهين له ، واطلاق النفي قد يشعر بأنه هو ،

اذا كان لفظ الغير فيه اجمال ، فلا يطلق الامع البيان والتفصيل :

فان اريد به ان هناك ذاتا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات

الزائدة عليها - فهذا غير صحيح .

وان اريد به ان الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير

ما يفهم من معنى الصفة - فهذا حق . ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن

١ - منهاج السنة النبوية (٢ : ٣٨٨) .

٢ - نفس المصدر ص ٣٩٠ .

الصفات ، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال ، الثابتة لها ، لا تنفصل عنها ،
وانما يفرض الذهن ذاتا وصفة كلا وحده . ولكن ليس في الخارج ذات غير
موصوفة ، فان هذا محال .

ولو لم يكن الا صفة الوجود ، فانها لا تنفك عن الموجود ، وان كان
الذهن يفرض ذاتا ووجودا ، يتصور هذا وحده ، وهذا وحده ، لكن لا ينفك
احدهما عن الاخر في الخارج) . " ١ "

فالسلف رضي الله عنهم يرون ان اثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا
يتصور لها وجود في الخارج . وان كان الذهن قد يفرض المحال ويتخيله ،
وهذا كما يقول السلف " غاية التعطيل " .

وهو بمنزلة من يقول : اثبت انسانا لا حيوانا ولا ناطقا ، ولا قائما
بنفسه ، ولا بخيره ، ولا له قدرة ولا حياة ولا حركة ولا سكون ولا ولا .
أو قال : اثبت شجرة لا ساق لها ولا جذع ، ولا ثمر ولا ورق ولا
غير ذلك فان من يقول هذا يثبت ما لا حقيقة له في الخارج ولا يمكن تصوره .
وقد استدلل السلف بأصل اللغة فقالوا :

ان لفظ " ذات " في اصل معناها لا تستعمل الاضافة .
تقول : ذات وجود ، ذات قدرة ، ذات ارادة . . . الى اخر ذلك
وقالوا : يشهد لهذا ما ورد في القران الكريم :—
١ — قال تعالى " عليم بذات الصدور " . " ٢ "

١ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٩ .

٢ — سورة ال عمران اية (١١٩) ، (١٥٤) / سورة المائدة اية (٧) /

وسورة الانفال (٤٣) / وسورة هود اية (٥) / ولقمان اية (٢٣) /

وفاطرية (٣٨) / والزمر اية (٧) / والشورى اية (٢٤) /

والحديد اية (٦) / والتغابن اية (٤) / والملك اية (١٣) .

٢ - وقال تعالى : " فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم " . " ١ "

وايضا : فقد كثر استعمالها مضافة عند العرب وفي اشعارهم ،
فيقولون : " ذات الاله " ، وذات كذا بمعنى صاحبة كذا ، وهي تأنيث ذو
وهو اصل معناها . " ٢ "

وفي الاسلام استعملها الشعراء كخبيب بن عدى ، وحسان بن ثابت
رضي الله عنهم ، فكانوا يقولون : " وذلك في ذات الاله " " ٣ " ، " يجاهد
في ذات الاله " . " ٤ "

فلا يتصور انفصال الذات عن الصفات ، ووجود ذلك في الذهن شيء فوضي
له كما يفرض عرض يقوم بنفسه لا بخيره ، وصفة لا تقوم بخيرها ، فما هو قائم
بنفسه فلا بد له من صفة ، وما كان صفة فلا بد له من قائم بنفسه متصف به ،
وقد سلم المنازعون انهم لا يعلمون قائما بنفسه لا صفة له ، سواء سموه جوهر
او جسما او غير ذلك .

ويقولون : وجود جوهر مصرى عن جميع الاعراض متمتع " . " ٥ "

١ - سورة الانفال اية (١) .

٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

٣ - من قول الصحابي الجليل خبيب بن عدى ، حين قتلوه طعنا ، ووجهوه
بخلاف جهة الكعبة ،

قال : ولست ابالي حين اقتل مسلما على اى جنب كان في الله مصري .

وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على اوصال شلومس

انظر : بدائع الفوائد ، لابن القيم ، طبعة دار الطباعة المنيرية ،

بيروت (٢ : ٦) .

٤ - من قول شاعر الاسلام حسان بن ثابت ، وهو ينشد النبي صلى الله عليه

وسلم .

قال : شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

وان أخوا الاحقاف ان قام فيهم يجاهد في ذات الاله ويعمدل

انظر : شرح الطحاوية ص ٣١٥ .

٥ - شرح الطحاوية ص ١٢٩ - ١٣٠ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(ولهذا كان السلف والائمة يسمون نفاة الصفات معطلة ، لان حقيقة قولهم
تمطيل ذات الله تعالى ، وان كانوا هم لا يعلمون ، ان قولهم مستلزم للتمطيل
بل يصفونه بالوصفين المتناقضين ، فيقولون هو موجود ، قديم ، واجب ثم ينفون
لوازم وجوده فيكون حقيقة قولهم ، موجود ليس بموجود ، حق ليس بحق ، خالق
ليس بخالق ، فينفون عنه النقيضين ، اما تصريحها بنفيهما ، واما امسالا عن
الاخبار بواحد منهما) " ١ "

والامام ابن القيم قد رانه لا بد من اثبات صفات الكمال لله تعالى ، وانها
معاني زائدة على ذات الاله ، فقال :-

(ان أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله ، فهي مشتقة من
الصفات ، فهي أسماء وأوصاف ، لأنها لو لم تدل على معاني زائدة وأوصاف ،
لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها ، لكن الله أخبر عنها بمصادرها ،
وأثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ، وكوله تعالى : " ان الله هو الرزاق ذو
القوة المتين " " ٢ " فعلم ان القوة من أسماءه ، ومعناه الموصوف بالقوة ،
فلولا ثبوت القوة لم يكن قويا .

وايضا لو لم تكن أسماؤه مشتتة على معان وصفات لم يسع أن يخبر عنه

بأفعاله ، فلا يقال : يسع ، ويرى ، ويعلم ، ويقدر ، ويريد .

فان ثبوت احكام الصفات فرع ثبوتها ، فاذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت

حكما .

وايضا لو لم تكن اسماؤه ذوات معان واوصاف ، لكانت جامدة ، كالاعلام

المحضة التي لم توضع لسمائها باعتبار معنى قام به ، فكانت كلها سواء ، ولم يكن

فرق بين مدلولاتها .

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٥ : ٣٢٦ - ٣٢٧) .

٢ - سورة الذاريات اية (٥٨) .

وهذه مكابرة صريحة ، وهت بين ، فان من جعل اسم القدير هو معنى اسم السميع البصير ، ومعنى اسم الثواب هو معنى اسم المنتقم ، ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع ، فقد كابر العقل واللغة والدين ، فنفى معاني أسماؤه من اعظم الالحاد فيها) . " ١ "

هذا ما قرره علماء السلف ، وقد ردوا على من خالفهم من المعتزلة وغيرهم الذين نفوا ان يكون لله تعالى صفات زائدة عن ذاته ، بحجة أنه : لو كان لله تعالى صفات قديمة زائدة على ذاته سبحانه ، لشاركت الله في أخص وصفه ، ولتعدد القدماء ، وهذا يتنافى مع الوحدة الواجبة لله تعالى .

وقد حكم الله تعالى على النصارى بالكفر لقولهم : " ان الله ثالث ثلاثة " وقال " وما من اله الا اله واحد " " ٢ " لا صفات له زائدة على ذاته الواحدة ، ومن هنا كان التوحيد هو الأصل الأول في أصول المعتزلة . " ٣ " فقالوا :

ان المنوع هو وجود ذوات قديمة متعددة ، لان هذا هو الشرك المنافي للتوحيد وقد حكم الله تعالى بكفر النصارى لأنهم قالوا بوجود ذوات متعددة يستحق كل واحد منها ان يعبد ، فقالوا : " ان الله ثالث ثلاثة " فقال الله تعالى ردا عليهم : " وما من اله الا اله واحد " ولم يقل ما من قديم الا قديم واحد .

١ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين (١ : ٢٨ - ٢٩)

٢ - سورة المائدة اية (٧٣) .

٣ - انظر : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٨٢ وما بعدها .

وانظر : الملل والنحل للشهرستاني (١ : ٤٤) .

وانظر : نهاية الاقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ، تحقيق وتحرير

وتصحيح : الفرد خيوم ص ٢٠١ .

وقد رأيت ما قاله شارح الطحاوية : (ان الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة ، والذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها) .

ويقول أيضا :

(وقد يقول بعضهم : الصفة لا عين الموصوف ولا غيره ، هذا له معنى صحيح ، وهو ان الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفوضها الذهن مجردة بل هي غيرها ، وليست غير الموصوف ، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد .

فاذا قلت : اعوذ بالله . فقد عدت بالذات المقدسة الموصوفة

بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه .
واذا قلت اعوذ بعزة الله ، فقد عدت بصفة من صفات الله تعالى ولم

أعذ بغير الله (" ١ ")

قال : (وهذا المعنى يفهم من لفظ الذات) .

وقد ذكرت قبل قليل اصل معنى الذات ، وانها لا تستعمل في اصل

معناها الا مضافة ويستشهد شارح الطحاوية على ما قال بحديث الرسول صلى الله

عليه وسلم : " اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " . " ٢ "

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

٢ - الحديث صحيح ، أخرجه مسلم رقم (٢٢٠٢) ونصه بتمامه : عن عثمان بن ابي العاص الثقفي أنه شك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا في جسده منذ اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضحك يدك على الذي تألم من جسدي وقل : بسم الله ثلاثا ، وقل سبع مرات : اعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " ورواه مالك في " الموطأ " (٢ : ٩٤٢ / ٩) ، وعند ابو داود رقم (٣٨٩١) والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . =

ويقوله ايضا : " اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " . " ١ "
 ولا يعوذ عليه السلام بخير الله ، وكذا قال صلى الله عليه وسلم : " اللهم اني
 اعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك ، واعوذ بك منك " . " ٢ "
 وقال صلى الله عليه وسلم : " ونعوذ بمظلمتك ان نفتال من تحتنا " . " ٣ "
 وقوله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات " . " ٤ "
 وقد ذكر ذلك ايضا شيخ الاسلام ابن تيمية ، مستشهدا بقول أئمة
 السلف ومنهم الامام أحمد رضي الله عنهم .

قال :

(وقد نص الائمة كأحمد بن حنبل وغيره ، على ان القائل اذا قال :
 الحمد لله ، أو قال : دعوات الله وعبدته ، او قال : عذت بالله ،
 فاسم الله متناول لذاته المتصفة بصفاته ، وليست صفاته زائدة على مسمى
 أسمائه الحسنی) . " ٥ ")

= بلفظ : " اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد " دون لفظة احاذر ،
 وكذلك رواه احمد والحاكم وقال : صحيح الاسناد . / انظر شرح الطحاوية
 ص ١٣٠ .

١ - صحيح اخرجه مسلم (٢٧٠٨) ، وابوداود (١٨٩٨ ، ٣٨٩٩) ،
 وسنده صحيح .

٢ - رواه مسلم وغيره وهو من ادعية السجود .

٣ - صحيح اخرجه ابوداود (٥٠٧٤) ، واحمد (٢ : ٢٥) بسند صحيح
 وهو من ادعية الصباح والمساء .

٤ - حديث ضعيف رواه ابن اسحق بسند ضعيف معضل .

انظر شرح الطحاوية ص ١٣١ .

٥ - مجموع الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ، تعليق الشيخ محمد

رشيد رضا (٥ : ٥١) .

ويرى السلف ايضا أن كل صفة من الصفات ملازمة للاخرى لا تنفك عنها

يقول ابن تيمية :

(فان الباري تعالى خالق لكل ما سواه ، فله تعلق بمخلوقاته ،
وذاته ملازمة لصفاته ، وصفاته ملازمة لذاته ، وكل من صفاته اللازمة ملازمة
لصفته الاخرى) " ١ "

ولا يصح عند السلف اطلاق لفظ الغير على الصفات لما فيه من الاجمال

الموهوم للشركة ، ولا لفظ العين لانه يوهم نفيها .

وأساس ذلك أنه لا يصح في مسألة الصفة أن تستعمل الالفاظ التي لم

يرد بنفيها ولا اثباتها شي * في الكتاب والسنة .

وهذا ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية :

قال : (فاذا لا نطلق على صفاته أنها غيره ولا انها ليست غيره

على ما هو عليه ائمة السلف كالامام احمد بن حنبل وغيره ، وهو اختيار حذاق

المثبتة كابن كلاب وغيره ، ومنهم من يقول : أنا لا اطلق عليها أنها ليست

هي هو ، ولا اطلق عليها أنها ليست غيره) " ٢ "

وعد :

فقد بينت مذهب السلف رضوان الله عليهم في العلاقة بين الذات

الالهية ، وصفاتها ، وقلت انهم يثبتون لله تعالى أوصافا قديمة قائمة بذاته ،

زائدة عليها ، حسبما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

١ - منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، تحقيق دكتور رشاد سالم (٢ : ٩٦) .

٢ - مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥ : ٥٠)

وانظر مجموع الفتاوى (٥ : ٣٢٦) ، (٦ : ٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦)

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

وانظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٥٥)

وما بعدها .

وذلك : فقد أعطوا تصورا واضحا لتحديد العلاقة بين الذات ،

والصفات الالهية ، في الفكر الاسلامي .

وبناء عليه ، وعلى ضوء ما قرره السلف أستطيع أن أقول :-

ان الشيخ " محمد عبده " توقف في موضوع زيادة الصفات على الذات

ولم يعط القارئ ، تصورا واضحا في ذلك ، بل تركه رهين قوله : (أما

كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني

الكتب السماوية وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات ونحو ذلك من

الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب ، فمما لا يجوز

الخوض فيه ، ان لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه) " ١ " من غير ان يذكر

شيئا مما قاله السلف في هذا الموضوع ، ويبين مذاهبهم فيه .

وأنا لا اعيب على الشيخ " محمد عبده " أن يتوقف في مثل هذه

المسألة فان المرء يتوقف عن الشيء عند شعوره بالمعجز عن التماهى فيه ،

ولكن الذى أخذه عليه هو ما عطل به هذا التوقف ، فقد عطله بأمرين :-

الامر الأول : المعجز البشرى عن الوصول الى تحديد كنه هذه

العلاقة بين الذات الالهية وصفاتها .

يقول : (ان لا يمكن لعقول البشر أن تصل اليه) " ٢ " .

ويقول : (فانك قاصر عن ان تدركه) " ٣ " .

ويقول : (ولا يمكن لمقولنا ان تصل اليه) " ٤ " .

١ - رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للإمام (٣ : ٣٨٠ - ٣٨١) .

٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٣٣٢) .

٤ - رسالة التوحيد / انظر الاعمال الكاملة للإمام (٣ : ٣٨٠) .

ويقول : (ومنتهي ما تصل اليه عقولنا ان نعرف الصفات بما يدل عليها
أما الذات فهي اعلى وارفع من ان تتوجه عقولنا اليها) * ١ *
ولو كلف الشيخ " محمد عبده " نفسه في البحث ، عن وجهة نظر
السلف في هذا الموضوع ، واستعمل عقله في فهم مقصودهم ، لتبين له ان
الانسان يستطيع ان يحدد نوعية العلاقة القائمة بين ذات الله وصفاته ، في ضوء
ما ورد من اخبار على لسان الشرع . بل ان العقل واللغة يدلان على هذا .
الأمر الثاني :

انه اعترض على من التمس أدلة من السمع لا يوضح هذه العلاقة
معملا اعترضه هذا بأن القران الذي نزل بلسان العرب ليس قاصدا في استعمالاته
على الحقيقة وحدها . لكنه يتجاوزها الى المجاز .

وحتى على فرض اقتضاره على الحقيقة فان الواضح للالفاظ لا يراعي كنه
الحقائق ، وما هيأتها ، كما هي عليه في نفس الأمر ، بل يراعي ما يفهم منها
في عرف الناس واصطلاحاتهم .

وهذا غير مسلم للشيخ " محمد عبده " ، ولن اقبله منه بحال ،
لأن القران كلام الله ، لا ككلام البشر ، والله سبحانه يعرف حقائق الاشياء
وما هيأتها ، والبشر لا يعرفون ، وانما استعمل الالفاظ في الدلالة فانه
يستعملها فيما يدل على الحقائق والماهيات الاصلية .

* ٢ *

هذا هو عين الرأي الذي ثبت عليه السلف مع من يدعون المجاز في القران .
فالواجب عندهم على كل مسلم أن يعلم ويعرف ان كل لفظ موجود في

١ - تفسير جزء عم ، الموجود ضمن الاعمال الكاملة للإمام (٥ : ٣٨٢) .
٢ - سوف يأتي بحث الحقيقة والمجاز ، بعد قليل عند البحث في الصفات
الخبرية .

كتاب الله مقيد بما يدل على معناه ، وليس في القرآن شيء من ذلك المجاز ،
بل كله حقيقة . لانه ليس هناك ضابط مميز لما هو حقيقة ، ولما هو مجاز ،
بل يجوز ان يدعى المجاز فيما هو حقيقة ، والحقيقة فيما هو مجاز .
وايضا : فالسلف ينتهون الى انه لا يجوز اخضاع لغة القرآن لتقسيم اللفظ الى
لفظ على الحقيقة ، ولفظ على المجاز ، لان هذا التقسيم لم يكن معروفا عند
المقدمين ، وما كانوا يستعملونه ، وانما هو محدث ، استحدث بعد القرون
الثلاثة الاولى . " ١ "

وبناء على ذلك يقرر السلف ان جميع الصفات الالهية يجب ان تظل على
حقيقتها ولا داعي لصرافها عن ظاهرها استنادا لما يأتي :-

١ - التبع اللغوي :

فان من يستقصي لغة العرب في عصر الاستشهاد ، لا يجد من يقول

بتقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز .

٢ - العرف السائد في اللغة :

فالعرف الذي كان سائدا بين العرب ، وقت نزول القرآن ، لم يعرف

هذا التقسيم ، فلم يقل به احد من الصحابة ، وكان خطاب القوان للناس نصا

في معناه ، من غير تجوز ولا تأويل ، بناء على التداول المعروف في الخطاب

في لغتهم .

٣ - ان تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز يستلزم القول بأن اللغات وضعية ، وهذا

قول لا يمكن لاحد ان يقدم الدليل عليه .

٤ - يوجد نوع من التجوز في الاستعمال اللغوي لبعض الالفاظ المتواظفة التي

هي من قبيل المشترك اللفظي .

والتجوز في التعبير بهذا اللفظ المعين عن هذا المعنى أو ذاك ليس
تجوزا في الدلالة ، بمعنى ان لا يكون حقيقة في احدهما مجازا في الاخر ،
بل هو حقيقة فيهما ، والتجوز انما هو في التعبير فقط .
ومن هذا النوع الفاظ مثل " المين " ، " واليد " فهذه الألفاظ
يوجد قدر مشترك بين عامة موارد ها في الاستعمال ، ولهذا كانت حقيقة في معناها
المراد . " ١ "

هذا هو المنهج الواضح الذي سار عليه السلف ومن تبعهم ، قد
عرفنا في ضوءه نقاط الالتقاء ، والافتراق بينهم وبين الشيخ محمد عبده .
والآن أريد أن ادرس الصفات الالهية في فكر الشيخ محمد عبده ،
وأعرضها على منهج السلف الذي تفهم في ضوءه هذه الصفات ، لأرى ، هل
الشيخ محمد عبده مع السلف في تحديد معنى الصفات أم لا ؟

===

١ - انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٨٥)
تقلا عن كتاب : ابن تيمية وموقفه من التأويل ، للدكتور الجلبيد ، طبع
مجمع البحوث العلمية ص ٣٧٩ .

١ — " الحياة "

=====

يذهب الشيخ محمد عبده الى انه مما يجب ان يكون لله تعالى صفة

• الحياة :

معناها :

=====
وبيان معناها أنها صفة لله تستتبع العلم والارادة • " ١ "

أو : (انما معنى الحياة بالنسبة اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة ،

أى الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة) • " ٢ "

اثباتها :

===== استدل الشيخ محمد عبده على انه تعالى " حى " بوجوه :

الاول : قوله تعالى " الله لا اله الا هو الحي القيوم " • " ٣ "

وجه الاستدلال :

قال : وأما الحي فهو ذو الحياة ، وهي مبدأ الشعور والادراك

والحركة والنمو ، وذلك كمثل النبات والحيوان ، فان كلا منهما حي وان تفاوتت

الحياة فيهما ، فكانت في النبات اكمل منها في الحيوان •

والحياة بهذا المعنى مما ينزه الله تعالى عنه ، لانه محال عليه •

ويستبعد الشيخ محمد عبده تفسير الجلال " ٤ " " الحي " بالدائم

١ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٢) •

٢ — انظر تفسير المنار المجلد الاول ، عند قوله تعالى " الله لا اله الا هو

الحي القيوم " •

٣ — سورة البقرة اية (٢٥٥) •

٤ — تفسير الجلالين ص (٤٥) ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر

السيوطي ، جلال الدين محمد بن احمد المحلي ، الطبعة الثالثة •

مكتبة ومطبعة مصطفى الهادي المحلي واولاده بمصر ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م •

البقاء ، ويقول انه لا يفهم من اللفظ مطلقا ، ويقرر ان معنى الحياة بالنسبة
اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة •
الوجه الثاني : عقلي :

وهو : ان الحياة مصدر النظام ، وناموس الحكمة ، وهي كمال
للوجود ، ولولم تثبت له هذه الصفة ، لكان في الممكنات ما هو اكمل منه
وجودا ، والمعلوم انه اعلى الموجودات واكملها •
وايضا : الواجب هو واجب الوجود وما يتبعه ، فكيف لو كان فاقدا
للحياة يعطيها ؟

فالحياة له ، كما أنه مصدرها •

" مناقشة مذهب الشيخ محمد عبده "

===== في بيان مفهوم الحياة قال الشيخ محمد

عبده : انها صفة تستتبع العلم والارادة •

ولا ندري هل يريد بالاستتباع في قوله تستتبع الاستلزام ؟ لكن يريد

على ذلك انه ليست الحياة دائما تستلزم العلم والارادة ، فالحيوان يريد غير

عالم ، والنبات لا يريد ولا عالم وكلاهما حي •

ولو فسرنا الاستتباع بمعنى ان العلم والارادة تابعتان في الدرجة

والتعقل للحياة ، بمعنى أنه لا يعقل ان غير الحي يكون عالما او مريدا • لكان

ذلك أولى • ولعله يريد ذلك •

ويؤيده ما ذكره في تفسير قوله تعالى " الله لا اله الا هو الحي القيوم "

فقد استبعد ان يكون الحي هو دائم البقاء ، وقال انه لا يفهم من اللفظ مطلقا ،

وذلك لان دوام البقاء لا يستلزم الحياة كالجماد مثلا اذا دامت بقاؤه •

ولا أسلم للشيخ محمد عبده قوله : الواجب هو واهب الوجود وما

يتبعه ، فكيف لو كان فاقدا للحياة يعطيها ؟ •

لأنه يصلح للبشر ، ففاقد الشيء من البشر لا يستطيع أن يعطيه
لكن بالنسبة لله ، يستطيع ان يعطي ما هو كمال وما هو نقص ، مع أن النقص
ليس فيه •

فقضية ان فاقد الشيء لا يعطيه هي من المشهورات وليست من العلوم
الصحيحة •

أما بقية كلامه في بيان مفهوم واثبات صفة الحياة لله تعالى • فهو
موافق لما عليه السلف ، وكثير غيرهم •

قد اثبتوا لله صفة حياة حقيقية أزلية لا تفتك بكماله وجلاله • " ١ "
فهو سبحانه وتعالى حي ، وله حياة يباين بها صفة من ليس

بحي •

أدلة السلف :

===== استدل السلف على مذهبهم هذا بالكتاب ، واجماع أهل

الأديان ، والعقل •

١ - الكتاب الكريم :

===== ورد في الكتاب ذكر " الحي " الذي فيه معنى الحياة

لله تعالى ، في الايات التالية :

١ - انظر : الفقه الأكبر في التوحيد ، لمحمد بن ادريس الشافعي ، الطبعة

الاولى ، المطبعة الادبية ، بالازبكية على نفقة احمد افندي ،

ص ١٤ •

وانظر : الفقه الأكبر لابن حنيفة النعمان بن ثابت ، بشرح عبد الكريم تان

نشر وتوزيع مكتبة الفزالي ، ومكتبة ابن الفارض حماة ، ص ١٠ •

وانظر : منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ، لمحمد الامين الشنقيطي ،

طبع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، توزيع الجامعة الاسلاميية

بالمدينة المنورة ص ٦ •

- أ : قال تعالى : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " ١
- ب : قال تعالى : " الم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم " ٢
- ج : قال تعالى : " وعنت الوجوه للحي القيوم " ٣
- د : قال تعالى : " وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده " ٤
- ه : قال تعالى : " هو الحي الذي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين " ٥

وجه الاستدلال :

===== هذه الايات تفيد بأن الله حي ، وهذا يدل على أنه لا

يكون حيا الا بحياة هي صفة من صفاته ، وهي صفة كمال ، بل هي مستلزمة لجميع صفات الكمال ، وكل كمال لا نقص فيه ثبت لمخلوق ، وامكن ان يتصف به الخالق فهو اولى به ٦

قال شارح الطحاوية ما معناه :

ان الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها ،

وان اسم الحي انتظم صفات الكمال ، ثم انتظام عطية مدار الاسماء الحسنى كلها ،
واليه ترجع معانيها ٧

-
- ١ - سورة البقرة اية (٢٥٥) .
 - ٢ - سورة ال عمران الايات (١ - ٢) .
 - ٣ - سورة طه اية (١١١) .
 - ٤ - سورة الفرقان اية (٥٨) .
 - ٥ - سورة غافر اية (٦٥) .
 - ٦ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٨٩ .
 - ٧ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٢٥ .

٢ - اجماع اهل الاديان :

===== ذكر كثير من العلماء "١" " أن أهل الاديان السماوية

وغيرهم ، استدلوا على ان الله تعالى " حي " .

وقال العلماء : ان اثبات ذلك مما اتفق عليه الكل . "٢"

٣ - العقل :

===== قال السلف : ثبت أنه تعالى قادر عالم فمن كان

كذلك فهو حي .

أما المقدمة الاولى : فدليلها ما يأتي في بحث العلم والقدرة واثباتهما لله تعالى

وأما المقدمة الثانية : فلأنه لا يتصور قادر عالم ليس حيا ، بمعنى انه يستحيل

قيام العلم والقدرة بخير الحي .

فثبتت النتيجة وهي اثبات صفة الحياة لله تعالى . "٣"

وهذا الدليل العقلي معناه عند ابن تيمية أن من شرط من يتصف

بالعلم والقدرة ان يكون حيا ، اذ أن ما ليس بحيي يمتنع ان يكون عالما ، والعلم

١ - انظر شرح المواقف ، الموقف الخامس في الالهيات ص ١٢٩ / وانظر

الملل والنحل للشهرستاني (١ : ٤٤) .

٢ - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، لابن تيمية ، تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد ، ومحمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ هـ -

١٩٥١ م (١ : ١٤ - ١٥) .

وانظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٦٠ وما بعدها .

٣ - انظر كتاب : المعتمد في اصول الدين . لأبي يعلى ، محمد بن الحسين

ابن خلف الجنبلي ، تحقيق الدكتور / وديع زيدان حداد ، دار المشرق

بيروت - لبنان ص ٤٧ .

بهذا ضروري وهذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ، ولا غائبا ، فتقدير عالم
بلا حياة ممتنع بصريح العقل . " ١ "

هذا هو مذهب السلف وجمهور العلماء في اثبات صفة الحياة لله

تمالي . وبيان مفهومها . وهو مذهب واضح .

لكن الشيخ محمد عبده في بيان مفهوم الحياة قال : انها مبدأ

العلم والقدرة ،

ثم قال : اي الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة ، وقبلها قال :

انها صفة تستتبع العلم والارادة .

وقد ناقشت هذا القول ، وقي على أن أقول :

أن أراد الشيخ محمد عبده بالحياة انها صفة توجب صحة الاتصاف

بالعلم والارادة والقدرة ، فهو مع جمهور اهل السنة .

اما اذا اراد بالحياة انها صحة الاتصاف بالعلم والقدرة والارادة فقط ،

دون غيرها من الصفات فهذا لا بد له من مرجح ، لان الحياة كما يصح معها الاتصاف

بالعلم والقدرة والارادة يصح معها الاتصاف بالسمع والبصر والكلام . . .

ولعل الشيخ محمد عبده قد ذكر العلم والارادة والقدرة في تعريف

الحياة للتمثيل لا للحصر . فان للحياة خواص متعددة ، منها صحة الاتصاف

بالعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام أو ببعض ذلك أو بجميعه فيكون

الشيخ محمد عبده بذلك قد عرفها بالرسم باحدى خواصها ، فيكون قد أخذ

العلم والارادة والقدرة في التعريف للتمثيل ، لانه يجوز ان تعرف الحياة بخاصة

اخرى كصحة الاتصاف بالسمع أو البصر مثلا . " ٢ "

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٢٦ .

٢ - من مذكرات الشيخ محمد يوسف الشيخ في مادة " العقيدة " لسنة

٢ - الملهم

=====

تعريفه ، وثبوته :

===== يذهب الشيخ محمد عبده الى انه مما يجب ان يكون

لله تعالى " صفة العلم " .

أ : تعريفه :

===== وقد بين الشيخ محمد عبده المراد به فقال : ويراد به :

ما به انكشاف شيء عند من تثبت له تلك الصفة . اي مصدر ذلك الانكشاف منه .^١

ب - ثبوته :

===== وقد استدال الشيخ محمد عبده على ثبوت تلك الصفة

بالاستدلالات التالية :

١ - الاستدلال الاول : قال :

=====

ان العلم من الصفات الوجودية التي تعد كمالا في الوجود ، ويمكن

ان تكون للواجب ، وكل ما كان كذلك ، وجب ان يثبت له ، فواجب الوجود عالم .

٢ - الاستدلال الثاني : قال :

=====

ان الابداهة تقضي بأن العلم كمال في الموجودات الممكنة ، ومعلوم

ان من الممكنات من هو عالم ، فلو لم يكن الله عالما لكان في الموجودات الممكنة ما هو

اكمل منه ، وهو محال عليه تعالى .

وهذا استدلال بقياس الاولى ، وهو طريق اثبات الكمال لله .

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٢) .

٣ - الاستدلال الثالث : بالمقيل

=====

قال : ان الله هو مصدر العلم ، وهو واجب العلم في عالم
الامكان ، ولا يقبل العقل ان مصدر الشيء يقده ،
وفي الرد على هذا يرجع الى ما قلناه في التعليق عليه تحت الكلام
على صفة الحياة .

٤ - القسم الرابع من الاستدلال :

=====

قال : ما نشاهده في نظام الممكنات من الاحكام والاشقان ،
ووضع كل شيء في موضعه ، يدل على ان مصدره هو العالم بكل شيء الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى .

وفي الختام : يرى الشيخ محمد عبده ان علم الواجب من لسوازم
ذاته ، وهو محيط بكل ما يمكن علمه ، وعلمه تعالى لا يفتقر الى شيء ما وراء ذاته ،
فهو ازلي ، ابدى ، غني عن الآلات .

ويقول : ما يوجد من الممكنات فهو موافق لما انكشف بذلك العلم
والا لم يكن علما .

" مناقشة كلام الشيخ محمد عبده " :

=====

قول الشيخ محمد عبده ، في صفة العالم ، في غاية الصراحة
والوضوح لم يخرج فيه عن مذهب السلف في هذه الصفة ، الا في نقاط بسيطة لي عليها
بعض الملاحظات ، سوف اذكرها خلال هذه المناقشة .

فمن ناحية التعريف : ذكر العلماء تعريفا للعلم الالهي ، وهو صفة

• قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها جميع المعلومات على وجه الاحاطه والشمول
• ومعنى الانكشاف : الظهور والايضاح • وتميز العلم بهذا عن القدرة لان
القدرة بها اليجاد والاعدام ، لا الانكشاف •

• وتميز عن الكلام لان الكلام لا فاداة المخاطب لا الانكشاف •

• وتميز عن الارادة لان الارادة بها التخصيص لا الانكشاف •

• وتميز عن الحياة لان الحياة ليست صفة تعلق •

والمعلومات : ما شأنها أن تعلم سواء كانت واجبة أو مستحيلة أو ممكنة

وهذا تميز العلم عن السمع والبصر لانهما انما ينكشف بهما بعض المعلومات وهي

المبصرات والمسوعات •

ومن ناحية ثبوت علمه تعالى : فقد استدل العلماء على اتصافه تعالى

بالعلم بأدلة من الكتاب الكريم ، وبالمقول ، على النحو التالي :

١ - الاستدلال بالكتاب :

=====

تحدث الكتاب المبين في علم الله تعالى وصفا واثباتا ، في كثير من

الآيات ، اذكر منها :

١ - قوله تعالى : " لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه " • " ١ "

٢ - قوله تعالى : " فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله " • " ٢ "

٣ - قوله تعالى : " يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه

الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض " • " ٣ "

٤ - قوله تعالى : " ويعلم ما في السموات وما في الارض " • " ٤ "

١ - سورة النساء اية (١٦٦) •

٢ - سورة هود اية (١١٤) •

٣ - سورة البقرة اية (٢٥٥) •

٤ - سورة ال عمران اية (٢٩) •

- ٥ — قوله تعالى : " يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور " . " ١ "
- ٦ — قوله تعالى : " عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين " . " ٢ "
- ٧ — قوله تعالى : " ان الله بكل شيء عليم " . " ٣ "
- والايات الدالة على اضافة العلم اليه كثيرة جدا في القران ، وكذا الايات التي تدل على اتصافه بالعلم .
- فهو عالم بعلم قائم بذاته ، قديم ازلي متعلق بمعلومات غير مشناهية . " ٤ "

٢ — الاستدلال بالمعقول :

=====

- قالوا : ان الذي يعلم كل شيء ، لا بد ان يعلمه بعلم ، اذ من غير المعقول ان يكون عالم بلا علم . فهو عالم بعلم . " ٥ "
- وايضا : فان من المخلوقات من هو عالم ، والعلم صفة كمال ، وكل كمال اتصف به المخلوق ، فالخالق متصف به من باب أولى .
- ثم ان كل علم في المخلوقات فهو منه تعالى ، فهو واهب العلم في عالم الامكان ويستحيل ان يكون مهدح الكمال وواهبه عالميا منه ، بل هو احق

١ — سورة سبأ اية (٢) .

٢ — سورة سبأ اية (٣) .

٣ — سورة العنكبوت اية (٦٢) .

٤ — انظر : شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٢٥ .

وانظر : الاربعين في اصول الدين ، للفرزالي ، تحقيق محمد مصطفى

ابو الملا ، مكتبة الجندی ، ص ١٦ .

٥ — انظر كتاب : الابانة فن اصول الديانة ، للاشعري مطبوعات الجامعة الاسلامية =

به ، وهو احق بكل كمال ، واولى بالتنزه عن كل نقص . " ١ " .
أقول :

=====

تحدث القرآن الكريم عن علم الله تعالى مرشدا الى قسمين من اقسام
الاستدلال عليه هما :

القسم الاول : الاستدلال بما يرى في هذا الكون من اتقان الصنع
واحكامه ، فقد عرض القرآن بدائع هذا الكون العظيم على الناس ليرشد هم الى ما
فيه من وجوه الاتقان والاحكام ، كما مر معنا سابقا .
وحاصله : أن العالم متقن محكم لانه يسير بنظام دقيق لم يطرأ
عليه خلل واضطراب لي لحظة من عمره المديد ، وما كان كذلك فصانعه العليم
الخبير .

وهذا القسم من الاستدلال ذكره الشيخ محمد عبده في القسم الرابع
من الاستدلال .

القسم الثاني :

===== ارشد القرآن الى دليل مختصر مفيد قال " الا يعلم

من خلق وهو اللطيف الخبير " ٢ " .

قاله سبحانه وتعالى هو الخالق ، وهو قادر يفعل بالقصد والاختيار
ومن كان كذلك فهو عالم ، فانه لا يتصور ان يقصد الله شيئا ويختاره الا اذا علمه .

= ١٩٧٥ م ص ٤٠ .

• وانظر : الفقه الاكبر للشافعي ص ١٢ .

١ - انظر : شرح الطحاوية ص ١٤٨ .

• وشرح الاصفهانية ص (٢٤ - ٢٦) .

٢ - سورة تبارك اية (١٤) .

الى هنا وصل الشيخ محمد عبده مع السلف وجمهور العلماء في اثبات
صفة العلم لله تعالى فهو لا يختلف معهم في مفهوم هذه الصفة ولا في الاستدلال
عليها ، وان كان استدلالهم عليها اتم واكمل .

وهو معهم في قوله (فهو ازلي ابدى غني عن الالات) لا يفقر
الى شيء ما وراء ذاته . ان ادراك الجزئيات المتشكلة وغير المتشكلة بالات جسمية
انما هو في الحوادث ، دون الواجب تعالى ، وقياس الواجب تعالى على الحادث
قياس فاسد في هذا .

أما قوله : (ما يوجد من الممكنات ، فهو موافق لما انكشف بذلك
العلم والآن لم يكن عالما) ، فان من يريد به : ان علم الله تعالى محيط بالممكنات
فقط يكون قوله فاسدا ، وذلك من وجوه :

أحدها : ان علم الله تعالى يحم المفهومات كلها ، واجبة ومستحيلة
وممكنة وانته يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، كما قال تعالى
أ : " لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون " ١ .
ب : " لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خيالا ولا ضموا خلالكم ينفونكم الفتنة " ٢ .

بل ان العولى عز وجل يعلم نفسه ، وذلك باعتبار انه متصف
بصلاحيته لان يعلم . فيكون بهذا الاعتبار عالما . باعتبار انه يتصف بصلاحيته لان
يعلم يكون معلوما .

ولا شك انه سبحانه وتعالى بالاعتبار الاول مفاير لنفسه بالاعتبار

• الثاني

١ - سورة الانفال اية (٢٣) .

٢ - سورة التوبة اية (٤٧) .

والدليل على علمه تعالى بمعلومات غير متناهية : انه لو لم يتعلق علمه بجميع المعلومات لكان كماله بالنسبة الى ما لم يتعلق به علمه من المعلومات انقص بالنسبة الى حال من تعلق به علمه من المخلوقين وهو محال .

يقول ابو يعلى في المعتمد :

(انه قد ثبت انه تعالى قادر في كل وقت على خلق حوادث اكثر مما فعلها ابدا ، ولا يجوز ان يأتي عليه زمان لا يصح ان يخلق فيه شيئا . ان لو جاز ذلك عليه افض الى مجزه ، واذا ثبت ان مقدراته غير متناهية ثبت ان معلوماته كذلك ، لانها لو لم تكن كذلك افض الى جواز الجهل عليه ويتعالى عن ذلك) . " ١ "

والشيخ محمد عبده انما اراد به ان الله تعالى عالم بعلم لا حد له ، هو صفة من صفاته ، وهو بذلك موافق للسلف .

والدليل على ان الله تعالى عالم بعلم لا حد له هو صفة انكشاف له ،

انه لا يخلو من احتمالات ثلاثة :

أ : ان يكون تعالى عالما بذاته .

ب : ان يكون تعالى عالما بعلم هو ذاته .

ج : ان يكون تعالى عالما بعلم ليس ذاته .

والاول باطل : لنفي صفة العلم نهائيا عنه تعالى ، واثبات

ذات بلا صفات ، وهو خلاف مذهب السلف ، وهو محال لعدم وجود ذات في الخارج

غير متصفة بالصفات .

والثاني باطل : لاثبات ذات هي بعينها صفة ، او صفة هي بعينها

ذات ،

وهذا لا يصح . لان الذات غير الصفة ، والذات شي ، والصفة شي .

آخر .

فثبت الثالث : وهو ان الله سبحانه عالم بعلم ليس ذاته ، بل هو صفة قائمة

به ينكشف له بها جميع المعلومات على وجه الاحاطة والشمول .

وفي هذا المعنى يقول الشيخ الاشعري :

(ان الذات بذاتها ليست بعالمة ، الا باضمام مغايرها

في الوجود وهو صفة العلم) . " ١ "

وفي كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل : (فأعلمنا الله أنه

انزل القرآن بعلمه ، واخبرنا جل ثناؤه ان انشئ لا تحمل ولا تضع الا بعلمه ،

فأضاف الله جل وعلا الى نفسه العلم الذي اخبرنا انه انزل القرآن بعلمه ،

وان انشئ لا تحمل ولا تضع الا بعلمه . فكفرت الجهمية وانكرت ان يكون لخالقنا

علم مضاف اليه من صفات الذات تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علوا

كبيرا .

فيقال لهم : خبرونا عن هو عالم بالاشياء كلها اله علم ام لا ؟

فان قال : الله يعلم السر والنجوى ، وهو بكل شيء عليم .

قيل له : فمن هو عالم بالسر والنجوى وهو بكل شيء عليم ، اله علم

ام لا علم له ؟

فلا جواب لهم لهذا السؤال الا الهرب ، فبهت الذين كفروا ،

والله لا يهدى القوم الظالمين) . " ٢ "

١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٤٥٣) .

٢ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، تأليف الامام محمد بن اسحق بن

خزيمة ، راجعه وعلق عليه محمد خليل هواس ، دار الكتب العلمية -

بيروت - لبنان ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ص ١٠ .

٣ - الارادة

=====

الصفة الثالثة التي اثبتها الشيخ محمد عبده لواجب الوجود " الارادة " .

ثمرتها :

===== عرفها الشيخ محمد عبده بأنها : الصفة التي تخصص فعل العالم بأحد

وجوهه الممكنة .

الدليل :

===== استدلل الشيخ محمد عبده على ثبوت هذه الصفة لله تعالى بما يلي :

اولا :

===== ثبت بالدليل ان الله تعالى هو واهب وجود الممكنات ، كما ثبت ايضا انه

عالم . وان ما يوجد من الممكن لا بد ان يكون على وفق علمه .

ومن كان كذلك ثبت بالضرورة انه ملابذ ، لانه انما يفعل على حسب علمه .

ثانيا :

===== ان كل موجود انما وجد بقدر مخصوص ، وصفة معينة ، في وقت محدود ،

ويمكن محدود ، وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة . وتخصيصها

كان على وفق العلم بالضرورة . ولا معنى للارادة الا هذا .

انكار :

===== وقد انكر الشيخ محمد عبده على الذين عرفوا الارادة بأنها : ما به يصح

للفاعل ان ينفذ ما قصده ، وان يرجع عنه .

وقال : ان ذلك محال في جانب الواجب ، وعلل ذلك بأن هذا المعنى

من توابع النقص في العلم ، فتفسيره على حسب تخير الحكم ، وتردد الفاعل بين البواعث

على الفعل او الترك . " ١ "

الى هنا • ينتهي مذهب الشيخ محمد عبده في صفة الارادة ، وهو
في رأي لا يخلو من بعض النقاط التي تحتاج الى توضيح ، وزيادة بيان ،
وسأقوم بعرض مذهب علي مذهب السلف وجمهور العلماء ، لأرى كم هو موفق في بيان
مفهوم الارادة ، واين يلتقي مع ائمة السلف الصالح في تحديده وبيان هذه الصفة •

أقول :

لا شك عندي ان الشيخ محمد عبده ، قد افاد في عرض مفهوم صفة
الارادة لله تعالى • لكنه وضع نفسه في مركز الدائرة ، التي يلف حولها كثير من
الحكام والمعتزلة في بيان وتحديد معنى الارادة •

فالارادة كما هي عند الشيخ محمد عبده هي : الصفة التي تخصص

فعل العالم بأحد وجوهه الممكنة •

وهذا التعريف يحتاج الى توضيح :

فان اراد الشيخ انها انما تعني علمه تعالى بالحكمة فيما يصدر

عنه من الممكنات ، فهو مع الحكماء في هذا •

وان اراد انها انما تعني علمه تعالى بنفع فيما يصدر عنه من الممكنات

فيكون بذلك قد وافق ابا الحسين البصرى المعتزلي ، وجماعة من رؤساء الاعتزال • " ١ "

ولعلي ، استطيع ان أقول : ان الشيخ محمد عبده قصد بهذا

التعريف عين ما ذهب اليه اهل السنة في المعنى المراد بالارادة ، لان معناها

واضح بين ، يكاد يكون بديهيا ، لا يخفى على من هو مثل الشيخ محمد عبده من

العلماء •

فالارادة انما تعني قصد الشيء واختياره ، ولا شك ان هذا المعنى

الواضح للارادة مغاير للمعنيين السابقين ، لان العلم بالحكمة او العلم بالمنفعة قد

١ - من مذكرات مادة " نصوص عقيدة " للشيخ محمد يوسف الشيخ رحمه الله

يكون احدهما هو الداعي للاختيار الذي يدعوا اليه ، لا الاختيار ،

• وفق واضح بين الاختيار وبين الداعي اليه .

ولعل ما يؤيد هذا ان الشيخ محمد عبده استحال في جانب الواجب

تعالى ان يكون معنى ارادته : (ما به يصح له ان ينفذ ما قصده وان يرجع عنه) .

لان هذا يقتضي الاضطراب في مراده تعالى على حسب تفسير الحكم ،

• وتردد الفاعل بين البواعث على الفعل وشركه . حسب قول الشيخ محمد عبده .

• وبناء عليه يستقر رأى الشيخ محمد عبده ، مع رأى أهل السنة في ان

الارادة : صفة قديمة زائدة على ذاته تعالى يختار بها بعض الممكنات دون بعض .

ولكن تعليل الشيخ محمد عبده : (بعد ما ثبت ان واهب وجود

الممكنات هو الواجب وانه عالم ، وان ما يوجد من الممكن لا بد ان يكون على وفق علمه

ثبت بالضرورة انه مرید) غير مستقيم تماما ، فهو يعطل بهذا اثبات وجود صفة الارادة

ولكن الناظر في التعريف الذي ذكره اهل السنة يجد انه لا وجود له في تعليل الشيخ

محمد عبده لثبوت الارادة .

• والشيخ محمد عبده مع السلف في متعلق الارادة بالممكنات فقط .

• دون الواجب والمحال .

• وذلك لان الارادة اذا تعلق بالواجب فاما ان تخصصه بالوجود من

الفاعل او بالعدم منه وكلاهما باطل .

• اما الواجب : فلا انه موجود لذاته وحقيقته ، فلا معنى لتخصيصه

• بوجود من غيره ، ولا معنى لتخصيصه بالعدم من غيره لانه لا يقبل عدم .

• واما المستحيل : فلا انه معدوم لذاته وما هيته فلا معنى لتخصيصه

• بالعدم من غيره ، ولا معنى لتخصيصه بالايجاد من غيره لانه لا يقبل الوجود .

• اما ادلة ثبوت الارادة عند الشيخ محمد عبده ، فهي من الادلة

العقلية التي استدل السلف بها على ثبوت صفة الارادة .

فما استدلل السلف به واوردته الشيخ محمد عبده :-

١ - ان الله سبحانه وتعالى " عالم " وهو بكل شيء عليم . فاذا لم يكن عالما بشيء اصلا ، كان موصوفا بضد ذلك من الجهل وغيره . فيستحيل ان يكون الله تعالى لم يزل موصوفا بضد الارادة كالسهو والنفلة وغيرهما ، لان هذا يقتضي ان لا يريد شيئا على وجه من الوجوه ، لان الله تعالى اذا كان لم يزل متصفا بضد الارادة ، وجب ان لا يكون قديما ، ومحال عدم القديم وحدوثه ، فاذا استحال عدمه ، وجب ان لا يريد الباري شيئا على وجه من الوجوه ، وذلك فاسد .

واذا فسد هذا صح ان الباري لم يزل مريدا . " ١ "

ثانيا :

==== ما يرى في هذا الكون من التخصيمات . فكل ما في العالم فهو على قدر مخصوص . وصفة معينة ، من طول وعرض وارتفاع . ولون ، وطعم ، ورائحة ، وعلم ، وسمع ، وبصر ، وله وقت ومكان محدودان . وهو ممكن . ويمكن ان يكون على خلاف ما هو عليه ، وهو ليس واجب الوجود بنفسه . ومعلوم ان الذات المجردة عن الارادة لا تخصص . فلا بد من صفة

وراء الذات تبها كان التخصيص ، وتلك الصفة هي " الارادة " . " ٢ "

ومما زاده السلف من الادلة ، ولم يذكره الشيخ محمد عبده :-

١ - كتاب : اللحم ، لعلي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري ، صححه وقدم له : الدكتور حمود غرابية ، مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ١٩٥٥ م ص ٣٧ بتصرف .

٢ - انظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٥ : وغاية المرام في علم الكلام ، لسيف الدين الامدى تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ، القاهرة ، (١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ص ٥٨ وما بعدها .

ثالثا :

==== ان الله سبحانه وتعالى لو لم يكن ذا ارادة ، لاستحال منه ترتيب
الافعال ووضعها مواضعها اللاتمة بها ، ولا استحالة ذلك من ليس بعالم بأفعاله
المرتبة دليل على انه سبحانه يريد ذلك بارادة هي صفة من صفاته . " ١ " .
هذا الدليل في حقيقته لا يخرج عن دليل الشيخ محمد عبده السابق ،
والاختلاف في اللفظ فقط . والمعنى واحد .

رابعا :

==== ان من المخلوقات من يتصف بالارادة ، كالانسان مثلا ، ومنها الذي لا
ارادة له كالجماد . وعدم الارادة صفة نقص ، وثبوتها صفة كمال ، وكل كمال
هو في المخلوق مستفاد من الخالق ، فالخالق به أحق وأولى . " ٢ " .
وهذا الدليل هو ما اشتهر عند السلف بقياس الأولى ، لان الله تعالى
له المثل الأعلى فلا يستوى هو والمخلوق في قياس تمثيلي ، ولا في قياس شعولي ،
بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق ، وكل نقص تنزه عنه بمخلوق
فتنزه الخالق عنه أولى .
والذي عليه السلف رضي الله عنهم ان الارادة صفة قديمة زائدة على ذاته

تعالى ، يختار بها بعض السمكات دون بعض .
فهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله صلى الله
عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكهيف ولا تمثيل ، امثالا لقوله
سبحانه وتعالى وليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير . " ٣ " . فلا يماثله شيء لا في

١ - انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، لابن تيمية (٢ : ١١٩)

والمعتمد لابي يعلى ص ٧٣ .

٢ - المرجح السابق لابن تيمية (٢ : ١١٩) / وانظر شرح العقيدة الطحاوية

ص ١١٩ .

٣ - سورة الشورى آية (١١) .

ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله •

يقول السلف : ان الارادة هلى نوعين : — " ١ "

النوع الاول :

===== ارادة كونية ، ترادفها المشيئة ، وهي تتعلق بكل ما يشاء

الله فعله فهي شاملة لجميع الموجودات • وهي ما يسميها المحققون من اهل السنة :

ارادة : قدرية ، كونية ، خلقية •

ومن هذا النوع قوله تعالى : —

أ : " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضله يجعل

صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " • " ٢ "

ب : " وقوله تعالى عن نوح عليه السلام " ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح

لكم ان كان الله يريد ان يفويكم " • " ٣ "

ج : " ولكن الله يفعل ما يريد " • " ٤ "

النوع الثاني :

===== ارادة الدينية الشرعية الامرية ، وهذه تتعلق بما يأمر

الله به عباده مما يحبه ويرضاه • اى المقصنة للمجة والرضا •

١ — انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم

دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ، لبنان ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ص ٣٢ •

• ٢٧٠

• وانظر : شرح الطحاوية ص ١١٦

• وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦ : ١١٥) •

٢ — سورة الانعام اية (١٢٥) •

٣ — سورة هود اية (٣٤) •

٤ — سورة البقرة اية (٢٥٣) •

كقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " . " ١ "

وقوله تعالى : " يريد الله ليمين لكم ويهدى بكم سنن الذين من قبلكم

ويتوب عليكم والله عليهم حكيم " . " ٢ "

وقوله تعالى : " والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين تتبهمون

الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما . يريد الله ان

يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا " . " ٣ "

وقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد

ليطهركم وليتم نعمته عليكم " . " ٤ "

وقوله تعالى : " انما يريد الله ليزهق عنكم الرجس اهل البيت

ويطهركم تطهيرا " . " ٥ "

ومن حيث تعلق الارادة فقد قسمها شيخ الاسلام ابن تيمية الى اربعة

اقسام هي : " ٦ "

القسم الاول :

==== ما تعلقته الارادتان ، الكونية والدينية . وهو كل ما وقع

في الوجود من الاعمال الصالحة ، فان الله تعالى اراده ارادة دين

وشرع فامر به واجبه ، ورضيه ، واراده ارادة كون فوقع ولولا ذلك

لما كان .

١ — سورة البقرة اية (١٨٥) .

٢ — سورة النساء اية (٢٦) .

٣ — سورة النساء الايات (٢٧ — ٢٨) .

٤ — سورة المائدة اية (٦) .

٥ — سورة الاحزاب اية (٣٣) .

٦ — في العقيدة الاسلامية (١ : ٢٩٤) نقلا عن منهاج السنة (٢ : ٢٩)

الطبعة الاميرية .

القسم الثاني :

=====
ما تعلق به الإرادة الدينية فقط وهو ما أمر الله به من
الاعمال الصالحة ، فعصى ذلك الكفار والفجار ، ففلك كلها إرادة دين وهو
يحبها ويرضاها وقمت اولم تقع .

القسم الثالث :

=====
ما تعلق به الإرادة الكونية فقط ، وهو ما قدره وشاءه
من الحوادث التي لم يأمر بها كالمحاحات والمعاصي ، فإنه لم يأمر بها
ولم يرضاها ولم يحبها ، لأنه لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعبادة الكفر ،
ولو لا مشيئته وقدرته متعلقة بها لما كانت ولما وجدت .

الرابع من الاقسام :

=====
التي لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه . فهذا ما لم يكن
من انواع المحاحات والمعاصي .
ويذهب السلف ايضا الى ان ارادة الله تعالى قديمة ، وينقسم جنسها الى
مذموم ومحمود . بمعنى انها قديمة النوع حادثة الآحاد .
يقول ابن تيمية في هذا المعنى :

(ان الله تعالى لم يزل يريد بإرادات متعاقبة ، فنوع الإرادة قديم ،
وأما إرادة الشيء المصين فأنما يريد في وقته) * ١ *
وهذه الإرادة ينقسم جنسها الى محمود كالصدق والعدل ، والسى
مذموم كالكذب والظلم . * ٢ *

-
- ١ - انظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (٦ : ٣٠٣) .
 - ٢ - انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٣٢ ، ٢٧٠ .
وانظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٥ .
وانظر مجموع الفتاوى (٦ : ١٤٢) .

والله سبحانه لا يوصف الا بما هو محمود • فمن اسمائه الحكيم •
الرحيم • والمؤمن • والبروف • والحليم • والفتاح ونحوه مما يتضمن معنى
الارادة •

ونزه الحق سبحانه نفسه عن بعض انواع الارادة في كثير من الايات:

قوله تعالى : " وما الله يريد ظلما للعباد " • " ١ " •
وقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " • " ٢ " •
وقوله تعالى : " يريد الله ان يخفف عنكم " • " ٣ " •
وقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج " • " ٤ " •

" ادلة السلف على قدم ارادة الله تعالى " :

=====

الادلة على قدم ارادة الله تعالى كثيرة • ذكر السلف منها :

١ — قال تعالى : " ذو العرش المجيد فعال لما يريد " • " ٥ " •

وجه الاستدلال :

===== ان الفعل والارادة في الاية متلازمان • فَمَا اراد ان يفعل

فعل وما فعله سبحانه فقد اراده • فهو سبحانه يفعل بارادة • ولم ينزل كذلك •

لانه انما ذكر فعله لما يريد في معروض المدح والثناء على نفسه • وهذا من كمال

الحق سبحانه • ولا يصح ان يكون طالما لهذا الكمال في وقت من الاوقات ازلا وابدا •

١ — سورة غافر اية (٣١) •

٢ — سورة البقرة اية (١٨٥) •

٣ — سورة النساء اية (٢٨) •

٤ — سورة المائدة اية (٦) •

٥ — سورة البروج الايات (١٥ — ١٦) •

٦ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص (١٣٢ — ١٣٨) •

٢ — ان الله تعالى اذا لم يتصف بالارادة اتصف بضعدها ، كالسهو والغفلة
ويستحيل ان يكون الله تعالى لم يزل موصوفا بضعد الارادة ، لانه
اذا كان لم يزل موصوفا بضعد الارادة وجب ان لا يكون قديما ، ومحال
عدم القديم وحدوثه . " ١ "

٣ — ان القول بنفي الارادة القديمة يلزم منه التعطيل ، بمعنى ان الله
سبحانه وتعالى لم يزل غير مرید ثم صار مریدا .
ولا يلزم من قدم الارادة قدم المراد ، بل ان المراد متأخر عن الارادة .
والجملة :

فان السلف رضي الله عنهم يثبتون الارادة لله تعالى ، صفة
قديمة ، ويقولون ان الاسماء الحسنى الثابتة لله تعالى دالة على وصفه تعالى
بالصفات ، فهو مرید بارادة . " ٢ "

وهم متفقون ايضا على القول بأن الله سبحانه وتعالى " مرید " .
لان معناه حق ، ولانه لا يعقل ان يكون المتصف بارادة قائمة به ليس مریدا .
فالله سبحانه لا يفنى ولا يبيد ولا يكون الا ما يريد . " ٣ "

-
- ١ — انظر : اللمع ، للاشمري ص ٣٧ وما بعدها .
 - ٢ — انظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٥ .
وانظر : شفاء العليل لابن القيم ص ٢٧١ .
 - ٣ — انظر : شرح المقيدة الطحاوية ص ١١٦ ، ٨ ، ١٣٧ .
وانظر : المرجعين السابقين ، نفس الصفحات .
وانظر : رسالة الارادة والامر ، لابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى
(١ : ٣٢٦) .

٤ — القدرة

=====

مذهب الشيخ محمد عبده في القدرة :

=====

ذهب الشيخ محمد عبده الى أنه مما يجب لله تعالى من الصفات :

• " القدرة "

تعريفها : " ١ "

===== عرفها الشيخ محمد عبده بقوله : انها صفة بها اليجاد والاعدام .

وفي شرحه على المقائد المضدية قال :

(أقول : ومن الصفات الكمالية التي يجب أن يتصف بها الحق الواجب

تعالى انه قادر على جميع الممكنات • اى قادر على احداث كل فرد من افراد

الممكنات على الاطلاق ، بدون استثناء) • " ٢ "

وانما قال الشيخ " على احداث " لان علة الاحتياج عنده هي الحدوث

• لا الامكان

وقال " كل فرد " لما ان المراد ان لا يخرج فرد من افراد الممكنات

عن قبوله للتأثر عن البارى تعالى ، لا انه قادر على ان يوجد جميع الممكنات

بأسرها ، فانه من المحالات لان الممكنات غير متناهية ، وايجاد مجموع مالا يتناهى

مطل • " ٣ "

اثباتها :

===== أ : من النقل : نفى كثير من الايات كقوله تعالى :—

١ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام (٣ : ٣٧٥) .

٢ — انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٤٥٦) .

٣ — نفس المصدر ونفس الصفحة •

١ - " ان الله على كل شيء قدير " ٠ " ١ "

٢ - " ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير " ٠ " ٢ "

وجه الاستدلال :

===== هذه الايات فيها دلالة واضحة على اثبات صفة القدرة

لله تعالى ، فهو على كل شيء قدير ، فالقدرة صفة قديمة ملازمة له .

ب- من العقل :

=====

قال : (لما كان الواجب هو مبدع الكائنات على مقتضى علمه و ارادته ،

فلا ريب يكون قادرا بالبداهة لان فعل العالم المرید فيما علم و اراد ، انما يكون

بسلطة له على الفعل ولا معنى للقدرة الا هذا السلطان) ٠ " ٣ "

" مناقشة مذهب الشيخ محمد عبده في القدرة " :

=====

لا شك ان الشيخ محمد عبده مع السلف في تعريف " القدرة " وفي

اثباتها صفة لله تعالى .

فقد اقام عليها البرهان من النقل والعقل ، اما النقل ففي كثير من الايات

التي فسرها " ٤ " ، والتي تفيد هذه الصفة الثبوتية لله تعالى .

١ - سورة البقرة اية (٢٠) .

٢ - سورة ال عمران اية (١٨٩) .

٣ - انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٥) .

٤ - انظر تفسير الشيخ محمد عبده للقران ، ضمن الاعمال الكاملة للامام

(٤ : ٩٦) ، (٥ : ١٤٨) .

واما العقل : فيداهته تضي بأن الشيء الموجود على وفق العلم
والارادة لا بد أن يكون له موجدا قادرا ، لان من ظم و اراده وفعل انما يأتي فعله
هذا بسلطة له عليه ، وهذه السلطة هي القدرة .
أما ما جاء له من كلام على الحاشية المضدية فقير مسلم ، بالنسبة لقوله :
ان الله تعالى غير قادر على ايجاد مجموع ما لا يتناهى من الممكنات . بمعنى عدم
قدرته على ايجاد جميع الممكنات لانها غير متناهية .
وسوف ارد على هذا في نهاية عضي لمذهب السلف في هذه الصفة .
مذهب السلف :

=====

قال صاحب الطحاوية : - (ذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء اليه
فقير وكل امر عليه يسير) .
قال الشارح : - (ذلك اشارة الى ثبوت صفاته في الازل قبل خلقه) .
فالسلف يثبتون القدرة : صفة قديمة ملازمة للذات المقدسة ازلا وابدا .
قائمة بها لا تنفك عنها .
ويقررون ثبوت هذه الصفة لله تعالى في كثير من الايات في القرآن ، وفي
السنة .

أما القرآن :

=====

فكوله تعالى : " ان الله على كل شيء قدير " . " ٢ " .
وقوله تعالى : " وكان الله على كل شيء مقتدرا " . " ٣ " .

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٢ .

٢ - سورة البقرة آية (٢٠) .

٣ - سورة الكهف آية (٤٥) .

- وقوله تعالى : " انه كان عظيمًا قديرًا " ١
- وقوله تعالى : " قل هو القادر على ان يبعث عليكم غداً بما من فوقكم " ٢
- وقوله تعالى : " ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير " ٣
- وقوله تعالى : " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " ٤
- وقوله تعالى : " اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة " ٥
- وقوله تعالى : " عند مليك مقتدر " ٦

وأما السنة :

=====
انني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، واسألك من فضلك العظيم ، فانك
تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب " ٧
وجه الاستدلال :

=====

هذه الايات فيها دلالة واضحة على اثبات صفة القدرة لله تعالى ، كما هي
في الحديث ايضا ، والايات والاحاديث في هذا الباب كثيرة ، ولا يعقل ان يكون
قادر الا من له القدرة التامة ، القائمة به كما قال تعالى " وما كان الله ليعجزه
من شيء " في السموات ولا في الارض انه كان عظيمًا قديرًا " ٨

-
- ١ - سورة فاطر اية (٤٤) .
 - ٢ - سورة الانعام اية (٨٥) .
 - ٣ - سورة ال عمران اية (١٨٩) .
 - ٤ - سورة الذاريات اية (٥٨) .
 - ٥ - سورة فصلت اية (١٥) .
 - ٦ - سورة القمر اية (٥٥) .
 - ٧ - انظر : صحيح البخارى - كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة
(١ : ١٤٤) ، (٤ : ٧٨ ، ١٩٥)
ومسنن الترمذى - (٢ : ٣٤٥ - ٣٤٦)
ومسنن الامام احمد - (٣ : ٣٤٤) .
 - ٨ - سورة فاطر اية (١١) .

قال شارح الطحاوية : (فنبه الله تعالى في اخرا لاية على دليل
انتفاء المعجز ، وهو كمال العلم والقدرة ، فان المعجز انما ينشأ اما من اللضعف
عن القيام بما يريد ، الفاعل ، واما من عدم علمه به ، والله تعالى لا يعجز
عنه مقال ذرة في السموات ولا في الارض وهو على كل شيء قدير ، وقد عليم
ببدائه العقول والفطر ، كمال قدرته وعلمه ، فانتهى المعجز لما بينه وبين
القدرة من التضاد ، ولان المعجز لا يصلح ان يكون لها ، تعالى الله عن ذكر
ذلك علوا كبيرا) . " ١ "

وفي تعريف القدرة يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(ان القادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل) . " ٢ "

بمعنى انه متمكن من الامرين : الفعل والتحرك ، يقع كل واحد منهما
باختياره ومشيئته فابن تيمية اخذ الاختيار والمشيئة في تعريف القادر ، كما ان
الشيخ محمد عبده اخذ العلم والارادة في تعريفه .
وناء عليه استطيع ان اضح الدليل العقلي على قدرته تعالى
فأقول : " ٣ "

ان العالم حادث ، وفاظه تعالى قديم ، فصدور هذا العالم بهذا
النظام الخاص دون غيره من النظم ، وفي هذا الوقت الخاص دون غيره من الاوقات
السابقة او اللاحقة عن هذا الفاعل القديم ، لا بد له من مرجح يرجح حدوثه على
هذا النظام دون غيره ، كما يرجح ايضا حدوثه في ذلك الوقت دون غيره مسبقا

١ - شرح العقيدة الطحاوية (١١١) .

٢ - شرح العقيدة الاصفهانية (٢٥) .

٣ - من مذكرات مادة " نصوص عقيدة " للاستاذ محمد يوسف الشيخ ، بتصريف .

الاقوات •

ذلك المرجح هو اختيار الله ان يوجد العالم كذلك على هذا النظام الخاص وفي

ذلك الوقت الخاص •

فاذا اوجد الله هذا العالم على هذا النظام الخاص في هذا الوقت

الخاص دون غيرها كان مهتم ذلك ومرجح على غيره انما هو اختياره ومشيئة ايجاده

على هذا النظام وفي ذلك الوقت •

فثبت انه تعالى يفعل او لا يفعل باختياره ومشيئته •

ويورد على كلام الشيخ محمد عبده في شرحه على الحاشية المضدية بان

يقال : ان جميع الممكنات داخله تحت قدرته تعالى •

فقد ذهب السلف واهل الحق جميعا الى ان قدرته تعالى يمكن ان

تتعلق بكل ممكن •

والدليل على ذلك : ان المقضي للقادرية ذاته تعالى ، والمصحح

للقدرية هو الامكان • والذات الاقدس نسبتها الى جميع الممكنات على سواه •

فقدرته تعالى يمكن ان تتعلق بكل ممكن •

ومعنى هذا الدليل : ان قدرة الله تعالى تتعلق بكل الممكنات بلا

استثناء ، المتناهية وغير المتناهية خلافا لما يقوله الشيخ محمد عبده •

قال شارح الطحاوية :

(واما اهل السنة فمعتد بهم ان الله على كل شيء قدير ، وكل ممكن فهو

مندرج في هذا ، واما المحال لذاته " ١ " فهذا لا حقيقة له ولا يتصور وجوده ولا

يتم شيئا باتفاق العقلاء ، ومن هذا الباب : خلق مثل نفسه ، واهدام نفسه

وامثال ذلك من المحال) • " ٢ "

١ - هو الممتنع لذاته مثل كون الشيء الواحد موجودا ومعدوما في حال واحدة •
اما المحال المطلق : فهو ما اوجب على ذات البارئ تعالى تغييرا في ذاته او
صفاته • وهذا غير داخل تحت القدرة ، وهو المشهور عند اهل العلم •
٢ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٣ •

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة ، فان ما شاء الله
كان ، ولا يكون شيء الا بقدرته ، وما تعلقت به القدرة تعلقت به المشيئة فانه
لا يكون شيء الا بقدرته ومشيئته ، وما جاز ان تتعلق به القدرة جاز ان تتعلق
به المشيئة وكذلك بالعكس ، وما لا فلا .

وقوله تعالى : " ان الله على كل شيء قدير " ١ " اي على
كل ما يشاء ، فانه ما قد شيء فوجد ، ومنه ما لم يشأ لكنه شيء في العلم بمعنى
انه قابل لان يشاء ، فقله على كل شيء " قدير " يتناول ما كان شيئاً في الخارج
والعلم ، وما كان شيئاً في العلم فقط ، بخلاف ما لا يجوز ان تتناوله المشيئة وهو
الحق تعالى ، وصفاته او المتع لفسه) . ٢

وبناء على كلام شيخ الاسلام احمد بن تيمية فانه يتحصل لي خطأ
قول الشيخ محمد عبده (لا انه قادر على ان يوجد جميع الممكنات بأسرها) ،
وفساد استدلاله لان قدرة الله تعالى تتعلق بجميع الممكنات ما فعله وما لم يفعله ،
والا كان الله عاجزاً وهو نقص في حقه تعالى يتنزه الله عنه .

وقد ظننا ايضا ان قدرته تعالى لا تتعلق بما هو محال فبقي ان
قدرته تتعلق بكل ممكن وهو ما ايدته الادلة السابقة ، ويؤكد قول العلماء :
يجب علينا ان ننزه الخالق عما نزه عنه نفسه فنفاه عن نفسه ، كالظلم والكذب
والسهو ، والغفلة الخ .

١ - سورة البقرة اية (٢٠) .

٢ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٨ : ٢٨٣) .

والذى نقول عن القدرة انها : صفة من صفات ذات الله تعالى
فهو قادر بقدره قديمة قائمة بذاته متعلقة بجميع المقدورات غير متناهية بالنسبة الى
ذاتها ولا بالنظر الى متعلقاتها * " ١)

تمليق :

=====

هل صحيح ما يقوله الشيخ محمد عبده : ان ثبوت العلم والارادة
والقدرة يستلزم بالضرورة ثبوت الاختيار ؟
ان الشيخ محمد عبده ينفي عن الله تعالى ان يكون مكلفا من قبل
غيره بفعل شيء ما او تركه .

وينفي عنه ايضا ان يصدر عنه شيء من غير شعور منه به .
لكن الشيخ محمد عبده يثبت ان ما يصدر عنه كانا هو صادر
بطريق اللزوم على نحو ما يقول به الحكماء ويسمونه " المتناهي الالهية " .
ثم انه يلاحظ عليه ايضا انه يريد ان يثبت لله تعالى ارادة
واختيارا كالمزمن متفايرين . وهذا خلاف ما عليه السلف . ان المعروف عندهم
وعند غيرهم من العلماء ان الاختيار ثمرة للارادة ، وان الباري سبحانه اذا اختار
شيئا فله ارادة يختار بها ذلك الشيء قال تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار " .

يقول الشيخ محمد عبده : (ثبوت هذه الصفات الثلاث يستلزم
بالضرورة ثبوت الاختيار . ان لا معنى له الا اصدار الامر بالقدرة على مقتضى
العلم وعلى حكم الارادة .

١ - انظر شرح المواقف ، للشريف الجرجاني ، ص ٩٥ .

٢ - سورة القصص اية (٦٨) .

فهو الفاعل المختار ، ليس من افعاله ولا من تصرفه في خلقه ما يصدر عنه بالعلية المحضة والاستلزام الوجودى بدون شعور ولا ارادة .
وليس من مصالح الكون ما يلزمه مراعاته لزوم تكليف ، بحيث لو لم يراع له توجه عليه النقد ، فيأتيه تنزهها عن اللامية تعالى عن ذلك علوا كبيرا . .
ويقول :

(ولكن نظام الكون ومصلحه المطلق انما تقررت له بحكم انه اثر الوجود الواجب الذى هو اكمل الوجودات وارفعها .
فالكمال في الكون انما هو تابع للكمال المكون . واتقان الابداع انما هو مظهر لسمو مرتبة المبدع ، وهذا الوجود البالغ اعلى غايات النظام ، تعلق العلم الشامل ، والارادة المطلقة ، فصدر ويصدر على هذا النمط الرفيع) . " ١ "

نعم :

ان اراد الشيخ محمد عبده ان الله تعالى علم كاشف ، و ارادة مختارة وقدرة منفذة ، فهو الحق الذى لا مرية فيه . لان الله سبحانه وتعالى يريد مختار يخلق ما يشاء ويختار .

اما ان اراد ان الله تعالى صفة اختيار مغايرة لصفة الارادة ، فهو ما لومه عليه ولا اقبله منه . لان معنى الارادة واضح بين تشهد به البديهة

انها القصد الى الشيء واختياره . وقد تأيد ذلك بالتنزيل الحكيم

قال تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار " . " ٢ "

وقال تعالى : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " . " ٣ "

١ - رسالة التوحيد / انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٥) .

٢ - سورة القصص اية (٦٨) .

٣ - سورة يس اية (٨٢) .

- فله سبحانه قدرة يقدر بها ايجادا واعداما • وله علم يعلم به
- وكذلك اذا اختار شيئا فله ارادة يختار بها • وهي كما عرفها اهل السنة :
- صفة قديمة لله تعالى • زائدة على ذاته • يختار بها بعض
- الممكنات دون بعض • والله اعلم •

=====

٥ - صفة الكلام

=====

١ - (مذهب الشيخ " محمد عبده ") :

=====

اثبت الشيخ " محمد عبده " لله تعالى صفة " الكلام " ، قال :-
(فمن تلك الصفات صفة الكلام) . " ١ " .
ولم يبين الشيخ محمد عبده مفهوم هذه الصفة ، ولم يحدد معناها ،
كما فعل بالنسبة الى صفة العلم ، وصفة الارادة ، وصفة القدرة ، وغيرها من
الصفات .

وانما رد على قول من قال : (ان الله تعالى متكلم)
والتكلم من اتصف بالكلام ، فقد ثبت انه تعالى متصف بالكلام ، والله تعالى لا
يتصف بحادث فوجب ان يكون الكلام قديما) . " ٢ " .

فقال : باننا لا نعلم ان المتكلم من قام به الكلام ، بل المتكلم
هو من احدث الكلام في شيء اخر ، ضرورة ان نطلق المتكلم حقيقة على " زيد "
المتلفظ بلفظ كذا ، مع ان اللفظ ليس الا صوتا مخصوصا ، والصوت كيفية من كيفيات
الهواء ، وقائمة بالهواء ، فالتكلم كل من احدث هذه الكيفية المخصوصة في الهواء .
وقد استدلل الشيخ محمد عبده على ثبوت هذه الصفة للحق تعالى ،
بان الله كلم بعض انبيائه كما ورد في الكتاب والسنة ، وان القران نطق بأنه كلام
الله سبحانه وتعالى .

-
- ١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٧) .
 - ٢ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٨٣) .

وتعرض الشيخ محمد عبده لخطر قضية جرّ بها علماء السلف ،
وأهل السنة في القرن الثالث الهجري ، وهي قضية " خلق القرآن " ، وادخل
نفسه في هذا الباب ، وألقى بدلوه في الدلاء ، ولكن في غير الماء السذي
يستقي منه أهل السنة فتابع المحتزلة مؤثرا رأيهم ، ومؤكدا ان هذا غاية ما
دعا الدين الى اعتقاده وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

فقال :

(فصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لا يد ان يكون شائئا من شؤونه ،
قدما بقدمه ، أما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم ، فلا
خلاف في حدوثه ، ولا في انه خلق من خلقه ، وخصص بالاسناد اليه لاختياره
له سبحانه في الدلالة على ما اراد بلاغه لخلقه ، ولانه صادره عن محض قدرته
ظاهرا وباطنا ، بحيث لا مدخل لوجود اخرفيه بوجه من الوجوه سوى ان
من جاء على لسانه مظهر بصدوره) .

ويرى الشيخ محمد عبده ان القول بخلاف ذلك صادرة للبهادة ،

وتجروء على مقام السقدم بنسبة التخمير والتبدل اليه .

ويقرر ان ما يقرأه القارئ من الايات القرآنية تحدث وتفتنى بالبهادة

كلما تليت .

ويشنع على من يقول بقدم القرآن المقروء ويقول (انه أشنع حالا

واضل اعتقادا من كل ملّة جاء القرآن نفسه بتضميلها والدعوة الى مخالفتها) .

ويصرح بأن (ليس في القول بأن الله اوجد القرآن بدون دخل

لكسب بشر في وجوده ما يمس شرف نسبته) .

بل يرى الشيخ محمد عبده ان ذلك غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ،

فهو السنة ، وهو ما كان عليه النبي واصحابه ، وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

ويرى أيضا أن موقف الامام أحمد رضى الله عنه من مسألة
" خلق القرآن " منشؤه مجرد التحجج ، والمبالغة في التأدب مع الله ،
(فيجمل مقام مثل الامام احمد بن حنبل عن ان يعتقد ان القرآن المقروء قديم وهو
يتلوه كل ليلة بلسانه ويكفيه بصوته) • " ١ "

بل ويدعي الشيخ محمد عبده ان القول بقدم كلام الله ،
هو مذهب جماعة من الحنابلة ، خلافا لما عليه الجمهور •

فيقول عن كلام الله : (اى الالفاظ والحروف التي يطلق عليها كلام الله ،
باعتبار ما دلت عليه ، وهي حادثة عند عموم الفرق ، ما خلا جماعة من الحنابلة) • " ٢ "

ويذهب الشيخ محمد عبده الى ابعد من هذا حين يثبت للـ
صفة الكلام التي هي منبع لافاضة الاقوال القدسة على النبيين - عليهم الصلاة
والسلام •

ويرى ان هذه الاقوال القدسة انما كان منبع فيضها (ذلك الوصف
الحقيقي القائم بذاته الذى هو الحب الحقيقي ، لمفيض ما فيه الصلاح الحقيقي
لجملة العالم) • " ٣ "

وهذا كلام غير صحيح ، ولانه من اقوال بعض الصابئة والمتفلسفين ،
راج الشيخ محمد عبده يقول :

-
- ١ - انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٨) •
 - ٢ - انظر : نهج البلاغة للامام علي ، ص ١٢١ ، اختيار الشريف محمد
الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، الجزء الاول ، منشورات مكتبة
الاندلس ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م •
 - ٣ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٠٢) •

(وهذا قول مجمل فاطلب تفصيله من غير هذا الكتاب ، بل تحته

سر عجيب ، فأدخل يدك في جيبيك تخرج اية اخرى ، فافهم) . " ١ "

" مناقشة هذا المذهب " :

=====

لعل أقرب ما يصح أن أصف به الشيخ محمد عبده في هذا المذهب

الذي ذهب اليه ، انه كان اعتزاليا مقترفا " ٢ " ، لم يستطع ان يتقرب من

مذهب السلف خطوة واحدة في هذه المسألة .

على أن موقف الشيخ محمد عبده من مسألة " خلق القرآن " هو

دون ماله بصددها في مسألة الفيض ، او ما يسمى " بنظرية الفيض " .

ودعني اناقش كلامه نقطة ، نقطة ، من غير ترتيب

فقوله : ان لله صفة حقيقية قائمة بذاته تكون منها لافاضة الاقوال المقدسة

على النبيين ، ويطلق على هذه الصفة لفظ الكلام شبيه بقول الصابئة

والمفلسفة الذين يقولون ان كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني ،

اما من العقل الفعال عند بعضهم او من غيره ، كما هو معلوم عندهم وهو

ما يسمى بنظرية الفيض . " ٣ "

وهو كما ترى كلام هراء ، لا يمت الى الحقيقة في شيء . كما انه

خلاف قول الجمهور ، وعلى رأسهم أئمة السلف رضی الله عنهم .

لذلك فاني لا أريد أن أكون من الخاصة الذين يصعدون لطلب تفصيل

١ - انظر : نفس المرجع ، ونفس الصفحة .

٢ - انظر كتاب : العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة

ص ٥٧٥ .

٣ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ .

هذا الكلام من غير هذا الكتاب ، ليضعوا ايديهم على السر المعجيب بعد ان يدخلوا ايديهم في جيوبهم لكي تخرج اية اخرى .

بل اقول ان هذا الرأي هو احد تسعة اقوال باطلة ، ضلت الحق ، الذي دلت عليه الادلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما ، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تفسر بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة . " ١ "

- وانتقل لمناقشة قوله : ان كلام الله يعني الالفاظ والحروف .
فالالفاظ والحروف : هي التي يطلق عليها كلام الله ، عنده . وهي حادثه .
وهذا كلام غير سليم لأن للناس في معنى الكلام عند الاطلاق أربعة اقوال هي :-
١ - اسم اللفظ فقط ، والمعنى ليس جزء مسماه ، بل هو مدلول مسماه . وهذا قول جماعة من المعتزلة . وهو عين قول الشيخ محمد عبده كما ترى .
٢ - اسم للمعنى فقط ، واطلاقه على اللفظ مجاز ، لأنه دال عليه . وهذا قول ابن كلاب ومن معه .
٣ - انه مشترك بين اللفظ والمعنى ، وهذا قول بعض المتأخرين من الكلائية .
٤ - انه يتناول اللفظ والمعنى جميعا ، كما يتناول لفظ الانسان : الروح والجسد معا وهذا هو قول السلف . " ٢ "

وشيخ الاسلام يؤكد هذا في كلامه في كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق

مسألة كلام الله الكريم . " ٣ "

ولشرح الطحاوية كلام طويل في الرد على المخالفين .

١ - نفس المرجح ونفس الصفحة .

٢ - نفس المرجح ص ١٩٧ .

٣ - انظر : مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣ : ٥٥) .

ثم انتقل لمناقشة قوله : (انا لا نسلم ان المتكلم من قام به الكلام ، بل المتكلم هو من أحدث الكلام في شيء آخر) .
فأقول : قوله هذه مردود ، وقد استمر هذا الرأي من المعتزلة ، وقد أبطله السلف وشنعوا على من قال به ، واعتبروه مهتدعا في دين الله ما لم يأذن به الله .

يقول مقرر مذهب السلف ابن تيمية رحمه الله :

(وكانوا أول ما أظهروا بدعتهم قالوا : ان الله لا يتكلم ولا يكلم ، كما حكى عن الجعيد " ١ " ، وهذه حقيقة قولهم ، فكل من قال القرآن مخلوق فحقيقة قوله ان الله لم يتكلم ، ولا يكلم ، ولا يأمر ، ولا ينهى ، ولا يجب . فلما رأوا ما في ذلك من مخالفة القرآن والمسلمين قالوا : انه يتكلم مجازا ، يخلق شيئا يعبر عنه لا انه في نفسه يتكلم . فلما شنع المسلمون عليهم قالوا : يتكلم حقيقة ولكن المتكلم هو من أحدث الكلام ، وفعله ولو في غيره . فكل من أحدث كلاما ولو في غيره كان متكلما بذلك الكلام حقيقة .

وقالوا : المتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام وهذا الذي استقر

عليه قول المعتزلة) . " ٢ "

وقد مر معنا ان الكلام اصفة من صفات الله تعالى ، وصفات الله تعالى قديمة قائمة بذاته زائدة عليه . فلا يكون الله سبحانه متكلما بكلام يقوم في غيره ، وكذا سائر الصفات .

١ - الجعد بن درهم ، ثم صاحبه الجهم بن صفوان ، وكلاهما قتل ، بسبب

هذا . / انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٦٠ .

٢ - شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص (٦٠ - ٦١) .

يقول ابن تيمية :

(اذ المتكلم من قام به الكلام ، فلا يكون متكلماً بكلام يكون في غيره
كسائر الصفات ، والافعال ، فانه لا يكون عالماً بعلم يقوم بغيره ، ولا قادراً
بقدرته تقوم بغيره ولا حياً بحياة تقوم بغيره ، وكسائر الموصوفين فان الشيء
لا يكون حياً عالماً قادراً ، بحياة او علم او قدرة تقوم بغيره ، ولا يكون متحركاً
او ساكناً بحركة او سكون يقوم بغيره ، كما لا يكون متلوئاً بلون يقوم بغيره) " ١ "

وبه شيخ الاسلام الى ان المعتزلة يموهون على الناس فيقولون اجمع
المسلمون على انه الله متكلم ، ولكن اختلفوا في معنى المتكلم هل هو من فصل
الكلام او من قام به الكلام .
قال شيخ الاسلام : (وما زعموه من ان المتكلم يكون متكلماً بكلام قائم بغيره ،
قول خرجوا به عن العقل والشرع واللغة) " ٢ "

وكان قداماً الصفاتية من السلف والائمة ، والكلائية ، والكرامية ،
والاشعرية ، يحققون هذا المقام ويثبتون ضلال الجهمية من المعتزلة وغيرهم .
ثم اتى شيخ الاسلام بأربعة مسائل اكد فيها مذهب السلف ، مسألتان
عقليتان ، ومسألتان سمعيتان لغويتان :

(الاولى) : ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل فكان هو
الموصوف بها فالعلم والارادة والقدرة والكلام والحركة والسكون اذا قام بمحل كان ذلك
المحل هو العالم المرید القادر المتكلم المتحرك الساكن . . .

(الثانية) : ان حكمها لا يعود على غير ذلك المحل ، فلا يكون عالماً بعلم
يقوم بغيره ولا قادراً بقدرته تقوم بغيره ، ولا متكلماً بكلام يقوم بغيره ولا متحركاً
بحركة تقوم بغيره .

١ - شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٦٢ .

٢ - نفس المصدر ص ٦٣ .

وهاتان عقليتان •

أما السميتان اللغويتان ، فهما :-

(الثالثة) : انه يشتق لذلك المحل من تلك الصفة اسم اذا كانت تلك الصفة مما يشتق لمحلها منها اسم ، كما اذا قام العلم أو القدرة أو الكلام بمحل • قيل عالم ، أو قادر أو متكلم بخلاف أصناف الروائح التي لا يشتق لمحلها منها اسم •

(الرابعة) : انه لا يشتق الاسم لمحل لم يقم به تلك الصفة ، فلا يقال لمحل لم يقم به العلم أو القدرة أو الارادة أو الكلام انه عالم أو قادر أو متكلم •

ويعجبني في الرد على الشيخ محمد عبده ، ما ألزمه الامام عبد العزيز المكي " ١ " بشرا المرسي بين يدي الخليفة المأمون ، بعد ان تكلم معه ملتزما ان لا يخرج عن نص التنزيل ، والزمه الحجة • بعد ان دار بينهما هذا النقاش : " ٢ "

قال بشر : يا أمير المؤمنين ، ليدع مطالبتي بنص التنزيل وينظرني بنفسي ، فان لم يدع قوله ويرجع عنه ويقرب خلق القرآن الساعة ، والا فدي حلال •

قال عبد العزيز : تسألني أم أسألك ؟

قال بشر : اسأل أنت •

١ - هو عبد العزيز بن يحيى الكتاني • احد الفقهاء من اصحاب الشافعي • قدم بغداد ايام المأمون وجرى بينه وبين بشر المرسي مناظرة في خلق القرآن بخضرة الخليفة المأمون • وصنف كتاب " الحيدة " اثبت فيه نص مناظرته لبشر • لكن في ثبوت هذه المناظرة نظر ، فانه تفرد بروايتها محمد بن الحسن بن ازهر الدط ، وقد اتهمه الخطيب بأنه يضع الحديث • وذكر الذهبي أنه هو الذي وضعها / الميزان (٣ : ٤٤) • شمس الدين الذهبي •

٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٤ ، ١٨٥ •

قال عبد العزيز : يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها ، اما ان تقول : ان الله خلق القرآن - وهو عندي انا كلامه - في نفسه ، او خلقه قائما بذاته ونفسه ، او خلقه في غيره ؟

قال بشر : اقول خلقه كما خلق الاشياء كلها .

وحاد عن الجواب فقال المؤمن : اشرح انت هذه المسألة ودع بشرا فقد انقطع .

فقال عبد العزيز : ان قال : خلق كلامه في نفسه فهذا محال ، لان الله لا

يكون محلا للحوادث المخلوقة ، ولا يكون فيه شيء مخلوق .

وان قال : خلقه في غيره فيلزم في النظر والقياس ان كل كلام

خلق الله في غيره فهو كلامه . فهو محال ايضا لانه يلزم

قائله ان يجمل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله .

وان قال : خلقه قائما بنفسه وذاته فهذا محال ، لا

يكون الكلام الا من متكلم كما لا تكون الارادة الا من مرید ، ولا

العلم الا من عالم ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته .

فلما استحال من هذه الجهات ان يكون مخلوقا علم انه صفة

لله .

ولا ارید ان اقف مع هذا الكلام اكثر من ذلك فانه ليس بيت القصيد في الموضوع بل

انتقل الى بقية كلامه في مسألة " خلق القرآن " ، الذي يخطوبه الشيخ محمد

عبد خطوة اجراً من سابقتها .

انه فيما سبق - كما رأينا - يلتزم القول بنظرية الفيض ، الفلسفية .

ويقول ايضا ان المتكلم هو من احدث الكلام في شيء آخر غيره .

اما في مسألة " خلق القرآن " فيلتزم الشيخ محمد عبد ، قول الممتزلة

ايضا ، ويذهب الى ان القرآن كلام الله المخلوق .

وخلاصة ما قال هـ :

- ١ - ان صدر الكلام المسموع عن الحق سبحانه قديم .
 - ٢ - اما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم فحدث .
 - ٣ - الايات التي يقرؤها قارئ القرآن تحدث وتفنى كلما تليت .
 - ٤ - القول بأن الله خلق القرآن غاية ما دعا الدين الى اعتقاده .
 - ٥ - مذهب الامام احمد القول بخلق القرآن . لكنه كان لا ينطق بهذا حتى لا يقع في الحرج ، وبالفئة في التأديب مع الله .
- وهذا من الشيخ محمد عبده موقف لا احده له . لانه مع الاعتراف له بالجراة ليس اجراً ولا اشجع من الامام احمد بن حنبل ، الذي اهين وسجن وعذب وظل ثابتاً على رأيه يقول : القرآن كلام الله القديم ، ليس بمخلوق ، وهو صفة من صفاته . وهذا غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ومن قال بخير هذا فقد اوقع نفسه في الحرج ، وبالغ في الجراة على الله .
- " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم " . " ١ "
- وحتى لا يتخذ احد بكلام الشيخ محمد عبده ، ويظن ان الامام احمد كان ينطق بما لا يعتقد ، وان عموم الفرق تقول بحدوث كلام الله ، خلا جماعة من الحنابلة . فاني اسوق اليك مذهب السلف ، واهل السنة في مسألة كلام الله ، المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم ، ثم المتلو :

والمسموع منه ، ثم المكتوب في المصاحف ، ثم ما اضيف الى الخلق من القراءة
والكتابة . . . فهو الحكم الوحيد بين ايدينا ، القاضي بالحق بين الامام احمد
واتباعه من الحنابلة ، وبين الشيخ محمد عبده ، واسبابته من المعتزلة .

اولا : " القران كلام الله ليس بمخلوق " :

=====

حكى الطحاوي رحمه الله قال : (وان القران كلام الله ، منه
بدا ، بلا كيفية قولاً ، وانزله على رسوله وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك
حقاً ، وايقنوا انه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن
سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه واوعده بسقر حيث قال
تعالى " سأصليه سقر " ١ " فلما اوعد الله بسقر لمن قال " ان هذا الا
قول البشر " ٢ " علمنا وايقنا انه قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر) .

والذي يفهم من كلام الشيخ الطحاوي رحمه الله تعالى ان القران كلام
الله انزله على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام ، وهو
المتكلم به ابتداءً ، لم يخلقه في غيره ، وفي ذلك رد على الشيخ محمد عبده
الذي يزعم ان القران خلقه الله منفصلاً عنه .

وقال الامام احمد رضي الله عنه : (كلام الله من الله ليس ببائس

منه) . " ٤ "

١ - سورة المدثر اية (٢٦) .

٢ - سورة المدثر اية (٢٥) .

٣ - شرح العقيدة الطحاوية ص (١٧٩) .

٤ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص (٦) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (اتفق سلف الامة واثمها على ان كلام الله

منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود) . " ١ "

ومعنى قولهم " منه بدأ " : اى هو المتكلم به لم يخلقه في غيره .

ومعنى قولهم " اليه يعود " : ما جاء في الاثار ان القلبن يسرى به حتى

لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه اية .

وقد تكلم الله القران باللفظ والمعنى بصوت نفسه بلا كيفية (اى لا تعرف

كيفية تكلمه به قولا ليس بالمجاز) . " ٢ "

قال تعالى : " وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام

الله) . " ٣ "

فبين الله تعالى ان الكلام المسموع هو كلامه ، وهو عين ما سمعه جبريل

من ربه وهو عين ما سمعه محمد من جبريل ، وهو عين ما سمعه الصحابة منه صلى

الله عليه وسلم . وهو عين ما تقرأه نحن وهو الذى بين دفتي المصحف .

وما في الصدور كله كلام الله غير مخلوق . " ٤ "

لعل في كلام العلماء هذا مقنع للشيخ محمد عبده ، والا فهناك من كلام

الله ما يقنع .

١ - نفس المرجع ص (٥) .

٢ - شرح المقيدة الطحاوية ص ١٩٥ .

٣ - سورة التوبة اية (٦) .

٤ - انظر كتاب : خلق افعال العباد والرد على الجهمية واصحاب التعطيل ،

لمحمد بن اسماعيل البخارى مطبعة ومكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة

١٣٩٠ هـ ص ٧ .

- قال الله تعالى : " قل نزله روح القدس من ربك بالحق " ١ " ٠ "
- وقال تعالى : " نزل به الروح الامين على قلبك لتكون مسن المنذرين بلسان عربي مبين " ٢ " ٠ "
- وقال تعالى : " قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بأذن الله " ٣ " ٠ "
- وقال تعالى : " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا " ٤ " ٠ "
- وقال تعالى : " انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين " ٥ " ٠ "
- وقال تعالى : " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " ٦ " ٠ "
- وقال تعالى : " والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق " ٧ " ٠ "
- والايات في هذا كثيرة فيها اخبار من الله تعالى انه نزل القرآن بواسطة جبريل عليه من لدنه تعالى على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على الحقيقة ، وليس شي نزل من القرآن مخلوق " ٨ " ٠ "

-
- ١ - سورة النحل اية (١٠٢) ٠
 - ٢ - سورة الشعراء الايات (١٩٣ - ١٩٥) ٠
 - ٣ - سورة البقرة اية (٩٧) ٠
 - ٤ - سورة الاسراء اية (١٠٦) ٠
 - ٥ - سورة الدخان اية (٣) ٠
 - ٦ - سورة الزمر اية (١) ٠ وسورة الجاثية اية (٢) ٠ وسورة الاحقاف اية (٢) ٠
 - ٧ - سورة العمل اية (١٠٢) ٠
 - ٨ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ ٠

ثانيا : الكلام المتلو والمسـمـوع :

=====

اما هذا فلا خلاف في حدوثه - على مذهب الشيخ محمد عبده - ولا في انه خلق من خلقه . (وان ليس معنى القران او الكلام الا هذه الالفاظ المقررة باللسن ، المكتوبة في المصاحف المتفق على حدوثها) . " ١ "

وكل ما ورد في النصوص من ان القران غير مخلوق فهو كلمة بغير " مختلق " ، وان قول الانبياء عن الله انه متكلم فهو كلمة ايضا بانه مجاز او ما يشبهه . " ٢ " ، والحق : ان هذا الكلام هو اخر ما استقر عليه الممتزلة ، وهو اخر قولهم في هذه المسألة ، وهم يموهون على الناس فيقولون " اجمع المسلمون " ، " المتفق على حدوثها " ، " ولا خلاف في ذلك " . " ٣ "

فجاء الشيخ محمد عبده ، ونقل هذا عنهم ، وزعم ان عقله دله عليه وهداه اليه ، وادعى ان هذا غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ، وهو السنة ، وهو ما كان عليه النبي واصحابه ، وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

أقول : ان دعوى اتفاق العلماء ، واهل المذاهب على حدوث الكلام المسموع والمقروء ، باطلة . بل الحاصل تنازعهم في هذا ، والسلف على خلافه . واليك تقرير مذهبهم :

-
- ١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٠١) .
 - ٢ - انظر نفس الكتاب ونفس الصفحة .
 - ٣ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص (٦١) .
وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

يقول السلف ان كل من تكلم بكلام نسب هذا الكلام اليه ان كان هو
اول من ابتدأه ، وان جرى هذا الكلام على لسان غيره ، فتبقى نسبة الكلام اليه
حتى بعد مماته ، ولو رددته غيره بصوته وحركاته . وان من يسمع هذا الكلام
يقول انه كلام من ابتدأه لا من نقله وبلغه .

يقول شارح الطحاوية في هذا المعنى :

(والكلام كلام من قاله مبتدئا لا من قاله مبلغا ، ومن سمع
قائلا يقول : " قفا نهك من ذكرى حبيب ومنزل " . " ١ " قال : هذا شعر
امرى القيس .

ومن سمعه يقول " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرى ما نوى " . " ٢ " قال :
هذا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وان سمعه يقول : " الحمد لله رب
العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد و اياك نستعين " .
قال : هذا كلام الله . ان كان عنده خبر ذلك ، والا قال لا ادري كلام من
هذا ؟ ولو انكر طيه احد ذلك لكذب .

ولهذا من سمع من غيره نظما او نثرا ، يقول له : هذا كلام من ؟

هذا كلامك او كلام غيرك ؟ . " ٤ "

-
- ١ - عجز البيت : بسقط اللوى بين الدخول فحومل ، وهو من المعلقات العشر .
 - ٢ - الحديث متفق عليه ، روى بطريق التواتر ، من حديث عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ، وهو اول حديث في صحيح البخارى ، وفي الاربعين النووية ،
وتكلمته " فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ،
ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه " .
 - ٣ - سورة الفاتحة الايات (٢ - ٥) .
 - ٤ - شرح المفيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

ويقول شيخ الاسلام مؤكدا :

(اذا قرأ الناس كلام الله تعالى فالكلام في نفسه غير مخلوق اذا كان الله قد تكلم به . واذا قرأه المخلغ لم يخرج عن ان يكون كلام الله ، فان الكلام كلام من قاله مبتدئا امرا يأمر به او خبرا يخبره ليس هو كلام المخلغ له عن غيره ان ليس على الرسول الا البلاغ المبين .

واذا قرأه المخلغ فقد يشار اليه من حيث هو كلام الله فيقال : هذا كلام الله ، مع قطع النظر عما بلغه به العباده من صفاتهم ، وقد يشار الى نفس صفة العبده كحركته وحياته ، وقد يشار اليهما .

فالمشار اليه الاول غير مخلوق ، والمشار اليه الثاني مخلوق ،

والثالث : منه مخلوق ومنه غير مخلوق) . " ١ "

وحقيقة كلام الله الخارجية : هي (ما يسمع منه او من المخلغ عنه ، فاذا سمعه السامع علمه وحفظه . فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ ، فاذا قاله السامع فهو مقروء له مثلوه ، فاذا كتبه فهو مكتوب له مرسوم . وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه . والمجاز يصح نفيه فلا يصح ان يقال : ليس في المصحف كلام الله ، ولا : ما قرأ القارئ كلام الله) . " ٢ "

ويستشهد شارح الطحاوية بقوله تعالى : " وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " ٣ " فهو لا يسمع كلام الله من الله ، وانما يسمعه من مبلغه عن الله .

١ - انظر رسالة ابن حزم وموقفه من الالهيات و " صفة الكلام " في الباب الثاني ، نقلا عن كتاب مذهب السلف القويم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ،

(٣ : ٥٨ - ٥٩) .

٢ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٤ .

٣ - سورة التوبة اية (٦) .

قال الشارح : (والاية تدل على فساد قول من قال : ان المسيح
عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله ، فانه تعالى قال : " حتى يسمع كلام الله " ،
ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله . والاصل الحقيقة) . " ٢ "

ويذهب الشارح الى ان من قال : ان المكتوب في المصاحف عبارة عن
كلام الله ، او حكاية كلام الله ، وليس فيها كلام الله ، فقد خالف الكتاب والسنة
وسلف الامة وكفى بذلك ضلالا .

وليس ادل على ان الشيخ محمد عبده يحكي عين مذهب المعتزلة من
هذا الذي ذكرت . بل انه يقول كل ما ورد في نصوص الائمة والعلماء في قولهم
" غير مخلوق " " بغير مخلوق " . وقد يطلق بعض المعتزلة على القران انه غير
مخلوق ، ومرادهم انه غير مخلوق " ٣ " ، فهو ادعاء باطل . بل هو حق وصدق ،
ولا ريب ان هذا المعنى منتف باتفاق المسلمين . " ٤ "

===

-
- ١ - سورة التوبة اية (٦) .
 - ٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٤ .
 - ٣ - بمعنى : مفترى مكذوب .
 - ٤ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

ثالثا : المكتوب في المصاحف :

=====

والسلف ايضا يقررون ان ما هو مكتوب في المصاحف ، كلام الله غير مخلوق
ومثله المكتوب في التوراة الربانية والانجيل الرباني والزبور ايضا فكلها من كلام الله .
• حقيقة

وهذا ظاهر من كلام الامام ابي حنيفة النعمان رض الله عنه في الفقه
الاكبر ، فانه قال : (والقران في المصاحف مكتوب ، وفي القلوب محفوظ ،
وعلى اللسان مشرور ، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل ، ولفظنا بالقران
مخلوق ، والقران غير مخلوق) . " ١ "

وما في القران من مداد ، وخطوط واشارات وتشكيلات ، ورسومات ،
وورق وما يخرج من حروف الهجاء في الهواء ، وكل ما هو من كسب العبد وفعله
فمخلوق . وما ليس بفعله فغير مخلوق .

وهذا المعنى مفاير لمعنى قول القائل : فيه كلام الله . وفرق كبير بين
قولنا : المراد في المصحف بخط فلان وكتابته وقولنا فيه كلام الله ، ومن لم
يتنبه للفرق بين هذين الممنيين فقد ضل ولم يهتد للصواب . وكذلك الفرق بين
القراءة التي هي فعل القارئ ، والمشور الذي هو قول الباري .

" ٢ "

(ولو ان انسانا وجد في ورقة مكتوبا : " الا كل شي ما خلا الله باطل " .

١ - انظر شرح المقيدة الطحاوية ص ١٨٩ .
٢ - البيت من كلام لبيد بن ربيعة وتكلمته : وكل نعيم لا محالة زائل . -
الا نعيم الجنة . -

من خط كاتب معروف لقال : هذا من كلام " لبيد " حقيقة ، وهذا خط
فلان حقيقة ، وهذا كل شيء حقيقة ، وهذا خبر حقيقة ولا تشبه هذه الحقيقة
بالأخرى (١)

والدليل على ان ما كان من فعل العبد فهو مخلوق قول الرسول
صلى الله عليه وسلم " زينوا القرآن بأصواتكم " (٢)

ففيه ان لقراءة القرآن زينة ، وزينته الصوت العذب الحسن ،
الذى تخشع له النفوس ، وتوجل منه القلوب ، وتذرف منه العيون .

فصاحب الصوت الندى يضيف بصوته على القرآن زينة وحلاوة ، وكل
هذا مخلوق ، أما القرآن كلام الله فخير مخلوق .

وقد طلب الرسول عليه السلام من قارئ القرآن ان يرفع صوته به
ويحسنه ، وان يبكي وهو يقرأه ، فان لم يبكي يتباكى . وفعل القارئ هذا
كله مخلوق ، ونطقه وصوته بالقرآن غير القرآن . فكلام الله غير مخلوق ، وما
نسب الى العبد فمخلوق .

وهذه قاعدة شريفة ، وهي اصل من اصول الدين ، دل عليه
القرآن ، وايدته السنة ، وشهدت به الفطرة .

١ - شرح المقيدة الطحاوية ص ١٩٢ .

٢ - صحيح البخارى (٤ : ٢١٦) .

"تهيهه" :

=====

ليس في وسمي أن أتجاهل ما ذكره لي الاستاذ المشرف على

هذه الرسالة • "١"

فقد ذكر لي أن أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده "٢" • راجعه
في هذه المسألة • وذكر له كلام السلف • وطلب منه ان يرجع عن رأيه
هذا لكي تكون رسالة التوحيد • رسالة سلفية خالصة • فوافق الشيخ على
هذا • وأوصاه أن يحذف هذا الرأي في الطبعة الثانية • أو المقبلة •
ومقي على هذا الى أن أماته الله قبل أن تتحقق وصيته في حياته • فحقت
بعد موته • وتم حذف كلامه المخالف • أسأل الله له المغفرة •

١ - الاستاذ الدكتور : سليمان دنيا •

٢ - لعله يكون : الشيخ محمد رشيد رضا •

(٧٤٦) : السمع والبصر

=====

" مذهب الشيخ محمد عبده " :

=====

يذهب الشيخ محمد عبده الى انه ما ثبت لله تعالى بالنقل :

• صفة البصر ، وهي ما به تنكشف المصبرات •

• صفة السمع ، وهي ما به تنكشف المسموعات •

• فهو سبحانه السميع البصير •

قال الشيخ محمد عبده : (يجب على كل مسلم ان يعتقد ان

هذا الانكشاف للمصبرات والمسموعات ليس بالكسة جارحة ، ولا حذقة ولا باصرة) •

وفي شرحه على " العقائد العنصرية " : اثبت لله تعالى

صفتي السمع والبصر ، وبين مفهوم كل صفة فقال :

(والسميع من قام به صفة السمع ، والبصير من قام به صفة البصر) •

وفي اثباتهما قال :

ولما وجب ان يتصف بجميع صفات الكمال وجب ان يكون سميما

بصيرا (•

وايضا ، استدل على ثبوت هاتين الصفتين بما ورد من نصوص في القرآن الكريم

تفيد بصراحة ثبوت السمع والبصر لله تعالى •

وقرر الشيخ محمد عبده ان هاتين الصفتين مختابرتان للعلم ،

وليس معناهما العلم بالمسموعات ، والعلم بالمصبرات ، كما يقوله بعض الفلاسفة •

ورد على قول من قال : ان هاتين الصفتين ينكشف بهما المسعوم والمبصر

بعد حدوثه ، فقال :

(ان للواجب تعالى علم بالكائنات قبل وجودها على وجه ليس يساوى ادراك المحسوس بالحاسة ، وله ادراك لها بعد وجودها على وجه اجلى وارفع ، كما يحصل لنا من العلم بالشيء قبل رؤيته ، والعلم به بعد رؤيته ، اذ الثاني اعلى وارقى من الاول) . " ١ ")

ويقول :-

(هذا الادراك الاجلى ، والانكشاف الاعلى ، الذى يحصل للبارى ، بعد حدوث المحسوسات ، اما ان يكون حاصلا له قبل الحدوث ايضا ، او لا . على الثاني : هو نوع من الانكشاف اعلى واكمل ، فيكون للبارى تعالى كمال حادث ، ويكون بدونه ناقصا ، وهو محال . وايضا : اكملية الانكشاف ، اما تكون بكشف ما لم يكن منكشفا عند فقدان هذا الاكمل فيلزم الجهل عليه تعالى . وهو محال .

وان كان الاول : اى انه حاصل له قبل حدوث المحسوسات ، فليس الا تعلق الصفة الازلية ، وهي العلم بجميع الكائنات على الوجه الاكمل . اذ لا تفاوت بين ما هو مبصر او مسعوم وما هو معقول فيما هو قبل الوجود ، بل الكل معقول) .

ثم يضع الشيخ محمد عبده القاعدة الأساسية في هذه المسألة ، ويقول انها الأصوب للمسلم ، ويطلب منه أن يدقق الفكر ولا يلتفت لما هوس به الجهلة في هذا المقام .

فيقول :

(فالأصوب الرجوع الى أن يبدأ الانكشاف في الواجب شيء واحد متعلق

بجميع الأسماء على وجه لا يتصور ما هو أجل وأعلى منه ، ولا ضرورة الى تكثير ما ياديه ،
في ذاته تعالى ...

ومثل هذا يقال ، في المذوقات ، والمشويات ، والطموسات .

غايته . لا يصح اطلاق اسمائها على الباري تعالى .

لعدم ورود الشرح بها .

ولا يهام الفاظها الجسمية .

فدقق الفكر ، ولا تلتفت لما هوس به الجهلة ، في هذا المقام .

من التمشدق ، بالاضاع اللغوية والغالطات غير البرهانية (١٠) .

" توبيخ هذا المذهب " :

=====

لا شك أن الشيخ محمد عبده هذا مع أهل الأئمة قاطبة ، من أهل السنة
والجماعة من السلف والأئمة ، وأهل الحديث والفقهاء ، وأهل التصوف ، ومصنف
المفكرين من الصفاتية ، وطائفة من المعتزلة البصريين .

فهؤلاء جميعا يثبتون لله صفتي السمع والبصر ، والسمع والبصر من
أسمائه سبحانه ، وله سمع يسمع به ، وبصر يبصر به على نحو يليق بجلاله وكماله .

فهو معهم في بيان مفهوم السمع والبصر ، وفي إثباتهما .

وهو معهم في الرد على ما قالته بعض الطوائف من ان المراد بسمعه تعالى

وبصره مجرد العلم بما يسمع ويرى .

١ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٠٠) .

٢ - انظر : شرح المقيدة الاصفهانية ص (٧٣) .

ومعنى السميع والبصير عند السلف يمينه شارح العقيدة الواسطية

بقوله :

(ومعنى السميع : المدرك لجميع الاصوات مهما اخفتت فهو يسمع السر

والنجوى ، يسمع هو صفة لا يماثل اسماع خلقه .

ومعنى البصير : المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما

لظقت أو بعدت . فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار ، وهو من فعيل بمعنى

مفعل ، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه على الوجه الذى يليق به) " ١ "

وكان رد الشيخ محمد مجده في مطه ، على من ذكر ان سمعه وبصره

تعالى هما العلم بالمسموع والبصر ، لا ادراك الخرز غيره ،

والسلف وأهل السنة لهم طريقة أخرى في الرد على هؤلاء ، القائلين :

ان السمع والبصر اذا كانا غير العلم بالمسموع والبصر ، فهما تآثر الحاسة البصرية

والسمعية بالمسموع والبصر .

أو ادراك للنفس مشروط بهذا التأثير . ومثل ذلك مطال في حقه

تعالى " ٢ "

وليفي : سمعه وبصره اما قديمان فيلزم المسموع والبصر . ان سميع

وبصير بلا مسموع وبصير باطل .

فانما كان سمعه وبصره قد يمين لزم قدم المسموع والبصر وهو باطل .

واما ان يكون سمعه وبصره حادثين فيلزم قيام الحوادث بذاته ،

وهو باطل . ا . هـ

١ - شرح العقيدة الواسطية ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

٢ - انظر : الفرق بين الفرق ، للبغدادي ص ١٨١ .

وانظر : أصول الدين ، له ايضا ص ٩٦ ، الطبعة الاولى ، مطبعة

الدولة ، استانبول ١٣٤٦ / ١٩٢٨ م .

هي :

- ١ - ان صفاته تعالى مخالفة في الحقيقة لصفات الممكنات .
فان سلمنا ان السمع والبصر في الممكنات ما قالوه ، فلانسلم ان سميع
الله تعالى وبصره هو تأثير الحاسة بالمسموع والبصر .
 - ٢ - ان سميعه وبصره تعالى قديمان ، ولا يلزم قدم المسموع والبصر لأن
سمعه وبصره صفتان قديمتان لكل منهما عمل حادث .
فالبصر قديم بصره البصرات عند حدوثها ، والسمع قديم يسمع به
الاصوات عند حدوثها .
- أقول : لا شك ان ماورد من نصوص في القران وفي السنة انما يفيد
قطعا انه تعالى يسمع ويبصر .

- ولا شك ايضا ان الادراك السمعي والبصري مقياران للادراك العملي .
وهذا حقيقة قول السلف ، وايداه الشيخ محمد عبده .
فقد توصف لك مدينة " مكة المكرمة " فتدركها ادراكا عظيما فحسب .
ثم قد يهيا الله لك زيارة البيت العتيق ، فترى مكة ، فيحصل لك قطعا ادراك
آخر غير الادراك الأول وأجلى منه .

اذا علمنا ذلك . فهبل نحيل على الله تعالى السمع والبصر ، ونقول ما
ورد من السمع مثل قوله تعالى " وهو السميع العليم " " ١ " ، وقوله تعالى :
" انه بكل شيء بصير " " ٢ " ، وقوله تعالى " وهو السميع البصير " " ٣ "

-
- ١ - سورة البقرة اية (١٣٧) / سورة الانعام اية (١٣) / واية (١١٥)
/ سورة الانبياء اية (٤) / سورة العنكبوت اية (٥) واية (٦٠) .
 - ٢ - سورة الملك اية (١٩) .
 - ٣ - سورة الشورى اية (١١) .

بالعلم بالسموع والبصر ، لاستحالة ان يكون له تلك الحواس الجسمية • أو
نثبتهما له تعالى لورود النص بهما ، لكن مع الجزم بأنهما في حقه تعالى ليسا
بحاسة جسمية على نمط ما في الحوادث ؟؟

الراجع الثاني ، فقد جاء في الكتاب المبين الاخبار بأنه تعالى سميع
بصير • كما جاء فيه الاخبار بأنه تعالى عليم ، وتكرر كلاهما في الكتاب ، وليس
هناك ما يبرر تأويل السمع والبصر في حقه تعالى ، الا ما ذكره بعض الطوائف وقد
علمت بطلانه •

واذن ، فلا وجه لهذا التأويل ، بل يجب بقاء الصفتين على ظاهرهما ،
لكن مع الجزم بأنهما ليسا بحاستين جسميتين ، على نمط ما في الحوادث •
فالحق اذا ، مع السلف ، واهل السنة ، وهو ما ذهب اليه الشيخ
محمد عبده •

واليك بعض ما استدل به اهل الحق في حقهم :

- اولاً : من السمع • - بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة •
- ثانياً : العقل • - اذ العقل مؤيد للنقل ومؤازر له •

١ - الأدلة النقلية :

=====

وهي ما في الكتاب والسنة من آيات واحاديث وصفته تعالى بأنه سميع
بصير ، ولا يجوز ان يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى ، لان الله فرق بين العلم
وبين السمع والبصر ، كما فرق بين السمع وبين البصر • (وهو لا يفرق بين علم وعلم
لتنوع المعلومات) • " ١ "

أ : من القرآن الكريم :

=====

قال تعالى : " وأما ينزعك من الشيطان فرغ فاستعذ بالله انه هو

السميع العليم " ١ " .

وقال تعالى : " وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم " ٢ " .

وقال تعالى : " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي

الى الله والله يسمع تطوركما ان الله سميع بصير " ٣ " .

وقال تعالى : " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن

أغنياء " ٤ " .

وقال تعالى : " ام يحسبون اننا لا نسمع سرهم ونجواهم ابلى ورسلا

لديهم يكتبون " ٥ " .

وقال تعالى : " الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو

السميع العليم " ٦ " .

وقال تعالى : " الم يعلم بأن الله يرى " ٧ " .

ذكر الله تعالى فى هذه الايات سمعه لاقوالهم وورؤيته لافعالهم

وعلمه بأحوالهم (ليتناول باطن احوالهم) " ٨ " .

وقال لموسى وهارون : " اننى معكما أسمع وأرى " ٩ " .

١ - سورة الاعراف اية (٢٠٠) .

٢ - سورة البقرة اية (٢٢٧) .

٣ - سورة المجادلة اية (١) .

٤ - سورة ال عمران اية (١٨١) .

٥ - سورة الزخرف اية (٨٠) .

٦ - سورة الشعراء الايات (٢١٨ - ٢٢٠) .

٧ - سورة العلق اية (١٤) .

٨ - شرح المفيدة الاصفهانية ص ٧٤ .

٩ - سورة طه اية (٤٦) .

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ على المنبر قول الحق تعالى : " ان الله يأمركم ان تعودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعمًا يعظكم به ان الله كان سميعًا بصيرًا " ١ •
فوضع ابهامه على اذنه وسبابته على عينيه • " ٢ •
ولا ريب ان مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق •
فلو كان السمع والبصر هما العلم لم يصح ذلك • " ٣ •
قال الامام ابن القيم رحمه الله : (وانما وضع ابهامه على اذنيه
دفعًا لتوهم اى مفهوم) • " ٤ •
وقد بينت عند تعريف صفة العلم ان المعلومات ما شأنها ان تعلم •
سواء كانت واجبة او مستحيلة او ممكنة •
وهذا تمييز العلم عن السمع والبصر • لانها انما يتكشف بهم محسوسا
بعض المعلومات • وهي البصرات والمسموطات •
فلا يجوز ان يكون كل معلوم مسموط او بصريا • فثبت الفرق بين العلم
وبين السمع والبصر بالدليل وبالنظر •

ب : من السنة النهيية :-

=====

١ - روى ابن خزيمة قال : حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن وهب
قال : حدثنا عبي قال : حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثني

-
- ١ - سورة النساء اية (٥٨) •
 - ٢ - رواه ابو داود • / انظر شرح المقيدة الاصفهانية ص ٧٤ •
 - ٣ - انظر شرح المقيدة الاصفهانية ص ٧٤ •
 - ٤ - انظر مختصر الصواعق المرسله • لابن القيم (١ : ٧٢) •

عروة بن الزبير : " ان عائشة رضي الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم
حدثته انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله : هل أتى
عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما
لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني الى
ما أردت . فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وانا بقرن الثعالب ،
فرفعت رأسي فاذا بسحابة قد أظلمتني ، فلظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام
فنادى فقال : يا محمد : ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا
عليك ، وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال
فسلم علي ثم قال : يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وانا ملك
الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني أمرك ، وما شئت ، ان شئت ان اطبق
عليهم الأخشبين " ١ " فعلت .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله
من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا " ٢ "

٢ - روى ابن خزيمة ايضا حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال :
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فلما اقبلنا واشرفنا على
المدينة كهر الناس تكبيرة رفعوا بها اصواتهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : " ان ربكم ليس بأصم ولا غائب " .
وفي رواية ثانية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان ربكم
ليس بأصم ، انكم لا تدعون اصم ولا غائبا " .
وفي رواية الثالثة قال : " أيها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما
تدعون قريبا " ٣ .

- ١ - جيلان في مكة ، الاول : ابو قيس ، والثاني : الذي يقابله .
- ٢ - كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٤٨ ، والحديث متفق عليه .
- ٣ - انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٤٩ .

- ٣ - ومثله عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فجعلنا لا نصعد شرفا ، ولا نهبط في واد ، الا رفعنا اصواتنا بالتكبير ، فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم ما تدعون اصم ولا غائبا ، فانما تدعون سميعا بصيرا ، ان الذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته ، يا عبد الله بن قيس " ١ " الا علمك كلمة من كنوز الدنيا : " لا حول ولا قوة الا بالله " ٢ " .
- ٤ - خير عايشة رضي الله عنها " سبحان ربي وسبحه وسبح سمعه الأصوات " ان المجادلة " ٣ " تشكو الى النبي صلى الله عليه وسلم فيخفى علي بعض كلامها ، فأنزل الله " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها " .
- وفي رواية ثانية قالت : " سبحان من وسع سمعه الأصوات " ٤ " .
- هذه النصوص ، يفيد مجموعها ان الله سبحانه وتعالى يسمع ما يتكلمون ، ويبصرهم فهو ليس بأصم ولا غائبا ، ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير .

-
- ١ - هو راوى الحديث ابو موسى الاشعري رضي الله عنه .
 - ٢ - انظر صحيح البخاري . كتاب الدعوات ، باب " لا حول ولا قوة الا بالله " .
 - ٣ - هي خولة بنت ثعلبة .
 - ٤ - انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب لابن خزيمة ص ٤٥ . وانظر : مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٤٥٨) .

٢ - الأدلة العقلية :-

=====

ما سبق من الأدلة السمعية هو احدى الطرق التي اتبعتها الناس في اثبات كونه تعالى سميما بصيرا .

وقد سلك الناس طرقا اخرى غير طريق النقل في اثبات ذلك ، ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الاصفهانية " ١ " . وردها الى ثلاث طرق

هي :-

(الطريق الأول) :

=====

ان الله سبحانه وتعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف بضد ذلك وهو العمى والصمم ، كما قالوا مثل ذلك في الكلام .

وذلك لأن المصحح لكون الشيء سميما بصيرا متكلما هو الحياة ، فاذا انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك .

فالجملادات لا توصف بذلك لانقفاء الحياة فيها .

واذا كان المصحح هو الحياة كان الحي قابلا لذلك ، فان لم يتصف به

لزم اتصافه بأضداده بناء على ان المقابل للضدين لا يخلو من اتصافه بأحدهما .
اذ لو جاز خلو الموصوف عن جميع الصفات المتضادات لزم وجود عين لا صفة لها ، وهو وجود جوهر بلا عرض يقوم به .

وقد علم بالاضطرار امتناع هذا ، ولهذا أطبق العقلاء من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم على انكار زعم تجويز وجود جوهر خال عن جميع الاعراض ، وهو الذي يحكى عن قدماء الفلاسفة من تجويز وجود مادة خالية عن جميع الصور . " ٢ "

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٧٤ - ٨٨ .

٢ - نفس المرجع ص ٧٤ .

(الطريق الثاني) :

=====

لأهل النظر في اثبات السمع والبصر ان السمع والبصر من صفات الكمال
فان الحي السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير ، كما أن الموجود الحي
أكمل من موجود ليس بحيي ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم ،
وهذا معلوم بضرورة العقل .

وإذا كانت صفة فلولم يتصف الرب بها لكان ناقصا والله منزه عن كل نقص .
وكل كمال محض لا نقص فيه فهو جائز عليه ، وما كان جائزا عليه من
صفات الكمال فهو ثابت له ، فانه لو لم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غير
نفسه ، فيكون مفتقرا الى غيره في ثبوت الكمال له ، وهذا ممنوع اذا لم يتوقف
كمال الا على نفسه ، فيلزم من ثبوت نفسه ثبوت الكمال لها ، وكل ما ينزه عنه فانه
يستلزم نقصا يجب تنزيهه له .

وايضا فلولم يتصف بهذا الكمال لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل
منه . ومن المعلوم في بدائه المقول ان المخلوق لا يكون اكمل من الخالق .
ويبين ابن تيمية ان الله سبحانه وتعالى يجوز أن يستعمل في حقه
قياس الأولى ، كما جاء بذلك القران ، وهو الطريق التي كان يملكها السلف والائمة .
فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به ، وكل نقص ينزه عنه مخلوق
فالخالق أولى ان ينزه عنه . " ١ "

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٨٥ .
وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام (٦ : ٨٨) .

(الطريق الثالث) :

=====

ان نفى هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حي أو جماد وكل من انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ولا يخلقه ، ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعى كما قال الخليل " يا أيتها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفني عنك شيئا " ١ " وقال : " هل يسمعونكم اذ تدعون او ينصرونكم اذ يصرون " قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " ٢ " .

وقد طاب الله المشركين اذ يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يتكلم ، ولا يهتدى الى سواء السبيل ، ولا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . . .

قال تعالى : " واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا ليه خوارا لهم يقولون لا ينطقهم ولا يهديهم ولا يؤمنون بهم ولما خلدوا منه نورا عجابا لم يؤمنوا به " وقال تعالى : " فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي ، افلا يهتدون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا " ٣ " .

وهذا لانه من المستقر في الفطران ما لا يسمع ولا يبصر لا يكون ربا معبودا ، كما ان ما لا يفني شيئا ولا يهتدى ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا . . .

كذلك من المستقر في العقول ان ما لا يسمع ولا يبصر ناقص عن صفات الكمال ومن المعلوم بالفطرة ان الخالق اهدى عن هذه النقائص والعيوب من كل ما يفني عنه ،

-
- ١ - سورة مريم آية (٤٢) .
 - ٢ - سورة الشعراء الايات (٧٢ - ٧٤) .
 - ٣ - سورة الاعراف آية (١٤٨) .
 - ٤ - سورة طه الايات (٨٨ - ٨٩) .

وان اتصافه بهذه العيوب من اعظم المقتنعات * ١ *
واختتم الكلام هنا بما اثاره بعض العلماء ، وعلق عليه الشيخ محمد عبده
في شرحه على " العقائد المضدية " ، وهو : هل لله تعالى ادراك الملموسات
والمشهورات والمدقوقات ؟

ولعل الذى اثار هذه المسألة هو ماورد في الكتاب الجمين في انه تعالى
سميع بصير . فهو اذا يدرك المسموعات والمصرات ، فهل له ان يدرك بقبسة
المحسوسات ؟

١ - ذهب القاضي ابوبكر الباقلاني ، وامام الحرمين واتباعهما الى ان له تعالى
ادراكا يدرك به المشهورات ، وادراكا يدرك به المدقوقات ، وادراكا يدرك
به الملموسات .

واستدلوا على ذلك بان هذه الادراكات كلمات يصح ان يتصف بها كل حي
، فاذا لم يتصف بها الله تعالى اتصف بضمها وهو نقص محال عليه تعالى .

٢ - وذهب فريق آخر الى نفي الادراكات الخاصة عنه تعالى .
واستدلوا على ذلك ، بان لهذه الادراكات لوازم لا تنفك عنها ، كاتصال
المدرک بهذه المدرکات والانفعال بها لذة أو ألما وكل ذلك محال على
الله تعالى .

٣ - وذهب فريق ثالث الى أنه يجب التوقف في هذا الموضوع . اى لا ندرى
اله تعالى تلك الادراكات ام لا .

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٨٧ .
وانظر مجموع الفتاوى (٦ : ٨٩) .

وقالوا : ان ادلة الفريقين متعارضة ، والمتمتع في أمثال هذه الصفات هو السمع ولم يرد نقل بهذه الادراكات .
ويرى الاستاذ محمد يوسف الشيخ رحمه الله أن الحق الذي لا مريسة فيه أن اثبات هذه الادراكات الثلاثة على نمط ما هو معروف في الحوادث .
محال .
ونفي الادراك بها مطلقا محال . لأن فيه جهالة بها ، فلم يبق إلا ادراكها على وجه لا يستلزم محلا ، وذلك مما يجب له تعالى .
والأ لزم الجهل .
أما البحث في أن هذا الادراك مغاير للملم أو هو نفس العلم فالبحث عنه بحث لا ينتهي الى فائدة . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . " ١ "

الصفات الخيرية

=====

تمهيد :

=====

لكي نعرف مذهب الشيخ " محمد عبده " في الصفات الخيرية ،
فاني أرى أن أعرض باختصار مجمل آراء الفرق الاسلامية فيما جاء في نصوص القران
الكريم أو السنة الشريفة مما يفيد بظاهره مماثلة الله للحوادث والممكنات .

لقد اجتمعت الامة الاسلامية على ان الله تعالى منزه عن مشابهة
المخلوقات وقد ثبت ذلك بما لا يدع مجالاً للظن ، وقد قام البرهان من النقل
والمقل على هذا .

فالمماثلة بين الواجب والممكن منفية سواء كانت في الذات أو في الصفات
قال تعالى " ليس كمثل شي " ١ " .

فاذا كان هذا التنزيه حقا هو ما يؤمن به السلف واهل السنة ،
والمعتزلة ، واهل الحق جميعا ، تلبية لهذا النص المحكم " ليس كمثل شي " ،
فماذا نفهم فيما جاء في الكتاب والسنة مما يفيد بظاهره مماثلة الله للحوادث
والممكنات ؟

أقول : جاء في الكتاب المبين أنه تعالى مستوعب العرش :
قال تعالى : " الرحمن على العرش استوى " ٢ " .

كما جاء فيه أيضا إثبات الاستواء للحوادث والممكنات :

١ - سورة الشورى اية (١١) .

٢ - سورة طه اية (٥) .

- قال تعالى : " واستوت على الجودي " ١
- وقال تعالى : " فاذا استويت انت ومن معك على القلک " ٢
- وجاء في الكتاب أيضا اضافة الوجه اليه تعالى :
- قال تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " ٣
- وقال تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " ٤
- كما جاء فيه أيضا اضافة الوجه الى الحوادث :
- قال تعالى : " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة " ٥
- وقال تعالى : " فويل وجهك شطر المسجد الحرام " ٦
- كما جاء أيضا اضافة اليد اليه تعالى :
- قال تعالى : " يد الله فوق أيديهم " ٧
- وقال تعالى : " ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي " ٨
- وقال تعالى : " والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " ٩

-
- ١ - سورة هود اية (٤٤) .
 - ٢ - سورة المؤمنون اية (٢٨) .
 - ٣ - سورة الرحمن اية (٢٧) .
 - ٤ - سورة القصص اية (٨٨) .
 - ٥ - سورة عيسى الايات (٣٨ - ٣٩) .
 - ٦ - سورة البقرة اية (١٤٤) .
 - ٧ - سورة الفتح اية (١٠) .
 - ٨ - سورة ص اية (٧٥) .
 - ٩ - سورة الزمر اية (٦٧) .

كما اضاف اليد الى الحواشي :

قال تعالى : " فوق ايديهم " ١

وقال تعالى : " غلت ايديهم " ٢

وجاء ايضا اضافة الميمين اليه تعالى :

قال تعالى : " تجرى بأعيننا " ٣

وقال تعالى : " ولتضع على عيني " ٤

كما اضاف العين الى الحواشي :

قال تعالى : " ألم نجعل له عينين " ٥

وجاء في الكتاب ايضا اضافة الجنب اليه تعالى :

قال تعالى : " يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله " ٦

كما اضاف الجنب الى الحواشي :

قال تعالى : " الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم " ٧

وقال تعالى : " والصاحب بالجنب " ٨

وجاء في السنة اضافة الاصبح اليه تعالى :

-
- ١ - سورة المائدة اية (٦٤)
 - ٢ - سورة القمر اية (١٤)
 - ٣ - سورة طه اية (٣٩)
 - ٤ - سورة البلد اية (٨)
 - ٥ - سورة الزمر اية (٥٦)
 - ٦ - سورة الزمر اية (٥٦)
 - ٧ - سورة ال عمران اية (١٩١)
 - ٨ - سورة النساء اية (٣٦)

قال صلى الله عليه وسلم : " ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الله

عز وجل " ١ " .

وفي رواية اخرى : " ان قلوب العباد كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن

قلب واحد . . . " الى اخر الحديث .

ان العلماء في الجواب عن هذا فريقان :

أ : فريق كيس يخش الزلل فيؤمن بما جاء به الكتاب والسنة مقتنعا بالتنزيه

وحده ، دون استظهار للمراد ويبحث عنه وتعرف عليه :

قال تعالى : " والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا " ٢ " .

بل ذلك المراد مما استأثر الله بعلمه :

قال تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله " ٣ " .

مع العلم بأن الله يعلمنا بضمون كلامه ما نستفيد به في دنيانا " ،

ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ، وبصورها لمخيلاتنا .

وهذا هو مذهب علماء السلف وأئمتهم ، فقد قالها الامام مالك كلمة

جامعة وترجمة صادقة لهذا المنهج الناصح : (الاستواء معلوم والكيف

مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) " ٤ " .

١ - انظر صحيح مسلم (٤ : ٢٠٤٥) / كتاب التوحيد لابن خزيمة ص

٨١ / والمستدرک للحاکم (٤ : ٣٢١) / سنن الترمذی (٤ : ٤٤٨)

/ سنن ابن ماجه (١ : ٧٣) / ومسند الامام احمد (٢ : ١٦٨) .

٢ - سورة ال عمران آية (٧) .

٣ - سورة ال عمران آية (٧) .

٤ - انظر كتاب نفس المنطق لابن تيمية ، ص ٣ ، الطبعة الأولى

وروى عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن " ١ " شيخ مالك ، رحمهما الله ،
لما سئل عن قوله تعالى : " الرحمن على العرش استوى " . " ٢ " قال :
الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله تعالى الرسالة
وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغ وطينا التصديق . " ٣ "
وجاء بعد الامام مالك شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، وتلميذه ابن القيم
الجوزية " ٤ " ليقررا مذهب السلف في تفصيل وايضاح . " ٥ "
يقول ابن القيم رحمه الله :

(تنازع الناس في كثير من الأحكام ، ولم يتنازعا في آيات الصفات

واخبارها في موضع واحد .

بل اتفق الصحابة والتابعون على اقرارها وامرارها مع فهم معانيها

-
- ١ - المعروف بريبعة اللأى ، او أبو عثمان ربيعة بن ابي عبد الرحمن ، ادرك
جماعة من الصحابة وعنه اخذ مالك بن انس ، كان ققيه اهل المدينة . قال
عنه مالك : ذهبت حلوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي . توفي سنة ١٣٦ هـ .
انظر : وفيات الاعيان (٢ : ٢٨٨) / وميزان الاعتدال (٢ : ٤٤)
وشذرات الذهب (١ : ١٩٤) .
 - ٢ - سورة طه اية (٥) .
 - ٣ - انظر : شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٣٢ .
 - ٤ - اسم المدرسة التي كان يعمل فيها والد الامام ابن القيم .
 - ٥ - انظر مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣ : ١٥) وما بعدها .
وانظر مجمل اعتقاد السلف ص ٤٧ وما بعدها . - المسمى بالرسالة
التدمرية .

وابتات حقائقها ، وهذا يدل على أنها اعظم النوعين بياناً ، وأن العناية بها أهم ، لأنها من تمام تحقيق الشهاداتتين واثباتها من لوازم التوحيد ، فبينها الله ورسوله بياناً شافياً لا يقع فيه لبس للراسخين في العلم .

وايات الاحكام لا يكاد يفهم معناها الا الخاصة من الناس ، وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام . أعنى فهم اصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية) . " ١ " .

ب : وفريق آخر ، وهم المعتزلة ومن شايعهم ابوا ان يفتوا هذا الموقف ، بل حددوا ما جاء في هذه الايات والاحاديث بمفاهيم لا يمتنع عقلاً وصف الله بها ، وقالوا :

ان مثل هذه الايات من الكتاب ، وهذه الاحاديث من السنة جاءت كما جاء غيرها بلسان عربي مبين .

فاذا كان ظاهرها المعهود في الحوادث والممكنات متنعاً في جانب الله تعالى ، فهناك المجاز والكناية في اساليب العرب وكلامهم ، وهناك علوم البلاغة والبيان قد فصلت فيها قواعد المجاز والكناية اوضح تفصيل . وهناك محاورات العرب ومساجلاتهم في مثل هذه المعاني وتلك الشؤون . فلنسترشد بكل اولئك في بيان المراد من هذه الايات والاحاديث . " ٢ " .

١ - مختصر الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة (١ : ٢١) .

٢ - انظر : مقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين ، للاشمري ، تحقيق محمد

محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، مكتبة

النهضة المصرية (١ : ٢٣٥) .

وانظر : اساس التقديس في علم الكلام ، للرازي ، مطبعة

مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ص ١٤٠ .

وبعبارة أخرى أقول :

ان هذا الفريق هو الذي يسميه البعض " بالخلف " ، أو أهل

الكلام . وهؤلاء عمدوا الى الأخذ بالتأويل فهم يقولون :

ان قواعد الدين الاسلامي وضمت على أساس العقل ، فلا يخرج

شيء منها عن المعقول . فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه ، ويكون

الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بد له من معنى

موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

ج : ولا يفوتني أن أنبه الى فريق ثالث من الناس اثبت هذا الصنف من الآيات

والاحاديث ، لله تعالى ، على نمطا في الحوادث والممكنات .

فله تعالى وجه كوجهنا ، ويد كأيدينا ، وعين كأعيننا ، وجنسب

كجنسنا واصبع ، وقدم ، وساق كالتي للبشر وهؤلاء هم المشبهة

قبهم الله . " ١ "

وقد رد الطحاوي على هؤلاء بقوله :

(وتعالى عن الحدود والغايات والاركان والاعضاء والادوات) .

قال الشارح :

والشيخ رحمه الله أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة كداود الجوارسي

وامثاله ، القائلين : ان الله جسم ، وانه جثة واعضاء ، وغير ذلك ، .

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . " ٢ "

(موقف الشيخ محمد عبده) :

=====
قلت فيما مضى ان الشيخ محمد عبده

صاحب مذهب مستقل ، يسير وراء عقله وفكره ، فهو سلفي ومتكلم وفيلسوف ، وهو صوفي ، وثائر ، ومدافع ، ومهادن ، لا يثبت على مذهب معين ، ولا يسير في طريق واحد ،

وهنا اراد ان يصطاد عصفورين بحجر واحد ، فهو يريد ان يجمع بين سنتين طريقة السلف ومن خالفهم ، وبين تفويض السلف وتأويل الخلف ، وليس ادل على ذلك من قوله :

(وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق باللله

تمالي وصفاته وعالم الغيب .

واننا نسير في فهم الايات على كلا الطريقتين ، لانه لا بد للكلام من

فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) .

ويظهر لي ان الشيخ محمد عبده غير محق فيما ذهب اليه ، فكان

معني كلامه ان طريقة السلف ناقصة لا تكمل الا بالتأويل .

وايضا لا يمكن الجمع بين طريقة السلف ، وطريقة المأولين ، لانهما

في نظري خطان لا يلتقيان ، بل السلف وهم اهل التسليم لله والتفويض ،

يعيرون على اهل الطريق الثاني الذين يقولون بالتأويل .

فيقولون : ان هذا التحديد الذي ذهب اليه المأولون لمعنى الاستواء

بالاستيلاء ، ووجه الله بذاته ، ويد الله بقدرته او بنعمته ... الى آخر

ما ورد ، جرأة لا تحمد عقباها .

وقالوا ايضا : ان هذا التحديد مهما ظاهرتة اساليب العرب ،

ومخاوراتهم ، ومهما اجازته قواعد وقوانين البلاغة ما هي الا ظنون ليس هذا مقامها .

وان الدلالات المجازية انما تفيد الظن فحسب ، والقام هنا مقدم العلم واليقين ،
فلا مكان للظن والتخمين " وان الظن لا يفني من الحق شيئا " . " ١ " .
ثم ان طريق السلف ، ومنهجهم في فهم الايات والاحاديث واضح تماما
ولا يمكن الجمع بينه وبين طريق المعتزلة ومن شايعهم . وهو مما يفهمه الناس ،
وتتحقق منه الفائدة ، فلا داعي يدعوا الى التأويل وغيره ما دامت النصوص قد
فهمت .

هذا من ناحية ، ومن لآحية اخرى فان الشيخ محمد عبده لم يكن
محقا في قوله : وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض . . . الخ
والحق انه كان يسير على طريقة اهل التأويل في الصفات الخبرية .
يدل على هذا قوله في كتاب : " الاسلام والرد على منتقديه " تحت عنوان
" التوحيد " .

قال : (وما ورد من الفاظ الوجه واليدين والاستواء ونحوها له معان
عرفها العرب المخاطبون بالكتاب ، ولم يشتهروا في شيء منها) وان ذاته
وصفاته يستحيل ان تبرز في جسد أو روح أحد من العالمين) . " ٢ " .

ويدل عليه أيضا : رأيه الصريح في بعض أمور الغيب مما يكون بعد

الموت .

المخالف لطريقة السلف ، والمتناقض مع قوله : وانا على طريقة السلف . . . الخ

وسأبين هذا في موضعه في الباب الرابع باذن الله تعالى .

-
- ١ - سورة النجم اية (٢٨) .
 - ٢ - انظر الدين الاسلامي ، أو الاسلام والرد على منتقديه ، ضمن الأعمال
الكاملة (٣ : ٤٤٠) .

هذا ما بدا لي ، ولعله هو المصواب .
وانا كان لا بد من التوفيق فاني اقول : قد يفهم من كلام الشيخ
محمد عبده أن التأويل ليس عقيدة له ، ولا مهذا يتمسك به ويدعو اليه وانما
عقيدته التي يطمئن لها قلبه ، ويستقر عليها جنانه هي عقيدة السلف رضوان الله
عليهم ، فهي الاحق بالقبول ، وطريقتهم هي الاولى بالاتباع ، وان اولى الناس
بقبولها والتمسك بها هم العلماء ، وان العلماء هم ورثة الانبياء

ولكن الشيخ محمد عبده يرى ان العالم ، والعلماء معرضون
للاسئلة والمناقشة والمقابلة من الناس ممن تختلف درجاتهم في العلم والمعرفة ،
ويتفاوتون في الذكاء . فيجدون انفسهم احيانا مضطرين الى ان يخرجوا قليلا عن
مهذا السلف في التفهيم . لان مهذا السلف انما يطمئن قوى الايمان ، الذي عنده
نوع من التفويض والتسليم لله عز وجل .

اما ضعيف الايمان ، او المتشككون ممن يهزهم هصر العلم فانهم
يحتاجون الى شيء يدخل في مجال وضمن دائرة افهامهم ، بتمبير ما لوف عندهم
تقبله عقولهم ، وطريقة الخلف - من وجهة نظر الشيخ محمد عبده - تفي بهذا
الغرض والله اعلم .

وفي نظري ان الشيخ محمد عبده ان لم يرد هذا الذي قلت ، فهو
مخطأ ، اذ لا يمكن الجمع بين الطريقتين .

وايضا : فلا داعي يدعو الى التأويل ، وليس مهما ان يفهم الناس
المنحرفون اذا كان هذا يؤدي الى خروج عن الحق ، والحق احق ان يتبع سواء
فهمه الناس او لم يفهموه ، لان العلة حينئذ فيهم ، والمرض آت من وجهتهم ،
وما هي الا حجب الفطرة التي ابعدهم عن الحق ، فاذا زالت تنبهوا فمرفوا الحق
فاتبعوه " فطرة الله التي فطر الناس عليها " . " ١ "

وحتى يتبين الحق ، ونعلمه ، أرى أن القلي نظرة خاطفة على موقف
السلف من التأويل ، ومنهجهم في الصفات الخبرية ، ثم أتعرض لأهم ما اشتهر
منها ، وأبين مذهبهم فيها ، وذلك يرتفع الشك ، ويزول الالتباس ،
وتعود الفطرة الى ما فطرت عليه .

موقف السلف من التأويل :

=====

لقد طالع السلف رضوان الله عليهم قضية التأويل علاجاً ناجماً ،
معتددين في ذلك على أساس من القرآن والسنة . فما اتفق مع الوحي اقروه ونهوها
اليه ، وما لم يتفق نهذوه مهما كان مصدره .

فهم يرون أن التأويل بالمعنى الذي عرف واشتهر عند المتأخرين من
المتكلمين ، والأصوليين ، والفلاسفة ، لم يكن معروفاً عند الصحابة والتابعين ومن
تبهمهم ، وهو :

صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى آخر يحتمله اللفظ للدليل يقترب به
مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي . " ١ "

لذلك نرى شيخ الاسلام ومن تبعه ، يركزون على دحض التأويل بهذا
المعنى بالأدلة الدامغة ، والبراهين القاطعة ، ويشددون القول في الانكار عليه .
ويذهبون الى ان المعروف من معاني التأويل عند السلف معنيان :

١ - انظر مجموع الفتاوى (٢ : ٣٥) ، وانظر كتاب : في العقيدة الاسلامية
بين السلفية والمعتزلة (١ : ٧١) نقلاً عن ابن الاثير في : النهاية
في غريب الحديث (١ : ٨٠) .
وعن ابن رشد في : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٨ .

(الاول) : التأويل بمعنى الحقيقة الخارجية ، والأثر الواقعي المحسوس

لمدلول الكلمة .

اذا الكلام نوطان :

انشاء ، وخبر .

أما الانشاء : فالتأويل فيه أمرا كان أو نهيا هو في الأمر فعمل

المأمور به .

وفي النهي : ترك المنهي عنه .

مثال ذلك :

قول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول في ركوعه وسجوده " سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لي " يتأول

القران . " ١ "

وأما الاخبار : فهو نفس الحقيقة المخبر عنها الموجودة في الخارج .

وهذا يشتمل على اخبار الله عن امور الغيب كالبعث والقيامة والحساب

والميزان ، والصراط . . . الى آخر ما يكون بعد الموت .

ومن هذا النوع الكلام في الصفات . وهذا لا يعلم حقيقته كيف الا

الله عز وجل ، وصدق الله " وما يعلم تأويله الا الله " . " ٢ "

(الثاني) التأويل بمعنى التفسير والبيان ، وهو اصطلاح قدامى المفسرين " ٣ "

١ - متفق عليه ، أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في

الركوع والسجود ، (٢ : ٥٠) ، وفي صحيح البخاري (٢ : ١٥٦) .

٢ - سورة ال عمران اية (٧) .

٣ - كابن جرير الطبري في تفسيره في كل اجزائه .

وأهل الفقه والحديث ، وهو الذي استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم حين دعا لعبد الله بن عباس " ١ " فقال : " اللهم فقهه في الدين وطمه التأويل " .

ولذلك لما كان ابن عباس يقرأ قوله تعالى : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به " ٢ " .

كان يقول : " أنا ممن يعلم تأويله " ، أي تفسيره وسيانته " ٣ " يتضح من هذا ان السلف كانوا يفهمون التأويل بهذا المعنى ، وهو

التفسير المطلوب المحمود ، وما عداه غير جائز في القران والسنة .

ويرى ابن تيمية : ان التأويل بهذا المعنى ، هو الذي سار عليه

السلف ، لانه لا بد من فهم كلام الله ، وفهم ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم .

واستشهد على ذلك بقول مجاهد : " عرضت المصحف على ابن عباس

من فاتحته الى خاتمته ، أقف عند كل آية وأسأله عنها " .

١ - عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم ، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقه والحكمة في الدين ،

وكان يقال له جده هذه الامة . كان عمر بن الخطاب يقره مع الصحابة

تقدمه لساد رأيه ومبلغ علمه ، تولى الامارة على البصرة في عهد علي ثم

أقصى آخر أيامه في الطائف ومات فيها سنة ٦٨ هـ .

انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٢ : ٣٣٠) .

٢ - سورة ال عمران آية (٧) .

٣ - انظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٧٢ ، ٨٠) .

ومجموع الفتاوى (١٧ : ٣٦٧ - ٣٧٠) .

وقال ابن مسعود : " ما في كتاب الله اية الا وأنا أعلم فيما نزلت " .
وقال الحسن البصري : " ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم ما أراد
الله بها " .

وقال الشامي : " ما ابتدع قوم بدعة الا في كتاب الله بيانها " .
ونخص من ذلك كله الى ان السلف رضي الله عنهم فهموا ما في القرآن ،
من غير التأويل المعروف - وفسروه ، وبيّنوه للناس .
كما بينوا ، وبرهنوا على ان كلام الله لا يتعارض بحال مع العقل
السليم ، والفطرة الصحيحة ، وكتب شيخ الاسلام : موافقة صحيح المنقول لصريح
المقول ، او دور تناقض العقل والنقل وناقش من يدعون التعارض بين العقل
والنقل ، ونقد المأولين وقال في تفسير سورة الاخلاص :
" والعقل الصريح دائما موافق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا
يخالفه قط ، فان الميزان مع الكتاب والله انزل الكتاب بالحق والميزان . لكن
قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته
وحاروا فيه لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه " .

فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمحيرات العقول ، ولا تخبر بمحالات

العقول " . " ١ " .

والآن . وبعد أن عرضت لك المنهج السلفي الذي تفهم في ضوءه
الصفات الخيرية ، أرى أن أوضح لك مذهبهم في بعض ما اشتهر من هذه
الصفات ، ودار حوله جدل طويل بين السلف والخلف ، تطبيقا لهذا المنهج ،
حتى يكتمل البحث ، وتتجلى الحقيقة .

١ - انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٨٢)
نقلا عن شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص ، المطبعة المحمدية بالقاهرة
ص ١٥٥ .

وسأعرض نماذج منها فيما يأتي : " ١ "

- ١ — ما يوهم الجهة والمكان ، كالاتواء والنزول .
- ٢ — ما يوهم نسبة الاعضاء لله تعالى ، كالوجه ، واليمين ، واليد ،
والعناق ، والقدم ، الخ
- ٣ — ما يوهم انه تعالى يتفصل بانفعالات وعواطف كالعجبة والكراهية والبغض .

١ — انظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والامتزلة (١ : ٣١٨) .

١ - ما يوهم كونه تعالى في جهة :

=====

• أ : الاستواء

• ب : النزول

أ : الاستواء

=====

مذهب السلف :

===== مذهب السلف في الاستواء ان الله تعالى مستوعب عرشه

بذاته حقيقة استواء يليق بجلاله ، وكماله •

وينفي السلف ان يكون معنى الاستواء القعود ، والتماسة ، أو أى معنى

آخر يوجب حدوثه •

• وليس معناه أيضا : الاستيلاء • كما يقول أهل التأويل

• وحقيقة الاستواء عند السلف ، العلو والارتفاع •

• فان فعل الاستواء اذا عدى بالحرف " على " لا يفهم منه الا ذلك •

ولهذا روى البخارى عن ابي العالىة ، ومجاهد تفسير الاستواء بالعلو

• والارتفاع

ورد السلف على أهل التأويل بأن الله سبحانه اخبر عن استوائه على عرشه

في سبعة مواضع من القرآن الكريم ، وكلها جاءت بلفظ " استوى " ، مما يدل اعظم

• دلالة على انه تعالى اراد بالاستواء حقيقة معناه الذى هو العلو والارتفاع •

- ١ - قال تعالى : " ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ١ "
 - ٢ - قال تعالى : " ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ٢ "
 - ٣ - قال تعالى : " الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش " ٠ " ٣ "
 - ٤ - قال تعالى : " الرحمن على العرش استوى " ٠ " ٤ "
 - ٥ - قال تعالى : " الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ٥ "
 - ٦ - قال تعالى : " الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ٦ "
 - ٧ - قال تعالى : " هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ٧ "
- وبعد ان ذكر صاحب " اضاء البيان " ^{" ٨ "} هذه الايات وسين ما تشتمل

-
- ١ - سورة الاعراف اية (٥٤) ٠
 - ٢ - سورة يونس اية (٣) ٠
 - ٣ - سورة الرعد اية (٢) ٠
 - ٤ - سورة طه اية (٥) ٠
 - ٥ - سورة الفرقان اية (٥٩) ٠
 - ٦ - سورة السجدة اية (٤) ٠
 - ٧ - سورة الحديد اية (٤) ٠
 - ٨ - الشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله ، صاحب كتاب : اضاء البيان في تفسير القران بالقران ٠

عليه من تمدح الرب تعالى بقلك الصفات التي لا تليق الا به ، اتهم من ينفي
بعض صفات الله بالتأويل ، " بالجهل والهوس " فقال :
(فالشاهد ان هذه الصفة التي يظن الجاهلون انها صفة نقص ،
ويتهجمون على رب السموات والارض بأنه وصف نفسه بصفة نقص ، ثم يسببون عن
هذا ان ينقوها ، ويؤولوها مع ان الله جل وعلا تمدح بها وجعلها من صفات الجلال
والكمال مقرونة بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال ، وهذا يدل على جهل
وهوس من ينفي بعض صفات الله جل وعلا بالتأويل) . " ١ "

وايضا : فالاحاديث الواردة في ذكر استوائه تعالى على العرش

كثيره " ٢ " اذكر بعضها بعد قليل باذن الله ،

ومما استدل به السلف الايات السبعة الواردة في القرآن الكريم ،

التي تفيد معنى العلو والارتفاع .

ووجه الاستدلال هو ان استواء الخالق على العرش جاء في جميع

هذه الايات مقيدا بحرف الجر " على " .

وانا قيد بهذا الحرف فلا يحتمل الاستواء من المعاني الا العلو

والارتفاع وما في معناه .

ولا يكون الاستواء بمعنى الانتهاء الا اذا جاء مطلقا .

١ - منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ص ١٧ .

٢ - انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص (١٠١ - ١١٥) / وشرح الاصفهانية

ص ٢٨ .

وانظر كتاب : حادي الارواح الى بلاد الافراح ، لابن القيم ، تصحيح محمود

حسن ربيع الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م ، مطبعة محمد طسي

صبيح واولاده ص (٢٤٠ - ٢٤٥) .

يقول الامام ابن القيم :

(ان لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم ،

وأنزل بها كلامه نوحان :

مطلق ، ومقيد .

فالمطلق : ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله " ولما بلغ أشده واستوى ")

وهذا معناه كمل وتم .

وأما المقيد فثلاثة أضرب :

(احدها) : مقيد " بالى " كقوله تعالى : " ثم استوى إلى السماء " ،

واستوى فلان إلى السطح وإلى الخرفة ، وقد ذكر الله سبحانه هذا المعنى

" بالى " في موضعين من كتابه في البقرة وفي سورة فصلت .

١ - قال تعالى : " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى

السماء " . " ٢ "

٢ - قال تعالى : " ثم استوى إلى السماء وهي دخان " . " ٣ "

وهذا بمعنى العلو والارتفاع باجماع السلف .

(الثاني) : مقيد " بحلى " كقوله تعالى : " لتستووا على ظهوره " . " ٤ "

وقوله تعالى : " واستوت على الجودي " . " ٥ "

وقوله تعالى : " فاستوى على سوقه " . " ٦ "

١ - سورة القصص آية (١٤) .

٢ - سورة البقرة آية (٢٩) .

٣ - سورة فصلت آية (١١) .

٤ - سورة الزخرف آية (١٣) .

٥ - سورة هود آية (٤٤) .

٦ - سورة الفتح آية (٢٩) .

- وهذا ايضا معناه الملو والارتفاع والاعتدال باجماع أهل اللغة •
- (الثالث) : المقرون بواو " مع " " ١ " التي تمدى الفعل الى المفعول معه •
- نحو : استوى الماء والخشبة ، بمعنى ساواها •
- وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ، وليس فيها معنى
- " استولى " البتة • ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وإنما
- قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية (" ٢ ")
- يؤيد هذا الذي ذهب اليه الامام ابن القيم - أحد تلاميذ مدرسة
- السلف - ما أورده الحافظ محمد بن اسحق بن خزيمة من نصوص قرآنية •
- واحاديث نبوية دلت على علو الله عز وجل في السماء ، وارتفاعه فوق العرش •
- وانه فوق ملائكته ، وفوق ما في السموات وما في الارض مما خلق الله • " ٣ "
- قال تعالى : " أأنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي
- تمور ، أم أنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
- فستعلمون كيف نذير " • " ٤ "
- وقال تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " • " ٥ "
- وقال تعالى : " يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي " • " ٦ "
- وقال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده " • " ٧ "

-
- ١ - المشتهرة بواو المعية •
 - ٢ - مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والممطللة ، مختصر الموصلي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، (٢ : ٣٢٠) •
 - ٣ - انظر كتاب التوحيد ص (١١٠ - ١٢٥) •
 - ٤ - سورة الملك الايات (١٦ - ١٧) •
 - ٥ - سورة فاطر اية (١٠) •
 - ٦ - سورة ال عمران اية (٥٥) •
 - ٧ - سورة الانعام اية (١٨) •

وقال تعالى : " ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة
وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " . " ١ "

قال ابن خزيمة : (والايات في هذا كثيرة فسيحان ربي الأعلى) .

ومن الاحاديث :

١ — حديث الجارية التي قالت للرسول صلى الله عليه وسلم : (الله
في السماء) ، وقالت له (أنت رسول الله) .
روى مسلم بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : كانت
لي جارية ترضع غنما لي قهل " أحد " ، فاطلمت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب
بشاة من غنمها وانا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون ، لكني صككتها صكة ،
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي .
قلت : يا رسول الله : أفلا اعتقها ، قال : اتعتني بها ،
فأتيتها بها فقال لها : " أين الله " ؟ قالت في السماء ، قال : " من
أنا " ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : " اعتقها
فانها مؤمنة " . " ٢ "

-
- ١ — سورة النحل آية (٥٠) .
 - ٢ — انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص (١٢١ — ١٢٥) ، وشرح العقيدة
الواسطية ص ٨٨ ، وصحيح مسلم (١ : ٣٨١ — ٣٨٢) ،
ومسند احمد (٢ : ٢٩١) ، وسنن الدارمي (٢ : ١٨٧) ،
وموطأ الامام مالك (٢ : ٧٧٦ — ٧٧٧) .

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟

قالوا : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون " ١ " .

والاحاديث في هذا الباب كثيرة ، يفهم منها ان الله تعالى في السماء بذاته ، فوق عرشه فوق سماواته ، بائن من خلقه كما قال السلف رضوان الله عليهم .

فهم يثبتون لله تعالى ما أثبتته لنفسه ، وأثبت له رسوله من غير

تكييف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ولا تعطيل .

ولقد قالها الامام مالك رحمه الله كلمة جامعة ، لما سئل عن قوله

تعالى " الرحمن على العرش استوى " قال :

(الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به

واجب والسؤال عنه بدعة) . " ٢ " .

وحاصل الكلام في الاستواء : ان المولى عز وجل اخبرني سبع مواضع في القران الكريم باستوائه على العرش . وهي قطعية في معناها لا تحتمل تأويلاً ،

١ - انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص (١١٧ - ١١٨) ، وشرح العقيدة الواسطية ص (٨٩ - ٩٠) ، وصحيح البخاري (١ : ٧٧) ، (٢ : ١٤٥) ، وصحيح مسلم (١ : ٤٣٩) ، وموطأ مالك (١ : ١٧٠) .

٢ - انظر كتاب : نقيض المنطق لابن تيمية ص ٣ .
وانظر شرح العقيدة الواسطية في لهران ، ص ٨٧ .

لأن لفظ "استوى" في اللغة اذا عدى "بعلى" لا يفهم منه الا العلو والارتفاع .

لهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات ، ذكرها الامام ابن القيم في قصيدته النونية ، فقال :-

فلمهم عبارات عليها ارســــــــــــــــع : قد حصلت للفارس الطمان
وهي " استقر " وقد " علا " وكذلك : " ارتفع " الذي ما فيه نكران
وكذاك قد " صعد " الذي هو رابع : وابو عبيدة صاحب الشيبانسي
يختار هذا القول في تفسيره : ادرى من الجهمي بالقــــــــــــــــران

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه
مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه ،
كما قال الامام مالك وروى عن شيخه ربيعة الرأي ، وعن الامام أحمد (الاستواء
معلوم والكيف مجهول .

وأما ما يشغب به أهل التعطيل ، من ايراد اللوازم الفاسدة على
تقرير الاستواء ، فهي لا تلزم أهل السنة والجماعة ، لانهم يقولون بأن فوقيته
على العرش كوقية المخلوق على المخلوق .
وأما ما يحاولون به صرف هذه الايات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات
الفاسدة ، كتفسيرهم استوى : باستولى ، او حطهم " على " على معنى " الى " ،
واستوى بمعنى قصد . . . الى آخر ذلك كله ، فكلها تشييب
بالباطل وتفسير في وجه الحق . " ١ "

١ - انظر : شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص (٨٧ - ٨٨)
بتصرف .

ب : النزول

=====

ومما أثبتته السلف - رضوان الله عليهم - من الصفات الخيرية ،

• خبير النزول

فقد ثبت ذلك من عدة طرق ، وروى حديث النزول : ابوبكر ، به
وعلي ، وابو هريرة ، وابن مسعود ، . . . ورواه عن الرسول صلى الله عليه
وسلم اكثر من عشرين صحابيا ، وتواتر ذلك عنهم .

(نص الحديث) :

=====

عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : " ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ،
فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟
من يستغفرني فأغفر له ؟ " " ١ " ١ " هـ
يقول شارح العقيدة الواسطية :

(الكلام على هذا الحديث من جهتين :

(الاولى) : صحته من جهة النقل ، وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه

الله انه متفق عليه .

ويقول الذهبي : ان احاديث النزول متواترة تفيد القطع ، وعلى

هذا فلا مجال لانكار او جحود .

١ - رواه مسلم في صحيحه (١ : ٥٢١) / وفي كتاب التوحيد ص

(الثانية) : ما يفيد هذا الحديث ، وهو اخباره صلى الله عليه وسلم

بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة ...

ومعنى هذا ان النزول صفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله

وعظمته ، فهو لا يماثل نزول الخلق ، كما ان استواءه لا يماثل استواء الخلق) " ١ "

وذكر شارح الواسطية نصا لابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص ،

هو (فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله بأنه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة ،

وانه يدنو عشية عرفة الى الحجاج ، وانه كلم موسى في الواد الايمن في البقعة

المباركة من الشجرة ، وانه استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا

طوعا او كرها . لم يلزم من ذلك ان تكون هذه الافعال من جنس ما نشاهده من

نزول هذه الاعيان حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل مكان آخر .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عز وجل ،

على الكيفية التي يشاء ، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في

الكتاب وفي السنة ويقفون عند ذلك ، فلا يكيفون ولا ينفون ، ولا يمتطلون ، ويقولون

ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخبرنا أنه ينزل ، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل ،

وقد علمنا انه فعال لما يريد ، وانه على كل شيء قدير) " ٢ "

فالسلف اذا يرون ان النزول والمجيء والاتيان من صفات الله

تعالى حقيقة لا مجازا ، فهو سبحانه ينزل ويجيء ويأتي على شكل يليق به ،

فلا يشبه ما يكون من خلقه ، ولا يلزمه ما يلزمهم اذا نزلوا أو جاؤا .

١ - شرح العقيدة الواسطية ص ١١٠ / وانظر مجموع الفتاوى (٥ : ١٠٣ -

١٠٤) .

٢ - شرح العقيدة الواسطية ص ١١٠ / انظر مجموع الفتاوى

(٥ : ١٠٣ ، ١٠٤) .

وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله ينزل الى السماء الدنيا ، كما تقدم .

والمفهوم منها النزول الحقيقي ، وليس فيها ما يدل على أن المراد بهذا النزول المجاز ، كما قاله البعض ، ونسب هذا القول الى الامام احمد بن حنبل ، فقد روى عنه انه قال في قوله تعالى : " وجاء ريك " ١ " ، معناه : وجاء امر ريك .

وهذه الرواية رواها عن الامام احمد ، ابو علي حنبل بن اسحق " ٢ " ، وهي انهم لما احتجوا عليه في المحنة بالقول بخلق القران ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم " تجىء البقرة وال عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان " ٣ " أو فرقان من طير صواف " ٤ " .

وقالوا له : لا يوصف بالاتيان والمجىء الا مخلوق ، فعارضهم بأن المراد : مجىء ثواب سورتي البقرة وال عمران ، ثم طارضهم بقوله تعالى : " هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظل من الغمام " ٥ " . قال : - انما يأتي

-
- ١ - سورة الفجر اية (٢٢) .
 - ٢ - حنبل بن اسحق بن حنبل بن هلال الشيباني ، ابو علي ، من حفاظ الحديث ، عمه الامام احمد بن حنبل ، سمع المسند من الامام احمد ، وله عدة مؤلفات في التاريخ ، والفقه .
 - وله : محنة الامام احمد . توفي في مدينة " واسط " سنة ٢٧٣ هـ .
 - انظر : شذرات الذهب (٢ : ١٦٣ ، ١٦٤) .
 - وانظر : الاعلام للزركلي (٢ : ٢٨٦) .
 - ٣ - واحدها غياية ، وهي كل ما أظلل الرأس من سحب وغيره / انظر مختار الصحاح ص ٤٨٨ .
 - ٤ - انظر صحيح مسلم (١ : ٥٥٣) ، ومسند الامام احمد (٥ : ٢٤٩) .
 - ٥ - سورة البقرة اية (٢١٠) .

أمه • "٢"

ان شيخ الاسلام ابن تيمية يعلق على هذه الرواية بأن "حنبل" نقل هذا ، ولم ينقل هذا غيره ممن نقل مناظرته في المحنة كابنه عبد الله بن أحمد "٢" وغيره •

ويقول الامام ابن القيم : انها غلط على الامام احمد ، فان "حنبل" تفرد

بها عنه • وهي رواية شاذة ، مخالفة لجادة مذهبه •

لهذا فان هذه الرواية ليست محل اتفاق بين العلماء •

والصواب ان النزول والمجيب ، يخلان على الحقيقة عند السلف ، لان

الله تعالى يخبر عن نفسه انه ينزل الى السماء الدنيا ، لا عن غيره ، كالملائكة ،

وكأمر الله أو رحمته •

وفرق كبير بين نزول الله ، ونزول الملائكة ، وايضا بين نزول الله ومعه

تحل الرحمة والامر ، وبين نزول الرحمة والامر فقط •

١ - انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٥٥ •

وانظر مختصر الصواعق المرسلات (٢ : ٤٠٦) •

٢ - ابو عبد الرحمن ، عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عالم بالحديث وطله ،

وهو من كبار العلماء المؤلفين ، رتب مسند ابيه ، توفي سنة ٢٩٠ هـ •

انظر : مناقب الامام احمد بسن حنبل ، لابن الجوزي ، الطبعة

الثانية ، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ، ص ٣٠٦ •

٢ - ما يؤهم نسبة الأجزاء إلى الله تعالى

=====

- أ : الوجه
- ب : العين
- ج : اليد
- د : الأصابع
- هـ : الساق
- و : الرجل أو القدم

أ : الوجه

=====

يثبت السلف رضي الله عنهم صفة الوجه لله تعالى ، ويقرر أئمتهم
أن لله تعالى وجهاً لا يشبه وجوه المخلوقين • ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة
من القرآن والسنة •

وفي كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل يقرر ابن خزيمة مذهب
السلف من أهل الحجاز وتهامة ، واليمن ، والعراق ، والشام ، ومصر
فيقول :

(فنحن وجميع طوائفنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام
ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبتته لنفسه ، نقر بذلك بالسنتنا ، ونصدق بذلك
بقولنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا عن
أن نشبهه بالمخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة الممطلين ، وعز عن أن يكون عدما كما
قاله المطلون ...)

وقال الله عز وجل " وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه

الأعلى "١" . "٢"

فالسلف يثبتون لله وجهها هو صفة من صفاته حقيقة ، على وجه يليق
به سبحانه . لا يفنى وجه الله ولا يلحقه الهلاك ، ولا يشبه وجه احد من
خلقه ، ولا يشبهه وجه من الوجوه تعالى وتقدس . "٣"

أدلة السلف :

=====

وقد استدلووا بأدلة من القران والسنة أذكر منها :

١ - من القران :

=====

قال تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " . "٤"

قال تعالى : " ويبقى وجهك ربك ذو الجلال والاكرام " . "٥"

قال تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

وجهه " . "٦"

قال تعالى : " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " . "٧"

١ - سورة الليل الايات (١٩ - ٢٠) .

٢ - كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٠ ، ١١ .

٣ - انظر : شرح العقيدة الواسطية ص ٦٥ .

٤ - سورة القصص اية (٨٨) .

٥ - سورة الرحمن اية (٢٧) .

٦ - سورة الكهف اية (٢٨) .

٧ - سورة الانعام اية (٥٢) .

وجه الاستدلال :

=====

يرى السلف أن هذه الايات وغيرها تضمنت اثبات صفة الوجه
لله عز وجل . فله سبحانه وجه باق لا يفنى ولا يهلك هو غاية ما يصبوا اليه
المؤمنون من عباده .

ويرد السلف على من خالفهم من الأولين ، الذين يؤولون
وجهه تعالى بذاته بأنه لو لم يكن له سبحانه وجه حقيقة لما جاز
استعماله في معنى الذات ، لان اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن ان يستعمل في
معنى اخر الا اذا كان المعنى الاصلى ثابتا للموصوف حتى يمكن للذهن ان ينتقل
من ذلك الملزوم الى لازمه .

وقالوا : على أنه يمكن دفع مجازهم هذا بطريق آخر غيره
فيقال : انه اسند البقاء الى الوجه ويلزم منه بقاء الذات بدلا من ان يقال :
اطلق الوجه واراد الذات .

فقد ذكر البيهقي نقلا عن الخطابي انه تعالى : لما اضاف
الوجه الى الذات ، و اضاف النعت الى الوجه فقال : " ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاکرام " دل على ان ذكر الوجه ليس بذات وان قوله " ذو الجلال
والاکرام " صفة للوجه والوجه صفة للذات . " ١ "

ولا يلزم عند السلف ان يكون الوجه الحقيقي الذي هو صفة من
صفاته تعالى هو المراد في جميع الايات التي نسبت الوجه اليه سبحانه . بل
يأتي في كل مكان بحسب ما وضع له . فتارة يأتي بمعنى الجهة كما في قوله تعالى :

" فإينما تولوا فثم وجه الله " ٠ " ١ "

فالمقصود هنا الجهة التي تستقبل في الصلاة •

قال شيخ الاسلام مؤكدا وموضحا :

(هذا قد قال فيه طائفة من السلف : فثم قبلة الله ، أي فثم

جهة الله •••

والمراد بـ " وجه الله " وجهة الله ، والوجه والجهة والوجهة

الذي لله يستقبل في الصلاة) • " ٢ "

٢ — من السنة :

=====

أ : ورد في كتاب التوحيد لابن خزيمة ان الرسول صلى

الله عليه وسلم قال : " مثل المجاهد في سبيل الله ابتغاء وجه الله مثل القائم

الصلي حتى يرجع المجاهد " • " ٣ "

ب : وقال صلى الله عليه وسلم : " من استعان

بالله فاعيدوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه " • " ٤ "

ج : وقال صلى الله عليه وسلم : " من صام يوما في

سبيل الله ابتغاء وجه الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خويفا " •

١ — سورة البقرة آية (١١٥) •

٢ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية (٣ : ١٤٤)

• مطابيع المجد

٣ — كتاب التوحيد ص ١٣ ، انظر صحيح البخاري (٤ : ٢٠٣) •

٤ — كتاب التوحيد ص ١٣ ، نقله من مسند الامام احمد ، ومن سنن ابني

داود عن ابن عباس •

د : وعن جابر قال : لما نزلت هذه الآية عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم " قل هو القادر على ان يهتك طيكم غذايا من فوقكم " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بوجهك " .

" أو من تحت ارجلكم " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بوجهك الكريم " .

" أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض " . " ١ "

قال : " هاتان اهون وايسر " . " ٢ "

هذا ، وقد اورد الحافظ بن خزيمة اكثر من عشرين حديثا في هذا

الباب ،

وقال : (هظا باب طويل ، لو استخرج في هذا الكتاب اخبار

النبي صلى الله عليه وسلم التي فيها ذكر وجهه ربنا جل وعلا لطلال الكتاب ،

وقد خرجنا كل صلف من هذه الاخبار في مواضعها في كتب مصنفة (. . .) " ٣ "

وحاصلة : ان في هذه الاحاديث الدليل على اثبات صفة الوجه

لله تعالى حقيقة وان تأويله بالذات او بغيرها فيه حمل للكلام على غير منسأه

الحقيقي ، وهذا مالا يقبله السلف رضي الله عنهم .

١ - سورة الانعام اية (٦٥) .

٢ - انظر كتاب التوحيد ص ١١ ، وصحيح البخارى (٣ : ٩٢) ،
(٤ : ١٨٦ ، ١٩٦) ، وسنن الترمذى (٥ : ٢٦١ ، ٢٦٢) .

٣ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ١٨ .

ب : العيين

=====

يرى السلف رضى الله عنهم ، ان الذكر الحكيم قد ورد بلفظ " العيين "

بالافراد ، " والاعين " ابالجمع ، مضافين الى المولى عز وجل .

قال تعالى : " والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني " . " ١ "

وقال تعالى : " تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر " . " ٢ "

ويلون ان لله تعالى عينين يرى بهما جميع المرثيات ، وهما

صفتان حقيقتان له ، على وجه يليق بجلاله وكماله .

وهما ليسا بجارحتين ، ولا مركبتين ، كما نرى ونشاهد في

أعين المخلوقات . بل هما عينان حقيقتان لا كالأعين ، لا تقتان به سبحانه .

(فواجب على كل مؤمن ان يثبت لخالقه وارثه ما اثبت الخالق

البارى لنفسه من العيين ، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبت

في محكم تنزيله) . " ٣ "

يقول شارح الواسطية :

(يثبت الله سبحانه لنفسه عينا يرى بها جميع المرثيات ،

وهي صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به ، فلا يقتضي اثباتها كونها جارحة

مركبة من شحم وعصب وغيرهما) . " ٤ "

==

١ - سورة طه اية (٣٩) .

٢ - سورة القمر اية (١٤) .

٣ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ص ٤٢ .

٤ - شرح العقيدة الواسطية ، ص ٦٨ .

ادلة السلف :

=====

وقد استدل السلف على مذهبهم هذا بالكتاب والسنة .

١ - من الكتاب :

=====

قال تعالى : " واصنع الفلك باعيننا ووحينا " . " ١ "

وقال تعالى : " تجرى باعيننا " . " ٢ "

وقال تعالى : " والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني " . " ٣ "

وقال تعالى : " واصبر لحكم ربك فانك باعيننا " . " ٤ "

وجه الاستدلال :

=====

قال السلف : ان من كمال التوحيد ان تثبت لله تعالى صفة

العين الحقيقية كما هو مذكور في الايات ، حتى لا يقع احد في التمثيل أو التأويل . . .

وظاهر الايات يفيد اثبات صفة العين والاعين لله عز وجل ، فتؤمن به كما

ورد .

٢ - من السنة :

=====

أما السنة فقد ورد فيها عدة أحاديث أذكر منها :

١ - سورة هود آية (٣٧) .

٢ - سورة القمر آية (١٤) .

٣ - سورة طه آية (٣٩) .

٤ - سورة الطور آية (٤٨) .

أ : ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم المسيح الدجال " ١ "
بين ظهراي الناس فقال : " يا أيها الناس ان ربكم ليس بأعور ، ولكن المسيح
الدجال أعور ، عينه اليمنى كأنها عنبة طافية " ٢ " ٠
ب : روى مسلم بسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من نبي الا وقد حذر الله الاعور
الكذاب ، الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كهر " ٣ " ٠
وفى رواية اخرى عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : " أنذركم الدجال ، اما انه أعور عين اليمنى ، وان ربكم ليس بأعور ،
مكتوب بين عينيه ك ف ر يقرأه كل مؤمن يقرأ ، وكل مؤمن لا يقرأ " ٤ " ٠

وجه الاستدلال بهذه الاحاديث :

=====

هذه الاحاديث تدل على اثبات المينين لله تعالى ، وتنفي
عنه المور ، اذ هو نقص في حقه والله منزه عن النقص . وصدق الرسول صلى
الله عليه وسلم فانه ينفي في هذه الاحاديث المور عن الله الذي هو نقص في
حقه ، وهو سبحانه الكامل الذي لا يمتريه النقص .

-
- ١ - سيأتي الحديث عنه في الباب الرابع باذن الله .
 - ٢ - انظر كتاب التوحيد (ص ٤٣) ، وقد اورد ابن خزيمة ستة احاديث في
هذا المعنى .
 - ٣ - الحديث متفق عليه ، رواه مسلم (٤ : ٢٢٤٨) ، وفي صحيح البخارى
(١ : ١٩١) ، (٢ : ١٧٣) ، وفي سنن ابي داود
(٤ : ١١٦) ، وفي سنن الترمذى (٤ : ٥١٤) ،
وفي سنن ابن ماجه (٢ : ١٣٥٣) ، وفي مسند احمد (٣ : ٢٢٨) .
 - ٤ - انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ٤٤ .

ويرفض السلف تأويل المأولين ، وتفسير العين بأى شيء يخالف كونها
صفة حقيقية لله تعالى ، ويقولون : ان أى تفسير لها سواء كان بالرؤية أو بالحفظ
أو بالرعاية فهو نفي وتعطيل ، لا يجوز في حق المولى عز وجل .
يقول شارح الواسطية :

(وتفسير المعطلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفي وتعطيل ،
وأما أفرادها في بعض النصوص ، وجمعها في البعض الآخر فلا حجة لهم فيه على
نفيها ، فان لغة العرب تتسع لذلك ، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع ،
ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين (٠٠٠) " ١ "

وقال : (على انه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من
هذه المعاني التي ذكرها الا بالنسبة لمن له عين حقيقة ، فهل يريد هؤلاء المعطلة
أن يقولوا ان الله يمتدح بما ليس فيه . فيثبت لنفسه عينا وهو عاقل عنها ؟
وهل يريدون ان يقولوا : ان رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها ، بل هو يراها
بذاته كلها كما تقول المعتزلة : انه قادر بذاته ، مراد بذاته ، عالم
بذاته (٠٠٠ ؟) " ٢ "

ويقول العلماء ان هذا الذي ذهب اليه المأولون (تعطيل للتوحيد
وتكذيب بأسماء الله عز وجل وصفاته ، حيث أعطوا ذلك لفظا ، ولم يحصلوا قولا
في المعنى) " ٣ "

-
- ١ - شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ٦٨ .
 - ٢ - نفس المرجع ص ٦٩ .
 - ٣ - انظر الابانة عن اصول الديانة ، لملي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري
ص ٤٠ .
وانظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٣٢٩) .

ويثبت العلماء صحة مذهب السلف بما ورد من الآيات السابقة كقوله

تعالى : " تجرى بأعيننا " ، وقوله تعالى " ولتصنع على عيني " ،
ويقولون : (لا يصح حمل ذلك على أن المراد بقوله " على عيني " بمراى
ومشهد مني)

وقوله : " تجرى بأعيننا " أى بحفظنا وكلائتنا . لان الله
كان رائيا له مشاهدا له قبل هذه الحالة . وكذلك كان حفظه وكلائته له قبل
وجود الجريان . ومنه قوله تعالى : " قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن " ،
" ١ " ، " ٢ " ، " ٣ "

وحاصل الكلام : أن مذهب اهل السنة والحديث ، وكبار علمائهم
السلف ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية " ٣ " ، هو اثبات صفة العين لله تعالى
على وجه يليق بكماله وجلاله على الحقيقة من غير تكليف ولا تشبيه ولا تحريف
ولا تمطيل .

١ - سورة الانبياء اية (٤٢) .

٢ - انظر كتاب : المعتمد في اصول الدين لأبي يعلى ص ٥١ .

٣ - انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ص ١٣٠ .

ج : اليد

=====

مذهب السلف :

=====

الذي يراه السلف أن " اليد " صفة حقيقية لله تعالى ،

تليق بجلال المولى تعالى ، وكماله .

ويد الله لا تشبه شيئاً ، ولا يشبهها شيء ، وهي ليست

كيد المخلوق ، كما أنها ليست مركبة من لحم ، وعظم ، ودم .

ولا تحمل اليد على القدرة أو النعمة أو غيرها . " ١ "

والذي يؤمن به السلف هو ما أعلمهم الله به ورسوله من أن لله يداً ،

ويدين ، وهو ما ورد في محكم تنزيله :

قال تعالى : " يد الله فوق أيديهم " . " ٢ "

وقال تعالى : " فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون " . " ٣ "

وقال تعالى : " وتمز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل

شيء قدير " . " ٤ "

وقال تعالى : " تكذيباً لليهود الذين قالوا " يد الله مفلولة " ،

" بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " . " ٥ "

١ - انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص ٦٦ .

٢ - سورة الفتح آية (١٠) .

٣ - سورة يسن آية (٨٣) .

٤ - سورة ال عمران آية (٢٦) .

٥ - سورة الطائدة آية (٣٨) .

وورد ذكر " اليدين " بالتثنية في قوله تعالى : " بل يدها مبسوطتان " وقال عز وجل لابليس " ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي " . " ١ " .
وورد ذكر " الايدي " بالجمع في قوله تعالى : " أو لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون " . " ٢ " .
وجه الاستدلال بهذه الايات :

=====

قال السلف : ان المراد من هذه الايات وأمثالها ان لله تعالى يدا ، حقيقية ، ويدين وايدى . وأن ما ورد بصيغة الجمع يأتي في لغة العرب بمعنى المثني كقوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " . " ٣ " .
اي : يداهما .
وقوله تعالى : " ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما " . " ٤ " . اي :
قلباكما . " ٥ " .

والاحاديث الواردة في ذكر اليد كثيرة اذكر منها :

١ - جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسى : انت ادم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، واسجد لك ملائكته ، واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض . . . " الى اخر الحديث . " ٦ " .

١ - سورة ص اية (٧٥) .

٢ - سورة يس اية (٧١) .

٣ - سورة المائدة اية (٣٨) .

٤ - سورة التحريم اية (٤) .

٥ - انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ .

٦ - الحديث متفق عليه ، انظر صحيح البخارى (٣ : ١٠٧) ، وصحيح مسلم

(٤ : ٢٤٠٣) .

٢ - وعن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " التقى ادم وموسى ، فقال موسى : انت الذي خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته ، ونفخ فيك من روحه ، وامرك بأمر فعصيته ، فأخرجتك من الجنة . فقال له آدم : قد اتاك الله التوراة ، فهل وجدت فيها كتب علي الذنب قبل أن أعلمه ؟ قال نعم : فحج آدم موسى ، عليهما السلام " . " ١ " .

٣ - وفي صحيح البخارى ، في حديث الشفاعة قال صلى الله عليه وسلم : " فيأتون آدم فيقولون يا آدم انت ابو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه " . " ٢ " .

٤ - وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة قال : " سبحانك اللهم وحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك ، ولا اله غيرك " وفيه قال : " لبيك وسعديك والخير كله في يديك " . " ٣ " .

وجه الاستدلال :

=====

قال السلف : هذه الاحاديث تفيد : اثبات اليد ، واليدين حقيقة لله تعالى ، على ما يليق به ، ولا نترك هذا ونحمل اليد على القدرة أو

١ - رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه (٤ : ٢٠٤٢ ، ٢٠٤٣) .

٢ - سوف يأتي هذا الحديث بتمامه في الباب الرابع بان شاء الله ، عند الحديث

عن الشفاعة العظيم يوم القيامة .

٣ - الحديث صحيح رواه مسلم عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله

غيرها • وتكتفي بما ورد في النص كما هو من غير زيادة أو نقصان ، ومدون تأويل
أو تحريف أو تشبيه أو تعطيل •
يقول شارح الواسطية :

(ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة فان الاشياء جميعا ،
حتى ابليس خلقها الله بقدرته ، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها) • " ١ "
وفي حديث عبد الله بن عمر " ٢ " رضي الله عنه : " ان الله
عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيديه : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ،
وغرس جنة عدن بيده • "

فتخصيص هذه الاشياء الثلاثة بالذكر مع مشاركتها لبقية المخلوقات

في وقوعها بالقدرة دال على اختصاصها بأمر زائد •

وايضا : فلفظ " اليدين " بالثنائية لم يعرف استعماله الا
في اليد الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة ، فانه لا يسوغ ان يقال :
خلقها الله بقدرتين أو بسعمتين ، على أنه لا يجوز اطلاق اليدين بمعنى النعمة
أو القدرة أو غيرها ، الا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة ، ولذلك
لا يقال : للريح يد ، ولا للماء يد (• • •) • " ٣ "

١ - شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص ٦٦ •
٢ - عبد الله بن عمر بن الخطاب ، العدوى القرشي ، ولد سنة ثلاث من
البعثة ، وهاجر وهو ابن عشرينين ، روى عن بعض الصحابة ، وروى
عنه عدد من التابعين واشتهر بورعه وتقواه وكثرة عبادته ، مات سنة
ثلاث وسبعين للهجرة •

انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٢ : ٣٤٧) •

٣ - انظر : شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ •

يقول الامام الأشعري رضي الله عنه :

(وليس يجوز في لسان العرب ، ولا في عادة اهل الخطاب ،
ان يقول القائل ، عملت كذا بيدي ، ويعني به النعمة ، واذا كان الله عز
وجل انما خاطب العرب بلفتها ، وما يجرى مفهومها في كلامها ، ومعقولا في
خطابها ، وكان لا يجوز في لسان اهل البيان ان يقول القائل : فعلت
بيدي ، ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى قوله عز وجل " بيدي " النعمة
وذلك أنه لا يجوز ان يقول القائل : لي عليه يد بمعنى لي عليه نعمة (٠٠٠) " ١ "

ثم يتساءل أهل العلم من السلف (كيف يتأثي حمل اليد على
القدرة أو النعمة مع ما ورد من اثبات الكف والاصابع واليمين والشمال والقبض
والبسط وغير ذلك مما لا يكون الا لليد الحقيقية) ؟ " ٢ "

وحاصل الكلام : أن السلف يؤمنون بما نصت عليه الايات القرآنية
والاحاديث النبوية الشريفة ، وهو اثبات صفة اليد ، واليدين ، صفة ذاتية له
سبحانه على شكل يليق بجلاله وكماله ، وهي يد ليست جارحة ، ولا مركبة من
أجزاء أو من مادة أو من صورة ، أو مما يقبل الانقسام ، وايضا هي يد ليست
بمعنى القدرة أو النعمة ، بل يد لا كالايدى ، واثباتها يكون على الحقيقة
من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

١ - في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٣٣١) نقل عن

كتاب : الابانة للاشعري ص ٤١ .

٢ - شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ .

د : الأصابع

=====

مذهب السلف :

=====

يثبت السلف رضوان الله عليهم صفة الاصابع لله تعالى ، حقيقة لمن غير

تكييف ولا تمطيل ولا تحريف ولا تشبيه .

فالأصابع : صفة من صفات الرحمن على شكل يليق بجلاله وكماله .

وقد ثبتت هذه الصفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونحسن

نثبت ما أثبتته الرسول لله رب العالمين ، وننفي ما نفاه ، من غير دخول منافي

هي .

هكذا قال السلف في الأصابع ، معتمدين على سنة الرسول صلى الله

عليه وسلم .

ادلتهم :

=====

وقد استدلوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما استدلوا

به ، أذكر :-

١ - عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، انها كانت

تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه " اللهم يا قلبيب

القلوب ثبت قلبي على دينك " .

قالت : فقلت يا رسول الله : وان القلوب لتقلب ؟ قال : نعم :

ما من خلق الله من بني آدم الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله ، فان شاء

أقامه وان شاء أزاعه " . ١ " .

١ - كتاب التوحيد ص ٨٠ ، وانظر صحيح مسلم (٤ : ٢٠٤٥) ، =

٢ - روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، ان الله يمسك السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والجبال على اصبع ، والشجر على اصبع ، والخلائق على اصبع ثم يقول : انا الملك .
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذته ثم قرأ :
" وما قدروا الله حق قدره " . " ١ "

وفى رواية اخرى : " فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا
وتصديقا له " . " ٢ "

هذا ، وقد اورد الحافظ ابن خزيمة عدة احاديث في هذا المعنى ،
في كتابه التوحيد تحت باب : (ذكر اسماء الله تبارك وتعالى اسمه ، وجعل
ثناؤه السموات والارض وما عليها على اصبعه) .
وتحت باب : (اثبات الاصابيح لله عز وجل)
وقال : (جل ربنا عن ان تكون اصابعه كأصبع خلقه ، وهن أن
يشبهه شيء من صفات ذاته صفات خلقه) . " ٣ "

هذا هو مذهب السلف في الاصابيح ، وادلتهم ، وقد نفوا ان يكون
معنى اصابع الرحمن اى الجارحة ، لان الجوارح من صفات الاجسام المخلوقة ،
وهي لا تكون الامركبة ، وهو ما يستحيل في حقه تعالى .

= وسنن الترمذى (٤ : ٤٤٨) ، (٥ : ٥٣٨) ، وسنن ابن ماجسة
(١ : ٧٣) ، والمستدرک للحاكم (٤ : ٣٢١) .

- ١ - سورة الزمر اية (٦٧) .
- ٢ - انظر كتاب التوحيد من (٧٦ - ٧٨) ، صحيح البخارى (٣ : ١٣٠) ،
(٤ : ٢١١) ، صحيح مسلم (٤ : ٢١٤٧) ، سنن الترمذى (٥ : ٣٧١) ،
مسند احمد (١ : ٣٧٨ ، ٤٢٩) .
- ٣ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ٧٦ .

كما نقوا ان تكون الاصابع الالهية بمعنى النعمة ، لعدم استقامة المعنى
في الاحاديث السابقة ، اذ كيف يصح أن يقال : ان قلب المؤمن بين نعمتين
من نعم الله ؟ والا فلا حاجة لان يدعو بالتثبیت او يخاف الرسول على نفسه .

كما لا يصح ان يقال في الحديث الثاني : ان الله يمسك السموات
على نعمة والارضين على اخرى ، والجبال على ثلاثة ، والشجر والخلائق ...
ولا يقال : ان ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم من قول الكتابي
كما يحتمل الرضا ، يحتمل الانكار .

لان الحديث في روايات اخرى ، يقول : " تعجبا وتصديقا له " ،
ولا يجتمع التصديق مع الانكار في مثل هذه الحالة ،
وقد ذكر الحافظ ابن خزيمة في " كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز
وجل " الرد الكافي والجواب الشافي على قول من قال ان ضحك الرسول صلى
الله عليه وسلم قد يحمل على الانكار على هذا الكتابي .

قال :

(قد أجل الله قدر نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصف الخالق
الباري بحضرة بما ليس من صفاته ، فيسمعه فيضحك عنده ، ويحمل بدل وجوب
التكبير والغضب على المتكلم به ضحكا تبذ نواجذه تصديقا وتعجبا لقائله .
" ١ ")
لا يصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة مؤمن صدق برسالته)
ثم ان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الجبر الكتابي يعتبر
تدريرا له على مقالته ، والا لما سكنت الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ، ولأنكر

عليه ، وبين الصحيح في هذا الأمر •

وحاصل الكلام ان يقال :

ان السلف رضي الله عنهم يثبتون لله تعالى الاصابع صفة
ذاتية حقيقية ، ليست بجارحة ، ولا مركبة ، ولا هي النعمة ولا غيرها ،
بل اصابع بلا كيف ولا كم ، لا تشبه شيئا ، ولا يشبهها شيء ، بل طس
كيفية تليق بجلاله وكماله ، لا نعلمها فنؤمن بها من غير تكليف ولا تشبيه
ولا تحريف ولا تعطيل •

ه : الساق

=====

مذهب السلف وأدلتهم :

=====

يبث السلف رضي الله عنهم " الساق " صفة حقيقية من صفات
ذاته تعالى ، على شكل يليق بجلاله وكماله . ويلفون ان تكون بمعنى آخر
كما يقول اهل التأويل انها : الشدة ، والهول يوم القيامة . " ١ " .
وقد استدل السلف على مذهبهم هذا بأية وحديث .
اما الآية فقوله تعالى : " يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود
فلا يستطيعون " . " ٢ " .

وأما الحديث : فمن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في خبر رؤية الله عز وجل يوم القيامة على صورته الحقيقية :
" . . . فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رآوه فيها اول مرة ، فيقول :
انا ربكم . فيقولون : انت ربنا ، فلا يكلمه الا الانبياء . فيقول : هل بينكم
وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون : الساق . فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل
مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء ، وسمعة ، فيذهب كيما يسجد ، فيمود
ظهره طبقا واحدا " . " ٣ " .

وذلك تفسير قوله تعالى " فلا يستطيعون " .

-
- ١ - انظر كتاب : حادي الارواح الى بلاد الافراح لابن القيم ، ص ٢٠٩ ،
٢١٣ ، توزيع دار الباز بمكة المكرمة .
 - ٢ - سورة القلم اية (٤٢) .
 - ٣ - متفق عليه ، رواه البخاري (٤ : ٢٠١) ، ورواه مسلم (١ : ١٦٧)
انظر : حادي الارواح ص ١٠٩ ، ٢١٣ .

وجه الاستدلال بالآية والحديث :

=====

قال السلف : ان الآية تضمنت اثبات صفة الساق لله تعالى حقيقة ،
يؤيده ما ورد في الحديث " فيكشف عن ساقه " ، ولا يمكن حمل الساق على
الشدة ، لان ذلك يؤدي الى اختلال المعنى ، فيصير : يوم يكشف عن شدة ،
وهذا غير صحيح لانه تحصيل حاصل . لان القوم في شدة ما بعدها شدة .

اما الحديث ، فالن القوم في شدة اصلا ، ولان الله طلب من
القوم آية يعرفونه بها ، فأسرعوا الى القول ، وقالوا : الساق . ولو كان
المعنى الشدة ، لقالوا : كشف الشدة التي نعيش فيها .
فلما قالوا : الساق ، وتم كشفه تبين انه المقصود .

وحاصل الكلام ان يقال :

ان مذهبي السلف : اثبات صفة الساق للرب عز وجل ، على وجه
يلتق به كما وصفه نفسه في الآية ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح ،

وليست الساق بمعنى الجارحة أو المركبة وليست ايضا بمعنى

الهول أو الشدة يوم القيامة لعدم ورود النص بهذا .

(و) : القدم أو الرجل

=====

• جاء في السنة وصف الله تعالى بصفة القدم .
قال صلى الله عليه وسلم : " ان جهنم لا تمتلي حتى يضع فيها
قدمه " ١ .
والقدم أو الرجل نفس الصفة ، لورود الحديث بلفظ " القدم " .
ثارة ، ولفظ " الرجل " اخرى . فيكون المعنى واحدا .
قال صلى الله عليه وسلم : " واما النار فلا تمتلي حتى يضع الله رجله
فيها فتقول قط قط " ٢ .
وقد اورد الحافظ ابن خزيمة عدة احاديث صحيحة في " باب ذكر
اثبات الرجل لله عز وجل " ٣ . ورد معظمها بلفظ " القدم " . مما يدل على
ان صفة " الرجل " هي نفس صفة " القدم " لله عز وجل .
ومذهب السلف على ان لله تعالى قدما حقيقية ، هي صفة مسن
صفاته الخيرية التي لا نعلم كتبها ، بل نفوض علم حقيقتها الى الله ، ونؤمن
بما ورد به النص من غير تكييف ولا تشييد ولا تحريف ولا تعطيل .
فهي قدم لا تشبه اقدام المخلوقات ، وهي ليست جارحة ولا مركبة ،
كما انها لا تعني " الجماعة أو الطائفة أو القوم " كما جاء في اللفظة " ٤ " .

-
- ١ - صحيح مسلم : (٤ : ٢١٨٦) .
 - ٢ - وفي صحيح البخاري : " حتى يضع رجله فتقول " . / انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب لله عز وجل ص ٩٤ . والرجل بمعنى القدم .
 - ٣ - كتاب التوحيد ص ٩٠ .
 - ٤ - انظر لسان العرب لابن منظور (١٣ : ٢٨٩) .

وقاله أهل التأويل " ١ "

ادلة السلف من السنة :

=====

استدل السلف على اثبات هذه الصفة لله ، بالسنة .

ومما استدل به السلف من الاحاديث الصحيحة ، أذكر :

١ - عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال : " تحاجت النار والجنة . فقالت النار : أوثرت بالتكبرين والمتجبرين

، وقالت الجنة : فما لي لا يدخلني الاضعفاء الناس ، وسقطهم وعجزهم .

فقال الله للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي . وقال للنار :

انت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ، ولكل واحدة منك ما ملؤها . فأما

النار : فلا تمثلي . فيضع قدمه عليها فتقول : قط ، قط ، فهناك

تمثلي ، ويترى بعضها الى بعض " ٢ "

وفي رواية اخرى عن ابي هريرة " فأما النار فلا تمثلي حتى يضع الله

تبارك وتعالى رجله " .

٢ - عن انس بن مالك " ٣ " رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

١ - انظر : المتمدن في اصول الدين لأبي يعلى ص ٥٤ ،

وانظر : الشامل في اصول الدين ، للجويني ص ٥٦٢ ،

٢ - رواه مسلم في صحيحه (٤ : ٢١٨٦) ، وانظر صحيح البخاري

(٤ : ٢٠٤) .

٣ - انس بن مالك بن النضر بن النجار الانصاري الخزرجي ، خادم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، خدمه عشر سنوات ، وأكثر من الرواية عنه ، نزل البصرة

ومات فيها ، وهو آخر من مات من الصحابة فيها سنة ٩١ هـ .

انظر : الاصابة في تمييز الصحابة (١ : ٧١) .

وسلم أنه قال : " لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد حتى يضح فيها رب
المزة تبارك وتعالى قدمه فتقول : قط ، قط وعزتك • ويزوى بعضها الى
بعض " • " ١ "

وهناك أحاديث كثيرة رويت بطرق متعددة عن كثير من الصحابة بهذا

المعنى " • " ٢ "

وجه الاستدلال :

=====

قال السلف : هذه أحاديث صحيحة تثبت لله صفة القدم
والرجل وهما بمعنى واحد ، فنثبت ما اثبتته الرسول لرب المزة وننفي ما نفاه عنه ،
وهو هنا يثبت صفة القدم لذات المولى على الحقيقة كما اثبت له من قبل الساق
واليد والاصبع ••• ولا يفهم من الاحاديث الا هذا •
وقد استبعد السلف حمل هذه الاحاديث على غير الصفة الحقيقية ،
وقالوا : ان تأويل القدم أو الرجل بالجماعة أو القوم أو الطائفة كما ورد في
اللغة غير صحيح ، ولا ينطبق على ما لله من صفات •
وظلوا ذلك : لعدة أسباب منها :

- ١ — ليس في اثبات القدم أو الرجل ، صفة حقيقية لله ، نقص
في حقه • بل هي كثيرها من الصفات القائمة به التي لا تليق الا بجلاله وكماله •
- ٢ — جاء الحديث الشريف بلفظ " ويزوى بعضها الى بعض " •
بمعنى يقرب بعضها الى بعض حتى تضيق على من فيها فتتملي بهم •

١ — متفق عليه • رواه مسلم (٤ : ٢١٨٧) : وانظر صحيح البخاري

(٣ : ١٣٧) •

٢ — انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٩٠ — ١٠٠ •

٣ - ما يؤهم أن له تعالى عواطف وينفعل بانفعالات

=====

أ : محبة الله •

ب : بغضه •

الله سبحانه وتعالى يحب ه ولا يحب ه ويهض ويكره ويسخط

••• ما يؤهم أنه تعالى ينفعل بانفعالات ه وان له عواطف •

فالمحبة ه والبغض صفتان الهيتان حقيقتان له عز وجل على

وجه يليق بجلاله وكماله •

هذا ما يقرره علماء السلف ه ويثبتونه لله تعالى على الحقيقة ه

ويؤمنون به • على أساس من القرآن والسنة • " ١ "

أدلتهم :

=====

استدل السلف على ثبوت هاتين الصفتين لله تعالى بالقران والسنة •

أ - من القسرات :

=====

قال تعالى : " ان الله يحب المتقين " • " ٢ "

قال تعالى : " والله يحب المحسنين " • " ٣ "

قال تعالى : " والله يحب الصابرين " • " ٤ "

١ - انظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٣٣٢ - ٣٣٥) •

٢ - سورة البقرة اية (٧٦) •

٣ - سورة ال عمران اية (١٣٤) •

٤ - سورة ال عمران اية (١٥٩) •

قال تعالى : " ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم

بنيان مروض " . " ١ " .

قال تعالى : " لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم " . " ٢ "

قال تعالى : " ان الله لا يحب كل مختال فخور " . " ٣ "

قال تعالى : " والله لا يحب الفساد " . " ٤ "

قال تعالى : " ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين " . " ٥ "

قال تعالى : " وخصب الله عليه ولعنه " . " ٦ "

قال تعالى : " ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه

فأحبط أعمالهم " . " ٧ "

قال تعالى : " ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ، ولكن كره الله

انهمائهم فثبطهم وقيل اعدوا مع القاعد " . " ٨ "

٢ - من السنة :

=====

١ - عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : " ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال : اني احب

-
- ١ - سورة الصف اية (٤) .
 - ٢ - سورة النساء اية (١٤٧) .
 - ٣ - سورة لقمان اية (١٨) .
 - ٤ - سورة البقرة اية (٢٠٥) .
 - ٥ - سورة القصص اية (٧٧) .
 - ٦ - سورة النساء اية (٩٣) .
 - ٧ - سورة محمد اية (٢٨) .
 - ٨ - سورة التوبة اية (٤٦) .

فلانا فأجبه ، قال : فيجبه جبريل • ثم ينادى في السماء فيقول : ان
الله يحب فلانا فأجبهه ، فيجبه اهل السماء • قال : ثم يوضع له القبول في
الارض •

وإذا ابغض عبداً ط جبريل فيقول : اني ابغض فلانا فأبغضه •
قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه
ثم يوضع له البغضاء في الارض " ١ " •

٢ - قال صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على
اللسان ، حبيبتان الى الرحمن ، هـ تهللتان في الميزان ، هـ سبحان الله وحده ، هـ
سبحان الله العظيم " • " ٢ " •

٣ - قال صلى الله عليه وسلم : " ما من الكلام شيء احب
الى الله عز وجل من : الحمد لله ، وسبحان الله ، والله اكبر ، ولا اله
الا الله ، هـ هن اربع فلا تكثر طيبهن ، لا يضرك بأيهن بدأت " • " ٣ " •

٤ - عن عبدة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : " من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " • " ٤ " •

٥ - عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : " ابغض الرجال الى الله الاله الخصم " • " ٥ " •

١ - متفق عليه • رواه البخارى (٢ : ١٤٤) • (٤ : ٤٠ ، ٤١) • ومسلم
(٤ : ٢٠٣٠) وسنن الترمذى (٥ : ٣١٧) • وموطأ مالك (٢ : ٩٥٣)
ومسند الامام احمد (٢ : ٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٤١٣) • (٥ : ٢٠٩)
• (٢٦٣)

٢ - متفق عليه •
٣ - صحيح ، رواه مسلم •
٤ - صحيح ، رواه البخارى •
٥ - شديد الخصومة / انظر مختار الصحاح ص ٥٩٥ •
٦ - متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم •

٦ — عن الهراء بن عازب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم

يقول في الانصار: " من احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله " ٠ " ١ "

٧ — وهناك احاديث كثيرة يظهر فيها حب الله لعباده

المؤمنين ، والمجاهدين ، ومن يرضى والديه ، والعبد المحترف ، كما
يظهر فيها كرهه للمناققين ، والعاصين ، واهل الجدل ، ومن يكثر السؤال ،
ومن يضيع المال . . .

وجه الاستدلال بالقران والسنة :

=====

قال السلف : تضمنت هذه الايات ، والاحاديث الصحيحة

اثبات افعال له تعالى ناشئة عن وجود صفتين من صفاته القائمة بذاته هما : صفة
المحبة وصفة البغض .

ومحبه تعالى لبعض خلقه ، او بغضه لهم ، صفتان له

حقيقتان ، قائمتان به ، وهما من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق
بمشيئته .

فهو : يحب ويكره ، ويرضى ويمسخط ، على ما تقتضيه

الحكمة البالغة ، على ما يليق بجلاله وكماله . ولا يقتضي ذلك نقصا ولا تشبيها ،

كما يكرم من يحبه ، ويشبهه ، ويمجد من يبغضه عن حضرته ،

ويعاقبه اذا عصاه . " ٢ " بفضله وعدله كما يحب ويرضى سبحانه .

١ — متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم .

٢ — انظر : شرح المعقيدة الواسطية ص ٥٤ .

الفصل الرابع : أعمال الله تعالى

=====

- يشتمل هذا الفصل على المباحث التالية :
- المبحث الاول : تعليل أعمال الله تعالى
 - المبحث الثاني : خلق أعمال المباد
 - المبحث الثالث : حسن الأفعال وقبحها
 - المبحث الرابع : القضاء والقدر
 - المبحث الخامس : جواز رؤيته تعالى في الآخرة

١ - تعليل أعمال الله تعالى

=====

مذهب الشيخ محمد عبده :

===== مذهب الشيخ محمد عبده الى ان الحق سبحانه لا يفعل شيئا الالفة ، وأن أعماله تعالى لا تخلو من حكمة ، وأن حكمة كل عمل : هي ما يترتب عليه مما يحفظ نظاما أو يدفع فسادا خاصا كان أو عاما .

هذه العلة التي يفعل الله لاجلها ، انما هي من ايجاده ، ومن فعله باختياره لان أعماله تعالى ، صادرة عن علم و ارادة ، وكل ما صور عن علم و ارادة فهو صادر عن الاختيار ، وما صدر عن الاختيار ليس بواجب على المختار لذاته . " ١ "

١ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام (٣ : ٣٨٢) .

الدليل على هذا المذهب :

===== يبرهن الشيخ محمد عبده على مذهبه هذا بقوله :

اولا : (من القواعد الصحيحة المسلمة عند جميع العقلاء ، أن أفعال العاقل تصان عن العبث ، ولا يريدون من العاقل الا العلم بما يصدر عنه بإرادته ، ويريدون من صونها عن العبث انها لا تصدر الا لامر يترتب عليها ، يكون غاية لها ، وان كان هذا في العاقل الحادث ، فما ظنك بصدر كل عقل ، ومقتضى الكمال في العلم والحكم ؟ كلها مسلمة ، ينازع فيها أحد) .

ثانيا : ان من ينظر الى صنع الله الذي اتقن كل شيء ، واحسن خلقه ، يجده

مشحونا بالحكم ، وهذه الحكم لا تخلو من امرين :

• اما ان تكون معلومة له مرادة مع الفعل ام لا .

• الامر الثاني باطل .

لانه اذا كانت الحكم غير معلومة له ، لكان الله متعظا بقصور في علمه .

ولانه اذا كانت الحكم غير مرادة له ، لكان الله متعظا بالغفلة .

وحاشى لله أن يتهم بالسهو والغفلة ، أو يتصف بعدم انكشاف جميع

المعلومات له على وجه الاحاطة والشمول .

فيجب الاعتقاد بأن أفعاله تعالى يستحيل ان تكون خالية من الحكمة . " ١ "

والاصل الذي يرجع اليه كل وارد في هذا الباب قوله تعالى :

" وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهموا

لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين " . " ٢ "

١ - نفس المصدر ص ٣٨٤ .

٢ - سورة الانبياء آية (١٦ ، ١٧) .

مناقشة هذا المذهب :

=====

أرى أن الشيخ محمد عبده مع جمهور الناس في هذه المسألة ومنهم
السلف ، والفلاسفة ، والمتكلمين وبعض الفرق الخارجة عن الاسلام .
وهو عين مذهب السلف القائلين : ان الله تعالى فعل المفعولات
كلها لحكمة ، ارتضاها . وهو يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها ، قد يكشفها لبعض
الناس ، وقد يخفيها عنهم ، والامور الخاصة التي يفعلها تكون لحكمة خاصة ،
والامور العامة تكون لحكمة عامة كارسال الرسل ، ومنهم نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ، فان ارساله كان رحمة للعالمين ،
قال تعالى : " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين " . " ١ " ، " ٢ "

ودليل الشيخ محمد عبده على مذهبه يوافق بعضا مما قاله الامام ابن
القيم في " شفاء العليل " .
فقد استدلل ابن القيم على مسألة تعطيل افعال الله تعالى بنيف وعشرين
نوعا من الادلة ، كلها من كتاب الله وسنة رسوله ، الا النوع الاخير فقد كان
دليلا عقليا تماما كما قال الشيخ محمد عبده .
يقول الامام ابن القيم :

(ان تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل اما ان يكون لعدم
علم الفاعل بها او بتفاصيلها ، وهذا محال في حق من هو بكل شي عليم .
واما بمجرد عن تحصيلها ، وهذا ممنوع في حق من هو على كل شي
قدير .

١ - سورة الانبياء اية (١٠٧) .
٢ - انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ١٩٠ .

واما لعدم ارادته ومشيئته الاحسان الى غيره ، وايصال النفع اليه ، وهذا مستحيل في حق ارحم الراحمين . ومن احسانه من لوازم ذاته فلا يكون الا محسنا منعما منا .

واما لما منع يمنع من ارادتها ، وقصدها ، وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد .

واما لاستلزامها نقضا ومنافاتها كمالا ، وهذا باطل ، بل هو قلب للحقائق وعكس للفطر ، ومناقضة لقضايا العقول . (" ١ ")

وايضا : فقد تكلم ابن القيم عن الكون وما فيه من الحكم الالهية والعناية الربانية ، واستدل بما في الكون من الحكم الالهية على وجود الحكمة في فعله ، وانه سبحانه يفعل بمشيئته واختياره ، وقدرته وارادته . . .

وانتهى الى القول : (وهذا قول جمهور اهل الاسلام واكثر طوائف النظار ، وهو قول الفقهاء قاطبة الا من خلى الفقه ناحية ، وتكلم بأصول النفاة ، فعادى فقهه اصول دينه) (" ٢ ")

ومن خلال البحث والاطلاع تبين لي ان الامام ابن القيم كان

حامل لواء السلف ، في اثبات تعليل افعال الله تعالى .

ولا مانع عندي من ذكر بعض انواع الادلة التي اوردتها في تعليل

افعال الله لذلك اخترت ثمانية انواع ، واكتفيت بها لان ما عداها من الانواع راجع

اليها ، او قريب منها . . .

١ - شفاء العليل ص ٢٠٤

٢ - نفس المصدر ص ٢٠٦

١ - (النوع الاول) :

=====

التصریح بلفظ " الحكمة " ، وما تصرف منه ، كقوله تعالى

" حكمة بالغة " . " ١ "

٢ - (النوع الثاني) :

=====

اجباره تعالى انه فعل كذا لكذا ، وانه امر بكذا لكذا كقوله

تعالى " ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض " . " ٢ "

وقوله تعالى : " الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامصر

بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل

شي عطا " . " ٣ "

وقوله تعالى : " جعل الله البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والمهدى

والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض

وان الله بكل شيء عليم " . " ٤ "

وقوله تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بحسد

الرسال " . " ٥ "

وقوله تعالى : " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن

ينقلب على عقبه " . " ٦ "

١ - سورة القمر اية (٥) .

٢ - سورة المائدة اية (٩٧) .

٣ - سورة الطلاق اية (١٢) .

٤ - سورة المائدة اية (٩٧) .

٥ - سورة النساء اية (١٦٥) .

٦ - سورة البقرة اية (١٤٣) .

وقوله تعالى : " وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان

وليبرط على قلوبكم ويثبت به الاقدام " ١

وقوله تعالى : " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون " ٢

وحتى لا يعترض معترض على اللام هنا ، فيقول : هي لام العاقبة ،

وان ما بعدها ليس هو الغاية المطلومة ، لكن لما كان الفعل منتهيا اليه وكان هو

عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل ، وهي في الحقيقة لام العاقبة .

رد الامام ابن القيم ، فقال :

(ان الجواب من وجهين :

(احدهما) : ان لام العاقبة انما تكون في حق من هو جاهل أو هو عاجز عن

دفعها ،

" ٣

فالاول كقوله تعالى : " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا " .

والثاني كقول الشاعر :

لدا للموت وابنوا للخراب فلكم يصير الى ذهاب " ٤

وأما من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، فيستحيل في حقه

دخول هذه اللام وانما اللام الواردة في احكامه وافعاله لام الحكمة

والغاية المطلومة .

(الثاني) : افراد كل موضع من تلك المواضع — يقصد الايات التي قيل ان اللام فيها

لام العاقبة — بالجواب) .

وقد أجاب عليها واحدة واحدة مما يطول شرحه ، ولا حاجة لنا به .

١ — سورة الانفال اية (١١) .

٢ — سورة النحل اية (٨) .

٣ — سورة القصص اية (٨) .

٤ — لا أعظم قائله ، ويروى بدل ذهاب : تراب .

٣ - (النوع الثالث :)

===== الايتيان ب " كي " الصريحة في التعليل .

كقوله تعالى : " ما اناء الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذی
القرين والیتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين
الاغنياء منكم " . " ١ " .

وقوله تعالى : " ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من
قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم " . " ٢ " .

فعمل سبحانه في الاية الاولى اعطاء كل ذي حق حقه كي لا يتداوله

ناس دون ناس .

واخير في الاية الثانية ان كل شيء مكتوب عنده بعلمه وقدرته لكي لا يحزن
الناس على مفقود ولا يفرحوا بموجود ، لان كل ذلك مكتوب ومحفوظ .

٤ - (النوع الرابع :)

===== ذكر المفعول له ، او المفعول لاجله .

كقوله تعالى : " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء " . " ٣ " . اي لاجل البيان .
وقوله تعالى : " ولقد يسرنا القرآن للذكر " . " ٤ " . اي لاجل الذكر .

٥ - (النوع الخامس :)

===== ذكر ما هو من صرائح التعليل وهو قوله " من اجل " .

كقوله تعالى : " من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بنحير

١ - سورة الحشر اية (٧) .

٢ - سورة الحديد الايات (٢٢ - ٢٣) .

٣ - سورة النحل اية (٨٩) .

٤ - سورة القصص الايات (١٧ ، ٢٢ ، ٣٢) .

نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا " ١ " .

٦ - (النوع السادس) :

انكاره سبحانه على من زعم انه لم يخلق

الخلق لغاية .

كقوله تعالى : " أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليينا لا ترجعون " ٢ " .

وقوله تعالى : " أيحسب الانسان ان يترك سدى " ٣ " .

وقوله تعالى : " وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا

بالحق " ٤ " .

وقوله تعالى : " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين

كفروا " ٥ " .

هذه الايات تضمنت الحكمة من خلق الانسان ، والسموات ،

والأرض ، وما بينهما ، فهو قد خلقها غير لاعب ولا عابث ، بل بالحق ،

وهو الحكم التي لاجلها خلق ذلك كله .

٧ - (النوع السابع) :

امره سبحانه بتدبير كلامه ، والتفكير فيه ، وفي

اوامره ونواهيه .

ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والنهايات الحميدة التي هي محل

الفكر لما كان للتفكير فيه معنى ، وانما دعاهم الى التفكير ليصلوا بذلك الى الحكمة

البالغة ، فان ما في خلقه من الحكم امر تشهد به المقول النبيرة والفظر

السليمة .

١ - سورة المائدة اية (٣٢) .

٢ - سورة المؤمنون اية (١١٥) .

٣ - سورة القيامة اية (٣٦) .

٤ - سورة الدخان اية (٣٨) .

٥ - سورة ص اية (٢٧) .

٨ - (النوع الثامن) :

===== جوابه سبحانه لمن سأله عن التخصيص والتميز الواقع
في أفعاله بأنه لحكمة يعلمها هو سبحانه ، وان كان السائل لا يعلمها ، وذلك
في مثل قوله تعالى " اني جاعل في الارض خليفة " فقالوا : " اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " فأجابهم بقولسه :
" اني اعلم ما لا تعلمون " . " ١ "

ولو كان فعله تعالى مجردا عن الحكم لعلمه الملائكة ، وانما وقّع
سؤالهم عن وجه الحكمة ، ولهذا لم يكن اعتراضا على الله سبحانه . " ٢ "
ومن هذا ايضا قوله تعالى : " واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى
تؤتى مثل ما اوتي رسل الله ، الله اعلم حيث يجعل رسالته " . " ٣ "
فأجابهم الحق سبحانه بأن علمه وحكمته يأبى ان يضع شيئا في غير
موضعه ، وعند غير اهله . وهو مقتضى عدله .
ومعد ان انتهى الامام من سرد هذه الانواع وشرحها افرد بابا خاصا ،
في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل ، وذكر الرد عليها ، ورد على الرازي " ٤ "

-
- ١ - سورة البقرة اية (٣٠) .
 - ٢ - انظر : شفاء العليل ص ٢٠٥ .
 - ٣ - سورة الانعام اية (١٢٤) .
 - ٤ - محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري : فخر الدين الرازي ، الامام
المفسر ، اشتهر بعلمه في المنقول والمقول ، وطوم الاوائل ، قرشي
النسب ، رحل الى خوارزم ، وكان واعظا بارعا في اللغتين العربية
والفارسية مات سنة ٦٠٦ هـ / انظر الاعلام (٧ : ٢٠٣) .

بكلام طويل نفي فيه جميع الشبه التي اوردها الرازي في نفي الحكمة • فنفي لزوم
قدم المعلول لقدم العلة • وابطل دعوى ان من يفعل لعملة ليس مختاراً •
وابطل التسلسل اللازم للعملة اذا كانت محدثة •

وحاصله : ان السلف رضي الله عنهم يثبتون الحكمة لافعاله تعالى

ويقولون :

(وجماع ذلك ان كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته وعدله ورحمته واحسانه
وقدرته وحمده • ومجده وحقائق اسمائه الحسنی تمنع كون افعاله صادرة
منه الا للحكمة والالفاية مطلوبة • وجميع اسمائه الحسنی تنفي ذلك وتتمسهد
ببطلانه) * ١ *

٢ - خلق أفعال العباد

=====

مذهب الشيخ محمد عبده :

=====

يقرر الشيخ محمد عبده مذهبه في مسألة خلق أفعال العباد في

امرين ، يصفهما بركني السعادة وقوام الاعمال البشرية • هما :-

الاول : ان العبد يكسب بارادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته •

الثاني : ان قدرة الله هي مرجح لجميع الكائنات ، وان من اثارها ما يحول بين

العبد وبين انفاذ ما يريد • وان لا احد سوى الله يمكن ان يعد

العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه •

ويرى الشيخ محمد عبده ان هذا هو الذي اهتدى اليه سلف

الامة ، فقاموا من الاعمال ما عجبت له الامم ، وعول عليه من متأخري اهل النظر

امام الحرمين الجويني رحمه الله • " ١ "

ويقول الشيخ محمد عبده انه لا دخل لعلم الواجب في كسب العبد ،

وليس بسالب للتخيير في الكسب ، وكون ما في العلم يقع لا محالة انما جاء من حيث

هو الواقع ، والواقع لا يتبدل •

ويضرب الشيخ محمد عبده لهذا مثلاً يقربه من الانهتان ، بشخص

من اهل العناد يعلم علم اليقين ان عصيانه لا يبره باختياره يحل به عقوبة لا محالة ،

لكنه مع ذلك يعمل العمل ويستقبل العقوبة ، وليس بشيء من علمه وانطباقه على

الواقع ادنى اثر في اختياره الا بالمنع ولا بالالزام •

فانكشف الواقع للمالم لا يضح في نظر العقل ملزما ولا مانعا . " ١ "
 ويناقش الشيخ محمد عبده آراء العلماء وأقوالهم التي ذكرها الدواني
 في شرحه على العقائد العضدية للايجي ، ويوازن بين المذاهب ، فيقر الصحيح
 منها ، ويمطل الباطل كما سترى في عرض هذه المذاهب ، وكيفية رد الشيخ
 محمد عبده عليها .

المذهب الاول :

===== وهو مذهب امام الحرمين الجويني ، ذكره في كتاب " الارشاد "

يقول الجويني :

(اتفق أئمة الملة الاقدمين . . . على ان الخالق هو الله تعالى
 ولا خالق سواه ، وان الحوادث كلها حادثة بقدرة الله تعالى ، من غير فرق
 بين ما تتعلق به قدرة العبد وبين ما لا تتعلق به) .

هذا اتفاق أئمة السلف ، لكن ما رأيه هو في هذه المسألة ؟

يقول : (أما نفي القدرة والاستطاعة عن المكلفين فمما يباه العقل
 والحس وأما اثبات قدرة لا اثر لها بوجه فهو كفي القدرة اضلا ، وأما اثبات
 التأثير في حالة لا تعقل فهو كفي التأثير . . .

فاذا لا بد من نسبة فعل العبد الى قدرته حقيقة لا على وجه الاحداث

والخلق .

فان الخلق يشعر بالاستقلال في ايجاده من العدم .
 والانسان كما يحس من نفسه شيئا من الاستقلال يحس من نفسه
 ايضا بعدم الاستقلال . فالفعل يستند وجودا الى القدرة ، والقدرة تستند

وجودا الى سبب آخر • تكون نسبة القدرة الى ذلك السبب كنسبة الفعل الى القدرة
... حتى ينتهي الى سبب الاسباب ، فهو خالق الاسباب ومسبباتها ، المستغني
على الاطلاق • فان كل سبب مستغن من وجه ، محتاج من وجه ، والبارى
تمالي هو الخفي المطلق الذي لا حاجة له ولا فقر (• " ١ ")

يعلق الشيخ محمد عبده على كلام امام الحرمين ، ويبين ان ما قاله
وقبل اتفاق السلف عليه هو قول يتفق عليه جميع الالهييين ، بل والطبيعيين ،
لم يخالف فيه أحد منهم ،

فانه صريح المشهور عن الحكماء ، والمعتزلة ، واعم من قول الاشاعرة •
ويقول : (وما سمع عن أحد من أهل العلم أنه قال : أن الممكن
مستقل فيما يصدر عنه بعد قوله بأنه ممكن ، الا اولئك الضعفاء من أهل القرون
المظلمة الذين قالوا بالبخت والاتفاق ...)

وليس الفعل الا مستندا الى الواجب مباشرة بايجاد خاص ، بحيث
يستند اليه الموجود بالذات حقيقة ، ولكن ذلك يصعب ادراكه على غير المحقق (• " ٢ ")
المذهب الثاني :

=====

وهو مذهب حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله •
ابن الغزالي في مذهبه ما ذكره صاحب المقائد العضدية ، وهو ان لا
خالق سوى الواجب فقال :

-
- ١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٥٩) •
 - ٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٥٩) /
وانظر : رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة (٣ : ٣٨٨) •

(لما بطل الجبر المحض بالضرورة ، فان بداهة العقل حاكمة بالفرق
بين حركة المرتعش وحركة المختار ، وبطل كون العبد خالقا لأفعاله بالأدلة
السمعية والعقلية ،

وجب ان يعتقد انها مقدورة بقدره الله تعالى اختراها ، وقدره
العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكساب .
فحركة العبد باعتبار نسبتها الى قدرته تسمى كسباً له ، وباعتبار
نسبتها الى قدرة الله ، خلقاً .

فهي خلق الرب ووصف العبد وكسبه) . " ١ "

وبمعنى آخر ، يريد الغزالي ان يقول :

ان الجبر المحض باطل لانه لو صح لكان النازل بمظلة ، والساقط
من الطائرة سواء . والمرتعش ومن يحرك يده باختياره سواء ، بمعنى ان
الأفعال القهرية تستوي مع الأفعال الاختيارية ، وهو باطل ، بداهة .
ولما بطل خلق العبد لأفعاله بالأدلة ، تمين الاعتقاد أن
أفعال العبد مقدورة بقدره الله تعالى ، وانه موجد لها ، وقدره العبد بوجه
آخر يعبر عنه بالاكساب .

ولا يقف الشيخ محمد عبده طويلاً مع هذا المذهب ، ولا يوافق

في قضية الاكساب ، ويبين الصواب فيقول :

(والصواب : أنا نجد من أنفسنا وجدانا صادقا أنه يصح لنا أن

نترك ، ونتمكن منه ، ولا كذلك المضطر) . " ٢ "

١ - نفس المرجع (١ : ٢٦٢) .

٢ - نفس المرجع (١ : ٢٦٥) .

المذهب الثالث :

===== وهو ما نقله الشهرستاني عن الشيخ الأشعري •
قال : (العبد قادر على أفعاله • إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة
بين حركات الرعدة والرعدة ، وبين حركات الاختيار والارادة •••
والمكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة ، والحاصل تحت القدرة

الحادثة) •

ومعنى كلام الأشعري ان للقدرة مدخلا في حصول الفعل ، وان الفعل

موقوف على تلك القدرة •

فالله هو الخالق لفعل العبد بقدرته مع مدخلية قدرة العبد في حصوله •

تعليق الشيخ محمد عبده على مذهب الأشعري :

=====

يقول : (وفي قول الأشعري تصريح وتلويح بأن الفعل موقوف

على تلك القدرة ، وان للقدرة مدخلا في حصول الفعل ••• وانها سوى مدخلية

التأثير ، وتلك المدخلية هي مدخلية الالية من باب ما لا يتم للممكن وجوده الا به ،

فكما ان قدرة الواجب لا تتعلق بايجاد حوكة الاكل والمشى بذاتها ، بل لا بد لها

من محل وهو الجسم ، كذلك لا تتعلق قدرته بتلك الحركة على انها من النفس ،

حتى يخلق شيئا في النفس هو السبب القريب في تعلق قدرة الرب بايجاد تلحك

الحركة ، فهو الخالق لفعل العبد بقدرته مع مدخلية قدرة العبد في حصوله) • " ١ "

المذهب الرابع :

• مذهب المعتزلة =====

اكثر المعتزلة على ان افعال حاصلة بقدرة العبد وحدها واستنادها

الى قدرة الله بالواسطة •

استند المعتزلة في ذلك للوجدان فقالوا :

• ان قدرة العبد لو لم تكن هي الفاعلة اذا ليست بمؤثرة •

ولما لم تكن مؤثرة لم تكن قدرة • فلا قدرة للعبد اذا ، وهذا هو الجسر

بمعينه •

• وايضا : فلا معنى للثواب والعقاب ان لم يكن للعبد اختيار وفعل بقدرته •

يقول الشيخ محمد عبده :

(ان مذهب المعتزلة هذا باطل ، وذلك لان الممكن لا يجوز أن

يكون مصدرًا لآثاره •

وقولهم : ان قدرة لو لم تكن هي الفاعلة اذا ليست بمؤثرة ، ولما لم تكن مؤثرة

لم تكن قدرة ... فالجواب عليه : ان القدرة ليست هي الوصف المؤثر • فلا

تستلزم التأثير ، بل انما تستلزم ما هو الاعم من التأثير ومن الكسب الذي هو

مدخلية الآلية مثلا •

وقولهم : انه لا معنى للثواب والعقاب ان لم يكن للعبد اختيار وفعل

بقدرته ...

لا يقدر في كون الله تعالى هو المتصرف المطلق ، يفعل ما يريد ،

يمنع المستحق ، ويمطي غير المستحق لحكمة يريد لها لا تعود عليه سبحانه ،

بل تعود الى ما دونه من الخلق ، والله سبحانه لا يسأل عما يفعل • " ١ "

المذهب الخامس :

===== مذهب الجبرية

يقول أهل الجبران افعال الانسان كلها مخلوقة لله ، ولا دخل
للعبد فيها ، فهو كالريشة في مهب المهواء ، أو كفصن الشجرة في مهب
الرياح .
وعدتهم في هذا قول الحق سبحانه " اتعبدون ما تنحتون والله
خالقكم وما تعملون " ١

فلا اختيار اذا للانسان ولا قدرة ، ولا مدخل لهما في اليجاد بوجه .
ان هذا المذهب معروف ومشهور ، وهو واضح في نسبة خلق الافعال الى
الله تعالى ، وقد رد عليه أهل الحق بما يبطله .
والشيخ محمد عبده فصل في الرد عليه ، قال :-

١ - ان كان الجبري يريد ان افعال الحيوانات كافعال الجمادات
لا مدخل للاختيار فيها بوجه ، ولا قدرة تستند اليها بنوع ، فذلك باطل
بالضرورة . وذلك لتحقق الاختيار والقدرة بالبداهة والوجدان للصادق .
٢ - أما ان كان يريد انه - وان كان للاختيار مدخل كما
للقدرة ذلك - فالفاعل هو ربه وموجده ، وليس الفاعل هو بمحض اختياره ،
فذلك هو قولنا .

وهو معنى قول بعضنا : العبد مختار من حيث هو مجبور ، ومجبور
من حيث هو مختار . ٢

١ - سورة الصافات الايات (٩٥ - ٩٦) .

٢ - المرجع السابق (١ : ٢٦٦) .

المذهب السادس :

===== وهو مذهب الاستاذ : ابواسحق الاسفرائيني ،

• والقاضي ؛ ابوبكر الباقلائي

فقد ذهب الاستاذ ابواسحق الى ان كون العبد قادرا ضروري وجدائي ،

وعوم تعلق قدرة الرب بهن ومنقول ، فلا طريق الا الجمع بينهما •

ونذهب القاضي ابوبكر الى ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين

جميعا لا من جهة واحدة ، لكن قدرة الله تتعلق بأصل الفعل وقدرة العبد

تتعلق بوصف من اوصافه هو كونه طاعة او معصية •

• والفرق بين قول الاستاذ وقول القاضي واضح •

فان الاستاذ يقول : ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين

على ان تعلقهما جميعا بأصل الفعل •

بينما يقول القاضي : ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين ،

لكن لا من جهة واحدة ، بل قدرة الله تتعلق بأصل الفعل وقدرة العبد بوصف

• من اوصافه •

مناقشة الشيخ محمد عبده لهذا المذهب :

=====

فصل الشيخ محمد عبده في مراد الاستاذ ، قال :-

١ - ان اراد ان كلا منهما - يعني مجموع القدرتين - بطريق

الاستقلال ، فذلك يستلزم اجتماع مؤشرين - بالاستقلال - على اثر واحد ،

لا بطريق البدل ، وهذا خلف محال •

- اي باطل - •

٢ - وان اراد ان ذلك انما كان بطريق مدخلية قدرة العبد

اي مدخلية ، فذلك صحيح ، وليس الا قول الاشعري •

وفصل في مراد القاضي ، قال :-

مراده في ثعلق قدرة العبد ، هو كون تلك الجهة كونا من
اكوان الفعل لا قصدا لفاعل - كما هو مذهب الماثريديه ، من ان جهة الكسب
هي القصد ، والقصد حال من الاحوال لا يتعلق به الخلق والايجاد -
وان ذلك الكون هو اثر القدرة الحادثة .

يقول الشيخ محمد عبده :

ان الحال - سواء كان القصد او غيره - لا يخلو من امرين :
(الاول) : ان كان لازما لسببه فهو غير محل للتأثير ، فلا يضح متعلقا
لقدرة الحادث فيثبت الجبر . ان لا جهة للاختيار سواء .

(الثاني) : وان كان غير لازم ، بل كان امرا يصدر بالاختيار ، فمن البين
ان لا يكون الافعال وجوديا ، يدخل تحت تأثير القدرة .
فان البدهاهة قاضية ان اثر القدرة اخراج المقدور من حيز العدم الى
حيز الوجود . فيلزمه ما لزم المعتزلة من تأثير القدرة الحادثة في بعض الافعال .
وان اراد المدخلية فالذهب مذهب الاشعري . " ١ "

وهكذا استطاع الشيخ محمد عبده ان يحدد المذاهب المختلفة في هذه
المسألة ويقررها ، - وانه لبارع كل البراعة في تشقيق القول ، وتحليل المسائل
وتوليد الآراء - ، ويقول ان الحق ما ذهب اليه وهو ان العبد يكسب بارادته
وقدرته ، وان قدرة الله هي مرجح لجميع الكائنات ، وانه لا دخل لعلم الواجب
في كسب العبد ، وليس بسالب للتخيير في الكسب .

أقول : ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، هو الذي اهتدى اليه

سلف الأمة ، وهو مذهب جمهور من العلماء ، منهم البخارى " ١ " ، وابو يعلى " ٢ " ، وهو ما قرره شيخ الاسلام " ٣ " وتلميذه ابن القيم وفصل فيه " ٤ " .

وإذا رجعنا الى " شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل " لابن القيم ، في الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة خلق الله سبحانه الاعمال وتكوينه وايجاده لها .

وجدنا أن ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة " التوحيد " وعلى حاشية الدواني على العقائد العنصرية . موجود في كتاب ابن القيم السابق بل أكد ان جميع الردود والتعليقات والشروح التي ذكرها الشيخ محمد عبده على المذاهب السابقة ، موجودة في شفاء العليل ، ومكتوبة بقلم ابن القيم ، " ٥ " .

وحتى يزداد الامر جلاء ووضوح ، أرى أن أغرض مذهب السلف في خلق أفعال العباد ، وأبين أدلتهم ، وأذكر بعض أقوال أئمتهم ، لترى صحة مذهبهم ، وموافقة الشيخ محمد عبده ، لهم .

تقرير مذهب السلف :

=====

يقول الامام ابن القيم رحمه الله : (فانهم يشتمون قدرة الله على جميع الموجودات ، من الاعيان والأفعال ، ومشيئته العامة .)

-
- ١ - انظر كتاب : خلق افعال العباد ، للبخارى ص ١٧ .
 - ٢ - انظر كتاب : المعتمد لابن يعلى ص ١٢٦ .
 - ٣ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٨ : ٤٦١ و ٤٦٢) .
 - ٤ - انظر : شفاء العليل ص ٤٩ .
 - ٥ - نفس المرجع ص ٤٩ - ٦٤ .

وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ، ولا هو واقع تحت مشيئته .
ويثبتون القدر السابق . وان العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ،
وانه لا يشاؤون الا ان يشاء الله ، ولا يفعلون الا من بعد مشيئته ، وانه ما
شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من
الوجوه ، والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه او مشيئته وخلقه ، فلا يتحرك
ذرة فما فوقها الا بمشيئته وعلمه وقدرته ، فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة الا بالله
على الحقيقة . . .

ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي
له ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وارادته واختياره وفعله حقيقة لا مجازا .
وهم متفقون على ان الفعل غير المفعول ، فحركاتهم ،
واعقاداتهم ، افعال لهم حقيقة ، وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة ،
والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه ، والذي قام بهم هو
فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة ،
وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاء منهم وخلقه لهم ،
فما يشاؤون الا ان يشاء الله ، وما يفعلون الا ان يشاء الله . " ١ "

ويقول شيخه ابن تيمية رحمه الله :

(افعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الامة وأئمتها ، كما

نص على ذلك سائر ائمة الاسلام ، الامام احمد ومن قبله ومن بعده حتى قال
بعضهم : من قال ان افعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال : ان السماء
والارض غير مخلوقة) " ٢ "

١ - شفاء الحليل ص ٥٢ / وانظر العقيدة الطحاوية ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٨ : ٤٠٦) .

واترك الكلام لشيخ الاسلام ، ليبين مراده بالتفصيل :

يقول :

انذا قيل عن " فعل ما " انه فعل الله ، او فعل غيره ، فقد يراد

الفعل نفسه وقد يراد مسمى المصدر .

افانذا اريد بالفعل مسمى المصدر كصلاة الانسان مثلا ، فالفعل هنا هو

المفعول

وهذا لا يقال انه فعل الله تعالى باتفاق المسلمين ، وبصريح العقل .

يدل على هذا ايات كثيرة في الكتاب المبين :

قال تعالى : " يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور

راسيات اعلموا الى داود شكرا وقليل من عبادى الشكور " . " ١ "

فجعل المحاريب والتماثيل والجفان والقدور معمولة للجن .

وقال تعالى : " قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون " . " ٢ "

اي والله خلقكم وخلق الاصنام التي تنحتونها فتعبدونها ، فالصنم

عملهم والخلق كله لله .

مثال ذلك :

انك اذا كتبت بالقلم مثلا ، فهل يكون القلم شريكك ، او يضاف

اليه شيء من نفس الفعل وصفاته ؟

ام هل يصلح ان تلغي اثره وتقطع خبره ، وتجعل وجوده كعدمه ؟

ام يقال به كتبت ؟

ولله المثل الاعلى ، فان الاسباب بيد العبد ليست من فعله ، وهو

محتاج اليها لا يتمكن الا بها ، والله خلق الاسباب ومسبباتها ، وجعل خلق البعض

١ - سورة سبأ اية (١٣) .

٢ - سورة الصافات الايات (٩٥ - ٩٦) .

شرطا وسببا في خلق غيره ، وهو في ذلك غني عن الاشتراط والتسبب ، ونظم بعضها لبعض ، لكن الحكمة تتعلق بالاسباب ، وتعود اليها والله عزيز حكيم .
فملى هذا ، فمشيئة العبد للفعل موجودة ، وله قدرة عليه ، والله خالق ذلك كله ، لا خالق غيره ، ما شاء في ملكه كان وما لم يشأ لم يكن .

قال تعالى : " وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيمًا " . " ١ "
وقال تعالى : " ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين " . " ٢ "

وخاصل مذهب السلف ان فعل العبد فعل له حقيقة ، لكنه مخلوق لله ، ومفعول له ، وليس هو نفس فعل الله ، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق . " ٣ "

واذا اوزنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته (هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ووجدت سائر المذاهب خطوطا عن يمينه وعن شماله قريب منه بعيد وبين ذلك) . " ٤ "

-
- ١ - سورة الانسان الايات (٢٩ - ٣٠) .
 - ٢ - سورة التكوير الايات (٢٧ - ٢٩) .
 - ٣ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٨ : ٣٣٨ ، ٣٩٠ وما بعدها) .
وانظر : شفاء المليل ص ٥٢ .
 - ٤ - شفاء المليل ص ٥٢ .

أدلتهم من القرآن :

===== استدل ابن القيم على مذهب السلف بكثير من الايات

في اكثر من خمسة وعشرين موضعا من كتاب الله . " ١ "

وتصدى لما عداه من المذاهب والاراء فأبطلها بالادلة النقلية

والعقلية تماما كما فعل الشيخ محمد عبده في شرحه السابق ، وقلت انه وافق

فيه كلام الامام ابن القيم .

ومن الايات التي استدل بها ابن القيم على مذهب السلف ، اذكر :

قال تعالى : " ان الله على كل شي قدير " . " ٢ "

قال تعالى : " قل الله خالق كل شي " . " ٣ "

قال تعالى : " والله جعل لكم ما خلق ظلالة وجعل لكم من الجبال اكناسا

وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم " . " ٤ "

قال تعالى : " وانه هو اضحك وابكى " . " ٥ "

قال تعالى : " واصبر وما صبرك الا بالله " . " ٦ "

قال تعالى : " واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله

ما يركبون " . " ٧ "

١ - انظر شفاء العليل ص ٥٢ - ٦٥ .

٢ - سورة البقرة اية (٢٠) ، (١٠٩) ، (٢٤٨) / سورة ال عمران

اية (١٦٥) : سورة النحل اية (٧٧) / سورة النور اية

(٤٥) / سورة العنكبوت اية (٢٠) / سورة فاطر اية (١) .

٣ - سورة الرعد اية (١٦) .

٤ - سورة النحل اية (٨١) .

٥ - سورة النجم اية (٤٣) .

٦ - سورة النحل اية (١٢٧) .

٧ - سورة يسن الايات (٤١ - ٤٢) .

وجه الاستدلال :

=====

قال السلف : هذا غيبي من فيض من آيات الله الدالة على مذهبنا ،
فهي تفيد ان افعال العباد كلها صغيرها وكبيرها ، دقائقها وجلالها ،
سرها وعلنا ، ... ، مخلوقة لله حقيقة ، وان فعل العبد فعل له حقيقة ،
وهو مخلوق لله .

هي آيات صريحة في اثبات ان العبد فاعل مختار ، وان الله تعالى
هو خالق العبد وخالق الاختيار في نفسه كما هو صريح في قوله تعالى : " وانه
هو اضحك وابكى " ، والضحك والبكاء ، فعلان اختياريان ، فهو الضحك المبكي
حقيقة والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة .

وفي قوله تعالى " واصبر وما صبرك الا بالله " ، ومعلوم ان
الصبر من العبد فعل اختياري له ، وقد اخبر سبحانه انه به لا بالعبد .
فالتصبير منه سبحانه وهو فعله ، والصبر هو القائم بالعبد وهو
فعل العبد .

وهذا يظهر لنا صحة مذهب السلف ، وموافقة الشيخ محمد عبده

لهم .

فهو سلفي في مسألة خلق افعال العباد ،
وهذا من الشيخ محمد عبده موقف احمده له ، لان الخير فيما
اختاره السلف وذهبوا اليه ان شاء الله .

٣ - حسن الافعال وقبحها

=====

من المسائل التي بحثها الشيخ محمد عبده ، وتكلم عنها بشي من

التفصيل : حسن الافعال وقبحها •

أستطيع أن أرد ما كتبه الى النقاط الرئيسية التالية :-

١ - يجد الانسان في نفسه بالضرورة تمييزا بين الجميل من الاشياء ،

والقبيح منها •

٢ - للافعال الانسانية الاختيارية حسن وقبح في نفسها • وفي اثرها •

٣ - الحى أو العقل البشرى قادر على تمييز ما حسن من الافعال ،

وما قبح دون توقف على سماع •

٤ - كثيرا ما يبين الشرع للانسان وجوه الحسن او القبح فيما امر به

او نهى عنه •

٥ - قد يكون من الاعمال ما لا يمكن درك حسنه ، ومن المنهيات ما لا

يعرف وجه قبحه • وهذا النوع لا حسن له الا الامر ، ولا قبح

الا النهي • " ١ "

وبعبارة اخرى اقول :

معنى كلام الشيخ محمد عبده : ان الافعال الانسانية في

نفسها حسنة وقبيحة ، او في الاثر الذي ينتج عنها ، وان من الافعال ما يستطيع

العقل البشرى معرفته ، وادراك حسنها او قبحها ، ومنها ما لا يستطيع

تمييزه الا اذا جاء الشرع فعرفه به • اما بأمره بفعله او بنهييه عنه •

واحيانا يكون العمل حسنا لكنه لا يدرك حسنه الا اذا امر الشرع به
ويكون قبيحا فلا يدرك قبحه الا اذا نهى الشرع عنه •

تقويم هذا الكلام :

=====
أرى أن هذا الكلام حسن ، لم يخرج قائله
عن تقسيم السلف لانواع الحسن والقبح •

فقد قسم الامام ابن القيم في كتابه : " مدارج السالكين بين منازل
اياك نعبد واياك نستعين " •

التحسين والتقبيح الى ثلاثة اقسام ، هي :-

=====

القسم الاول :

=====

- ما طلب الله من العبد فعله لحكمة في نفس الامر ، لا يعلمها الا الله
وذلك امتحانا وابتلاء له ، حتى يعلم طاعته او عصيانه •
 - وليس المراد فعل المطلوب من العبد ، وقد يكون المطلوب فعله حسنا
في العقل ، وقد لا يكون ، لكن العبد لا يدركه •
- مثاله :

لما امر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده ، وطلب منه ان
يفعل ما رأى ، عرض الاب رؤياه على ابنه ، فاستجاب الابن لامر الله •
فلما خرجا مستسلمين لامر الله ، وهم الاب بذبح ابنه فداء الله
بذبح عظيم •

قال تعالى مصورا القصة الحقيقية ، والمشهد الحي ، لاب يذبح ابنه •
" فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك

فانظر ماذا ترى قال يا ايتها افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ،
فلما اسلمنا وتله للجبين ونادىناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي
المسحنيين ان هذا لهو البلاء المبين وقد يناه بذبح عظيم " ١ " .

القسم الثاني :

=====

ما يحصل فيه الحسن والقبح بخطاب الشارع ، فاذا امر الشارع
بشيء صار حسنا ، واذا نهى الشارع عن شيء صار قبيحا .
وذلك كأمره تعالى بالزواج ، ونهيه عن زواج المتعة ، او نهيه
ان يزيد على اربعة نساء ، او نهيه عن الزواج بالمحرمات .
فما امر به الشارع من النكاح صار حسنا ، وما نهى عنه الشارع
صار قبيحا ، مع ان ما نهى عنه لم يكن قبل ورود الشرع قبيحا .

القسم الثالث :

=====

ما يكون الفعل فيه مشتملا على مصلحة او مفسدة ولو لم يرد الشرع
بذلك ، كالعدل ، الذي فيه مصلحة العالم ، والظلم الذي فيه فسادهم .
وهذا القسم بامكان العقل السوي ان يعلمه من غير ورود الشرع " ٢ " .

-
- ١ - سورة الصافات الايات (١٠٢ - ١٠٧) .
 - ٢ - بتصرف عن : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد و اياك نستعين
(١ : ٢٣١) . وما بعدها .

مقارنة بين كلام السلف وكلام الشيخ محمد عبده :

=====

- كما قلت قبل قليل عند تقويم كلام الشيخ محمد عبده ، انه لم يخرج
عن دائرة وحدود السلف في مسألة حسن الافعال وقبحها ،
فهو يقول ان الانسان يفرق بالبداهة بين ما هو حسن وما هو قبيح ،
فهو يعرف ان العدل حسن والظلم قبيح ، ويدرك حسن الصدق وقبح الكذب .
ويقول ان الحس او العقل قادر على التمييز بين هذا وذاك دون التوقف
على السمع وهو القسم الثالث من الاقسام عند ابن القيم .
ويقول ايضا : من الاعمال ما لا يمكن درك حسنه ، ومن المنهيات ما لا
يمكن معرفة وجه قبحه ، وهذا لا حسن له الا الامر ، ولا قبح الا النهي .
وهذا النوع هو القسم الثاني عند ابن القيم .
اما القسم الثالث فلم يتعرض له الشيخ محمد عبده في كلامه ، وتميز به الامام
ابن القيم رحمه الله تعالى .
وبناء عليه نجد الموافقة بين ما قاله الشيخ محمد عبده ، وما قاله
علماء السلف رضي الله عنهم .

٤ - القضاء والقدر

=====

عرف الشيخ محمد عبده القضاء : بعلم الله السابق بحصول

الاشياء على احوالها في اوضاعها .

والقدر : بايجاده تعالى لها عند وجود اسبابها .

وعن علاقة علم الله بفعل الانسان قال :

(ولا شيء منها يضطر العبد لفعل من افعاله ، فالعبد وما

يجده من نفسه من باعث على الخير والشر ، ولا يجد شخص الا ان اختياره دافعه

الي ما يعمل والله يعلمه فاعلا باختياره : اما شقيا به واما سعيدا) .

وقال :

" ١ "

(ان قضاء الله في الفعل الانساني ليس لازما وقدره ليس حاتما) .

وعن اثر الإيمان بعمقيدة القضاء والقدر في نفوس المؤمنين ، ذكر كلاما يطول

ذكره ، بين في نهايته ان عقيدة الازعان للقضاء والقدر حسبت من اسباب

الانحطاط عند المسلمين ، لانها نزعته بهم الي الكسل انتظارا لما يأتيهم من الغيب

وسطت ايدي اغنيائهم في الاسراف اتكالا على ما يسوقه عالم الغيب .

وذكر ان ذلك يعود الي سوء فهم ، سببه سوء فهم اهل هذه

العقيدة . " ٢ "

١ - نهج البلاغة ، للامام علي ، اختيار الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد

عبده ص ٣٧٥ .

٢ - انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٨١) نقلا عن (المؤيد) ،

الصادرة في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٠ م العدد (٣٣٩٢)

وحتى لا اطيل في الكلام ، ومن اجل طبيعة البحث ، وما يقتضيه ،
ارى ان الخص في نقاط ما وضعه الشيخ محمد عبده من اثر الايمان بهذه العقيدة .

١ — الاعتقاد بالقدر مما يلهم الانسان الصبر على ما نزل ، والثبات
عند ملاقات المصاعب ، وفي هذا تخفيف على النفس فلا تجزع اذا نزلت النوائب ،
وتثبيت لها عند ملاقات المصاعب وتشمها ، فيحصل من ذلك عون لها على
ملاقاة ما يصيبها .

٢ — الاعتقاد بالقدر مما يحفز الهمم للقضاء على الكسل وحب الراحة ،
وينمي في النفوس حب العمل ، والاعتماد على ما وهبه الله من قوة بعد استمداد
العون من الله ، والتوكل عليه .

٣ — الايمان بالقضاء والقدر يقضي على اليأس اذا هاجم القلوب ،
ويذلل العقبات المعترضة سبيل المؤمن ، مع الاستعانة بالله والاخذ بالاسباب .
٤ — الاعتقاد بالقضاء والقدر يردح الشيطان وينحيه عن طريق البذل
والعطاء في سبيل الخير ، والاقدام والجود بالروح في سبيل الله ، لان الاعتقاد
بالقضاء والقدر يلهم الانسان ان الارزاق محدودة والآجال مضمومة .

وينص الشيخ محمد عبده في مقال له بعنوان " التوكل " على
المتواكفين ، المحتجين على توكلهم ، وترك اعمالهم بالقدر .
ويبين ان هذه العقيدة فاسدة ، وحميدة عن عقيدة وهدي سلف
الامة وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

يقول :

(نرى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو امامنا وقدوتنا ، لما بعث في دياجير الجهل ، وتحكم سلطان الشرور ، وقبائح العادات في الامم التي ارسل اليها لم يقل : ان ذلك ما اراده الله ، ولم يسلم امره للقدر بتسرك العمل ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم ، اصابهم من الالام في السعي ما اصابهم ، مع انهم اشد الناس توكلا على الله ، واكملهم تمسكا بالقدر في طريق الحق) • " ١ "

كما يصف الاحتجاج على ترك العمل بالقدر ، بأنه من عقائد الملحدين ، ويتهم من يزعم انه متوكل من المظاهرين بالصلاح ، بالكذب والزندقة •

وسين خطاً من يحتج على تواكله وكسله عن طلب الرزق ، ببرق الله الطير والنمل ، وبقية مخلوقاته •

يقول :

(الاحتجاج على ترك العمل بالقدر من عقائد الملحدين ، وقد جاء الكتاب الكريم بتشنيع اعتقادهم والنعي عليهم فيه ، وقد حكى لنا ما كانوا يقولون من نحو قوله تعالى : " سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکتنا ولا آباءنا ، ولا حرمنا من شيء " كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعمون الا الظن وان انتم الا تخرصون " • " ٢ "

١ - انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ١٥٣) •

٢ - سورة الانعام اية (١٤٨) •

فلا يسوغ لاحد منا وهو يدعي انه مؤمن بالقران ان يحتج بما كان

يحتج به المشركون •

ومن يزعم انه متوكل من المتظاهرين بالصالح فهو كاذب زنديق " ١ "

لانه انما يدعي التوكل اذا طوبى بأمر فيه مشقة عليه ، او يجد في نفسه عجزا

عنه ، لا سيما اذا كان في مصلحة عامة فهو يرض بما يجد •

فاذا رجع اولئك المتبتلون الى منافعهم الخاصة لم تجد للتوكل في

نفوسهم اثرا ، فهم يفسحون ويخادعون ويحتالون لتحصيل ما به يعيشون او ما به

على الناس يظهرن وحينئذ لا يرجعون الى التوكل فهم كذبة لا يصح الاقتداء بهم)

ويبين الشيخ محمد عبده خطأ من يحتجون بحديث الرسول صلى

الله عليه وسلم " لو انكم تولكتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير

تخدو خماسا وتروح بطانا " • " ٢ "

ويقصرونه بأننا لو القينا انقالنا على الله ، وتركنا اسباب عيشنا

في كسبنا وماكلنا ومطبخنا ومزقنا لرزقنا كما يرزق الطير •••

يقول :

(هذا الفهم خطأ بعيد عن المراد ، ولولا ذلك لقال صلى الله

عليه وسلم : لرزقكم كما ترزق الطير تلبث في اعشاشها ، وتفتح افواهها ،

١ - لا اوافقه في هذا الوصف ، لان الزنديق من خرج عن دين الله ،

وعمل على هدم ما فيه وسخر لذلك كل ما يملك : كعبد الله بن سبأ ،

وغيره من رؤوس الفرق الضالة • ولو وصفهم بالدروشه ، او ما شابهها

لكان افضل •

٢ - رواه الترمذى عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال :

حديث حسن •

ومعنى "خماسا" : ضامرة البطون من الجوع ، و"بطانا" : متلثة

البطون •

انظر : رياض الصالحين ، للنووى ص ٦٦ •

فتصبح خماسا ، وتمهيني بطانا .

يظنون ان هذا الحديث حث على البطالة وترك العمل ، مع انه جاء

للحث على العمل .

والكلام في معنى : حق التوكل ، ظنوه ترك العمل والسعي بالمره ،

وهو خطأ محض ،

فالمراد من حق التوكل : ان يعتمد الانسان على الله سبحانه وتعالى

مع اتباع سننه التي سننها في الطلب ، فيحصل الصالح من اسباب مطلوبه مما

جمله الله سببا ، ويدقق النظر في ذلك ما شاء حسبما طالبه الله تعالى به .

ثم بعد ان يستعمل الاسباب يناجي ربه بسره : ان قد اتيت بما

في استطاعتي ، على مقدار ما وهبتي ، وما بقي ، مما لا اعظم ولا املك ، فهو

في يدك ، فأعني بقدرتك ، ولا تحرمني من ميمونتك ، ثم يمضي في عمله .

هذا هو حق التوكل وقد اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في

قوله : " تفدو خماسا وتروح بطانا " . " ١ "

تقويم كلام الشيخ محمد عبده :

=====

عقيدة الشيخ محمد عبده في القضاء والقدر هي مما اجمع عليه سلف

الامة ، وائتمها ، وقررها علماء السلف المتأخرين في كتبهم وحثوا الناس على

الايان بها خيرها وشرها من الله تبارك وتعالى .

وان الايمان بهذه العقيدة احد الاركان الستة التي يدور عليها فلسفك
الايمان ، كما دل عليه حديث جبريل عليه السلام " ان تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . . . " ١

واليك نهذة مما قاله مقرر مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية في

هذا الموضوع :-

قال : ان الايمان بالقدر على درجتين ، وان كلا منها تتضمن شيئين :

فالدرجة الاولى ، تتضمن :

=====

اولا : الايمان بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم المحيط

بجميع الاشياء ، وانه تعالى علم كل ما سيعمله الخلق ، وعلم جميع

احوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والاجال .

ثانيا : ان الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ . فما سجله الله

من مقادير الخلق التابع لعلمه القديم تارة يكون جملة كما في اللوح المحفو

المحفوظ ، فان فيه مقادير كل شيء . ويكون في مواضع تفصيلا يخص كل

فرد كما هو الحال في الجنين قبل النفخ فيه يبعث الله اليه ملكا ،

فيؤمر بأربع كلمات فيقال له : اكتب رزقه واجله وعمله وشقي ام سعيد .

١ - الحديث صحيح من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

انظر : الاربعين النووية ، الحديث الثاني .

واما الدرجة الثانية ، فتتضمن :

اولا : الايمان بعموم مشيئته تعالى وان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ،
وان افعال العباد واقعة بملك المشيئة .

ثانيا : الايمان بأن جميع الاشياء واقعة بقدرة الله ، وانها مخلوقة له ،
لا خالق لها سواه . * ١ *

هذا عن درجات الايمان بالقدر

وعن علاقة علم الله في فعل العبد قال ، موضحا * ٢ * :

(ان الله تعالى علم الامور وكتبها على ما هي عليه ، فهو

سبحانه قد كتب : ان فلانا يؤمن فيعمل صالحا فيدخل الجنة ، وفلانا يفسق
ويعصي فيدخل النار

فمن قال : ان كنت من اهل الجنة فأنا ادخلها بلا عمل صالح

كان قوله قولا باطلا متناقضا لما علمه الله وقدره فمن ظن انه يدخل الجنة
بلا ايمان كان ظنه باطلا ،

وانذا اعتقد ان الاعمال التي امر الله بها لا يحتاج اليها ولا فوق

بين ان يعلمها ، اولا يعلمها كان كافرا ، والله قد حرم الجنة الا على اصحابها)

وحاصلها :

لادخل لعلم الله في عمل الانسان الاختياري سواء كان شرا او خيرا .

لكن الله بعلمه الكاشف لجميع المعلومات في الماضي والحاضر والمستقبل على وجه

١ - انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ١٥١ - ١٥٦ .

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٢ ، ٣٠٢ .

٢ - وهذا هو الذي ذكره في الدرجة الاولى من درجات الايمان بالقدر .

٣ - مجموعة الرسائل الكبرى ، رسالة القضاء والقدر (٢ : ٩٢) .

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٢ ، ٤١٥ .

الاحاطة والشمول ، علم ما سيكون من امر فلان فكتبه على ما هو عليه .
وهذا لن يتغير مما علمه الله وكتبه . وهو عندي معنى كلام الشيخ
محمد عبده السابق في مسألة خلق افعال المباد (فلا شيء في العلم بالسلب
للتخيير في الكسب ، وكون ما في العلم يقع لا محالة انما جاء من حيث هو الواقع ،
والواقع لا يتبدل) .

ويعجبني ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في مذهب اهل السنة والجماعة ،
في مسألة القدر ، والمسائل الاخرى السابقة الذكر ، قال :

(مذهب اهل السنة والجماعة ان الله تعالى خالق كل شيء ، وربه
وطيحه ، لا رب غيره ولا خالق سواه ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ،
وهو على كل شيء قدير ، وكل شيء عليم والعبد مأمور بطاعة الله ، وطاعة
رسوله ، منهي عن معصية الله ومعصية رسوله ، فان اطاع كان ذلك نعمة ،
وان عصى كان مستحقا للذم والعقاب ، وكان لله عليه الحجة البالغة ، ولا
حجة لاحد على الله تعالى ، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ، ومشيتته
وقدرته ، لكن يحب الطاعات ويأمر بها ، ويثيب اهلها على فعلها ، ويغض
المعصية ، وينهي عنها ، ويعاقب اهلها ويهينهم . . .

فلا بد ان يؤمن العبد بقضاء الله وقدره وان يؤمن بشيئهم وامره) . " ١ "

والشيخ محمد عبده من الذين يؤمنون بهذا كله ، ويؤمنون بشرعه
وامره ، وعلى هذا فهو من اهل السنة والجماعة في هذه المسائل ، على ما
بينت سابقا ، والله اعلم .

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٨ : ٦٣) .
٢ - وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٧ ، ٤١٠ ، وما بعدها .

٥ - جواز رؤيته شمالي في الاخلاصة

=====

مذهب الشيخ محمد عبده :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان هذه المسألة محل اتفاق بين جميع المنزهين ، لا مجال معه للتنازع .
ويقدر الشيخ محمد عبده الواجب على المسلم نحو ربه في هذا ،
فيقول :

(الواجب علينا هو الايمان بأن الله يرى على وجه منزه عما هو
من خواص الحوادث) * ١ *

لكن الشيخ محمد عبده يرى ان هذه الرؤية لا تكون على المصهود
من رؤية البصر ، المعروفة لنا في مجرى العادة ، بل هي رؤية لا كيف فيها ،
ولا تحديد . ومثلها لا يكون الا يبصر يختص الله به اهل الدار الاخرة ،
او تتشريفه خاصته المصهودة في الحياة الدنيا .
وفي هذا المعنى يقول :

(وليكن بأية قوة من قوانا ، او بقوة جديدة يخلقها في
ذلك الوقت ، في اي عضو من اعضائنا ، وان كان القلب) * ٢ *

١ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٣٩) .

٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

فهو اذا ، يؤمن بوقوع الرؤية ، لكن على كيفية لا نعلمها ، يختص الله بها
المؤمنين من أهل الدار الآخرة ،
أما المكذابين بيوم الدين : (فسيكونون يوم القيامة في المكان الدون
وموقف الهون و " انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " ١)
ولا يحجب عن الرب الكريم الا المخذول المرذول الدليل المبهين) ٢
ويقول :

(من كان هذا شأنه ، فماذا يكون حاله يوم يتجلى الجبار ، ويرتفع
الستار) ، ٣

مناقشة هذا المذهب :

=====

القول :-

وفيما قاله الشيخ محمد عبده في هذا المذهب مجال لتعقيب ،
وسأعقب على قوله : (وليكن بأية قوة من قوانا ، او بقوة جديدة يخلقها في
ذلك الوقت في أى عضو من اعضائنا ، وان كان القلب) .
فالشيخ محمد عبده ، لا ينكر الرؤية ، بل يصدق بوقوعها في الدار
الآخرة ، لصحة الاخبار الواردة عن الله تعالى ، وتواتر الاخبار والاحاديث
الدالة عليها .

لكنه رأى عدم اشتراط وقوعها بالبصر عيانا ، فقد تكون بقوة اخرى مخلوقة
في الانسان ، - لم يبينها الشيخ محمد عبده - ، او تكون بقوة جديدة

١ - سورة المطففين آية (١٥) .

٢ - انظر : الاعمال الكاملة للإمام (٥ : ٣٥٨) .

٣ - نفس المرجح (٥ : ٣٣٤) .

يخلقها الله في الانسان يوم القيامة في اى عضو من اعضاء جسمه ، كالقلب .
واني ارى عدم صحة هذا المذهب ، وبعده عن مذهب اهل السنة
والجماعة ومخالفته للايات الكريمة ، والاحاديث المتواترة ، واقوال الصحابة وكبار
ائمة المسلمين من اهل العلم ، الذين اثبتوا رؤية الله تعالى يوم القيامة حقيقة ،
عيانا بالابصار اكراما وتفضلا منه تعالى لعباده المؤمنين .

يقول الامام ابن القيم في " حادى الارواح " :
(قد دل القرآن والسنة المتواترة ، واجماع الصحابة وائمة الاسلام ،
واهل الحديث بحسبة الاسلام ونزل الايمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، على ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عيانا كما يرى القمر
ليلة البدر صحو ، وكما ترى الشمس في الظهيرة) . " ١ "

أدلة السلف في الرؤية :

=====

استدل السلف رضي الله عنهم ، على مذهبهم في اثبات رؤية الحق
سبحانه يوم القيامة ، بأدلة من القرآن والسنة ، واقوال بعض الصحابة
والتابعين وما نقل عن الائمة الاويجة ، ونظرائهم . " ٢ "

وبحسب هذا ، لا يتسع لكتابة ما قيل في هذه المسألة ، لخصوصها ،
وكثرة ما فيها من اقوال ، وقد كتب زميل لي رسالة " ماجستير " بعنوان
" رؤية الله " . " ٣ "

-
- ١ - حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ٢٤١ .
 - ٢ - انظر حادى الارواح ص ٢٣٥ .
 - ٣ - رسالة ماجستير مقدمة من الطالب احمد الناصر الحمد ، بقسم الدراسات العليا ، فرع العقيدة ، باشراف الدكتور عوض الله جاد حجازى .

لذلك ، فاني اكتفي بذكر سبعة ادلة من كل مصدر ، رجح اليه
المثبتون للربعية ، واعتقد ان هذا يكفي في الرد على المنكرين ، مهما كانوا ،
وهو تتحقق الفائدة المرجوة من البحث ، وهي ابراز الحق ، وتأييد اهله ،
وبيان موافقة الشيخ محمد عبده لاهل الحق في ثبوت الرؤية ، ومخالفته اياهم
في كونها بالعين المبصرة او اي عضو من اعضاء الجسد ، كالقلب ،
ولسوف يظهر لك من خلال الادلة ، ان رؤية الله تعالى يوم القيامة ،
وفي الدار الاخرة تكون بالعين ، لا بشيء اخر غيرها .

١ - الادلة من القران :

=====

(الدليل الاول) :

===== قال تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وقلناه ربه ،
قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق
قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين " . " ١ " .

وجه الاستدلال :

=====

استدل السلف بهذه الاية على جواز رؤيته تعالى من سبعة اوجه :

الوجه الاول :

===== ان سؤال موسى عليه السلام الرؤية ، دل على عدم امتناعها ، لانه

رسول من عند الله ، لا يجوز ان يكون جاهلا • فيسأل ربه ما لا يجوز عليه ،
الوجه الثاني :
===== ان الله تعالى لم ينكر على موسى سؤاله ، ولو كان محالا لانكره
عليه •

يشهد لهذا انكاره تعالى لنوح عليه السلام لما سأله ان ينجي ابنه ،
قال تعالى : " اني اعطتك ان تكون من الجاهلين " • " ١ "
يوضح هذا قول نوح عليه السلام لربه " قال رب اني اعوذ بك
ان أسالك ما ليس لي به علم ، والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين " • " ٢ "
بينما لم ينكر على ابراهيم عليه السلام حين سأله ان يريه كيف
يحيى الموتى •

ففي انكاره على نوح دليل على عدم جواز ما سأل ،
وفي عدم الانكار على ابراهيم دليل على جواز ما سأل •
فيثبت جواز طلب موسى الرؤية ، لثبوتها •

الوجه الثالث :

===== انه تعالى اجاب موسى بقوله : " لن تراني " ، ولم يقل :
لا تراني ، ولا اني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي •
والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله •
اذ الرؤية في الآية ثابتة ولكنها لن تتحقق لموسى ، فهي تدل
على النفي في المستقبل •

اما لو قال : لا تراني ، فان ذلك يعني عدم ثبوت الرؤية ودوام
النفي • تماما كمن يقول لانسان اعى : لن ترى القمر ، لانه فاقد البصر •

١ — سورة هود اية ٤٦ •

٢ — سورة هود اية ٤٧ •

الوجه الرابع:

===== ان الله اعلم الله موسى ان الجبل مع ما فيه من قوة وصلابة لا يشهد لتجليه له ، في هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف ؟ فان قواه لا تحتمل رؤية الله تعالى في هذه الدار لضعف القوة البشرية عن رؤيته تعالى فيها .

الوجه الخامس :

===== ان الله تعالى علق الرؤية على شرط جائز ، وهو استقرار الجبل ، والمعلق على الجائز جائز ، بمعنى اخرانه سبحانه علق جواز رؤيته على امر ممكن في ذاته مقدور له تعالى وهو استقرار الجبل ، فلو كانت الرؤية مستحيلة لما علقها بالممكن .

الوجه السادس :

===== اذا جاز ان يتجلى الرب للجبل الذي هو جماد لا حياة فيه ، ولا ثواب ولا عقاب فكيف يمنع ان يتجلى لانبياؤه ورسله واوليائه في دار كرامته ويربهم نفسه ؟

الوجه السابع :

===== ان ربه سبحانه وتعالى قد كلمه ، وخاطبه وناجاه ، بلا واسطة ، ومن جاز عليه هذا فرؤيته اولى بالجواز . ولم يدم علم موسى بالتمييز بين الرؤية والكلام طلب من ربه ان يراه كما كلمه .

(الدليل الثاني) :

===== قال تعالى : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " . " ١ "

وجه الاستدلال :

=====

هذه الآية تثبت عدم رؤية المكذابين بيوم الدين لله رب العالمين • وفي حرمان من نعمة عظيمة ، خصها الله للمؤمنين ، وهي نعمة النظر الى وجهه الكريم • ولو لم تثبت الرؤية لتساوى الكل في عدمها • وكان المؤمن ايضا محجوها عنه تعالى •

والاستدلال بهذا الوجه هو ما يسمى عند الاصوليين بمفهوم المخالفة •

(الدليل الثالث) :

===== قال تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو

اللطيف الخبير " • " ١ "

وجه الاستدلال :

=====

استدلال السلف بهذه الآية الكريمة من وجوه ، منها :

الوجه الاول :

===== ان الله سبحانه نفى ان يدرك بالبصر بمعنى انه لا يحاط به

رؤية ، ولم ينف الرؤية • اما الادراك فهو الاحاطة بالشيء وهو قد رزأ على

الرؤية •

الوجه الثاني :

===== ان في الآية تمديح للرب سبحانه فهو لا تدركه الابصار لغاية

عظمته وانه اكبر من كل شيء ، وانه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به •

ومعلوم ان المدح انما يكون بالاصاف الثبوتية ، اما المدم المفض فلا

يمدح به الا اذا تضمن امرا وجوديا كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ،
ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي النسيان المتضمن كمال علمه
الوجه الثالث :

===== يشهد لهذا ما جاء في اللغة . فانك اذا قلت : فلان لا مثل
له . اوليس له نظير ولا شبهه ، انه قد تميز عن غيره بأوصاف لا يشاركه فيها
احد .

فقوله تعالى : " لا تدركه الابصار " من ادل شي على انه يرى

ولا يدرك .

(الدليل الرابع) :

===== قال تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " . " ١ "

وجه الاستدلال :

===== هذه الاية تحكي مشهد المؤمنين يوم القيامة اصحاب الوجوه

البهية الحسنة وهم يتمتعون بلذة النظر الى وجهه الكريم ، نظرا حقيقيا .

وقد رد السلف على اهل التأويل الذين فسروا النظر بالانتظار أو التفكير

أو غير ذلك

بأن النظر يرد في اللغة لمان كثيرة ، وله عدة استعمالات بحسب

صلاته وتعديه بنفسه :

فان عدى (بنفسه) (فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى : " انظرونا

نقتبس من نوركم " . " ٢ "

وان عدى (بقي) (فمعناه التفكير والاعتبار كقوله تعالى : " اولم

ينظروا في ملكوت السموات والارض " . " ٣ "

١ - سورة القيامة الايات (٢٢ - ٢٣) .

٢ - سورة الحديد اية (١٣) .

٣ - سورة الاعراف اية (١٨٥) .

وان عدى (بالى) فمناه المعايقة بالابصار كقوله تعالى :

" انظروا الى ثمره اذا اثمر " ١٠ " ١ "

(الدليل الخامس) :

=====
قاله تعالى : " الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم

وانهم اليه راجعون " ١٠ " ٢ "

وجه الاستدلال :

=====

اجمع اهل اللسان على ان اللقاء متى نسب الى الحي السليم من
العمى ، والمانع اقتضى المعايقة والرؤية . وهكذا يكون المؤمنون يوم القيامة امام
بارئهم .

(الدليل السادس) :

=====
قال تعالى : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا

يرهبق وجوههم اقترو ولا ذلة واولئك

اصحاب الجنة هم فيها خالدون " ١٠ " ٣ "

وجه الاستدلال :

=====

قال اهل العلم من المفسرين ان الحسنى هي الجنة ، والزيادة

هي النظر الى وجهه الكريم ، وهذا فسر الآية رسول الله صلى الله عليه وسلم . " ٤ "

-
- ١ - سورة الانعام اية (٩٩) .
 - ٢ - سورة البقرة اية (٤٦) .
 - ٣ - سورة يونس اية (٢٦) .
 - ٤ - سيأتي بعد قليل ان شاء الله .

(الدليل المسابح :

=====

قال تعالى : " لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد " ١ " ٠

وجه الاستدلال :

=====

روى عن جمع من الصحابة أن ال " مزيد " من لدن الله هو النظر

الى وجهه عز وجل .

انتهت ادلة السلف من القران في مسألة الرؤية . وأحب أن أشير

الى ان الدليل الاول ، والخامس يدلان على جواز الرؤية .

أما بقية الادلة فتدل على وقوعها .

وهذا الذي ذكرت هو مذهب السلف ، واهل السنة من المفسرين لكتاب

الله تعالى ، و

من أصحاب التفسير بالأثر ، وعض أهل الرأي ، وجماعة من المسلمين . ٢ " ٠

١ - سورة ق اية (٣٥) .

٢ - انظر : حاشي على ارواح الى بلاد الافراح ص ١٩٦ - ٢٠٤ .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٠ - ٢٣٣ .

وانظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير المخازن (١ : ٣١١)

وانظر : تفسير ابن كثير (٢ : ٥٩ - ٦٠) .

وانظر : روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني

(٣ : ٢٠٤) ، (٩ : ٥٥) .

وانظر : روح البيان ، لاسماعيل بن حقي الهزسوى ، دار سهادت

مطبعة عثمانية (٣ : ٢٣٩) .

وانظر : اضواء البيان في تفسير القران بالقران ، للشنقيطي

(٢ : ١٨٤ ، ٢٩٧) الطبعة الثانية .

وانظر : في ظلال القران لسيد قطب ، (٦ : ٣٨٥٨ ، ٣٧٧١) الطبعة

الثانية .

وانظر : تفسير النسفي ، ابو حفص عمر بن محمد النسفي ، (٤ : ٣٤٠) .

٢ — الادلة من السنة :

=====

(الدليل الاول) :

===== روى ابو هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا :

يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : " هل تضارون " ١ في رؤية

القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : " هل تضارون في

رؤية الشمس ليس دونها سحب ؟ قالوا : لا .

قال : " فانكم ترونه كذلك . . . " ٢ .

وجه الاستدلال :

=====

يفيد الحديث وقوع الرؤية يوم القيامة على الحقيقة من غير لبس .

فكما يرى الشخص القمر في ليلة البدر ، او الشمس في يوم صحو من غير واسطة .

فان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كذلك واضحا كل الوضوح .

فيعرفونه .

(الدليل الثاني) :

===== روى عدى بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال : " ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب

يحببه " ٣ .

١ — تضارون : يعني تضامون اي تزدحمون فلا تلتحقكم مشقة .

انظر : مختار الصحاح ص ٣٧٩ .

٢ — هذا الحديث روى ايضا من طريق ابي سعيد الخدري في الصحيحين .

الحديث متفق عليه ، رواه البخاري (٤ : ٢٠٠) ، ومسلم (١ : ١٦٣) ،

وانظر : كتاب التوحيد ص ١٧٠ .

٣ — صحيح البخاري (٤ : ٢٠٣) ، انظر حادي الارواح (٢٢١) .

وجه الاستدلال :

===== يفيد الحديث وقوع اللقاء بين الرب وعباده ، ولا يعقل

ان يكون لقاء من غير نظر ، فكما يقع الكلام بلا واسطة ، يكون النظر كذلك .

(الدليل الثالث) :

===== عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوسا مع النبي صلى الله

عليه وسلم ، فنظر الى القمر ليلة اربع عشرة فقال : " انكم سترون بكم عيانا كما

ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع

الشمس وقبل الغروب فافعلوا " . " ١ "

وجه الاستدلال :

=====

هذا الحديث يدل على وقوع الرؤية بالبصر عيانا ، من غير واسطة ،

تماما كما يرى الواحد منا القمر ليلة البدر ، لا يحتاج ذلك الى دليل .

(الدليل الرابع) :

===== روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم " اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون

شيئا ازيدكم ؟ فيقولون : الم تبيض وجوهنا ، الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟

قال : فيكشف الحجاب . فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم " . " ٢ "

= وانظر كتاب التوحيد (١٤٩ ، ١٥٠) .

وفي كتاب التوحيد عن بريدة بن الحصيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : " ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه

حجاب ولا ترجمان " ص ١٧١ .

١ - صحيح ، رواه البخارى (٤ : ٢٠٠) ، وانظر كتاب التوحيد ص ١٦٩ .

٢ - انظر حادى الارواح ص ٢١٢ ، وكتاب التوحيد ص ١٨٠ - ١٨٥ .

ثم تلا هذه الآية : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " . " ١ "

وجه الاستدلال :

=====

يفيد الحديث وقوع اللقاء بين الرب واهل الجنة ، ومن نعمة الله على عباده ان يكرمهم بلذة اخرى اكبر واعظم من دخول الجنة ، هي لذة النظر الى وجهه الكريم من غير تغيير في خلقتهم ، فيؤونه بأبصارهم .

وهي الزيادة التي فسرها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى

" وزيادة " .

(الدليل الخامس) :

===== عن ابي امامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم يوما ، وكان اكثر خطبته ذكر الدجال فيقول - يعني

الدجال - انا نبي ولا نبي بعدي . قال : ثم اثنى فيقول : - انا ربكم .

" وهو اعمور وركم ليس بأعمور ولن تروا ربكم حتى تموتوا " . " ٢ "

وجه الاستدلال :

=====

يشير الحديث الى ان رؤية الرب تعالى لا تكون في الدنيا ، ومثلها

الدار الاخرى بعد الموت ، ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدخل على الناس

تلبس الدجال .

فان الرب يتصف بجميع صفات الكمال والجلال وسيرى يوم القيامة على

هذا .

١ - سورة يونس اية (٢٦) .

٢ - صحيح البخارى (١ : ١٩١) ، صحيح مسلم (٤ : ٢٢٤٨) ، وانظر حادى الارواح ص ٢١٢ و ٢١٣ ، وكتاب التوحيد ص ١٨٥ .

(الدليل السادس) :

=====
عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يزور اهل الجنة الرب تبارك وتعالى
في كل جمعة - وذكر ما يعطون - ثم يقول الله تبارك وتعالى : اكشفوا حجابا ،
فيكشف حجاب ثم حجاب ، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه ، فكأنهم لم
يروا نعمة قبل ذلك • وهو قوله تبارك وتعالى " ولدينا مزيد " • " ١ " ، " ٢ " .
وجه الاستدلال :

=====
يفيد الحديث زيارة اهل الجنة ربهم ، فينالون منه العطايا الكثيره
وخير هذه ما يكون بعد كشف الحجاب ورفع الاستار ، وهو اشواقه وجهه الكريم
على عباده الزائرين ، هي نعمة كأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك ، لما فيها من لذة
عظيمة •

(الدليل السابع) :

=====
روى البخاري عن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال للانصار " اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الحوض " .
وجه الاستدلال :

=====
الحديث يفيد ملاقة الله عباده يوم القيامة في
الآخرة ، وقد تقدم معنى الملاقة ، وحكى ابن القيم اجماع اهل اللسان على

١ - سورة ق آية (٣٥) •

٢ - انظر حادي الارواح ص ٢١٥ •

٣ - صحيح البخاري (٤ : ٢٠٢) •

ان اللقاء متى نسب الى الحي السليم من الممنوع والمانع اقتضى المعاينة والرؤية .

انتبهت ادلة السلف من السنة ، وأشير الى ان منها ما يفيد وقوع

الرؤية الحقيقية عيانا بالابصار ، ومنها ما يفيد جواز وقوعها .

وطى كل ، فان احاديث وقوع الرؤية متواترة ، رواها اجمع من جمع

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الامام ابن القيم :

(اما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

الدالة على الرؤية ، فتواترة) . " ١ "

وعند ابن القيم ما يزيد على خمسة وعشرين صحابيا ممن رووها عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر منهم ابوبكر ، وعلي ، والمهادلة

الاربعة " ٢ " ، وجمع فقير من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين " ٣ " ،

نقلها من الصحاح والمسانيد والسنن ، " ٤ " .

١ - حادي الارواح الى بلاد الافراح ص ٢٠٥ .

٢ - عهد الله بن عباس ، وعهد الله بين مسعود ، وعهد الله بن عمر ،
وعهد الله بن عمرو .

٣ - قال الطبري : فتحصل في الباب من روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الصحابة . حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا .

انظر : حادي الارواح ص ٢٣٣ .

٤ - وقال يحيى بن معين : عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح .

انظر : حادي الارواح ص ٢٣٣ .

٣ - من أقوال الصحابة : " ١ "

=====

١ - ابوبكر الصديق رضي الله عنه :

=====

قرأ ابوبكر الصديق قوله تعالى : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " .

فقالوا : ما الزيادة يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : النظر

الى وجه الله تبارك وتعالى .

٢ - علي رضي الله عنه :

=====

قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه : من تمام النعمة دخول الجنة

والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى في جنته .

٣ - ابو موسى الاشعري رضي الله عنه :

=====

عن ابي موسى الاشعري انه كان يحدث الناس فاشخصوا بأبصارهم .

فقال ما صرف ابصاركم عني ؟ قالوا : الهلال . قال : فكيف بكم اذا

رأيتم وجه الله جهرة .

٤ - عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

=====

قيل لابن عباس : كل من يدخل الجنة يرى الله ؟ قال : نعم .

٥ - معاذ بن جبل رضي الله عنه :

=====

قال معاذ : يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد ، فينادى ،
اين المتقون ؟ فيقومون في كف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر .

٦ - عبد الله بن عمر رضي الله عنه :

=====

قال ابن عمر : ان افضل اهل الجنة منزلة من ينظر الى وجه الله

في كل يوم مرتين *

٧ - انس بن مالك رضي الله عنه :

=====

قال في قوله تعالى : " ولدينا مزيد " : يظهم لهم الرب تبارك

وتعالى يوم القيامة *

أقول : قد دلت هذه الاقوال ، وهي لكبار الصحابة رضي الله عنهم ، من

لازموا الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه ، على ثبوت رؤيته تعالى في

الآخرة *

قال البيهقي :

(روينا في اثبات الرؤية عن ابي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان ،

وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وابي موسى وغيرهم ، ولم يرو عن

احد منهم نفيها *

ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك اليانا ، كما انهم لما

اختلفوا في رؤية الله بالابصار في الدنيا ، نقل اختلافهم في ذلك اليانا ، فلما

نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالابصار في الآخرة عنهم ، ولم ينقل عنهم في ذلك

اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا ، علمنا انهم كانوا على القول برؤية الله

بالابصار في الآخرة متفقين ومجتمعين) • ١ •

فلعل في قول البيهقي هذا ما يصرف النظر عما قاله الشيخ محمد

عده ، فيما نفس ، (وليكن في آية قوة من قوائنا ، أو بقوة جديدة

يخلقها في ذلك الوقت في أي عضو من أعضائنا ، وإن كان القلب) ، لأنه

بذلك يخالف اتفاق الصحابة على القول برؤية الله بالابصار في الآخرة •

٤ - من أقوال التابعيين :

=====

هذه أقوال بعض التابعين من أئمة الحديث والفقه والتفسير ، وأئمة
التصوف ، انقلها اليك لأنها مما يصح الاستشهاد به بل الالتزام به ، كيف لا
وهم أبناء المهاجرين والانصار من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

١ - سعيد بن المسيب :

=====

قال سعيد : " الزيادة " هي النظر الى وجه الله .

٢ - سعيد بن جبير :

=====

قال سعيد : ان اشرف اهل الجنة لمن ينظر الى الله تبارك وتعالى

غدوة وعشوية .

٣ - الحسن البصرى :

=====

قال الحسن : لو علم العابدون انهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت

انفسهم في الدنيا .

٤ - علي بن المديني :

=====

قال علي : سئلت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى " فمن كان يرجو

لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً " ١ " ، قال : من اراد النظر الى وجه خالقه

فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبره احداً .

٥ — هشام بن حسان :

=====

قال هشام : ان الله سبحانه وتعالى يتجلى لاهل الجنة ، فاذا رآه

اهل الجنة نسوا نعيم الجنة •

٦ — طاووس :

=====

قال طاووس : اصحاب المرء والمقاييس لا يزال بهم المرء والمقاييس

حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا اهل السنة •

٧ — عمر بن عبد العزيز :

=====

قال عمر : فان يتقوى الله نجا اولياء الله من سخطه ، وسها رافقوا

انبياءه ، وسها نضرت وجوههم ونظروا الى خالقهم •

٥ — من أقوال الائمة الأربعة . ونظرائهم وشيوخهم ، واتباعهم ١

=====

١ — الامام مالك بن انس :

=====

قال مالك : الناس ينظرون الى ربه عز وجل يوم القيامة

بأعينهم لا ينظرون ما عنده ، بل ينظرون اليه نظرا .

٢ — عبد العزيز بن سلمة الماجشون :

=====

قال ابن الماجشون : فوب السماء والارض ليحملن رؤيته يوم

القيامة للمخلصين له ، ثوابا لينضربها وجوههم دون المجرمين ، وتفلح بها

حجتهم على الجاحدين ، وهم عن ربه يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا انه

لا يرى ، ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم .

٣ — الامام محمد بن ادريس الشافعي :

=====

قال الشافعي في قول الحق سبحانه " كلا انهم عن ربه يومئذ

لمحجوبون " لما حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على ان اولياءه

يرونه في الرضا . قال الربيع فقلت يا ابا عبد الله ، وتقول به ؟ قال نعم .

وبه الدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى الله عز وجل لما عده .

٤ — الامام احمد بن حنبل :

=====

قال الامام احمد : من لم يقل بالرؤية فهو جهلي ومن

قال ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر عليه لعنة الله ونضبه .

٥ — ابو عبيد القاسم بن سلام :

=====

قال ابو عبيد : احاديث الرؤية عندنا حق رواها الثقات عن

الثقات الى ان صارت اليينا .

٦ — الامام محمد بن اسحق بن خزيمة :

=====

قال الامام ابن خزيمة : ان المؤمنين لم يخطفوا في ان المؤمنين

يرون خالقهم يوم المعاد ، ومن انكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

٧ — ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب :

=====

قال ابو العباس : اجمع اهل اللغة على ان اللقاء يوم القيامة

لا يكون الا معاينة ونظرا بالابصار .

” خاتمة ” :

=====

وهذا نعلم ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة معاينة ونظرا

بالابصار ، وهو ما دل عليه القران الكريم ، والسنة المتواترة الصحيحة واجماع

الصحابة ، واتفاق الائمة واهل التفسير واهل الحديث وائمة التصوف واهل اللغة

واتباعهم على طريقهم ومنهاجهم .

فلا يحق لاحد بعد هذا ان ينكر الرؤية التي اثبتها الله لنفسه

واثبتها له رسوله ، وصدق بها صحابته الاخيار ، وورثته من اهل العلم والتقوى .

ومن اعتقد غير هذا ، حق عليه قول ربنا ” كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون ” ، وكان يوم القيامة في المكان الدون وموقف الهون ،

ولا يحجب عن الرب الكريم الا المخدول المرذول الذليل المهين . كما قال

الشيخ محمد عبده رحمه الله آمين .

===

الباب الثالث

=====

" النبوات "

يشتمل هذا الباب - بعد تمهيد يبين مجمل الامور التي يدور
بحث النبوات حولها ، وموقعها في علم العقائد - على خمسة فصول :

- الفصل الاول : تعريف النبي والرسول
- الفصل الثاني : حاجة البشر الى الرسالة
- الفصل الثالث : الوحي وامكانه
- الفصل الرابع : وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام
- الفصل الخامس : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن
معجزة الاسلام الخالدة

تمهيد :

=====

قبل ان اعرض مذهب الشيخ محمد عبده في النبوات ، اري ان
ابين اهمية البحث في النبوات ، واهم ما يدور البحث عنه فيها :
وهو وجه ما يجب على المؤمن اعتقاده في الرسالة من حيث امكانها
او وجوبها او امتناعها ، ثم اهي اصطفاء واجتباء منه تعالى ام لا ؟ ثم
ما هو النبي والرسول ، وما صفاتهما ؟ وما هي المعجزة ؟ وكيف تدل على
صدق صاحبها ؟ وما يجب للانبياء من صفات ، وما يستحيل عليهم ؟
ثم وجوب الاعتقاد برسالة خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ، والتصديق بما جاء به من عند ربه ، وان القران معجزة الاسلام الخالدة .

x

x

x

أهمية البحث في هذا الباب تأتي من جهة ان الاعتقاد ببعثة الرسل
عليهم الصلاة والسلام احد اركان الاديان ، والتصديق بنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ركن من اركان دين الاسلام .

فيجب على كل مؤمن ان يؤمن بالرسول ، وصحة ما جاؤا به من عند
الله ، ويعتقد انهم مهلفون عن الله ما امروا بتبليغه ، بكل دقة وامانة . . .
وان علينا تصديقهم في كل ما قالوه ، والاعتقاد بهم في سلوكهم ،
وان نصدق بعلو فطرتهم ، وصحة عقولهم ، وسلامة ابدانهم ، مما تنهوا عنه الابصار
، وتنفر منه الازواق السليمة . . .

اما فيما عدا ذلك من اكل وشرب ، ومشى ونوم ، وصحة
ومرض . . . فنؤمن بأنهم بشر كسائر افراد البشر ، يعترفهم ما يعترف غيرهم بما
لا علاقة له بتبليغ الاحكام او الفرض من قبيلتها ، او التشكيك في صحتها . . . ١

ومن جهة اخرى ، فان النبوات هي طريق الوصول الى ما يجب اعتقاده
في الاله وفي صفاته وفي افعاله ، وهي الوسيلة التي يمكن بواسطتها ان
تتعرف على احوال الآخرة من الموت وما بعده من : بعث ونشور ،
وعرض وحساب ، وميزان وصراط ، وجنة ونار . . . الى آخره من الامور
التي لا تعلم الا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولست هنا بصدد ذكرا قول العلماء واراؤهم في امر النبوات ، فليس
ذلك موضوع بحثه .

ولكني سأقتصر على بيان آراء الشيخ محمد عبده في الموضوع ، مقارنة
بآراء علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم ، لانهم الحجة التي لا بد من
الاسترشاد بها في كل بحث .

الفصل الاول : " النبي والرسول "

=====

١ - تعريف النبي والرسول :-

===== بين الشيخ محمد عبده في " رسالة التوحيد "

النبي والنبوة ، والرسول ، والرسالة .

لكنه لم يوضح تعريفا محددًا لمعنى النبي ، والرسول .

وفي تعليقه على " شرح الدواني على العقائد العضدية " ذكر تعريف

النبي ، والرسول ، وبين الفرق بينهما .

اولا : يقول في " رسالة التوحيد " :

=====

١ - " النبي " : انسان يستعان به في تحديد احكام الاعمال ، وتمييز

الوجه في الاعتقاد بصفات اللوهية ، ومعرفة ما ينهي ان يعرف من احوال

الاخرة .

و : والنبوة تحدد ما ينهي ان يلحظ في جانب واجب الوجود من

الصفات ، وتحدد انواع الاعمال التي تنال بها سعادة الانسان في الدارين .

٢ - " الرسول " : انسان ارسله الله لتبليغ الناس ما امر بتبليغه ، من تنزيه

لذاته وتمييز لسلطانه القاهر على عباده ، وتفصيل لاحكامه في فضائل اعماله

وصفات يطالبهم بها ، وفي مطالب فعال وخلاق ينهاهم عنها .

والرئاسة : بعثة الرسل لتبليغ شي من العقائد والاحكام عن الله خالق الانسان

وموفيه ما لا غنى له عنه . " ٢ " .

١ - رسالة التوحيد ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٩٧ و ٣٩٨)

٢ - نفس المرجع ص ٤٠٠ .

ثانياً :

==== يقول في " تلميحه على شرح الدواني على العقائد المضدية " :

(واقول : قد يعرف النبي بانسان فطر على الحق طما وعملا ،
اي بحيث لا يعلم الا حقا ، ولا يقول الا حقا ، على مقتضى الحكمة ، وذلك
يكون بالفطرة ، اي لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ، ولكن التعلیم الالهي .
فان فطرا ايضا على دعوة بني نوحه الى ما جبل عليه فهو رسول ايضا
والا فهو نبي فقط وليس برسول) . " ١ "

" الراى في كلام الشيخ محمد عبده "

=====

أقول : كلام الشيخ محمد عبده في معنى النبي والرسول ، فيه

الصحيح الذى يقبل وفيه الخطأ الذى لا يقبل .

فالصحيح ما ورد في رسالة التوحيد .

أما الخطأ فقولہ : ان النبي انسان فطر على الحق طما وعملا بحيث

لا يعلم الا حقا ، ولا يحمل الا حقا ، على مقتضى الحكمة . وذلك يكون بالفطرة . .

فان فطرا ايضا على دعوة بني نوحه الى ما جبل عليه فهو رسول ايضا ،

والا فهو نبي فقط وليس برسول .

ووجه الخطأ فيه يأتي من حيث انه غير ما نوح من دخول غير النبي فيه ،

مثل الاولياء ، فانهم مغطورون على الحق ، بل الاطفال " ٢ " مغطورون على الحق ،

١ - انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٣ ، ٤) .

٢ - اللهم الا اذا اراد الشيخ محمد عبده بقوله (انسان) : يعني كامل

الانسانية ، والاطفال ليسوا كاملين في الانسانية ، ولذلك لا يهت

الانبياء الا في سن متأخرة .

بشهادة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة •
فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه • كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل
تحسون فيها من جدعاء ؟ " • " ١ "

سئل شيخ الاسلام احمد بن تيمية عن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
" كل مولود يولد على الفطرة " فقال " ٢ " ؛ (على السلامة من الاعتقادات
الباطلة والقبول للمقائد الصحيحة) •
ومن جهة اخرى فان الشيخ محمد عبده لا يشير في تعريف النبي الى
اختيار الله له • وانزال الوحي عليه •
ويبدو ان هذا قد جلب له التهمة •••
يقول احدهم : " ٣ "

" (اذا علمت هذا — يقصد ما ذكره العلماء في تعريف النبي والرسول —
فسوف لن نؤخذ او نتخذ بالتعريف العجيب الذي اخترعه الشيخ محمد عبده للنبي ••
وانت في غنى عن ان اطلق شيئا على هذا الاختراع العجيب لمعنى
النبوة •••

كما انك في غنى عن ان اكشف لك السر الذي دعاه الى ان يستعمل
كلمة " الفطرة " في التعريف بدلا من كلمة " الوحي " التي اطبق المسلمون
كلهم منذ عصر النبوة الى عصرنا هذا على اتخاذها قيدا اساسيا في تعريف النبي) " ٤ "

-
- ١ — متفق عليه • رواه البخارى ومسلم عن ابي هريرة • وقد روى الحديث بالفاظ
اخرى منها :
" كل انسان تلده امه على الفطرة " / انظر صحيح مسلم • باب القدر
" كل نسمة تولد على الفطرة " / انظر صحيح البخارى • كتاب
الجنائز •
 - ٢ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٤ : ٢٤٥) • الطبعة الاولى •
١٣٨١ هـ •
 - ٣ — الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه : كبرى اليقينيات الكونية •
ص ١٩٤ • ١٩٥ •
 - ٤ — انظر كتاب : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ومجاهد المرسلين •
للاستاذ مصطفى صبري (٤ : ٤٠) •

ويبدو ان الذي قاد الشيخ محمد عبده الى هذا التعرف ، هو عقله
الذي اعتمد عليه كثيرا ، وعول عليه تمويلا يجعله في عداد المخالين في قيمة
العقل الذين يذهبون الى ان العقل قادر على ادراك كل شيء ، وكفيل بحل
جميع المشاكل . . .

ولقد بين الاستاذ سليمان دنيا هذا ، وعقب على كلام الشيخ محمد عبده
في هذه المسألة .

قال :

(ونعني ان المسألة ليست مسألة تواضع واصطلاح ، ولكنها

محاولة اكتشاف لمراد الله تعالى من الفاظ وردت في كتبه المقدسة .

مثل قوله تعالى : " ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

النبيين " . " ١ ")

فعلام اعتمد الشيخ محمد عبده في ان تفسيره هذا ، لمعنى " النبي "

ومعنى " الرسول " يمكن ان يكون مراد الله من هاتين الكلمتين ؟

ان المعنى - في ذاته - معنى لطيف ، ولو كانت المسألة مسألة تواضع

واصطلاح ، لما وجدت اية غضاظة في قبوله والتسليم به ، ولكنها مسألة

" تعرف " مراد الله ومراد رسوله من كلمتي " النبي " و " الرسول " حين

يستعملانها .

ثم لو كان مراد الشيخ محمد عبده ، ان لنا ان نطلق لفظي " النبي "

و " الرسول " على من ذكرهم من الناس ، بصرف النظر عن اماكن انطباق المعنى

الشرعي عليهم ، او عدم امكانه .

هل يكون في وسع الشيخ محمد عبده ان يحكم بأن هذا النوع من الانبياء

والرسل ، جائز وجوده ، بعد قبض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ام يعتبر

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونهوته نهاية ايضا لذلك النوع من الانبياء والرسل ؟
ان الاعتماد على العقل وحده ، لا يمكن من الذهاب الى هذا الراى ،
او ذاك ، فماذا لدى الشيخ محمد عبده - سوى العقل - يرد له القول بهذا
الراى ، او ذاك ؟ .

ثم ماذا عسى ان يكون " الحق العملي " الذى يفطر عليه من يسميه
الشيخ محمد عبده " نبيا " او " رسولا " ؟ هل يقتصر على ما يسمى
" الاخلاق الفاضلة " ؟ ام يتجاوز ذلك الى دائرة " التحليل والتحريم وضروب
العبادات " ؟ .

كنا نحب ان نعرف ما عند الشيخ محمد عبده في هذا كله . . . فلعله
ذكره في غير هذا الكتاب ، اولعله اكتفى بذكره شفاها للمصطفين من تلاميذه ،
اذ يبدو ان الشيخ محمد عبده كان يعول على التلقين والتعليم الشفهي اكثر مما
يعول على التأليف والتدوين) . " ١ "

اقول : " ٢ " لعل ما عند الشيخ محمد عبده في هذا . . . ان من
الناس من خلقهم الله اقدر على تحمل المسؤولية من غيرهم ، والصبير على ما يلاقونه
من اذى ، وعندهم استعداد كاف لتلقي الاوامر الالهية وتبليغها الى الناس ،
وهؤلاء هم المصطفون الاخيار ، انبياء الله ورسله .

نعم . لو اراد الشيخ محمد عبده هذا لكان صحيحا ، والشواهد
عليه كثيرة من القران والسنة ، كما سيأتي بعد قليل بان الله تعالى .

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٣٩ ، ٤٠) .

٢ - يؤيدني في هذا كلام للشيخ محمد عبده سيأتي عند الحديث عن امكان
حصول الوحي اذكر منه قوله : (ان من النفوس البشرية ما يكون لها من
نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تعتمد به من محض الفيض الالهي لان متصل
بالافق الاعلى) .

اهود الى ما ورد في رسالة التوحيد ، وأؤكد صحة ما ذهب اليه
الشيخ محمد عبده في معنى " النبي " و " الرسول " .
وما ذهب اليه الشيخ محمد عبده هو عين مذهب السلف رضي الله
عنهم ، وهو ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله . وغيره من العلماء .
ولكى يتبين ذلك ارى ان اعرض باختصار معنى النبوة والرسالة عند
جمهور العلماء ، وائمة السلف ، في اللغة وفي لسان الشرع ، وابين الفرق بينهما
والراجع من كلام العلماء في هذه المسألة .

١ - معنى " النبي " و " الرسول " في اللغظة :

=====

أ : - معنى النبي :

=====

قال علماء اللغة : لفظ " النبي " مأخوذ من النبا ، ومعناه

الخبر .

ورد في القران النبا بمعنى الخبر ، قال تعالى : " فلما نبأها به

قالت من انباءك هذا قال نباي الحليم الخبير " . ١

وجمعه : انبياء ، ونبيسون ، ونباء ، وانباء . ٢

وقد ورد الجمع في القران بلفظ انبياء ، ونبيون .

قال تعالى : " قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين " . ٣

وقال تعالى : " فبعت الله النبيين مبعوثين ومنذرين " . ٤

-
- ١ - سورة التحريم اية (٣) .
 - ٢ - انظر لسان العرب (٢٠ : ١٧٣) ، ومصجم معن اللغة (٥ : ٣٩١)
وترتيب القاموس المحيط ، للطاهر احمد الزواوي (٤ : ٣١٨) ،
وتاج الصروس (١٠ : ٣٥٤) .
 - ٣ - سورة البقرة اية (٩١) .
 - ٤ - سورة البقرة اية (٢١٣) .

وقيل ان لفظ " النبي " مأخوذ من النهوة ، او النبأة ، وهي ما

ارتفع من الارض وعلا .

فيكون معنى " النبي " : العالي ، والمرتفع المنزلة ، اى انه شرف

على سائر الخلق .

وقيل " النبي " هو الطريق . ففي الله هو الطريق الموصل اليه . " ١ "

او العلم الذى يهتدى به الناس .

ويمكن الجمع بين الاقوال بأن " النبي " هو من أنبأه الله بخبر السماء ،

لسمو مكانته ، وطو شأنه ، وبه يهتدى الناس الى معرفة الله تعالى .

والقول الاول اصح ، لان الغيبي في الاصل انما قيل مضافا الى الله ،

فيقال : نبي الله . ثم عرف باللام ، فكانت اللام تعاقب الاضافة .

قال تعالى : " نبي عبادى انى انا الشفور الرحيم " . " ٢ "

وقال تعالى : " ونبتهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب مختصر " . " ٣ "

ومعناه فى الايتين : اخبرهم وبلغهم .

واختلف العلماء : هل النبي بمعنى " مفعول " اى منبأ ، لان الله

نبأه ، او بمعنى " فاعل " اى منبئ ؟

قال ابن تيمية : الاول اجود ، لانه اذا نبأه الله فهو نبي الله .

سواء أنبأه بذلك غيره ، او لم ينبئه ، فالذى صار النبي به نبيا ان ينبئه الله ،

وهذا مما يبين ما امتاز به عن غيره . " ٤ "

١ - انظر : النبوات لابن تيمية ص ٢٢٢ ، مكتبة الرياض الحديثة .

٢ - سورة الحجر اية (٤٩) .

٣ - سورة القمر اية (٢٩) .

٤ - النبوات ص ١٧٧ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

ومال المفسر " الالوسي " " ١ " الى القول الثانى وقال في تفسير
" الرسول " انه الذى ارسله الله لتبليغ الاحكام ، اما النبي فهو الذى انبأ الخلق
عمن الله . " ٢ "

وارجح ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، لما ذكره ، وصح تأييد
اللفظة له " ٣ " .

ب : — معنى الرسول ، لفظة : —

=====

قال علماء اللفظة : الرسول بمعنى المرسل ، بفتح السين ، ويكون

بمعنى الرسالة ،

قال تعالى : " فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين " . " ٤ "

وقال تعالى : " فأتياه فقولا انا رسولا ربك " . " ٥ "

فقال في الاية الاولى " انا رسول " ، وفي الثانية " انا رسولا "

لان فعولا وفميلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع ، مثل عدو ،

وصديق " ٦ " ومن انشه ، جمعه ارسال ، وهو الذى يتابع اخبار من بعثه ،

ماخوذ من

قولهم : جاءت الابل ارسالا اى متتابعة . " ٧ "

-
- ١ — محمود الالوسي ، مفسر ، ومحدث ، واديب ، من المجددين من اهل بغداد ، سلفي الاعتقاد ، له من الكتب : روح المعاني ، وغرائب الاعتراق ، ومقامات في التصوف ، مات سنة ١٢٧٠ هـ .
انظر الاعلام للزركلى (٨ : ٥٣) .
 - ٢ — تفسير روح المعاني للالوسي (٩ : ٦٩) ، ادارة الطباعة المنيرية .
 - ٣ — انظر لسان العرب (٢٠ : ١٧٣) ، وتاج المبرور (١٠ : ٣٥٤) .
 - ٤ — سورة الشعراء اية (١٦) .
 - ٥ — سورة طه اية (٤٧) .
 - ٦ — انظر مختار الصحاح ص ٢٤٢ .
 - ٧ — انظر مختار الصحاح ص ٢٤٢ ، ومعجم من اللفظة (٢ : ٥٨٦) .

قال الراغب : الرسول معناه المنهث ، وهو مأخوذ من الرسل بسكون

السين اى الانهث على التثنية . " ١ "

وجمعه يأتي على رسل ، وارسل ورسلا ، ولم يرد في القرآن الا

الاول ، قال تعالى " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم " . " ٢ "

قال ابن تيمية : الرسول في الاصل انما قيل مضافا الى الله ، فيقال رسول

الله .

ثم عرف باللام فكانت اللام تعاقب الاضافة ، ورسول فعول بمعنى مفعول ،

اى مرسل .

فرسول الله الذى ارسله الله . " ٣ "

وبناء على ما سبق يكون معنى الرسالة : ان يرسل الله انسانا الى عباده ،

ويوجهه اليهم ليبلغهم ما انزل اليه من ربه .

٢ - معنى " النبي " و " الرسول " في الشرع :

=====

اختلف العلماء في تحديد معنى النبي ، والرسول ، هل هما بمعنى

واحد ، فالنبي هو الرسول ، والرسول هو النبي ، ولا فرق بينهما ؟ ام

انهما مختلفان في الاصطلاح فللنبي معنى غير معنى الرسول ؟ ؟

فمن العلماء من لم يفرق بينهما ، ومنهم من فرق بينهما بفرق نذكرها بعد

قليل ان شاء الله تعالى .

١ - المفردات في غريب القرآن ص ١٩٥ ، تحقيق محمد سيد كيلاني ،

الناشر مصطفى الباوي ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

٢ - سورة النساء اية (١٦٤) .

٣ - النبوات ص ١٧٧ ، طبعة القاهرة ١٣٨٦ هـ .

والذين لم يفرقوا بين النبي والرسول حجبتهم عدم ورود نص صريح يفرق

بينهما في المعنى •

وان كثيرا من النصوص خاطبت اصحابها مرة بالنبي • ومرة بالرسول •

كقوله تعالى :

" يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما " • " ١ "

وقوله تعالى : " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك " • " ٢ "

وايضا في كثير من النصوص يشترك النبي • والرسول في التبشير والانذار •

قال تعالى : " فهت الله النبيين مبشرين ومنذرين " • " ٣ "

وقال تعالى : " وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين " • " ٤ "

واصحاب هذا القول فسروا النبي بالرسول • وعرفوها : بانسان بعثه

الله لتبليغ ما اوحى اليه من ربه • " ٥ "

اما الذين فرقوا بين النبي • والرسول فقد استشهدوا على ذلك بآيات

تدل على تباينهما في المعنى • منها :-

أ : — قوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " • " ٦ "

١ — سورة الاحزاب اية (١) •

٢ — سورة المائدة اية (٦٧) •

٣ — سورة البقرة اية (٢١٣) •

٤ — سورة الانعام اية (٤٣) •

٥ — انظر : جامع البيان للطبري (٢ : ٣٣٦) ، (٣ : ٢١٥ ، ٢٥٧)

الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ •

وانظر : مقاصد الطالبين وشرحه لسعد الدين التافتازاني (٢ : ١٢٨)

طبعة سنة ١٢٧٧ هـ •

٦ — سورة الحج اية (٥٢) •

وجه الاستدلال :

=====

عطف الحق سبحانه وتعالى كلمة نبي على كلمة رسول ، وعطفها يدل على
تفائرها في المعنى ، والا لكان تكرارا لا حاجة اليه ، واختلاف الاسماء يدل
على اختلاف المسميات في الغالب .

ب :- قوله تعالى : " واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا " ١
وقوله تعالى : " واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان
رسولا نبيا " ٢

وقد استدلوا بهذه الايات على نحو الاستدلال بالاية السابقة ،
لكن الايتين الاخيرتين ليس فيهما شاهد على المفارقة بين النبي ، والرسول
مثل ما في قوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " .
وهؤلاء العلماء اختلفوا في تحديد الفرق بين النبي ، والرسول ،
فقال بعضهم : النبي انسان بحته تلك لتبليغ ما اوحى اليه ، فان كان له شريعة
وكتاب وكتاب فهو رسول ايضا . فان لم يكن له شريعة ولا كتاب ، فهو نبي
يقتدى به الناس .

وقال بعضهم : الرسول من له كتاب ، او نسخ لبعض احكام الشريعة السابقة ،
والنبي يخلو من ذلك .

وقد حكى هذين القولين سعد الدين التافتا زاني عن بعض العلماء . ولم
يذكر اسمهم .

وقال بعض الاشاعرة " ٣ " من اتى بشرح جديد سواء كان على الابتداء او نسخا لبعض
احكام شريعة تقدمت فهو رسول والا فهو نبي .

١ - سورة مريم اية (٥١) .

٢ - سورة مريم اية (٥٤) .

٣ - منهم ابو منصور البخداهي . انظر اصول الدين ص ١٥٤ .

ونسب الى الجاحظ " ١ " من المعتزلة قوله : ان الرسول هو المهتدى بوضع الشرائع
والاحكام ، والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره . " ٢ " .
وحكى الماوردي في " اعلام النبوة " قولا لم ينسبه لاحد وهو ان الرسول
هو الذي ينزل عليه الملائكة بالوحي ، والغي هو الذي يوحي اليه في نومه . " ٣ " .
اقول :

هذه بعض اقوال العلماء في تحديد الفرق بين النبي والرسول .
واني احب ان اذكر رأى السلف في المسألة ، والرأى المختار فيها
قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

(الرسول من ارسل الى من خالف امر الله ليلغمه رسالة من الله .
والنبي من كان يحمل بشريعة من قبله ولم يرسله الله الى احد ليلغمه
عنه) . " ٤ " .

قال شارح الواسطية :

(الرسول في لسان الشرع انسان ذكر حى اوحى اليه بشرح وامر بتبليغه ،
فان اوحى اليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي ، فكل رسول نبي ولا العكس) . " ٥ " .
قال شارح الطحاوية :

(وقد ذكروا فرقا بين النبي والرسول : واحسنها :

ان من نبأه الله بخبر السماء : ان امره ان يبلغ غيره فهو نبي رسول .
وان لم يأمره ان يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول .
فالرسول اخص من النبي ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا) . " ٦ " .

-
- ١ — ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، والجاحظ لقب غلب عليه ، مات سنة ٢٥٥ هـ .
 - ٢ — ٣ — انظر اعلام النبوة ، للماوردي ص ٣٨ .
 - ٤ — كتاب النبوات ص ١٧٢ ، ١٧٣ .
 - ٥ — شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ٩ ، ١٨ .
 - ٦ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ .

واني افضل ما استحسنته شارح العقيدة الطحاوية ، وهو ان من نأه

الله بخبر السماء :

• ان اموه ان يبلغ غيره فهو نبي رسول .

• وان لم يأمره ان يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول .

وهذا الذي اختاره ، هو التعريف الواضح للنبي والرسول ، وهو

الذي مال اليه كثير من العلماء المعاصرين ، الذين كتبوا في النبوة والانبياء . " ١ "

واقول :

• ان تعريف ابن تيمية رحمه الله للنبي والرسول ، فيه مجال لتعقيب . .

• وسأعقب عليه ، بناء على ما ذكره العلماء في تعريف النبي والرسول :

ان الذي يفهم من كلام شيخ الاسلام ان الرسول مكلف من قبل الله تعالى

بتبليغ ما اوحى اليه الى قوم مخالفين غير مؤمنين .

• اما النبي فهو يبلغ الى قوم مؤمنين موافقين . . .

يقول : (الانبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرونه المؤمنين الذين

عندهم لكونهم مؤمنين بهم) . " ٢ "

١ - انظر الوحي المحمدي ص ٤٣ ، الطبعة السادسة ١٣٢٥ هـ .

• وانظر العقيدة الاسلامية واسمها ، الطبعة الثانية ص ٢٩٧ - ٣٠١ .

• وانظر تفسير المنار ، الطبعة الثانية (٩ : ٢١٧) ، دار المنار

• ١٣٦٧ هـ .

• وانظر النبوة والانبياء للصابوني ، ص ١١ ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ

• وانظر نبوة محمد في القران ص ٤٥ - ٥٠ ، الطبعة الاولى ،

• لحسن عتر .

٢ - النبوات ، لابن تيمية ص ١٧٣ .

وهذا من شيخ الاسلام غير مقبول ، ولا اسلم له به :
لان القران الكريم صرح في بعض الايات ان الانبياء ايضا خالفهم اقوامهم ،
واذوهم ، وقتلوا بعضهم مما يدل على انهم انما بحثوا الى اقوام معاندين ،
الا القلة منهم .

قال تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين " ١ .
وقال تعالى : " وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن " ٢ .
وقال تعالى : " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " ٣ .

ويظهر لي ان هذه الايات ، وغيرها ، تدل على ضعف ما قاله شيخ

الاسلام — والله اعلم —

واني اختار ما توصل اليه شارح العقيدة الطحاوية ، لان النبي : هو
من نبأه الله بخبر السماء ولم يأمره ان يبلغ غيره ، بمعنى انه يعمل بما نبأه الله
بخصوص نفسه ، ولا دخل له في تليفه لغيره .

والرسول : هو من نبأه الله بخبر السماء وامره ان يبلغ غيره .

وهذا هو قول كثير من السلف ، وقد طال اليه كثير من العلماء كشارح العقيدة

الطحاوية ، وشارح العقيدة الواسطية ، وصاحب المنار ، وغيرهم .

وهذا نعلم ان الشيخ محمد عبده ، مع هؤلاء العلماء ، فان كلامه في

" رسالة التوحيد " يفيد هذا ، فنأخذ به ، ونُدع ما قاله في تعليقه على

" شرح الدواني على العقائد المضدية " .

ان المسألة مسألة شرعية يواد منها معرفة مراد الله سبحانه ، ومراد

رسوله صلى الله عليه وسلم حين يستعملان كلمتي : النبي ، والرسول .

١ — سورة الفرقان اية (٣١) .

٢ — سورة الزخرف اية (٧) .

٣ — سورة البقرة اية (٦١) .

وليس المسألة مسألة تواضع واصطلاح حتى يقول كل بما يريد . " ١ "

١ - وحاصله : ان من العلماء من لم يفرق بين النبي والرسول من حيث المفهوم .

ومنهم من فرق بينهما ، وابتدأ بين النبي والرسول في شخصية واحدة .
والذي ارجحه ان بينهما فرق ، كما قلت : ، وان بينهما
عموما وخصوصا مطلقا ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا .
والله اعلم .

٢ - صفات الانبياء :

=====
يرى الشيخ محمد عبده ان الانبياء يؤيدون
من العناية الالهية ، بما لا يعهد في غيرهم ، وانهم عاينوا الفطرة ، صحيحوا
المقول ، ومتصفون بالصدق والامانة ، ومعصومون عن كل ما لا يليق بحقام النبوة .
ومع ذلك فهم بشر يعترضهم ما يعترض غيرهم من اكل وشرب ، ونوم
وسهو ، ونسيان فيما لا علاقة له بتبليغ الاحكام . ومرض ، وقد تمتد اليهم ايدي
الظلمة ، وينالهم الاضطهاد وقد يقتلون .

وقد علل الشيخ محمد عبده وجوب هذه الصفات للانبياء ، فقال :

(واما وجوب تلك الصفات المقدمة للانبياء فلا نهم لو انحطت فطرهم
عن فطرا اهل زمانهم ، او من عقولهم شيء من الضعف لما كانوا اهلا لهذا الاختصاص
الالهي الذي يفوق كل اختصاص : اختصاصهم بوحية ، والكشف لهم عن اسرار علمه ،
ولو لم تسلم ابدانهم عن المنفريات لكان انزعاج النفس لمرآهم حجة للمتكرفي انكار
دعواهم .

ولو كذبوا او خافوا او قبحت سيرتهم لضعفت الثقة بهم ، ولكانوا مغلين لا مرشدين
فتذهب الحكمة من بحثهم . والامر كذلك لو ادرتهم السهو او النسيان فيما عهد
اليهم بتبليغه من العقائد والاحكام .

اما وقوع الخطأ منهم فيما ليس من الحديث عن الله ولا له مدخل في

التشريع فجوز به بعضهم ، والجمهور على خلافه .

وما ورد من مثل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تأبير النخل ثم

اباحه لظهور اثره في الاثمار ، فانما فعله عليه الصلاة والسلام ليعلم الناس ان

ما يتخذونه من وسائل الكسب وطرق الصناعات فهو موكول لمعارفهم وتجاربهم ،

ولا حظر عليهم فيه ما دامت الشرائع مرعية والفضائل محمية .

وما حكاه الله من قصة آدم وعصيانه بالاكل من الشجرة فما خفي فيه سر

النهي عن الاكل ، والمواخذة عليه . وغاية ما علمناه من حكمته انه كان سببا لعمارة

"١"
الارض ببني آدم (٠٠٠) "٢"

" مناقشة كلام الشيخ محمد عبده وتقرير مذهب السلف في صفات الانبياء " :

=====

لا شك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام صفوة الخلق ، وخيارهم ،
وهم النخبة الممتازة من البشر ، اصطفاهم الهاري عزوجل لاداء مهمة عظيمة ،
تسعد الناس ، وتخرجهم من الظلمات الى النور .

قال تعالى : " انا اخالصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن

المصطفين الاخير " . "٣"

اليد

وقال تعالى في وصفهم : " وكل من الاخير " . "٤"

فهم صفوة البشر ، وخيرتهم بلا نزاع .

ولكن الشيخ محمد عبده بهذا التمييز الذي ذكره وهو قوله : (النبي

مفصوم عن كل ما يشوه السيرة البشرية) . وضعهم في المستوى العام للبشر .

نعم ، انهم بشر ، ولكنهم في اعلى مستوى البشرية ، فعبارة السابقة

تجعلهم في مستوى البشر ، ونحن نريد هم في مستوى بشري ولكنه اعلى طبقة في

هذا المستوى .

١ - لعله يقصد انه سببا معجلا . والا فآدم مخلوق لعطارة الارض سواء اكل من

الشجرة او لم يأكل بحيثف قول الله لللائكة " اني جاعل في الارض خليفة "

البقرة اية (٣٠) .

٢ - رسالة التوحيد ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠٠ - ٤٠٣)

بتصرف .

٣ - سورة ص الايات (٤٦ - ٤٧) .

٤ - سورة ص الاية (٤٨) .

وبقية كلام الشيخ محمد عنده في صفات الانبياء عليهم السلام ، حق ، وهو
مذهب علماء السلف وائمتهم ، وجمهور المتكلمين ، واهل الحديث .
١ : — فبالنسبة لصفة الذكورة فقد جعلها العلماء شرطا من شروط النبوة ،
وارجبوا توفرها في الانبياء محتجين بالنقل والعقل .

اما النقل :

=====
وقد قال تعالى : " وما ارسلنا من قبلك الا رجالا

نوحى اليهم " . " ١ "

وقال تعالى : " وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى

اليهم " . " ٢ "

وجه الاستدلال :

=====
قال العلماء : هاتان الايتان صريحتان في ان الرسالة لا

تكون الا للرجال ، وان لا يوحى الى النساء .

واما العقل :

=====
وقد قال العلماء ان من شرط النبوة كمال العقل ،

والنساء ناقصات عقل لا يصلحن للنبوة .

يشهد لهذا قوله تعالى : " واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا

رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تفضل احداهما فتذكر احداهما

الاخرى " . " ٣ "

ويشهد له ايضا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما رايت من ناقصات

عقل ودين اغلب لذي لب منكن " . " ٤ "

١ — سورة النحل اية (٤٣) .

٢ — سورة الانبياء اية (٧) .

٣ — سورة البقرة اية (٢٨٢) .

٤ — متفق عليه ، رواه البخارى (١ : ٨٠) ، ورواه مسلم (١ : ٨٧)

واللفظ لمسلم .

وايضا : فان الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة ، ومقابلة الناس ،
واظهار المعجزات ، وتحمل الاذى ، والصبر على الشدائد مما لا يقوى عليه النساء ،
لان انوثتهن تقتضي ان يستترن ولا يخرجن بين الرجال ، وان لا يتحطن هذا النوع
من التكليف الالهي ، وان يقوين امام ما يعترض مهمة الرسل من المصاعب والالام .
وايضا فقد اجمع الفقهاء على ان النساء لا يولين امارة ، ولا يقضين
بين الناس ، فكيف يصلحن للرسالة ؟

ب : — والنسبة لملو الفطرة وكمال العقل : فلان الانبياء لا بد ان يكونوا قادرين
على تحمل المسؤولية وعندهم الاستعداد الكافي لتوصيلها للناس ، وتحمل ما
يترتب على ذلك من تبعية الناس له او مناوئتهم لهم .

” صدق الله تعالى ان يقول : ” الله اعلم حيث يجعل رسالته ” .

واما بالنسبة لكمال العقل : فلان النبي ما يوحي اليه كاملا ، ويبلغه

• للناس تاما .

• ولان نقص العقل قاذح في صحة ما تؤخذ عنه ، ومشكك في صدق الانبياء .

• ولان اقناع الناس يحتاج الى كمال عقل من يتصدى للاقناع .

ج : — والنسبة للصدق : فلا بد ان لا يجوز ان يكون النبي كذابا ، والا لفضحه

الله ، وكشف حقيقته للناس ، ولانه لا يصح ان يكذب في دعوته ويطلب من الناس

ان يصدقوه . ولان الكذب من العيوب الذميمة في حق غير الانبياء ، فكيف بالانبياء

• وهم قدوة الناس في الاخلاق الحميدة ، وفي قدمتها الصدق .

د : — والنسبة للامانة : فلان الخيانة تنافي حكمة الرسالة ، وهي التبليغ ،

ولان الخيانة من الفعال الذميمة في حق غير الانبياء ، فهي بالنسبة للانبياء اشد واقبح ،

ومن لم يؤده الامانة لم يبلغ الرسالة ، وصدق الله العظيم ان يقول :

" وما كان لنبي ان يفلح ومن يفلح يأت بما غل يوم القيامة " ١

هـ : — والنسبة لسلامة الانبياء من العيوب والعياهات ، مما تلبس عنه الابصار ،
وتنفرد منه الانواق السليمة ، فلا من عمل الانبياء يقتضي الاجتماع بالناس والتحدث
اليهم . . .

وايضا فلا يصح ان يتصف الانبياء بالعيوب المعنوية كالغلظة والفظاظة

في المعاملة حتى لا ينفذ الناس عنهم ، وصدق الله العظيم ان يقول :

" ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك " ٢

ولا يجوز في حق الانبياء ان يتصفوا بالعيوب التي تطعن في الشرف ،

وتخل بالمرؤة ، وتقدح في النسب ، لان الناس من طاعتهم ان يحقروا من يتصف

بشيء من هذه الصفات ، ولو كان من العامة . فكيف بصفوة الناس وخيرتهم .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " انا خيار من خيار من خيار " ٣

و : — والنسبة للحصنة من الذنوب ، فهم معصومون من الذنوب كلها ، وان

ما يراه البعض ذنوبا في حق الانبياء ، فهي ذنوب في الظاهر ، وليست ذنوبا في

الواقع ، يوقعهم الله فيها ليعلم الامة احكامها .

فهي طريق الى التشريع كما حدث في قصة اسرى بدر ، وفي قصة الاعص

وفي اذنه صلى الله عليه وسلم لبعض من تخلفوا عن غزوة تبوك . . . الخ

والى هذا ذهب الشيخ محمد عبده في صفات الانبياء ، وهو الصواب —

" ٤ "

والله اعلم — وهو مذهب كثير من علماء السلف ، وائمتهم ، واهل السنة من المسلمين .

١ — سورة ال عمران اية (١٦١) .

٢ — سورة ال عمران اية (١٥٩) .

٣ — متفق عليه .

٤ — انظر : النبوات لابن تيمية ص ١٠٧ ، ١٠٨ / وانظر المواقف وشرحه

(٣ : ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

وانظر : الجامع لاحكام القران للقرطبي (١ : ٣٠٨) / وانظر شرح العقيدة

الواسطية ص ١٩ .

وعليه استقر علماء العقيدة في العصر الحاضر "١" وهو ما ندين الله تعالى به .

صدق الله العظيم ان يقول :

" اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم ومن حملنا مع

نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتهدنا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن

خروا سجدا وبكيا "٢" .

مسألة سحر النبي صلى الله عليه وسلم :-

=====

ومما يناسب المقام الذي نحن فيه ذكر مسألة سحره صلى الله عليه

وسلم التي كان للشيخ محمد عبده فيها رأى تآثر فيه بالمعتزلة ، وبغيرهم تبعا

لهم مثل الجصاص ، والعلامة الطبرسي . "٣"

فقد انكر الشيخ محمد عبده الحديث الصحيح الذي رواه البخارى

وبغيره من اصحاب الصحاح المشتمل على ان " لبيد بن الاعسم " - اليهودى -

سحر النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد رفض الشيخ محمد عبده ما جاء في هذه المسألة ، وقال :-

(وقد رواها ههنا احاديث في ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن

الاعسم ، وأثر سحره فيه حتى كان يخيل له انه يفعل الشيء وهو لا يفعله ،

او يأتي شيئا وهو لا يأتيه ، وان الله انبأه بذلك ، واخرجت مواد السحر من

بئر ، وعوفي صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة . "٤"

١ - انظر النبوة والانبياء ، ابو الحسن الندوى ص ٥٧ - ٦٠ / والنبوة والانبياء

للصابوني ص ٤٩ / وانظر العقائد الاسلامية السيد سابق ص ١٨٠ .

الطبعة الثانية / وانظر الوحي المحمدي ص ٤٣٦ و ٤٧٤ / وانظر العقيدة

الاسلامية واسسها ص ٣٧٨ - ٣٩٤ / وانظر نبوة محمد في القرآن ص ٢٤٩

وما بعدها .

٢ - سورة مريم آية (٥٨) .

٣ - انظر تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن ، لرشيد رضا ص ١٣١ .

٤ - يعني سورة " الفلق " .

ولا يخفى ان تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الاموالى
ان يظن انه يفعل شيئا وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الامراض في الابدان
ولا من قبيل عرض السهو والنسيان في بعض الامور المادية . بل هو ما س بالعقل ،
آخذ بالروح ، وهو ما يصدق قول المشركين فيه : (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) .

وليس المسحور عندهم الا من خولط في عقله وخيل له ان شيئا يقع وهو
لا يقع ، فيخيل اليه انه يوحى اليه ، ولا يوحى اليه .
وقد قال كثير من القلة من الذين لا يعقلون ما هي النبوة ، ولا
ما يجب لها : ان الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به ،
وعدم التصديق به من بدع المتدعين ، لانه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء
القران بصحة السحر .

فانظر كيف يتقلب الدين الصحيح ، والحق الصريح في نظر القلة
بدعة ، ونعمون بالله . . . يحتج بالقران على ثبوت السحر ، ويعرض عن القواعد
في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليه ،
ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك ، مع ان الذى قصده المشركون ظاهر ،
لانهم كانوا يقولون : ان الشيطان يلابسه عليه السلام ، وملابسة الشيطان
تعرف بالسحر عندهم ، وضرب من ضرره ، وهو بعينه اثر السحر الذى نسب
الى " لهيد " فانه خولط في عقله وادراكه في زعمهم .
والذى يجب اعتقاده ان القران مقطوع عنه ، وانه كتاب الله بالتواتر
عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يشتهه ، وعدم
الاعتقاد بما ينفيه .

وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام ، حيث نسب القول باثبات حصول
السحر له الى المشركين اعدائه ، ويختمهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور
قطما .

واما الحديث ، فعلى فرض صحته ، هو احاد ، والاحاد لا يؤخذ بها
في باب العقائد ، وعصمة النبي من تاثير السحرفي عقله عقيدة من العقائد ،
لا يؤخذ في نفيها عنه الا باليقين ، ولا يجوز ان يؤخذ فيها بالظن والمظنون .
على ان الحديث الذي يصل اليها من طريق الاحاد ، انما يحصل الظن
عند من صح عنده ، اما من قامت له الادلة على انه غير صحيح ، فلا تقوم به
عليه حجة .

وعلى اية حال ، فلنا بل علينا ان نفوض الامر في الحديث ، ولا نحكمه في
عقيدتنا ، وتأخذ بنص الكتاب ، ومدليل العقل ، فانه اذا خولط النبي صلى الله
عليه وسلم في عقله كما زعموا ، جاز ان يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه ، او ان
شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه .

والامر ظاهر لا يحتاج الى بيان .

ثم ان نفي السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقا ، فرما جازان
يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال ان يصيبه لان الله عصمه منه .
ما اضر المحب الجاهل ، وما اشد خطره على من يظن انه يحبه ،
نعوذ بالله من الخذلان .

على ان نافي السحر بالمرة لا يجوز ان يعد مبتدعا ، لان الله تعالى ذكر
ما يعتقد به المؤمنون في قوله تعالى " امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير " . " ١ "

وفي غيرها من الايات وردت الاوامر بما يجب على المسلم ان يؤمن به حتى يكون مسلماً ، ولم يأت في شيء من ذلك ذكر السحر على انه مما يجب الايمان بثبوته او وقوعه على الوجه الذي يعتقد به الوثنيون في كل ملة ، بل الذي ورد في الصحيح هو ان تعلم السحر كفر .

فقد طلب منا ان لا ننظر بالمرءة فيما يعرف عند الناس بالسحر ، ويسمى

باسمه .

وجاء ذكر السحر في القران في مواضع مختلفة .

وليس من الواجب ان نفهم منه ما يفهم هؤلاء العميان (. " ١)

وحاصل القسام :

===== ان الشيخ محمد عبده يثبت العصمة لرسول الله - ولسائر الرسل - عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، كما يثبتها سائر العلماء ، بل هو اكبر منهم تشدداً في اثباتها ، حتى انه لا يجوز ان يجامعها السحر ، والجمهور يجوزون .

وعلى هذا فالخلاف بينه وبينهم ينحصر في نقطتين :

الاولى :

===== هل ينافي السحر العصمة او لا ينافيها :

فالجمهور يرى انه لا ينافيها . وبناء عليه : قبلوا حديث السحر ولم

يردوه .

والشيخ محمد عبده يرى انه ينافيها ولذلك رد الحديث .

الثانية :

===== وكأنها ترتبت على الاولى ، وهي :

هل حديث الاحاد حجة في الاعتقاد اولى حجة فيه ؟ :

فمن قال : انه حجة لزمه التوفيق بين ما ورد في القران من رمي المشركين للرسول صلى

الله عليه وسلم بالسحر ، وانكار القران عليهم ذلك ،
وبين ما ورد في حديث السحر من انه صلى الله عليه وسلم سحر .
ومن قال : ان حديث الاحاد ليس حجة في الاعتقاد ، رد الحديث ،
واستراح من المعارضة .

اما بالنسبة للنقطة الاولى : فقد نقلت عن الشيخ محمد عبده ما اوضح به
رايه ،

واسوق الان اراء بعض مخالفيه .

يقول الشيخ رشيد رضا :

(فهذا الحديث صريح في ان المراد من السحرفيه خاص

بمسألة مباشرة النساء . ولكن فهم اكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم سحر سحرا
اثر في عقله كما اثر في جسده فانكره بعضهم وبالغوا في انكاره ، وعدوه مطمئن
في النبوة ومنافيا للمصمة ، لقول عائشة رضي الله عنها ، (حتى انه كان يخيل
اليه انه فعل الشيء ولم يكن فعله) .

فعممت هذه الرواية على علماء المعقول ، وعدوها مخالفة :

للقطعي في النقل ، وهو ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم

فيه كمادة امثالهم في رسلمهم بقولهم (ان تتهمون الا رجلا مسحورا) " ١ " ،
وتفنيدته تعالى لهم بقوله : (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا) . " ٢ "

ومخالفة للقطعي في العقل من عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من كل ما

ينافي النبوة والثقة بها ، ان يدخل في ذلك التخويل ، ما هو من التشريح :

١ - سورة الاسراء اية (٤٧) ، والفرقان اية (٨) .

٢ - سورة الاسراء اية (٤٨) .

ومخالفة لعلم النفس الذي يعلم منه ان الانفس السافلة الخبيثة لا تؤثر في

الانفس العالية الطاهرة .

فانكر صفة الرواية ببعض العلماء ، واقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين

الفقهاء ابو بكر الجصاص الحنفي المعتزلي في كتابه " احكام القران " ، واخرهم

شيخنا الاستاذ الامام في تفسيره " جزء عم " .

وقد اطال شيخنا في هذا والمخ فيه ، ونفى انكاره على القاعدة المتفق عليها

عند علماء العقائد واصول الفقه في معارضة الظني للقطعي ، اذ الحديث احادي ،

وهو يفيد الظن فيرد بالقطعي عقلا ونقلا وهو ما ذكرناه آنفا .

وقد اتفقوا على ان احاديث الاحاد لا يحتج بها في اصول العقائد ، " ١ "

، وقال : ان كونه يفيد الظن خاص بمن صح عنده ، وان له ان يتأوله او يفيض

الامر فيه على قاعدتهم الاخرى في النصوص المعارضة للمقل .

ولعمري ان ما نعرفه عن شيخنا محمد عبده — قدس الله روحه — من

اجلاله واكباره لشأن محمد رسول الله وخاتم النبيين في نفسه الزكية ، وروحه

القدسية ، وعلوم مداركه العقلية ، مما لم نعرف مثله عن احد من العلماء

المقلاتيين كفلاسفة المسلمين ومكلمتهم ، ولا من العلماء الروحانيين كالصوفية ،

ولا من علماء النقل كجامعي الروايات الكثيرة في معجزاته صلى الله عليه وسلم ،

وحسبك منها تلك الاثار البليغة في " رسالة التوحيد " بل كان يقول ان روحه صلى

الله عليه وسلم كانت منطوية على جملة هداية الدين ، ومدارك التشريع التي فصلت

في كتاب الله تعالى وسنته تفصيلا تاما كما نقلناه عنه في تاريخه .

واجاب عن الرواية المحدثون المصححون لها علما ، والمقلدون لهم بأن

غاية ما تدل عليه ان ذلك السحر انما اثر في بدنه دون روحه وعقله ، فكان تأثيره

١ — الصحيح اختلافهم في هذه المسألة ، والراجح صحة الاحتجاج بخبر

"١"

من الاعراض الجسدية ، كالا مراض التي لم يعصم الانبياء عليهم السلام منها) .

ويقول الشيخ محمد حسين الذهبي :

(وهذا الحديث الذي يرده الاستاذ الامام رواه البخارى وغيره

من اصحاب الكتب الصحيحة ، وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوة ، فان

السحر الذى اصيب به النبي عليه الصلاة والسلام كان من قبيل الامراض التي

تعرض للبدن بدون ان تؤثر على شيء من العقل ، وقد قالوا ان ما فعله

" لبيد بن الاعصم " بالنبي صلى الله عليه وسلم من السحر لا يمدوا ان يكون

نوعا من انواع العقدة عن النساء ، وهو الذى يسمونه " رباطا " فكان يخيل

اليه ان عنده قدرة على اتيان احدى نساءه ، فاذا ما هم بحاجة عجز عن

ذلك .

اما السحر الذى نفي عنه صلى الله عليه وسلم فمراد به الجنون ، وهو

مخل ، ولا شك بمقام النبوة ، وقد قالوا : (يا ايها الذى نزل عليه الذكر

انك لمجنون) . "٢"

ثم ان الحديث رواية البخارى وغيره من اصحاب الصحيح ، ولكن الاستاذ

الامام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخارى وغيره ، فلا مانع عندهم من

عدم صحة ما يرويه البخارى ، كما انه لو صح في نظرهم فهو لا يمدوا ان يكون

خبرا حادا لا يثبت به الا الظن وهذا في نظرنا هدم للجانب الاكبر من السنة التي

هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبين من المبين ، وقد قالوا ان البيان يلتحق

بالمبين .

١ - تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القران ص ١٣٠ - ١٣٢ .

٢ - سورة الحجر اية (٦) .

وليس هذا الحديث وحده هو الذي يضعفه الشيخ ، او يتخلص منه
بأنه رواية احاد ، بل هناك كثرة من الاحاديث نالها هذا الحكم القاسي .
فمن ذلك ايضا حديث الشيخين " كل بني ادم يسهه الشيطان يوم
يولده امه الا مريم وابنها " .

فانه قال فيه :

(اذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة) .
فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ، ثم يتخلص من ارادة
الحقيقة على فرض الصحة ، بجعل الحديث من باب التمثيل ،
وهو ركون الى مذهب المعتزلة الذين يزعمون ان الشيطان لا تسلط له على
الانسان الا بالوسوسة والافواء فقط) . " ١ "

واما المسألة الثانية :

===== وهي هل حديث الاحاد حجة في الاعتقاد اوليس
بحجة ، فهي داخلة في موضوع العصمة .
وقد اشار الشيخ الذهبي الى الراي الصحيح فيها ، وهو انه حجة ،
واطال القول فيها ابن القيم - رحمه الله - في كتابه : (مختصر الصواعق
المرسلة) فأجاد وأفاد .
والدخول في صميم المشكلة بذكر الراء ، وادلتها ، يخبر بي عن
موضوع البحث .

ولقد عرضت لها في الخاتمة ، فارجع اليها ان شئت .

× الفصل الثاني : حاجة البشر الى الرسالة :

=====

- يجمع كثير من الناس بين حاجة البشر الى الرسالة وبين مهمة ووظيفة الرسل فيعقدون لهما فصلا واحدا يجمعون فيه بين وظيفة الرسل والحاجة اليهم
- ويعنونون بحاجة البشر الى الرسالة ويتكلمون عن وظائف الرسل .
- اما الشيخ محمد عبده فقد فرق بينهما ، وجعلها عنوانين : —
- احدهما : حاجة البشر الى الرسالة .
- والثاني : لوظائف الرسل الكرام .
- وايضا ، جعل لكل عنوان مدلولاً يخصه ، فعند حاجة البشر الى الرسالة اثبت ان البشر لا يستغنون عن الرسالة والرسل ، وهناك ما يلجؤهم ويضطربهم اليها ، واثبت هذا الاجراء اجمالا ، في حديثه عن الشعور العام او الفطري بالحياة الآخرة ، التي مع شعورهم بها لا يعرفون عن تفاصيلها شيئا ، فكانوا بحاجة الى من يعرفهم بها ،
- فهذا الشعور بالخلود هو الذي جعلهم بحاجة الى رسالة ، والى رسل ولكن تحت عنوان وظائف الرسل بين العمون او المساعدات التي يمكن ان يقدمها الرسل الكرام لا قوامهم .
- ومن هنا نستطيع ان نلاحظ فارقا ما بين حاجة البشر الى الرسالة ووظائف الرسل عليهم السلام .

" معتقد الشيخ محمد عبده في وجه الحاجة الى الرسالة " :

" ١ "

يسلك الشيخ محمد عبده في بيان وجهة حاجة البشر الى الرسالة والرسول ، مسلكين :

المسلك الاول :

=====
يتدىء من اعتقاد الانسان ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وان لها حياة اخرى بعد الحياة الدنيا ، تتمتع فيها بنعيم ، او تشقى فيها بعذاب اليم ، وان السعادة والشقاء في الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية .

يقول الشيخ محمد عبده :

ان هذا الاعتقاد موجود عند جميع الناس ، عالمهم وجاهلهم ، نجده عند الموحدين كما نجده عند الوثنيين ، وهو عند الفلاسفة كما هو عند غيرهم ، حتى ان اشد الناس همجية عندهم اعتقاد بحياة النفس بعد الموت ، لكن على اى حال تكون الحياة بعد الموت ؟ هذا هو مدار الاختلاف ، وممترك الافهام ، ومزلة الاقدام ، ومؤدحم الكثير من الافكار والاهام ويبقى اتفاق الكل على بقاء النفس حية بعد الموت . فمن الناس من قال بتناسخ الارواح " ٢ " في اجساد البشر او الحيوان او

١ - انظر رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٦٧ - ٤١٤) ،
بتصرف .

٢ - الهنود اول من اعتقد بتناسخ الارواح . ويعنون به انتقال النفس او الروح بعد الموت الى جسم اخر ، سواء كان من الحيوانات او النباتات او الانسان . ومن المتصوفة المنحرفين من يرى ان التناسخ يكون بحسب ما تنتقل اليه الروح من الاجسام . فاذا انتقلت من انسان الى انسان سمي " نسخا " واذا انتقلت من انسان الى حيوان سمي " مسخا " ، واذا انتقلت من

• النبات على الدوام •

ومن الناس من قال ان التناسخ ينتهي عندما تبلغ النفس البشرية اقصى

• درجات الكمال •

ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها من المادة •

تنعم او تشقى • والمهم في هذا ان هناك شعورا عاما بحياة بعد هذه الحياة •

فطريا مركزا في اعماق النفس البشرية • ولا يمكن ان يعد ضلعة عقلية او نزعة وهمية •

انه شعور يهيج بالارواح الى ان تتحسس هذا البقاء الابدى بعد هذا

العمر القصير وكيف ستكون هذه الارواح فيما بعد ؟ وكيف يمكن لها ان تهتدى

الى ما ستصل اليه ؟

واين السبيل وقد غاب المطلوب واعوز الدليل ؟

ان الانسان في الحياة الدنيا يشمرانه بحاجة الى من يرشده ويعلمه

كيف يقوم حياته • ويستقيم على المنهج الصحيح • فكيف به وهو يشعر ان هناك

عالما اخر غير هذا الذي يراه • دون ان يرشده احد الى ما فيه ؟

اليس من الحكمة ان يصطفى الله بعض خلقه • فيميزهم بالفطر السليمة •

والهمم العالية • والارواح المشرقة • فيعلمهم ما فيه هداية غيرهم من اعتقادات

وعبادات • وما فيه سعادتهم في الدارين • ثم يؤيد الله هذه الصفوة من عباده

بما لا تبلغه قوى البشر من الايات حتى تقوم بهم الحجة و " لئلا يكون للناس على

الله حجة بعد الرسل " • " ٢ "

ولا شك ان المولى عز وجل وهو الرحيم بعباده • العالم بحاجة البشر الى

من ينقذهم من حيرتهم • ويخلصهم من التخبط في الحياة الدنيا • والضلال الذي هم

فيه • يرسل الانبياء والرسل • ليتم حياة الانسان • ولئلا يكون للناس على

= انسان الى نبات سعى " رسخا " •

انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠٤) نقلا عن المعجم الفلسفي مادة " تناسخ " •

١ - سورة النساء اية (١٦٥) •

الله حجة بعد ارسالهم •

لهذا كله كان الناس بحاجة الى الرسل • بمعنى احتياج العقل
الانساني لهم في قيادة القوى الادراكية والبدنية الى ما فيه خير الحياة الدنيا •
وسعادة الحياة الاخرة •

المسلك الثاني :

=====

يتبدى من طبيعة الانسان نفسه • وما فطر عليه • وهو العيش
مع جماعة من الناس • لها نظام يقوم على اساس من المحبة والعدل • • يشعر
افرادها بالعجز عن ادراك تلك القوة القاهرة التي تسيطر على هذا العالم •
ويمكن توضيح هذا المسلك بثلاث نقاط • هي :-

١ - الانسان مطور على العيش مع جماعة • له ما لها وعليه
ما عليها • وهذا انما يكون اذا وجدت الرابطة القوية بين الفرد وجماعته • والتي
على اساسها يخلص في العمل زه • ويثاب بالاجر •

والمجتمع كما يكون فيه المعظماء الذين يضحون بانفسهم في سبيل اسعاد
الاخرين لا يعدم الكسالى العاطلين • والمنحرفين المحتالين • الذين يسمون
في الارض بالفساد • فيخربون بيوتهم وبيوت الاخرين •

٢ - ولما كان المجتمع فيه ما فيه من امثال هؤلاء المتنافسين على
اللذائذ الجسدية المتفطلين على بني جنسهم • وكان لا يمكن ان يوجد مجتمع مثالي
بني نظامه على اساس من التعاون بين الجميع • كان لابد للنوع الانساني في حفظ
بقائه من العدل الذي يوجب المحبة بين الجميع •

٣ - ان كل فرد في هذه الجماعة يشعر بالهجز • وانه مشهور
لقوة اعلى منه ويشعر كل فرد في نفسه انه مسوق لمصرفة تلك القوة • بل هو عاجز
عن معرفة حقائق كثير من الاشياء • وهذا الشعور بالمعجز يرافقه منذ ولادته الى
حين موته •

واشد ما يقف الانسان امامه عاجزا محتارا ، هو الرغبة في معرفة كنه الغيب
الذي لم يحدث بعد ، فهو لم يستطع ان يصل الى معرفته ، ولا الى معرفة ما يحصل
له غدا او بعد لحظات .

لهذا كله اخذ الانسان يبحث عن وسيلة تبلغه ما يريد ، فراح يدقق نظره
ويعمل فكره في هذا الكون الفسيح ، وكانت النتيجة ان انقسم الناس الى فريقين :
فريق ضل ، فعبد الهة غير الله قوى الطبيعة ، او الاب ، او السيد ،
... الخ

وفريق اهتدى الى معرفة الاله الحق ، غير انه لم يهتد تماما ، لخفاء
الكثير من الاسرار عنه ، فظل في حيرة واضطراب ، محتاجا الى من يخلصه مما هو
فيه .

ولهذه الامور الثلاثة المكمل بعضها بعضا ، اشتدت حاجة الانسان الى من
يسوقه ، ويضع له معالم في الطريق الى ما يطلبه ، والى ما فيه سعاده ،
فجاءت الهبة الالهية جودا وكرما على الجميع ، وهم في امس الحاجة الى من يحفظ
لهم بقاءهم وقيمتهم فوائيل الشقاء ، ويحفظ نظامهم الذي هو عماد اجتماعهم .
ارسل اليهم الرسل ، لنشر المحبة والامن ، والعدل ، ولتأسيس قواعد
التعليم ، والتوجيه ، والارشاد ، يعلمونهم ما فيه اصلاح معاشهم ومعادهم
من امور اعتقادية تبحث في شؤونه تعالى ، وامور تعبدية وعملية ، فيها سعادتهم
في الدنيا والاخرة .
يقول الشيخ محمد عبده :

(فبمئة الانبياء صلوات الله عليهم من مميزات كون الانسان ، ومن اهم
حاجاته في بقاءه ، ومنزلتها من النوع ، منزلة العقل من الشخص ، نعمة اتمها الله
لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ا . هـ

هذا هو مسلك الشيخ محمد عبده في بيان وجه الحاجة الى الرسالة والرسل .
وحتى اتبين هل هو المسلك الذي سلكه السلف ام لا ؟ ارى ان اعرض باختصار
معتقد السلف رضي الله عنهم في بيان وجه الحاجة الى الرسالة .

معتقد السلف في بيان وجه الحاجة الى الرسالة :

=====

الذي عليه السلف ، واهل السنة والجماعة من المسلمين ان منبع
حاجة البشر الى الرسل والرسالات هو الانسان نفسه . اى طبيعة النفس الانسانية
وهي طبيعة قائمة على جهل الانسان بمعرفة حقائق الاشياء وعجزه عن ادراك كنهها ،
بالاضافة الى كبرائه ، وطغيانه ، وظلمه وعتوه ، وهو في جميع حالاته قاصر عن
ادراك جميع الحقائق ، وتلك هي طبيعته ، ومدى ادراك عقله وسعة معرفته ،
وهذا يكاد يكون محل اجماع بين الناس مؤمنهم وكافرهم . " ١ "

واذا كان الشيخ محمد عبده قد سلك هذين المسلكين في توضيح هذه
الحقيقة ، فان السلف قد سبقوا الى ما قاله الشيخ محمد عبده ، فسلخوا
المسلك الاول ، وهو خلود النفس الانسانية بعد الموت ، وفضلوا في الثاني
فقسموه الى قسمين :

- أ : حاجة الانسان الى العيش مع جماعة لها معتقد وشريعة ونظام حياة .
ب : التفات الانسان وايمان بعجزه .
واتكلم بشي من التفصيل عن كل مسلك ، مع مراعاة ذكر ما وجه الى الشيخ
محمد عبده من طعن ، ذكره بعض الكتاب في صحة وسلامة مسلكه الاول .

-
- ١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٥ .
وانظر الوحي المحمدي ، لرشيد رضا ص ٤٢ ، ٤٥ .
وانظر العقيدة الاسلامية واسسها ، لعبد الرحمن حبيكة ص ٣٠٢ - ٣١٠ .
وانظر النبوة والانبياء في ضوء القران ، لابي الحسن الندوي ص
٥ - ٢٩ ، ص ٥٧ .
وانظر نبوة محمد في القران ، لحسن عتر ص ٢٩ وما بعدها .

٣ — وفي الهند ، نجد البراهمة " ١ " في الماضي والحاضر :

يعتقدون ان الانسان اذا مات لا يظوظاله من امرين :

الاول :

==== ان يكون قد وصل الى درجة عالية من الكمال ، فلم يحدث ان ارتكب اثما او خطيئة ، او عمل عملا سيئا ، فهذا من الاخيار ، وسترتفع روحه الى الاله الخالق العالم " براهما " وتمتج روحه بروحه ، وتتخلص من تكرار المولد ثانية ، والعودة الى الحياة في شكل اخر .

الثاني :

==== ان يكون على خلاف ذلك بأن يكون انسانا شريرا مذنباً ، فهذا من الاشرار ، وسيبقى جسده ، وتمود روحه من جديد فتحل في جسد اخر لانسان اخر ، او حيوان ، وتبدأ دورة حياة جديدة ، قد تكون شقية وقد تكون سعيدة ، وتحرم من لذة الامتزاز بروح الاله " براهما " . وهذا ما يسمى بمقيدة التناسخ " ٢ " .

الصينيون من اتباع " بوذا " عاشوا في القرن الخامس قبل الميلاد يؤمنون

بتناسخ الارواح ، ولكن بدلا من ان تمتج ارواح الاخيار بالاله " براهما " ،

١ — قبيلة هندية : يقولون انهم من ولد " برهمي " ملك من ملوكهم . وليست النسبة الى ابراهيم الخليل عليه السلام ، لانهم ينكرون النبوات ، لكنهم يقولون بالتوحيد . ويتقلدون ازياء خاصة ملونة بحمرة وصفرة . وهم اصناف متعددة ، منهم اصحاب فكرة التناسخ .

١ — انظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١ : ٤٩) .

٢ — انظر مقارنة الاديان ، لاحمد شلبي ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م ، مكتبة

النهضة القاهرة (٤ : ٦٣) .

فانها تصل الى اقصى درجة يمكن ان يصل اليها الانسان في الرقي الروحي وهي
درجة " النورانا " . " ١ "

هذه امثلة مما ذكرته لنا كتب التاريخ والاثار ، تروى قصة اعتقاد بعض الامم
القديمة بالحياة الاخرة ،

وهي انما تدل في جملتها على ان الاعتقاد بخلود الروح وقائها بعد الموت
غريزة فطرية موجودة في طبيعة النفس الانسانية ، تتطلع الى حياة بعد هذه الحياة ،
وتتشوق لمعرفة شيء عنها ، ماذا عسى ان تكون . . . وتظل الفطرة هذه
مطرقة تطرق فكر الانسان وقلبه ، ويظل هو في حيرة من امره ، واضطراب ، تتقاذفه
الامواج العاتية ، ولا يعلم اين يكون الملجأ والمنجا . . .
اقليس من حكمة الله وكرمه ان يرسل الرسل ، لانقاذ البشر من ورطتهم ،
وما هم فيه من حيرة واضطراب ، ويوجههم الى طريق النجاة التي فيها بقاؤهم
وسعادتهم ؟

بلى ، وهو العزيز الحكيم ، العالم بما في نفوس عباده من شعور ، الفاطر
عقولهم على النظر في تلك الامور .

وللشيخ محمد عبده في توضيح تلك الفطرة التي فطر الله عقول البشر عليها
وذلك الشعور العام الذي اودعه الله اصل تلك الفطرة ، كلام ، اذكره بتامه ،
واذكر ما ورد عليه من نقد واعتراض .

يقول الشيخ محمد عبده :

(هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبت في جميع الانفس ،
عالمها ، وجاهلها ، وحشيها ومستأنسها ، باديها وحاضرها ، قديمها وحديثها ،

لا يمكن ان يعد هذلة عقلية او نزعة وهمية ، وانما هو " الالهامات " التي اختص
بها هذا النوع ، كما الهم الانسان ان عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة
الدنيا .

كذلك ، قد الهمت العقول واشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو
منتهى ما للانسان في الوجود ، بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن
البدن ، ثم يكون حيا باقيا في طور اخر ، وان لم يدرك كتبه .
شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الابدى ، وما عسى ان تكون
عليه متى وصلت اليه ، وكيف الاهتداء واين السبيل وقد غاب المطلوب واعوز
الدليل ؟

شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الامة ،
لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الاقوم ، بل لزمنا الحاجة الى التعليم والارشاد ،
وقضاء الازمنة والاعصار ، في تقويم الانظار ، وتعديل الافكار ، واصلاح الوجدان ،
وتتقيف الازهان ، ولا نزال الى الان من هم هذه الحياة الدنيا في اضطراب ،
لا ندرى متى نخلص منه ، وفي شوق الى طمأنينة لا نعلم متى تنتهي اليها .
هذا شأننا في فهم عالم الشهادة ، فماذا نعمل من عقولنا وافكارنا في العلم
بما في عالم الغيب ؟ هل فيما بين ايدينا من المشاهد معالم تهتدى بها الى
الغائب ؟ وهل في طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له في حياة
يشعر بها ؟ وهل وهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها ،
والشؤون التي لا بد ان يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه ؟ او الى معرفة بيد من
يكون تصريف تلك الشؤون ؟ وهل في اساليب النظر ما يأخذ الانسان الى اليقين ،
بمناطها من الاعتقادات والاعمال ، وذلك الكون مجهول له ، وتلك الحياة فسي
غاية الغموض بالنسبة اليه .

كلا ، فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر المقل ومراسي
المشاعر ، ولا اشتراك بينهما الا في الانسان نفسه ، فالنظر في المعلومات الحاضرة

لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوامل المستقبلية (١) * ٠

اقول :

هذا بعض كلام الشيخ محمد عبده في بيان وجه الحاجة الى الرسالة ، ذكر فيه التقاء شعور البشر على خلود النفس الانسانية بعد الموت ، وان هذا الالتقاء انما هو نتيجة شعور فطري عند جميع الناس ، او كما قال الشيخ محمد عبده - انما هو الالهامات التي اختص بها هذا النوع - وقد اعترض البعض على هذا ، وقالوا :-

ان امر خلود النفس ، وحياة الارواح بعد الموت في عالم الاخرة ليسا من البديهيات التي يشعر بها جميع الناس ، ويتفقون عليها ، وقد ذكر لنا التاريخ بل القران الكريم قصة اولئك الذين قالوا (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) * ٢ * ٠

وهذه الشيوعية اليوم تنكر الاديان ، بل تحاربها ، والدين عند هم افيون الشعوب والحياة مادة ، وادخال الدين في الحياة هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت * ٣ * ٠

لذلك لا يمكن ان يكون هذا المسلك صحيحا ، لانه مبني على اساس غير متفق عليه ، اذا فلا يوصل الى النتيجة الصحيحة * ٤ * ٠

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام (٣ : ٤٠٥ ، ٤٠٦)
وانظر كتاب الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، لمحمد عبد الله دراز ص ٨٠ .

٢ - سورة الجاثية اية (٢٤) .

٣ - انظر كتاب نقض اوهام المادية الجدلية ، للبطي ص ٩٧ - ١٠٨ /

وانظر الانسان بين المادية والاسلام للاستاذ محمد قطب .

٤ - انظر اصول الدين الاسلامي ، لمحمد علي ناصر ، المكتبة المصرية -

صيدا ، بيروت - ص ١٧٠ .

وفي الجواب على هذا الاعتراض اقول :

لو سلمنا للمعتز ما يقول من عدم اتفاق جميع الناس في امر خلود النفس ، والحياة بعد هذه الحياة ، فالشيخ محمد عبده يوافق على ذلك ، فهو يقول : (اتفقت كلمة البشر ، موحدين ووثنيين ، طيبين وفلاسفة ، - الا قليلا - على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن) . " ١ " -
لكن الشيخ محمد عبده راي ان شذوذ الفئة القليلة ، غير طاعن في اعتبار الالهام طريقا الى الايمان بحياة بعد هذه الحياة .
على اني لا اوافق الشيخ محمد عبده في دعوى خروج بعض البشر عن هذا الشمور العام بحياة بعد هذه الحياة .

بل اقول :

ان الشمور بحياة بعد هذه الحياة موجود في جميع الانفس ، بلا استثناء ، بطريق الفطرة التي فطر الله الناس عليها
وسوف اقيم الدليل على هذا " ٢ " ، لكن بعد ان ارد على الذين اعترضوا على الشيخ محمد عبده في قوله : (ان خلود النفس وحياتها من الالهامات)
اولا :
==== ويجب على المعتضين بما يلي :

١ - ان المراد هنا " بالالهامات " الشمور العام الموجود في اصل

الفطرة ، وليس الالهامات بمعنى ما يقابل " المعقولات " .

١ - اخرت البحث في هذا لاستكمل الدفاع عن الشيخ محمد عبده ، لان اقامة الدليل

على هذه القضية يحتاج الى كلام طويل ، قد يعمد القارى عن المعتضين على

الشيخ محمد عبده .

٢ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة (٣ : ٤٠٣) .

وهذا الشعور مركز في جميع الانفس - عالمها وجاهلها ، وحشيتها
ومستأنسها ، باديتها وحاضرها ، وفي النفس الفاجرة ، ومن الهمة التقوى . . .

قال تعالى : " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " . " ٢ "

فألهم النفس هنا : جبلها ، في اصل الخلقة على امور لا تخفى عنها . . .

يشهد لهذا كثير من العلماء سلفا وخلفا :

قال شارح الطحاوية : (الايمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل

والفطرة السليمة) . " ٣ "

وذكر الشيخ " دراز " ما جاء في " مجمع لا روس " للقرن العشرين وايداه ،

وهو :-

(ان الفريضة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى اشدّها هجسية

واقربها الى الحياة الحيوانية . . . وان الاهتمام بالمعنى الالهي ، وما فوق الطبيعة

هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية) . " ٤ "

ألبيس هذا الاهتمام ثابتا من اعماق النفس الانسانية ؟ ألبيس هو غريزة

مشتركة بين كل الاجناس ؟ على اختلاف سنتهم والوانهم . . . حتى الاطفال ذوي

الفطرة السليمة يقول عنهم دراز :-

تعليمهم انهم يعرفون الله تعالى وماذا قالوا :

١ - انظر الاعمال الكاملة للامام (٣١ : ٤٠٤) .

٢ - سورة الشمس الايات (٧ - ٨) .

٣ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .

٤ - كتاب الدين ، ص ٨٤ .

(ان يوم الدين هو يوم الحساب والجزاء ، وهو يوم الجزاء والجزاء)

والله اعلم بالصواب ، والحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الطاهرين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، (١٤٠٤ هـ)

(فان كثيرا من الاطفال لا يقنعون بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقفون في
تعليله عند حلقة من حلقات اسبابه ، وغاياته القريبة ، بل يصعدون دائما
الى اسبابه الاولى ، ويسترسلون في تعرف نتائجه الاخيرة) . " ١ "

اليسست هذه صورة مصغرة من ذلك الشعور العام المنبث في النفوس ؟
اليس هذا الاهتمام من الطفل دليلا على رسوخ الفطرة التي لا تمنحي بل تختفي
وراء غواش طارئة سرعان ما تعود منجلية ، بمجرد ان يحركها باعث من بواعث
تجليتها ، فتعود الى اصلتها

يقول دراز : - (ما هذه اذا تلك القوة الخلاصة التي لا تزيدها المقاومة
الا عنفا ، واشتعالا ، والتي تقهر في النهاية انصارها واعداءها على السواء ؟
اليسست هي قوة الفطرة التي تورق وتثمر كلما عاودها الريح فيبل ثراها وسقى اصولها ؟
وان هذا الريح قد تكفي منه قطرة ، وربما تبلور في نظرة ، فما هي الا طرفة
من تأمل الفكر ، او لحظة من يقظة الوجدان ، او ازمة من صدمات المزم
فاذا انت تسبح بخيالك في عالم الغيب) " ٢ " للوصول الى الحقيقة الفطرية
والتعرف عليها بوضوح .

الا ان هذه الحقيقة الفطرية قد تختفي وراء غواش طارئة منها : -
أ : - ما يشيعه الملاحدة والاباحيون من افكار ، ونظريات ، ومبادئ . . . " ٣ "
ب : - انصراف الانسان الى لذاته وشهواته . . . " ٤ "

-
- ١ - نفس المصدر ص ٩٧ .
 - ٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .
 - ٣ - انظر كتاب : : الله يتجلي في عصر الحداثة ص ٣٣ .
 - ٤ - انظر كتاب : عقيدة المسلم ، الاستاذ محمد الغزالي ص ١٧ .

ج — التقليد والتعصب الاعى للمذهب . . . " ١ "

د — المبالغة في تعظيم وتقديس بعض المخلوقات . . . " ٢ "

وقد اجمل الشيخ محمد عبده الكلام فيما مضى بحجارات تشفي العليل وتروى

الغليل ، جاء فيها :

(كأن الله تعالى بما اودع في الانسان من الفرائض والقوى ، وما اقام له

من الشواهد وادلة الهدى ، قد اخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما اوتي من ذلك فيما

خلق له ، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه ، لولا ما اعترضه من

وساوس الشهوات ، فبعث اليه النبيين ليطلبوا من الناس اداء ذلك الميثاق .

اي ليحلبوهم بما تقتضيه فطرتهم ، وما ينهني ان تسوقهم اليه غرائزهم) . " ٣ "

هكذا كان اجماع الناس في الشعور العام بعالم الخيب ، وخطود النفس

وحياتها ، وهو اجماع ينادى به الواقع البشرى الملموس في كل زمان ومكان .

ولكن :-

قد تنكر العيين ضوء الشمس من رمد او ينكر النعم طعم الماء من سقم " ٤ "

٢ — وعلى فرض صحة الاعتراض المذكور ، فان هذا لا يقدر في مسلك الشيخ محمد

عبده ولا يطعن في نفعه ، لما يلي :-

أ : — لان الفئة المنكرة لخطود النفس ، والحياة بعد الممات قليلة لا تذكر ، ولا

١ — انظر كتاب : مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، لمحمد المجذوب ص ٢٢ .

٢ — انظر كتاب : تلبيس ابليس لابن الجوزي ص ٦٩ / وانظر دستور الاخلاق

في القران ، لدراز ص ١٩٨ .

٣ — نهج البلاغة ، للامام علي ، اختيار الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد

عبده (١ : ٢٩) .

٤ — لا اعظم قائله .

وزن لها ، لندررتها ، والقاعدة لا تنقض بالنادر ، بل تبقى صحتها ،
ويبحث عن سبب الشذوذ النادر .

ونحن نرى كثيرا من علماء الطبيعة يبحثون عن اسباب الشذوذ الذي يطلقون
عليه " فلتات الطبيعة " ، ولا يمدون هذه الفلتات دليلا على بطلان السنن
والنواميس العامة ، في الكون ، كخسوف القمر ، وكسوف الشمس . . . " ١ "

ب : - ان الغرض من ذكر هذا المسلك هو اقناع الناس ببيان وجه الحاجة الى
الرسالة ،

والناس فريقان :

فريق يقنع به ، وفريق لا يقنع به ، ولا يقف عليه ، بل
يصعد الى طلب غيره ، ويقول الناس في قوة فهمها ومدى ادراكها متفاوتة .
لذلك يطرح الدليل ، وتظهر الحججة ، فيقنع من يريد ان يقنع ،
ويمتنع من يريد ان لا يقنع .

والشيخ محمد عبده لا يريد ان يقنع جميع الناس بمسلكه ، لكن ما دام هذا
المسلك يقنع كثير منهم ، فهو اذا مسلك صحيح الاساس يفي بالغرض المطلوب .

ج : - من الثابت عند اهل العقول ان كثيرا من الناس يرفضون بعض القضايا وهي
صحيحة . ولا يسلمون بها ، وكون هؤلاء يرفضون قضية ما ، لا يجعلها
خارجة عن دائرة الصحة .

فمثلا ، قضية الايمان بالله ، قضية صحيحة مائة بالمائة ، ومع ذلك لم يؤمن بها كثير من الناس ، بشهادة كلام رب العالمين ، قال تعالى :

" وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " . " ١ "

وقال : " والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون " . " ٢ "

ومثلها تماما قضية خلود الروح ، وبقاء الحياة الاخرة ، فهي قضية

صحيحة ومع ذلك وجد من ينكرها ، وذلك لا يمنع من صحتها .

د : - حتى وان سلم بعدم صحة هذا المسلك ، فقد ذكر الشيخ محمد عبده

مسلكا آخر صحيحا ، وهو ايضا قائم على اصل الفطرة ، مما يقوى بيانه في

المسلك الاول .

- والله اعلم -

١ - سورة يوسف آية (١٠٣) .

٢ - سورة الرعد آية (١) .

ثانيا : الرد على من انكر فطرية الشمور بالخطود . . .

=====

أقول :

ان قضية الايمان بحياة بعد هذه الحياة ، دون معرفة تفاصيلها ، قضية فطرية عند الجميع ، يشعر بها كل انسان من ذوى الفطر السليمة ، يستوى في ذلك الحفاة المرأة وارقى شعوب العالم ، كما يستوى في ذلك فلاسفة اليونان في الماضي مع فلاسفة النصارى في الحاضر ، وقد ذكر التاريخ هذا الشمور عند قدماء المصريين ، والكندانيين ، والصينيين ، والهنود ، والسومريين ، ولا يزال يذكره عن شعوب هذا المصر من ادناها الى ارقاها . . .

ومثل هذا الاتفاق بين الجميع من الشرق الى الغرب ، ومن الماضي الى الحاضر من غير تواطؤ من احد ، ولا تلقين ، ولا تقليد . . . لا يعقل له سبب سوى الفطرة التي فطر عليها جميع الناس .

الا ان هذا الشمور الفطرى الاجمالي ، يخفى احيانا وراء غواش طارئة ، فتحجبه بستارها و تحول دون ظهوره - فترة - الى وقت حصول باعث من بواعث ايقاظه ، فسرعان ما يعود هذا الشعور ليظهر من جديد عند اول انذار .

هذه هي الحقيقة ، ولا يملك انسان ان يقول غير هذا ، وما حصل لبعض الناس في الماضي والحاضر من جحود وانكار لهذه الحقيقة ليس معناه انها باطلة او غير صحيحة . وانما يعني وجود المانع فيهم باحتجاب نور الفطرة ، او جحود عقولهم او لتمصبيهم البغيض لجباههم ، وافكارهم . . .

ولم نعرف من البشر في الماضي والحاضر من انكر هذه الحقيقة ، الا بعض

الطوائف المتعصبة : الدهرية في الماضي ، ومض فوق البراهمة ،

وفي الحاضر الشيوعية اصحاب المادية الجدلية .

ولا يعني انكار هؤلاء لهذه الحقيقة انعدام وجودها ، وطلان الاعتراف
بها ، داخليا في قزارة انفسهم ، وهذه ايضا حقيقة سجلها القران عليهم ،
قال تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا " . " ١ "

وما الدهرية في الماضي ، والالحاد الشيوعي في الحاضر الا مرض خطير من
الامراض الاجتماعية الطارئة ، التي ابتليت بها الامم قديما وحديثا ، اسأل الله
ان يشفي البشرية من هذا المرض الخبيث . . .

وأنا الان بسبيل نقض اوهام الدهرية ، والمادية الجدلية ، في انكار
الخلود بعد الموت ، وعدم الاعتراف بالبعث .
اقول :

- ١ — اذا كان هؤلاء القوم ينكرون الصانع الحكيم الذي شهد بمعرفته كل
من في السموات والارض ، بطريق الفطرة ، وخالف القوم في ذلك فطرهم ، اليس
من الممكن ان يخالفوا فطرهم فيما هو دون ذلك ، وهو البعث والحياة في الآخرة ؟
- ٢ — ذكر التاريخ ، وسمعنا قصص اناس كانوا من اشد الناس الحادا في
الله ، وانكارا للبعث ، ثم اسلموا و صاروا من اقوى الناس ايمانا . . .
الا يعني هذا ان الران قد نقض عن قلوبهم ، فسمعوا نداء الفطرة ؟ ثم الا
يدل هذا على ان الشعور الفطري بحياة بعد هذه الحياة كان كامئا في نفوسهم ؟
- ٣ — ورد في القران الكريم ما يكذب مدعاهم في انكار البعث ، والحياة
الآخرة ، وجاء بصيغة الزعم الذي يكذب مقالتهم من اول وهلة .
قال تعالى : " زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بل وري لتبعثن ثم لتنبؤن بما
علمتم وذلك على الله يسير " . " ٢ "

-
- ١ — سورة النمل اية (١٤) ، هذه الاية وان نزلت في حق منكرو المعجزات ،
الا انها تصلح دليلا هنا .
 - ٢ — سورة التغابن اية (٧) .

قال صاحب اضواء البيان : اى ان الكفار ادعوا انهم لا يمشون . . .
ولكن هذا الادعاء ينافي حقيقة ما يخلج صدورهم ، فهم فيه كاذبون . " ١ "
ويقول الشهيد سيد قطب : ومنذ البدء يسي مقاللة الذين كفروا عن عدم البحث
زعماء ، فيقضي بكذبها من اول لفظ في حكايتها . . . " ٢ "

٤ — ان هؤلاء المنكرين كذبوا الرسل ، وانكروا الايات ، وجحدوا بها ،
ظلموا وظلوا ، كما ذكر القرآن الكريم ، في كثير من آياته ، كقوله تعالى :
" فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وظلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين . . . " ٣ "
وقوله تعالى : " واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا
تخويفا . . . " ٤ "

فاذا كان هذا حال المنكرين مع رسل الله ، ومع الايات البينات ،
كيف يكون حالهم اذا كان الامر متعلقا بالغييب واحواله . . . ؟
لا شك انهم سيكونون اشد انكارا له وجحدوا به ، وما ذلك الا لظلمهم ،
واستعلائهم على الحق الذى لا يريدونه ، لا لانعدام الشعور به في اعماق
نفوسهم .

يقول الشهيد سيد قطب :

(وكذلك كان كهراة قريش يستقبلون القرآن ، ويستيقنون انه الحق ،
ولكنهم يجحدونه ، ويجحدون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم اياهم الى الله
الواحد ، ذلك انهم كانوا يريدون الابقاء على ديانتهم وعقائدهم ، لما وراءها
من اوضاع تسندهم ، ومفانم تتوافد عليهم ، وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة

-
- ١ — اضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، لمحمد الامين الشنقيطي
(٨ : ٣٣٨) ، الطبعة الثانية .
 - ٢ — في ظلال القرآن ، سيد قطب (٦ : ٣٥٨٧) ، الطبعة دار الشروق .
 - ٣ — سورة النحل اية (١٤) .
 - ٤ — سورة الاسراء اية (٥٩) .

وكذلك الحق ، لا يجحدوه الجاحدون لانهم لا يعرفونه ، بل هم

يعرفونه . يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم ، لانهم يحسون الخطر فيه على

وجودهم " ١ " او الخطر على اوضاعهم او الخطر على مصالحهم ، ومخائهم ،

فيقفون في وجهه مكابرين ، وهو واضح بين) . " ٢ "

وصدق الله العظيم " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم

الكافرون " . " ٣ "

المسلك الثاني :

=====

١ : - حاجة الانسان الى العيش مع جماعة ، لها معتقد وشريعة ونظام حياة .

وحاجة الانسان الى اخيه الانسان ، لا تنتهي ، لان الانسان نوع من

تلك الانواع التي غرز في طبيعتها ان تعيش مجتمعة . وان تعددت فيها الجماعات

وهذا ما يميز عنه طما الاجتماع بقولهم : الانسان مدني بالطبع .

وهذا صحيح ، فلقد اودع الله في كل شخص شعورا ما ، بحاجة الى

سائر افراد الجماعة .

يشهد لهذا الواقع الملموس المشاهد ، وما النطق الذي وهبه الله

للانسان الا لحاجته لان يتفاهم مع اخيه الانسان ، وهذا اكبر شاهد بأن لا غنى

ل الانسان عن الانسان .

ومثل من ينكر هذا كمثل الذي ينكر الشمس في وسط النهار .

قال الشاعر :

وليس يصح في الازهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل " ٤ "

١ - لا يكون في الحق خطر على وجود احد ، وانما الحق يساند الوجود ويعاضده ،

نعم يكون فيه خطر على الاوضاع والمصالح .

٢ - في ظلال القران ، سيد قطب (٥ : ٢٦٣) .

٣ - سورة النحل اية (٨٣) .

٤ - البيت لابن الطيب المتني ، انظر ديوانه بشرح العكبري (٣ : ٩٢) ، وفيه

بدل الازهان : الافهام .

فالصغير لا يستغني عن الكبير ، والجاهل لا يستغني عن العالم ، ومن
يعيش في البادية لا يستغني عن اهل المدينة ، ولا العكس .
وصدق الله العظيم اذ يقول : " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكرواثنى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم " . " ١ "

والدول لا غنى لبعضها عن بعض ، لا الشرقية تستغني عن الغربية ، ولا
التي تزعم انها متقدمة تستغني عن تلك التي يسمونها نامية ، ولا العكس ، لان
كلا خص بما يجعل الاخر محتاجا اليه .

وكما كثرت مطالب الانسان ، زادت حاجته الى غيره ، وتبعا لهذه الحاجة
نشأت العلاقات الفردية والجماعية ، وكان لابد لهذه العلاقات من قوانين تحفظها ،
ونظم تضبطها وتحافظ عليها ، من غير ان يعتدى قوى على ضعيف ، او يعيش
ضعيف طالة على قوى .

فهل يستقيم امر جماعة بني نظامهم ، وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم
وتعاطفهم ، من غير ضابط يضبط تصرفاتهم ، وحافظ يحفظها ؟
لا ريب ان البقاء بدون ذلك من المحال ، وهذه الحروب التي نشهدها
بين وقت واخر دللت على استحالة حصول الامن والاستقرار بدون نظام يكفلها .

اذا فلا بد للنوع الانساني حتى يستمر بقاؤه ، من المعدل الذي يؤدي الى
المجبة ، او ما ينوب منابها ، كما قال الشيخ محمد عبده .
ظن فريق من اهل العلم والتبصر ان المعدل يقود الى المجبة ، وهذا يستقيم
امر الجماعة .

لكن من الذى يضع قواعد العدل ، ويلزم الجماعة بالحفاظ على هذه القواعد ؟
وما هو ضابط العدل اذا وضع قواعد العقل البشرى ؟ وهل ما يراه
البعض عدلا يراه الكل كذلك ؟

وهل عقول الناس على مستوى واحد من الفهم والادراك حتى تتفق على مفهوم
العدل ؟

الجواب : لا ، فان التاريخ يحكي لنا سيرة بعض الملوك والحكام الذين سنوا
السنن ، وشرعوا الشرائع ، وقننوا القوانين ، وحملوا الناس على رعايتها بالقوة ،
لكنها سرعان ما ماتت بموت اصحابها ، وانتهت بانتهاهم .
وايضا : فاننا لم نسمع ان احد من هؤلاء الملوك استطاع ان يقنع الجميع
بآرائه ، ونظمه ، ولو كانت هي الصواب ، ولو اقام عليها الادلة الواضحة ،
والبراهين القاطمة .

وعدم الاقتناع ناتج عن تفاوت العقول في الادراك ، ومجرد البيان العقلي لا
يكفي ليمتدح الناس على الجادة ، لان من الناس من يرى نفسه فوق واضعي القوانين ،
ولان بعض الذين يقننون يزعمون انهم فوق ما يقننون ، فيخرجون على ما يقننون ،
فتذهب حرمة قوانينهم ، ويقصدع اساسها ، فتخترت اقدام وتنتهي بانتهاهم .

لذلك كله كان من حكمة الصانع ان يكمل النوع الانساني ، بما هو امس به
بالحاجة في البقاء ، وآثر في الرقاية من غوائل الشقاء ، واحفظ لنظام الاجتماع الذى
هو عماد كونه بالاجماع

فمن عليه بحامل اسس العدل الالهي ، والمنايا الربانية ، ولم يجعله
من غير جنسه ، بل اصطفاه بما يميزه عن غيره ، وايده زيادة في الاقتناع ،
بايات باهرة ، ومعجزات قاهرة ، نعمة منه تعالى على الناس ، لكيلا يكون لهم على
الله حجة بعد الرسل .

فيحثة الرسل صلوات الله عليهم من مميزات كون الانسان والمجتمع ، ومن اهم

حاجاته في بقائه ...

قال تعالى :

" كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل

معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه " ١ " ٠

وقال تعالى :

" ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم

لا يظلمون " ٢ " ٠

وقال تعالى :

" لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم

الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره

ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز " ٣ " ٠

• صدق الله العظيم

١ — سورة البقرة آية (٢١١) ٣

٢ — سورة يونس آية (٤٧)

٣ — سورة الحديد آية (٢٥)

ب - ايمان الانسان بمعجزه :

=====

المعجز ظاهرة بشرية ، لا يسهح الانسان الا الاعتراف والنزول عند

• هتضياتها

هذه الظاهرة ملازمة للانسان ، ترافقه منذ ولادته الى حين موته ، فهو عاجز وهو طفل ، وهو عاجز ايضا وهو شاب ، وكلما كبر الانسان ازداد شعوره بمعجزه

ولا انكر ان الانسان حقق الكثير في حياته ، وعرف الكثير ، وسيطر على كثير من الاشياء في من حوله ، فحاض البحر ، وعرف ما فيه ، وطار في اعماق الارض واستخرج ما في باطنها ، وطار في السماء ، وربط حط قدمه على بعض كواكبها ولا زال يفكر في الوصول الى اكثر مما وصل اليه

ولكن هذا لا ينفي عنه الشعور بالمعجز ، اذ ان ما حققه لا يساوي شيئا من آماله ، وطموحه ، ذلك انها اكبر بكثير مما حققه وانجزه

وان اشد ما يقفه الانسان امامه عاجزا ، هو الرغبة في استكناه الغيب الذي لم يحدث بعد ، فهو لم يستطع ان يعرفه ، حتى ولا ما يحدث في الخد القريب بل لم يستطع ان يصل الى مصرفة نفسه التي بين جنبيه ، او امساكها ساعة تغلت من بين جانحتيه

ولقد ادى هذا المعجز في تاريخ البشرية الى كثير من الوان العبادة

• المهتدية منها او الضالة

ذلك ان نفس الانسان تشمرانها خاضعة لقوة انقدر على كل ما عجز هو

• عنه

فهي تريد ان تعرف هذه القوة ، وله يها الرغبة الاكيدة في استكناه هذه

• القوة

فتبدأ تهتت عنها بالنظر في الكون والتفكر فيه .

- وانتهي الامر الى ان عهد بعضهم الحيوانات اما لنفسيها واما خوفا من ايدائها .
 - وعهد بعضهم الكواكب لظهور اثرها في العالم الارضي . وعهد بعضهم قوى الطبيعة لهذا السبب اولذاك . وعهد بعضهم سيده لسلطته وسيطرته .
 - وعهد بعضهم الاحجار والاشجار لاهتبارات لهم فيها " ١ " .
- يشهد لهذا بعض ما ورد في القرآن الكريم :

١ - قال تعالى : " واذ قال ابراهيم لابيه اتراتخذ اصناما الهة اني اراك

وقومك في ضلال مبين " . " ٢ " .

ففي هذه الاية ان قوما عبدو الحجارة ، واتخذوها الهة .

٢ - قال تعالى : " وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ويزن لهم

الشیطان اعمالهم قصد هم عن السبيل فهم لا يهتدون " . " ٣ " .

ففي هذه الاية ان قوما سجدوا للشمس من دون الله .

٣ - قال تعالى : " فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى " . " ٤ " .

وقال تعالى : " فاستخف قومه فاطاعوه " . " ٥ " .

ففي الاية الاولى ادعى فرعون الربوبية ، وفي الاية الثانية اطاعوه

وهوالقائل لهم " ما علمت لكم من اله غيري " . " ٦ " .

١ - بتصريف عن كتاب : دراسات في النفس الانسانية ، لمحمد قطب ص

٢٢٠ - ٢٢٤ .

٢ - سورة الانعام اية (٧٤) .

٣ - سورة النمل اية (٢٤) .

٤ - سورة النازعات الايات (٢٣ ، ٢٤) .

٥ - سورة الزخرف اية (٧٤) .

٦ - سورة القصص اية (٣٨) .

اما كتب التاريخ ، وكتب الاديان فقد حفظت لنا الوانا من العبادات ،
وجدت عند القدماء : كدماء المصريين ، والصينيين ، والاشوريين ،
والسومريين ، واليونان والهنود . ومن الهنود من لا يزال يعبد بعض
الحيوانات ، واطهرها البقرة . * ١ *

وهكذا ، نجد ان جميع الشرعيات في الشعوب بالمجزم عن تحقيق كثير
ما يصون اليه ، ومثقفون ايضا في الازعان لما فاق قدرهم ، وعلا عن تناول
قدرتهم ، وهذا شي مفروز في فطرتهم ، لكنهم اختلفوا في فهم ما تلجؤهم
هذه الفطرة للاذعان له ، اختلفا ادى الى تخبطهم واضطرابهم ، ومخاربة
بعضهم بعضا .

اذا كان الانسان مفطورا على الشعور بقادر اقوى منه ، تتساق نفسه الى
معرفة ، ومعرفة كيفية الوصول اليه ، للاستعانة به عند العالجات ،
والاستنجاد به في الملهمات .

ليس من حكمة القادر ان يمن عليه بارسال من ينقذه من تلك الالهة الراضة
التي صنع بعضها بيديه ، ونسج الباقي من وحي خياله
وان يخرج من حيرته واضطرابه ، وان يدل على الاله الحق ، وان
ياخذ بيده الى مطلع سعادته في حياته واخرته

بلى ، لانه تعالى لا يرض لعباده الكفر ، وحتى لا يكون لهم حجة عليه
يوم الحساب .

لذلك ارسل الرسل ، فكل بهم الفطرة الانسانية بما نهىها اليه ،

١ - انظر : قصة الديانات ، لسليمان مظهر ص (٢) ، ٤٣ ، ١٧٦ ،

(١٧٧) .

وانظر : مقارنة الاديان ، لاحمد شلي (٤ : ٢٨) .

كانت غافلة عنه " ١ " ، لعوامل واسباب اشترت اليها سلبا .

وجملة القول في هذا الفصل : ان بعثة الرسل صلوات الله عليهم

اجمعين ، من مشكلات كون الانسان ، في الارض ، ومن اهم حاجاته في
بقائه عليها ، في امن واستقرار ، يحيا فيها بمفاهيم صحيحة ، وتصورات
صحيحة ، عن الله ، والكون ، والحياة ، نعمة من الله ذي الفضل
المهم ، والجود العظيم .

١ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٥ : ٢٦٠) ،
وانظر كتاب الرد على المنطقيين ، له ايضا ، الطبعة الثانية ، ص